



رؤى

مجلة العلوم الإنسانية والتربوية
دورية علمية محكمة

تصدر عن جامعة طبرق
Tobruk Universty - Libya

العدد الثامن - يوليو 2023 م
السنة الثالثة

” في هذا العدد

- آيات الحجاج في رواية (التبر) للروائي إبراهيم الكوني
- التشخيص في الشعر العربي القديم (شعر ابن الرومي نموذجاً)
- النصيحة بين الشعر العربي والشعر الهندي «دراسة مقارنة للقصيدتين الزينية وقصيدته رسالة إلى شاب»
- الصوائت والصوامت الشائعة في ديوان «يسكنني» للشاعر عمر عبد الدائم وكيفية «تدريسها في المناهج التعليمية»
- البعد البنيوي التكويني في مصطلحات نجيب العوفي
- بعض الشواهد الجيومورفولوجية على التغيرات المناخية في هضبتي البطان والدفنة شمال شرق ليبيا خلال البلايستوسين والهولوسين
- المقومات البشرية للجذب السياحي لمدينة توكرة «دراسة في جغرافية السياحة»
- حماية المدنيين والتحول الديمقراطي في ليبيا «تاورغاء نموذجاً»
- المسؤولية الجنائية للطبيب
- السب والقذف عبر الوسائط الإلكترونية «دراسة مقارنة»
- كفاءة الضمانات القانونية للموظف الدولي
- دور السلطة التشريعية والتنفيذية في صنع السياسة العامة «سياق دستوري مقارن لمعرفة دور السلطين التشريعية والتنفيذية في صنع السياسة العامة للدولة»
- معوقات الاندماج الاجتماعي في الجنوب الليبي «دراسة ميدانية»
- الهواتف الذكية ودورها في التحصيل العلمي لدى الطلاب «دراسة ميدانية على عينة من طلاب التعليم الثانوي»
- واقع التربية والتعليم من خلال كتب النوازل «قضايا المعلم والمتعلم نموذجاً»
- المشكلات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة المتزوجة «دراسة ميدانية على عينة من العاملات بمستشفى جالو المركزي»
- إشراك المجتمع المحلي في حماية الموروث والآثار في قورينا «كيريبي»

“

رؤى

مجلة العلوم الإنسانية والتربوية
دورية علمية محكمة

تصدر عن

جامعة طبرق - ليبيا

Tobruk Universty - Libya

رئيس التحرير

د. فوزي عمر الحداد

Fawzi.hadad@tu.edu.ly

السنة الثالثة

العدد الثامن - مارس 2023 م

دلالات

مجلة دورية علمية محكمة متخصصة

تصدر عن جامعة طبرق - ليبيا

موقع الجامعة: www.tu.edu.ly

موقع المجلة: d.journal.tu.edu.ly

صفحة المجلة على الفيس بوك: www.facebook.com/dalalatt

رقم الايداع بدار الكتب الوطنية بنغازي: 2021 / 52

رقم الايداع الدولي: ISSN: 2788 - 6956

”

تستند المجلة إلى ميثاق أخلاقي يحكم عملية النشر في أعدادها، وإلى لائحة داخلية تنظم عملية النشر من خلال لجنة علمية استشارية متميزة من ليبيا وخارجها. المجلة غير مسؤولة عن الأفكار والآراء الواردة في البحوث المنشورة في أعدادها.

“

تنشر المجلة إلكترونياً على المنصات الآتية:

AskZad



دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH

هيئة التحرير

المشرف العام
رئيس التحرير
مدير التحرير
منسق التحرير

د. حسن على حسن
د. فوزي عمر الحداد
د. علاء جابر الضراط
د. أحمد محمد الميداني

لجنة المراجعة والتدقيق اللغوي

كلية التربية جامعة طبرق
كلية التربية المرج / جامعة بنغازي
كلية الآداب جامعة سبها

د. على ماضي العبودي
د. فيصل عبدالله حيدر
د. فتحي حسن خطاب

الايخراج الفني

محمد أحمد الحبوني

اللجنة الاستشارية العلمية

1. أ.د. أحمد الهادي رشراش
 2. أ.د. أحمد عمران بن سليم
 3. أ.د. أحمد عيسى فرج
 4. أ.د. إسماعيل فتحي حسين الباجور
 5. أ.د. أنور فتح الله عبدالقادر
 6. أ.د. خليفة صالح حواس
 7. أ.د. سعديّة حسين البرغثي
 8. أ.د. سميرة محمد العياطي
 9. أ.د. عادل عبدالعزيز غيث
 10. أ.د. عبدالرحيم محمد البديري
 11. أ.د. عبدالقادر لشقر
 12. أ.د. عبدالله سالم مليطان
 13. أ.د. عياد أبو بكر هاشم
 14. أ.د. فتحي رمضان الماقوري
 15. أ.د. فريدة الأمين المصري
 16. أ.د. محمد أحمد الوليد
 17. أ.د. مسعود حسين التائب
 18. أ.د. مهند سامي العلواني
 19. أ.د. هدى عطية عبدالقضار
 20. أ.د. وليد شعيب آدم
 21. أ.د. مرفت صدقي عبدالوهاب
 22. د. أحمد مزهار
 23. د. الشريف امراجع حامد
 24. د. جمعة ارحومة الجالي
 25. د. خديجة زيدي
 26. د. رضاء عبدالحليم جاب الله
 27. د. زهرة عبدالعزيز الثابت
 28. د. سالم عبدالرسول المهدي
 29. د. سليمان عمير التائب
 30. د. شعبان محمود الهواري
 31. د. شوكت نبيل المصري
 32. د. صفاء امحمد فنيخرة
 33. د. عادل إبراهيم المحروق
 34. د. عاصم زاهي العطرورز
 35. د. علي عبدالأمير عباس
 36. د. فرحة مفتاح عبدالله
 37. د. كريمية المبروك الرقيعي
 38. د. محمد إدريس عبدالعزيز
 39. د. محمد شحاتة واصل
 40. د. محمد مفتاح فضيل
 41. د. هاشم منصور مفتاح
 42. د. هناء محلية الصحة
 43. د. وريدة علي المنقوش
 44. د. يحيى عمر القويضي
- كلية اللغات - جامعة طرابلس
كلية الآداب - جامعة بنغازي
كلية السياحة والآثار - جامعة عمر المختار
كلية الآداب - جامعة الموصل
كلية الآداب جامعة درنة
عميد كلية القانون - جامعة سرت
كلية التربية - جامعة بنغازي
كلية الآداب - جامعة طرابلس
كلية الآداب المرج جامعة بنغازي
كلية الآداب - جامعة بنغازي
جامعة سيدي محمد بن عبدالله المغرب
عميد كلية الآداب - جامعة بنغازي
عميد كلية الفنون الجميلة والإعلام سابقاً - طرابلس
الأكاديمية الليبية للدراسات العليا - طرابلس
كلية اللغات - جامعة طرابلس
كلية الآداب - جامعة بنغازي
كلية الآداب - جامعة الزاوية
كلية التربية - جامعة الزاوية
كلية الآداب - جامعة عين شمس - القاهرة / مصر
كلية الآداب - جامعة طبرق
خبير دولي للتمكين والنوع الاجتماعي ببرنامج الغذاء العالمي
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين - فاس مكناس - المغرب
كلية الآداب - جامعة عمر المختار
كلية الآداب - جامعة طبرق
كلية الآداب - جامعة سيدي محمد بن عبدالله - المغرب
كلية الآداب - جامعة طبرق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية القيروان - تونس
كلية الآداب - جامعة طبرق
كلية الآداب - جامعة مصراتة
كلية القانون - جامعة خليج السدرة
أكاديمية الفنون - القاهرة / مصر
كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية - الجامعة الأسمرية
كلية الآداب - جامعة غريان
الجامعة الإسلامية - مينسوتا - أمريكا
رئيس تحرير مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم الإنسانية - الأردن
عميد كلية الآداب - جامعة سرت
كلية الآداب والعلوم - جامعة درنة
كلية الاقتصاد - جامعة طبرق
كلية التربية - جامعة طبرق
كلية الآداب - جامعة عمر المختار
كلية الآداب - جامعة درنة
كلية الآداب - جامعة مالانج الحكومية / إندونيسيا
كلية التربية - جامعة مصراتة
كلية التربية - جامعة مصراتة

مجلة دلايات للعلوم الإنسانية والتربوية

في سياق الحرص على مواكبة التطور في مجال النشر العلمي ورغبة في توفير نافذة رصينة للنشر الأكاديمي، تسعى نحو العالمية، نعلن إطلاق المجلة العلمية المحكمة: دلايات (DELALAT) المخصصة لنشر الأبحاث الأكاديمية في مجال العلوم الإنسانية والتربوية، وفقاً للضوابط والمعايير المعتمدة عربياً ودولياً.

تهدف المجلة إلى:

- السعي نحو إدراج المجلة ضمن قواعد البيانات العالمية للمجلات ذات معامل التأثير/Impact Factor، وذلك عبر ضوابط التحكيم والنشر الدقيقة التي تتبعها المجلة.
- توفير نافذة نشر رصينة للباحثين الأكاديميين، وإتاحة الفرصة أمامهم لنشر بحوثهم حسب جودة محتواها العلمي، مع مراعاة الالتزام بقواعد التفكير العلمي منهجاً ولغة في عرض الأفكار وتقديمها أو تحليلها.
- تغطية التظاهرات الثقافية ذات العلاقة باختصاص المجلة، مثل الندوات والمؤتمرات ومعارض الكتاب وعرض لأهم المؤلفات الصادرة حديثاً في كل فروع العلوم الإنسانية.

رؤيتنا:

مجلة علمية عربية ليبية المنطلق، تسعى للتميز لتكون خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم ودراساتهم في مجالات اهتمام المجلة.

رسالتنا:

نسعى لنقدم محتوى يجعل المجلة مرجعاً علمياً أصيلاً للباحثين وفق المعايير العالمية من حيث الأصالة والمنهجية والتميز العلمي.

أهدافنا:

- المشاركة في بناء مجتمع المعرفة من خلال نشر الأبحاث العلمية المحكمة من متخصصين ذوي مستوى رفيع.
- تقديم بحوث مميزة وإنتاج المعرفة التي تخدم المجتمع، ودعم الإبداع الفكري والتوظيف الأمثل للتقنية والشراكة المحلية والعالمية الفاعلة.
- استقطاب الباحثين المتميزين في عضوية هيئة التحكيم الاستشارية سعياً لتجويد البحوث المقدمة للنشر في المجلة، ولإنشاء بيوت خبرة علمية ذات كفاءة عالية وتميز رفيع.
- تلبية حاجات الباحثين على المستويات المحلية والعربية في مجال بحوث العلوم الإنسانية والتربوية.
- إنشاء محتوى الكتروني فارق للنشر العلمي المتخصص لخدمة الباحثين والدارسين ومؤسسات المجتمع كافة.

شروط النشر في مجلة دلالات

- تنشر المجلة البحوث باللغتين العربية، والإنجليزية.
- يقبل للنشر في المجلة البحوث، والنصوص المحققة والمترجمة وعروض الكتب الحديثة الصادرة في مجال اختصاص المجلة.
- يشترط في البحث المقدم للمجلة أن يكون أصيلاً وغير منشور أو مقدّم للنشر لدى جهة أخرى. ويوقع الباحث بذلك تعهداً خطياً مرفقاً بالبحث، حسب النموذج الموجود المرفق بهذه الشروط، ويمكن سحب النموذج من موقع المجلة الإلكتروني.
- أن يكون البحث المقدم خاضعاً لأسس البحث العلمي، مدققاً لغوياً وخالياً من الأخطاء اللغوية والإملائية والطباعية، مستوفياً شروط البحث العلمي المتعارف عليها.
- أن يكون البحث المقدم للمجلة مطبوعاً بوساطة برنامج (Word) وهوامش (2.5سم) وحجم الورقة (A4) ولا يتجاوز البحث (25) صفحة، بما في ذلك الملخصين العربي والإنجليزي وقائمة المراجع والمصادر، ولا يقل عن (15) صفحة، ونوع الخط لبحوث اللغة العربية هو (Simplified Arabic) بنط (14) في المتن وبنط (16) في العناوين، وبنط (12) في الهوامش، ويكون نوع الخط في بحوث اللغة الإنجليزية Times New Roman بنط (14)، والهوامش بنط (12).
- يكتب عنوان البحث واسم الباحث ودرجته العلمية والمؤسسة التي إليها وعنوان بريده الإلكتروني وهاتفه الشخصي على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث، ثم تتبع بصفحات البحث.
- يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث في متن البحث أو في مراجعه صراحة، أو بأية طريقة تكشف هويته.
- يرفق البحث بملخصين (عربي وإنجليزي) لا تزيد كلمات كل منهما عن 150 كلمة، يليهما كلمات مفتاحية (key words) لا تزيد عن خمس كلمات غير موجودة في عنوان البحث تعبر عن مجالات البحث لتستخدم في التكشيف.
- تدرج الهوامش أسفل الصفحات، وتكون أرقامها متسلسلة حتى نهاية البحث. مع مراعاة ذكر المعلومات كاملة عند ذكر المرجع لأول مرة، وإذا ذكر مرة أخرى فيكتفى باسم الكتاب والصفحة، ويتم وضع قائمة بالمصادر والمراجع نهاية البحث وترتيبها أبجدياً، ويراعى في كتابة أسماء المؤلفين ذكر الاسم أولاً ثم الكنية، أو بالطريقة المكتوب بها على غلاف الكتاب.
- في حالة قبول البحث للنشر تؤول كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز للباحث نشر بحثه أو تقديمه بأية طريقة لأي جهة نشر أخرى دون إذن كتابي من رئيس التحرير.

- لا يمكن للمجلة قبول أي بحث بدون مراعاة ضوابط النشر السابقة.
- البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء مؤلفيها، ولا تعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو جهة الإصدار.
- ترسل الأبحاث كاملة مستوفية للشروط المعلنة على البريد الإلكتروني للمجلة:

Delalat@tu.edu.ly

الصفحة	المحتويات	ت
13	آليات الحجاج في رواية (التبر) للروائي إبراهيم الكوني د. أمينة الشريف سالم عقيلة	1
33	التشخيص في الشعر العربي القديم (شعر ابن الرومي نموذجاً) أمينة عبد السلام ربوه رجب	2
48	النصيحة بين الشعر العربي والشعر الهندي «دراسة مقارنة للقصيدة الزينية وقصيدة رسالة إلى شاب» عزمي عبد الحميد محمد جارالله	3
60	الصوائت والصوامت الشائعة في ديوان «يسكنني» للشاعر عمر عبد الدائم وكيفية «تدريسها في المناهج التعليمية» أ. فاطمة دين حمد الجهيمي	4
75	البعد البنيوي التكويني في مصطلحات نجيب العوفي محسين بنغالاب	5
89	بعض الشواهد الجيومورفولوجية على التغيرات المناخية في هضبتي البطنان والدفنة شمال شرق ليبيا خلال البلايستوسين والهولوسين د. علاء جابر فتح الله الضراط	6
121	المقومات البشرية للجذب السياحي لمدينة توكرة «دراسة في جغرافية السياحة» أ. سعيد عبد الحميد عبد الله دعيس	7
138	حماية المدنيين والتحول الديمقراطي في ليبيا «تاورغاء نموذجاً» د. خالد علي عبد القادر التومي	8
152	المسؤولية الجنائية للطبيب د. شعبان محمود محمد الهواري	9
187	السب والقذف عبر الوسائط الإلكترونية «دراسة مقارنة» د. حمزة حامد عبد الواحد	10
203	كفالة الضمانات القانونية للموظف الدولي أ. مسعود محمد مسعود أحمد	11
223	دور السلطة التشريعية والتنفيذية في صنع السياسة العامة «سياق دستوري مقارن لمعرفة دور السلطتين التشريعية والتنفيذية في صنع السياسة العامة للدولة» د. مرعية عبدالله موسى العبار	12
236	معوقات الاندماج الاجتماعي في الجنوب الليبي «دراسة ميدانية» د. يوسف محمد أبو القاسم الصيد	13

الصفحة	المحتويات	ت
266	الهواتف الذكية ودورها في التحصيل العلمي لدى الطلاب «دراسة ميدانية على عينة من طلاب التعليم الثانوي» د. عبد الفتاح بالعيد هودج حفاش	14
283	واقع التربية والتعليم من خلال كتب النوازل «قضايا المعلم والمتعلم نموذجاً» د. محمد الدراري	15
294	المشكلات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة المتزوجة «دراسة ميدانية على عينة من العاملات بمستشفى جالو المركزي» حميدة حمد خيرواجد البطران	16
312	إشراك المجتمع المحلي في حماية الموروث والأثار في قورينا «كيريوني» د. أحمد عيسى فرج عبدالكريم ترجمة: د. محمد عمر محمد عبدربه	17

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

بتوفيق الله يصدر العدد الثامن من مجلة دلالات للعلوم الإنسانية والتربوية، إصدار علمي محكم لنشر الأبحاث العلمية الرصينة والدراسات الأصيلة، المنضوية تحت العلوم التربوية وما يتداخل معها من العلوم الإنسانية كافة.

في هذا العدد يستمر الاحتفاء بالقيم الأصيلة للبحث العلمي، إذ حوى هذا العدد أبحاثاً ودراسات قيمة لباحثين من المؤسسات العلمية في ليبيا وخارجها، كما تم تحديث الهيئة الاستشارية لتحكيم البحوث، فشملت خبراء جدد من مؤسسات مرموقة عربية ودولية.

ونحن نضع بين أيديكم هذا العدد، في نسخة الكترونية تتبعها نسخة ورقية، نواصل التأكيد على أهدافنا المتمثلة في تقديم خدمة مميزة لإنتاج المعرفة التي تخدم المجتمع، وتدعم الإبداع الفكري وتسعى في تطويره والارتقاء به.

كما نؤكد على إيماننا المطلق بدعم مسيرة البحث العلمي، وتحسين جودته وإتاحة كل السبل الممكنة للارتقاء به محلياً وعربياً ودولياً.

وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير

هيئة التحرير

آليات الحجاج في رواية (التبر)

للروائي إبراهيم الكوني

إعداد:

د. أمينة الشريف سالم عقيلة

أستاذ مشارك

قسم اللغة العربية - كلية الآداب جامعة سرت

القبول: 2023/6/10

الاستلام: 2023/5/15

○

○

المستخلص:

يهدف البحث الحالي الموسوم بـ(آليات الحجاج في رواية (التبر) للروائي الليبي (إبراهيم الكوني) إلى الكشف عن الوسائل والتقنيات الحجاجية التي اتبعها (الكوني) في إقناع القارئ بما يروم إليه من أفكار ورؤى فلسفية ترتبط بعالم الصحراء، وبخاصة عالم الطوارق، مما أحدث تواصلية وتفاعلية بين المعنون/ الروائي وبين المعنون له/ القارئ، وفق أسلوب حكاوي، مثل حالة دمج بين اللغة وذلك العالم، وذلك من خلال انتقاء بعض الآليات الحجاجية، على سبيل المثال لا الحصر، المتجسدة في مستويين هما: العتبات النصية، والحجاج السردية، المحملين بشحنات خطابية ذات تأثير على القارئ.

الكلمات المفتاحية: المعنون - المعنون له - العتبات النصية - الحجاج السردية - الطوارق.

Abstract:

The present study entitled "The mechanisms of persuasion employed in the novel (Tabr) by Ibrahim al-Koni (1948000-) aims to reveal the persuasive means and techniques employed by Al-Koni in persuading the reader of his intended ideas and philosophical visions related to the world of the desert, especially the world of the Tuareg. These means of communication have created an interaction between the novel/novelist and the his intended readers by adopting a narrative style exemplifying a special case a case of merging between language used and that world that he was describing through exploiting some persuasive mechanisms. An example of this exploitation was represented, for example, on the surface and a deeper levels of the text and the meaning which were full of rhetorical power which had a great influence on the readers.

Keywords: the author - the reader- the textual thresholds - the persuasive narrative - the Tuareg.

مقدمة:

يستطيع قارئ (إبراهيم الكوني)⁽¹⁾ أن يتعرف على عالمه الروائي بسهولة ويسر، وذلك من خلال التيمة الصحراوية، وهي تيمة تكاد تكون مغيبة فيالسرد العربي المعاصر، التي يحتضى بها دائماً في صلب أعماله، وما تتركه هذه التيمة في عقل المتلقي وفكره من رؤى تعددية تمثل سوسيوولوجيا الحياة ودلالاتها، ويكل ما يكتنف جوانبها من خيالات وغرائبية تكشف عن روح الصحراء بطبيعتها وسماتها الخاصة، والكاشفة عن سلطة المكان وهيمنته، بشكل يجعل من عالم (الكوني) ملحمة الحدود القصوى لهذا العالم؛ بوصفه موطن الرؤى الفلسفية والعالم البكر، الذي مثل له هاجساً ذا حضور قوي عنده، فاقترن اسمه به في تلازمية محببة إلى الذات؛ رغبة في الانعتاق والحرية من قيود الواقع، وهو ما عبّر عنه صراحة بقوله: ((الصحراء وحدها تغسل الروح. تتطهر تخلو. تتفرغ تنقضى. فيسهل أن تنطلق لتتحد بالخلاء الأبدى. بالأفق، بالفضاء المؤدي إلى مكان خارج الأفق وخارج الفضاء. بالدنيا الأخرى. بالأخرة. نعم بالأخرة، هنا، فقط، هنا، في السهول الممتدة. في المتاهة العارية. حيث تلتقى الأطراف الثلاثة: العراء، الأفق، الفضاء لتتسج الفلك الذي يسبح ليتصل بالأبدية. بالأخرة))⁽²⁾ ولعل هذه الخاصية هي ما جعلت من نتاج (الكوني) الروائي الاستثناء الخارج عن قاعدة المكان المديني والريفي، حيث الأساطير العجائبية والغرائبية المنبعثة من هذا العالم الذي يلغى الغموض كلما توغلنا فيه⁽³⁾، وتكتنزه ثنائية الموت والحياة⁽⁴⁾، بصورة تجعل من هذا العالم الأكثر فضولاً عند المتلقي؛ لما لها من خيال واسع مليء بحواس غير مألفة، ومتاهات هائلة، ودروب زمنية ومكانية تعقب بريح البداوة والخصوصية والتفرد والمجهول المسيطر على عالمها الخاص، والذي يصل، في بعض الأحيان، إلى حد القداسة والرهبنة، بحيث صار الخيال الصحراوي في أعمال (الكوني) (يحدد من الناحية السردية، وجهة نظر الشخصيات التي تعيش فيه. إنها شخصيات موجودة على حافة الحياة دائماً، وكأنها في صراع أبدي مع الموت. لا وقت لديها للتفكير إلا بما يحفظ لها استمرارية وجودها، ويحصنها من مواجهة الفناء، فكل شيء في المجتمع

(1) رواي ليبي من مواليد مدينة (غدامس) سنة 1948، وينتسب إلى قبيلة الطوارق التي تسكن الصحراء الليبية، تلقى تعليمه الأولي بمدارس الجنوب، حصل على الليسانس ثم الماجستير في العلوم الأدبية والنقدية من معهد (غوركي) للأدب بموسكو سنة 1977.

ويعدّ (الكوني) أحد أبرز الأعلام الليبية والعربية المعاصرة: لثراء فكره ونتاجه في شتى المجالات: الروائية ومنها: رباعية الغسوق 1989 (البئر - الواحة - أخبار الطوفان الثاني - نداء الوقواق)، البئر 1990، نزيه الحجر 1990، وآخرها رواية ناقة الله 2015، والقصصية منها: الصلاة خارج نطاق الأوقات الخمسة 1974، جرعة من دم 1993، الفضفص 1990 وغيرها، بالإضافة إلى عدد من المؤلفات الأخرى منها: ثورات الصحراء الكبرى 1970، نقد ندوة الفكر الثوري 1970 وغيرها، إلى جانب مذكرات في أربعة أجزاء بعنوان (عدوس السرى) تعدّ بمثابة سيرة ذاتية.

حصل (الكوني) على العديد من الجوائز منها: جائزة الدولة الاستثنائية الكبرى بسويسرا 2005، جائزة الشيخ (زايد) للكتاب فرع الآداب 2007-2008، وجائزة الدولة في ليبيا عن مجمل أعماله سنة 1996، كما رشح للقائمة القصيرة لجائزة مان بوكر الدولية عن رواية (ناقة الله) سنة 2015.

ينظر في ترجمته .

– عوني الفاعوري، تجليات الواقع والأسطورة في النتاج الروائي لإبراهيم الكوني، وزارة الثقافة، عمان، 2002، ص 19-20.

– سكاى فيوز عربية، الكوني وكرات باللائحة القصيرة لجائزة مان بوكر، 2015/3/25.

– الجزيرة نت، إبراهيم الكوني، تكريم الغرب وتجاهل العرب، 2018/9/30

(2) إبراهيم الكوني، البئر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1992، ص 126.

(3) ينظر البئر، ص 29، 148.

(4) ينظر البئر، ص 44، 49-50، 99.

الصحراوي قابل للحياة والموت في آن واحد))⁽⁵⁾

وليس شمة شك في أن هيمنة المكان/ الصحراء في رواية (التبر) يمثل امتداداً لمشروع (الكوني) الروائي الكاشف عن الانتماء والهوية للمجتمع الطوارقي الصحراوي، بما يؤكد أنه ابن هذا المكان، الذي تشرب عاداته، وثقف تقاليدته، وذاق واقعه بمعاشية اجتماعية ونفسية، عكستها حالة الرصد لملاح هذا المجتمع، بكل أبعاده الواقعية والأسطورية المضممة بالحرية، كأنها سفر من أسفار التكوين القائمة على خلفيات ثقافية تمثل مجتمع الطوارق.

وقد حمل النص الروائي في رواية (التبر) تقنيات عدة تؤكد على هذه الحقيقة من ناحية، وضمان الانفلات من السلطات النصية الروائية السائدة، وإحداث نوع من التفاعلية بين الباث/ الروائي وبين المتقبل/ المتلقي من ناحية أخرى.

ومن هذه التقنيات ما يعرف بالحجاج أو الحجاجية، الذي يتضمن موجات مغنطة لديها القدرة على إحداث التأثير في متلقي الخطاب⁽⁶⁾ الروائي الذي يمثل أطروحة خطابية ملائمة لاستخدام الأسلوب الحجاجي أكثر من غيره؛ لوجود قواسم مشتركة بينها، تجعل من الخطاب الروائي مجالاً فسيحاً للحجاج وألياته، الذي ينقل المتلقي من سلبية التلقي إلى التفاعل النشط الذي يتم تأسيسه عبر تفاعل الحكيم، والتحاورية، والأفعال القولية اللغوية، وسيرورة الأحداث وغيرها من العناصر التي يلجأ إليها الروائي للتأثير في المتلقي، من خلال استراتيجية الحجاج القائمة على التفاعل والتواصل بين القناة الاتصالية التي يمثلها: الروائي - الرسالة - المتلقي، والتي تلخص حقيقة أنه ((حيث يكون التواصل يكون الحجاج، والعكس صحيح))⁽⁷⁾.

ويعد الحجاج من أهم مخرجات النظرية التداولية التي تهتم بالفعل الكلامي الذي يؤدي إلى تحول وضع المتلقي، وتغيير نظام تفكيره، وتبديل مواقفه السلوكية، والتركيز على مرتكزات العملية التخاطبية من: متكلم، مخاطب، خطاب، أبعاد حجاجية وغيرها من الخطابات المرهون تأثيرها بحجية قائلها أو المتلطف بها⁽⁸⁾.

ومن ثم فإن الخطاب الحجاجي أضحى شمة رئيسة في الخطاب الروائي والسردية بصفة عامة، والذي يستدعي إقناع المرسل إليه/ المتلقي بواسطة المتكلم/ الحاكي ((الذي غالباً ما يقوم بتجاوز علاقته بالمخاطب؛ ليضمن السيطرة على مقاليد السرد))⁽⁹⁾ من خلال معطيات حجاجية لغوية، وجمالية، وأسلوبية وبلاغية تحمله على التسليم بما يعرض عليه من أفكار ورؤى تقدم في شكل حكاثي يحتوي على عوامل حجاجية توجه القول والمتلقي معاً إلى نتيجة محددة.

(5) سعيد الغانمي، الخيال الصحراوي في أدب إبراهيم الكوني، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، 2000، ص 14.

(6) يدور مفهوم الخطاب في اللغة حول توجيه الكلام للغير ومراجعته (ينظر: محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون: دار المعارف، القاهرة، 1979، 1194/2، مادة (خطب)). أما في الاصطلاح، فقد خضع مفهومه للتعديد؛ تبعاً لتعدد المدارس اللسانية واتجاهاتها التي تناولت الخطاب بالتحليل، كالاتجاه اللساني، والبنوي، والتداولي، والاجتماعي، والنفسي وغيرها (ينظر: جابر عصفور، خطاب الخطاب، دار مؤسسة سلطان علي العويس الثقافية، دبي، 1999، ص 35) غير أن معناه، بصفة عامة، يقصد به التأثير والتفاعل والتواصل القائم على مبدأ الحوار (ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، الرباط، 2001، ص 79).

(7) أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، 2010، ص 12.

(8) ينظر، دومينيك ما نفونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد حياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، ومنشورات الاختلاف، بيروت - الجزائر، 2008، ص 12.

(9) هيثم سرحان، الحجاج السردية عند الجاحظ، بحث في المرجعيات والنصيات والآليات، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، ع 115، مج 29، 2011، ص 17.

ومن هذا المنطلق، فإن البحث الحالي يتتبع الآليات الحجاجية في رواية (التبر): لتأسيس رؤية تنطلق منها، وتقوم على أن النص في الرواية يحتوي على معمارية حجاجية؛ نتيجة لتوجه محدد يريد به (الكوني) التأثير في المتلقي وإقناعه، مستغلاً قدرة الرواية على ملاسة الواقع الصحراوي الطوارقي بكل مستوياته، بما يكشف على أن المكان/ الصحراء هو البطل والمهيمن، وهو ما يصبو إليه (الكوني) الذي نصب للمتلقي شراكا حجاجية متنوعة في الرواية تتمثل في ((إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي نستنتج منها))⁽¹⁰⁾.

الأسباب:

1. عدم وجود دراسات معنية بدراسة الخطاب الحجاجي في روايات (الكوني) بصفة عامة، ومنها رواية (التبر) موضع البحث، على قدر الأطلاع والاستقصاء.
2. ارتكاز الخطاب في رواية (التبر) على الكثير من مظاهر التأثير والإقناع، التي تحتوي على ثيمات حجاجية متخمة وكاشفة عن سلطة المكان/ الصحراء وانعكاساته علي (الكوني).
3. حصول رواية (التبر) على جائزة اللجنة اليابانية للترجمة سنة (1997)، وهو ما يجعلها جديرة بالدراسة والتحليل والتقييم في مختلف جوانبها، ومنها الجانب الحجاجي.

الأهداف:

1. الكشف عن آليات الحجاج وأبعاده ومستوياته الثاوية في مفاصل بناء رواية (التبر): تأسيساً على أن الرواية تتضمن خطاباً وأطروحات ومقاصد يراد لها أن تقنع المخاطب بما يريد (الكوني) توصيله من رؤى وفلسفات.
2. الكشف عن الروابط والأدوات الحجاجية التي تضمنتها الرواية، وكشف دورها في إقناع المتلقي بما يروم إليه (الكوني).
3. رصد ما ينطوي عليه الخطاب الحجاجي في الرواية من قيم تداولية تواصلية بين المرسل/ المبدع وبين المستقبل/ المتلقي.

التساؤلات:

1. ما مفهوم الحجاج؟
2. ما الدور الفعال الذي تقوم به الآليات الحجاجية في إكساب خطاب (الكوني) الطابع الحجاجي في الرواية؟
3. كيف أسهمت الآليات الحجاجية في بناء الخطاب الروائي؟ وهل ثمة روابط تجمع بينها في الرواية أم أن كل آلية تساق بمعزل عن الأخرى؟

الدراسات السابقة :

خطى نتاج (الكوني) بصفة عامة، بالعديد من الدراسات والأبحاث والكتابات النقدية والتحليلية، حيث اعتمدت مؤلفاته كمادة مرجعية للدراسات البحثية⁽¹¹⁾.

أما رواية (التبر)، فقد حظيت بالعديد من الدراسات والأبحاث، غير أنها لم تتطرق إلى دراسة الخطاب الحجاجي فيها، نذكر منها دراسة:

1. عكازي شريف، حركية السرد في رواية (التبر) لإبراهيم الكوني، دراسة في المشهد

(10) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، 2006، ص16.

(11) ينظر إبراهيم الكوني، عدوس السرى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ودار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت - عمان، 2014، 571/3.

1. السردى وتوزيعه، جامعة ابن خلدون، الجزائر، ع11، مج3، سبتمبر 2015.
2. شول فاطمة الزهراء، بلاغة الصحراء وفاعلية التجسيم الاستعاري قراءة في رواية (التبر) لإبراهيم الكوني، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، الجزائر، مج3، ع11، سبتمبر، 2015
3. الأخضر بن سايح، نبض الحياة ونبض الموت: مشاهد ووقفات، قراءة في رواية (التبر) لإبراهيم الكوني، مجلة الباحث، جامعة عمارثليجي، الجزائر، ع1، مارس، 2009.
4. دليلة زغودي، نرجسية احتضان الحلم الأول في رواية الصحراء: مقارنة نفسية لرواية (التبر) لإبراهيم الكوني، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري، الجزائر، مج16، ع1، يناير، 2021.

منهج البحث:

اعتمد البحث الحالي على المنهج الوصفي التحليلي الذي يروم إلى دراسة الآليات الحجاجية التي اتكأ عليها (الكوني) في رواية (التبر): لتحقيق الإقناع والتأثير في المتلقي؛ تبعاً للتداولية التي تهتم بالسياق المقامي وتأثيره في إنتاج الخطاب، ودراسة ما يتضمنه من ملفوظات وأفعال كلامية تُنجز من خلال عملية الخطاب، كما تدرس مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلم والمخاطب، ضمن سياق محدد؛ قصد إنجاز فعل اجتماعي⁽¹²⁾.

الخطة:

تم تقسيم البحث الحالي إلى الآتي:

المقدمة:

تضمنت التعريف بموضوع البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، وتساؤلاته، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع فيه، والخطة التي سار عليها.

التمهيد: وتضمن أمرين:

أولاً : تحرير مصطلح (الحجاج)

ثانياً : التعريف برواية (التبر).

المحور الأول: حجاجية العتبات النصية.

المحور الثاني: الحجاج السردى

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج التي أمكن التوصل إليها.

قائمة المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها.

التمهيد: ينطوي البحث الحالي على مفردتين محوريّتين هما:

أولاً: مصطلح (الحجاج):

لا يعد مصطلح (الحجاج) جديداً على الاستخدام النقدي؛ فقد أكثرت الدراسات الحديثة من استخدامه، وتناول الجوانب النظرية المتعلقة به. ومن ثم، سيكتفي- هنا - ببيان معناه المعجمي والاصطلاحي، مع تلافي الخوض في التعريفات الكثيرة له، والآراء التي دارت حوله.

(12) ينظر في هذه الجزئية:

- مسعود الصحراوي، التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، 2005، صص10-16.
- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019، صص 67-105.

أ. الحجاج في اللغة:

يدور مفهوم الحجاج في المعاجم العربية حول معاني عدة منها: المخاصمة، الجدل، الغلبة، البرهان، والدليل⁽¹³⁾ وذلك في إطار الاستعمالات المتداولة في التخاطب عند العرب، حيث استخدمت اللفظة في سياق تواصلِي يحمل في ثناياه التأثير في الغير والغلبة.

ب. الحجاج في الاصطلاح:

تبدو المعاني الاصطلاحية للحجاج، على تعددها، قريبة من معانيه المعجمية؛ فقد دارت مضاهيمه، منذ أرسطو، حول المعاني اللغوية السابقة.⁽¹⁴⁾

ويعد (ديكرو) المؤسس الفعلي لنظرية (الحجاج) في الدرس البلاغي الجديد⁽¹⁵⁾.

ويعني الحجاج في الاصطلاح فنّ الإقناع، وطرائق الاستدلال الحاضر في الخطاب، عبر جملة من التقنيات الخطابية التي تمكن مستخدميه من إثارة الاعتقاد أو ترسيخه في العقول، من خلال أطروحات معروضة توجه إلى المخاطب؛ للتأثير فيه، وحمله على التسليم بهذه الأطروحات⁽¹⁶⁾. وهذا معناه أن الحجاج مبني على قصدية التأثير في المتلقي واستمالاته، من خلال تقنيات وأساليب تخاطبية معروضة في ثنايا الأفكار والمواقف، قادرة على إحداث آثار واضحة في سلوكيات المتلقي وتصوراتة نحو ((قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطاً منطقياً، قاصداً إقناع الآخر بصدق دعواه، والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية))⁽¹⁷⁾. ومن ثم، فإن الحجاج في رواية (التبر) موجه للتأثير في المتلقي بوسائل وآليات حجاجية مختلفة؛ بهدف إقناعه برؤى (الكوني) وفلسفته تجاه عالم الصحراء، وما يتعلق به من معتقدات وتقاليد، وخرافات، وأساطير، عبر توشيات لغوية، وبلاغية، وأسلوبية، تتجلى في بنية النص الروائي في الرواية.

ثانياً: التعريف برواية (التبر):

تعد رواية (التبر) ثاني إنتاج روائي (لكوني) بعد رباعية الخسوف، وصدرت سنة 1990، لكن تاريخ كتابتها يعود إلى سنة (1989) كما تشير الصفحة الأخيرة من الرواية⁽¹⁸⁾.

ويعتمد البحث الحالي على الطبعة الثالثة الصادرة عن دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت، سنة 1992، وتقع في نحو (160) ورقة.

وقد كتب (الكوني) هذه الرواية راصداً عوالم الصحراء في صورة قصص الحيوان وعلاقته بالإنسان، من خلال العلاقة بين بطل الرواية (أوخيد) وجملة (الأبلق) التي وصلت إلى حد الصداقة، متخذاً العجائبية والفرائبية ملمحا رئيسا في بنائها، حيث يتحول (الأبلق) إلى بطل رئيس يساهم في تشكيل الأحداث، بما يعد امتدادا لقصص الحيوان في

(13) ينظر، لسان العرب، سابق 779/2، مادة (حجج)، وأحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، القاهرة، 1979، 30/2 مادة (حجج).

(14) ينظر، هشام الربضي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، مجموعة باحثين، كلية الآداب، تونس، دت، ص 145.

(15) يُنظر، عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، دار الفارابي، بيروت، 2007، ص 18.

(16) ينظر اللغة والحجاج، سابق، ص 16، ومحمد العبد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، ع 60، صيف — خريف، 2002، ص 44، ومجموعة باحثين، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية، إشراف حافظ إسماعيل، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، 495/1.

(17) النص الحجاجي العربي، سابق، ص 44.

(18) ينظر التبر، ص 160.

الأدب العربي والآداب الغربية⁽¹⁹⁾، بما تحمله من طابع رمزي وفلسفي وتعليمي وأخلاقي، من خلال ربط مسيرة (أوخيد) بمصير (الأبلق).

وتبدو صورة هذه العلاقة، والمسرح الذي دارت أحداثها عليه، وكأنها أسطورة عجائبية متماهية في سطوة الواقع الصحراوي وجبروته، وما يتحلق في هذا المناخ الحامل للسمات الإنسانية في شتى صورها، وواقع العلاقة الإنسانية الحيوانية المتفاعلة والمتماهية، والمنبثق تشكيلا من علامات ومدلولات استمدت ملامحها من أبعاد متعددة تراثية مستمدة من الواقع الطوارقي، أعاد (الكوني) صياغتها، ومزجها برؤية فلسفية خاصة، تحمل ثقلاً معرفياً ثرياً، تحدد لقارئ الرواية ومتلقيها ما يجب أن تطرحه قراءة الرواية وتحليلها من قضايا وجودية تتعلق بالحرية والانعتاق من أسر القيود، على نحو ما جاء على لسان السارد ((تخلي عن الآية، عن السورة عن التعويذة السحرية . تخلي عن كلمة السر: الطمأنينة، الحرية السكينة . تخلي عنها تلقائياً بمجرد أن هجر الصحراء، وسلم رقبته لسلاسل الاستقرار في الواحات))⁽²⁰⁾.

هذه الصرخة المدوية جاءت كبحث دائم عن الحرية، وهو نداء غرانزي يسعى وراءه كل المخلوقات في كل زمان ومكان الكامن في دهايز العلاقة الإنسانية الحيوانية، التي تستمد خطوطها، في الرواية، من اللغة المتدفقة، والإيقاع السردي الخاص بها والمحمل بدلالات الواقع الصحراوي الطوارقي الإنساني وأثرولوجيا الحياة فيه، والتي تتجه ناحية روافد إنسانية متعددة، وهي البحث عن الهوية، والحقيقة المطلقة، والحرية والخلاص وغيرها من الإشارات والعلامات المعني بها النص الروائي القائم على معمارية خاصة، استبدل فيها العنونة الداخلية بأرقام (1-32)، يرصد من خلالها إنسانية الطوارق من خلال شخصية (أوخيد)، الذي يمثل حالة من حالات علاجا لذات بدلالاتها المختلفة، ليخوض (الكوني) من خلال فعل الكتابة تجربة العلاقة الإنسانية الحيوانية، منذ الوهلة الأولى أو منذ الاستهلال الأول للرواية، حيث تأتي صورة الشخصية الطوارقية (أوخيد)، وما جبلت عليه من إنسانية، تتماهى بقوة داخل نسيج النص، منذ أن وضعه السارد على الورق؛ ليسرد حكايته أو علاقته مع (الأبلق) الذي تلقاه هدية ((وهو لا يزال مهراً صغيراً، يطيب له أن يذاخر بين أقرانه في الأمسيات المقمرة، ويتلذذ بمحاورة نفسه في صورة السائل والمجيب ... وبلغ به عشقه للأبلق أن قصد شاعرة معروفة، وطلب منها أن تقرض قصيدة مديح للمهري، تمجد خصائله، وتطري مواهبه أسوة بالفرسان والأبطال المحاربين))⁽²¹⁾.

وقد مثلت مضردة (التبر) العتبة النصية الأولى الحاملة لدلالة المعنى، والمعادل الموضوعي الرموز لجسم النص، والمختزل لطبيعة ما يجري من أحداث متشابكة ومتقاطعة، ومجريات للواقع الصحراوي.

في هذا السياق، يفرض عنوان الرواية نفسه على واقع إشكالية النص، وإشكالية ما يدور فيه من وقائع وأحوال (التبر)، والذي يثير جملة من التساؤلات: هل (التبر) هو معادل موضوعي للذهب بمعناه المعروف؟ أم هو معادل لزيغ العلاقات المفقودة؟ أم أنه معادل لغواية المال الذي يهلت الإنسان خلفه؟ أم أنه هو الانتماء والأصل والقداسة والظهر الصحراوي في مقابل مادية المجتمع؟ أحوال كثيرة بنتها الفتنة والغواية داخل النص الروائي، ومن خلال أفعال الشخصيات المحورية (أوخيد) الذي جعل من أصالة الصحراء وظهرها مكان القداسة في مقابل (التبر) الذي يدنس ظهرها، على نحو ما سيتضح في المحور الأول، ومن خلال (الأبلق) الذي قادت الغواية والفتنة إلى الخطيئة ومن ثم إلى

(19) ينظر، على عشي زائد، قصص الحيوان بين الأدب العربي والآداب العالمية، دار النصر للتوزيع والنشر، القاهرة، 2000.

(20) التبر، ص 127.

(21) التبر، ص 7، 8.

الهلاك ((واصل مغامراته مع النوق الساحرة في مراعى الصحراء، فكلفتها الفحولة العمياء داء الجرب)) (22).

هذه المعاني وضعها السارد الروائي مجردة أمام المتلقي، وترك له حرية التأويل والاختيار، من خلال تقسيمات فصول الرواية الدالة على وضعية نصية يجعلها كل فصل سردي داخله، وإن كانت جميعها تتبع من نبع واحد، ألا وهو نبع السيرة الصحراوية التي تنبع من تاريخ الإنسان الطوارقي، وتعطي نتائجها إلى المتلقي من خلال مشاهدات لها سردها الحكائي الخاص المحدد لوقائعها وممارساتها الذاتية، وما جلبته على شخصيات الرواية من غوايات: المرأة، الولد، الذهب، والصدافة بالمهري، تتعالق بالألم ((فهذه العناصر الأربعة فتن دنيوية تعلق بها قلب (أوخيد) فتكبد بسببها المحن والشقاء والتعاسة، لقدهرن قلبه بكل ما هو مادي وجسدي، فتكبد الألم الذي أفضى به إلى الموت؛ ليصبح الموت رمزاً للتحرر وللتخلص من كل ما هو مادي ومزيف، للتخلص من متاع الدنيا الزائل؛ للتطهر من الغواية، فتتحرر الروح من الجسد الذي يربطها بكل ما هو مادي زائف)) (23).

المحور الأول : حجاجية العتبات النصية:

تشكل العتبات النصية ومسمياتها: المصاحبات، المكملات، والملحقات أحد الأبعاد والأليات التي اتكا عليها (الكوني) في بناء الخطاب الحجاجي في رواية (التبر)، والتي تشكل، بمختلف تزييقاتها وأنواعها: العنوان، الإهداء، والغلاف وغيرها، إحدى الثيمات المهمة المساعدة على اقتحام عالم الرواية؛ بوصفها مفاتيح أولية تسهم في بناء جسور التواصل بين المتلقي وبين النص الروائي، وتمنحه مضامين استكشافية؛ لاستكناه محتواه، بما يجعلها مطلباً قرآنياً لتجاوز والاجتياز إلى عوالم النص المنغلقة (24)، ما يتيح للمتلقي التنقيب في حفرات النص.

وقد أسس (الكوني)، بالعتبات النصية، أبعاداً حجاجية؛ بوصفها نصوصاً تكميلية للمتن الروائي، تمارس فعل الجاذبية للمتلقي، من خلال تساؤلات تحفيزية عن علاقة هذه المحضرات بالمضمون.

أولاً: حجاجية العنوان :

يشكل العنوان أول رسالة حجاجية يتلقاها المخاطب؛ بوصفه أداة التواصل الفاعلة بينه وبين الرسالة / النص، ما ينشط فعل القراءة والتأويل؛ للدخول إلى بهو النص ومتمنه على حد تعبير (كريفل) (25)؛ لتك شفرائه ومغاليقه وما غمض منه.

و(التبر) هو العنوان الذي اختاره (الكوني)، والذي جاء بصيغة اسمية مفردة لمبتدأ محذوف سكت عنه (الكوني)، وهو ما يسمح بانطلاق القراءات التأويلية عن الهدف من الحذف، وهو ما يتوجب معه تدخل المتلقي إلى دهاليز النص الروائي وتطير معناه، بواسطة المشاركة في بناء الموضوع القصدي وملء الفراغ المحذوف، عبر تسربل التساؤلات القرآنية عن تأويل المبتدأ المحذوف، وفقاً لتعددية الاحتمالات المطروحة المتمثلة في: هذا التبر، أو فتنة التبر، أو زيف التبر، أو غواية التبر وغيرها من التأويلات القرآنية، مما يكشف عن قصدية (الكوني) من السكوت عن ذكر المبتدأ والتصريح به؛ ليدعو المتلقي إلى التفكير في الجزء المحذوف، وبالتالي يدخل في ممارسة حجاجية مستخدماً

(22) التبر، ص 19

(23) رشا أحمد محمود، قراءة سيميولوجية في رواية (التبر) لإبراهيم الكوني، مجلة فيلولوجي، كلية الألسن، جامعة عين شمس، القاهرة، مج32، ع63، 2015، ص125.

(24) ينظر، عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف - الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر - بيروت، 2008، ص142.

(25) ينظر، شعيب حليفي، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، دار الثقافة، المغرب، 2005، ص35.

عقله وتفكيره؛ لاستكناه الرسالة الموجهة إليه.

وقد عمد (الكوني) إلى فرض عنوان الرواية على المتلقي في ثنايا الخطاب الروائي، من خلال ما يثيره العنوان من تساؤلات تثير ذائقة المتلقي حول غواية التبر/ الذهب ومدى سطوته على الشخصيات، وموقف السارد/ الروائي من هذه الفتنة المنتفية في عالم الصحراء.

وقد اتخذ (الكوني) من العنوان حجة على زيف بريق الحياة المادية، وتنديداً بمن يفتنون به، مصحوباً ذلك بالبرهان والدليل، وهو ما جاء على لسان السارد ((الذهب يعمي الجميع، الذهب يفسد أفضل الأخلاق. الذهب الملعون قادم إليه. الذهب وراءه. الذهب سبب كل اللعنات))⁽²⁶⁾

جاء التعقيب السابق كألية حجاجية منطقية على زيف الافتنان ببريق الذهب/ التبر، وهو ما تحقق في توجيه مسار الحدث إلى ما يريده (الكوني)، مصحوباً بالدليل (يعمي الجميع - يفسد الأخلاق - الذهب الملعون - سبب كل اللعنات).

ولكي يثبت السارد صحة رأيه، أتى بحجبة الحكاية اعتماداً على استدعاء الماضي، الذي يبرر المواقف الحياتية على حجاجية زيف (التبر)، من خلال شخصية (دودو) الذي حلت عليه لعنة (الذهب) وقضت عليه ((هكذا هي الدنيا. الجبناء هم الذين يجنون الثمار دائماً. ولسوء حظه أنه حجر عثرة في طريقهم. لن يهنا لهم بال، لن يناموا الليل حتى يمزقونه، حتى يمحوه؛ ليواصلوا سعيهم إلى الذهب. إلى ذرات التبر. لعنة الله على التبر. كله بسبب التبر. دودو أيضاً قضى عليه التبر. ليس هو المسؤول عن رقبه دودو، التبر هو المسؤول)).⁽²⁷⁾

لقد اصطنع السارد هذه الحجبة لأهداف حجاجية تتلخص في زيف الحياة المادية في مقابل طهر الحياة الصحراوية وقدسيتها، والتي كان لها دورها المركزي في اتخاذ (الكوني) للتبر عنواناً لروايته؛ ليضع المتلقي أمام أحد خيارين لا ثالث لهما: إما أن يستجيب لما يطرحه (الكوني) من قضايا فيقبلها ويدافع عنها، أو يرفضها ويعارضها، وهو ما يهدف إليه الخطاب الحجاجي الناجح.⁽²⁸⁾

ومما لا شك فيه أن حذف المبتدأ من عنوان الرواية سيدفع المتلقي إلى اتخاذ أحد الموقفين السابقين؛ بناءً على الفرضيات والمقدمات المضمرة في العنوان، الذي احتوى على ملفوظ واحد/ التبر الذي يمثل نتيجة، حذف منها الحجة/ المبتدأ التي تعزز الأخرى التبر وتسنده.⁽²⁹⁾

ومن ثم، فقد أحكم (الكوني) قبضته على ذهن المتلقي بداية من عنوان الرواية، وهيئة لتقبل أو رفض ما سيطرحه عليه من رؤى وتصورات؛ عبر الغوص في المتن الروائي، لاستكناه هذا التبر، ومعرفة سبب تسميته للرواية بهذا الاسم، وهو ما سيكتشفه المتلقي من خلال الغوص في دهاليز المتن الروائي؛ لاكتشاف دلالة العنوان الذي يحيل إلى غواية ضاربة بجذورها، فالتبر هو الرمز لمادية المجتمع، وما يمارسه من غواية وفتنة لها دلالتها المكانية والزمانية، بحيث صار العنوان خطاباً حجاجياً ((جعله الكوني عتية نصية هو معادل للبريق، البريق المصنوع والمزيف والمفقود، بريق الغواية الذي يلهث الإنسان خلفه؛ ظناً أنه سيمنح السعادة، ولكنه لا يجني من سعيه سوى الشقاء. إن هذا البريق أشبه بالسراب الذي

(26) التبر، ص144.

(27) التبر، ص148.

(28) ينظر، عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، دار مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، 2011، ص13.

(29) ينظر، رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، 2014، ص77.

يظنه الصحراوي على الرمال الذهبية اللامعة فيسعى للحصول عليه، وعندما يهبط أخذه يكتشف أنه سراب.. وهكذا يتضح المعنى الثقافي من التبر))⁽³⁰⁾

وهذا ما اشتغل عليه (الكوني) في عنوان الرواية، فهو رغم صغر حجمه إلا أنه جاء مناسباً للنصوص الرواية، ومنحه أفقاً للتأمل قبل الولوج إلى عالمها، ليكون العنوان ملفوظاً يُفضي إلى التسليم بدلالته أو العكس، وبذلك تكون حجاجية العنوان ((قائمة على الحوار والمعارضة بين المعنون والمعنون له .. وهذين المبدأين سيساهمان في تحديد الحجاج العنواني وكيفية اشتغاله ... فالمنطوق به هو العنوان من طرف المعنون وهو الكاتب. يوجه إلى الغير وهو المعنون له أو الجمهور المستهدف؛ لإفهامه دعوى كيفية وضعه لهذا العنوان، كما يحق لهذا المعنون له إما الاقتناع به أو الاعتراض عليه)).⁽³¹⁾

ثانياً : حجاجية الغلاف:

يعدّ الغلاف أحد أساليب الحجاج التي تمارس تأثيرها العقلي على المتلقي؛ لاحتوائه على مؤثرات بصرية تحمل شغرات ثقافية تحيل إلى المتن النصي، ومفتاحاً للخوض في غماره وأبعاده الدلالية والرمزية الموحية⁽³²⁾، ما يدفعه إلى التسليم بوجهة نظر المؤلف أو عدم الانصياع لها.

والمتمثل في غلاف رواية (التبر) يجد أنه قد صُمم ليمتزج بالعنوان، الذي جاء أسفل الغلاف ((بلون بني ترابي، والذي يؤول على أنه تساوي التبر بالتراب، حتى إن الصحراء عموماً، والطوارق خصوصاً لا يعطون قيمة للذهب، ويرون أنه يجلب اللعنة والشؤم)).⁽³³⁾

وقد تجلى هذا الامتزاج أيضاً في تعالق اللونين الأبيض والبني الطيني، حيث احتل اللون الأبيض أكبر مساحة، بما يؤول إلى طبيعة المتن الروائي المحمل بدلالات عدة. منها : الصفاء والنقاء، والظهر، والسلام⁽³⁴⁾، وكلها دلالات ينشدها الكوني. أما اللون البني الطيني، فهو ((يرمز للأرض الصحراوية - الحمادة الحمراء - وأتى على شكل تضاريس جبلية صحراوية، وهناك رسومات تاريخية لصيادين يطاردون حيواناً ... ونجد هنا تقاطعاً بين ما ترمز إليه الرسومات في الواقع الروائي، وهو مطاردة الصيادين لأوخيد، وجمله الأبلق عبر الجبال الصخرية، وانتهت المطاردة بالموت التراجيدي لأوخيد)).⁽³⁵⁾

أما الواجهة الخلفية للغلاف، فجاءت كلها بيضاء، دلالة على قصديّة (الكوني) في إحداث التأثير المطلوب في المتلقي، واقتناعه بنقاء الرسالة، ومحاولة إعادة قاطني الصحراء.

بعث الأمل في نفوس الطوارق وغيرهم من قاطني الصحراء.

ولعل قصديّة تصميم الغلاف على هذه الهيئة يضي شحنا بالحمولات الفكرية والثقافية، بحيث يعبر تصميم الغلاف عن موروثات حقيقية تؤطر كل محتويات الغلاف، وتنعكس دلالته على المتن، بما يجعله حجاجاً بصرياً له دلالته المؤطرة؛ لاتصاله بعوالم الصحراء ذات التأثير المتجدد في المخيلة الثقافية، دفعت المتلقي إلى التحاور مع مدلول تصميمه، ما يشكل تواصلية بين المعنون/ الروائي، وبين المعنون له/المتلقي؛ لاستنثار

(30) قراءة سيميولوجية في رواية (التبر)، سابق، ص 125، 126.

(31) عبدالحق بلعابد، تداوليات العنوان في الخطاب الروائي المغاربي، مجلة الكلمة، نيوسفيا، قبرص، ع 27، مارس، 2009.

(32) ينظر، هوية العلامات في العتبات، سابق ص 11-13.

(33) عكازي شريف، الصحراء وطاقاتها الترميزية في أعمال إبراهيم الكوني الروائية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرياح ورقلة، الجزائر، 2017-2018، ص 44.

(34) ينظر أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص 146.

(35) الصحراء وطاقاتها الترميزية، سابق، ص 44.

طاقاته، وتحريك مخيلته الذهنية إلى تحليل عناصر الغلاف، واستنتاج دلالاتها، ومدى انعكاس ذلك على المتن الروائي، بما يغيره للدخول إلى فضاءاته، بما علق في ذهنه من إشارات حجاجية تكتنف لوحة الغلاف، بما يتضمنه من رسومات وألوان، امتد تأثيرها إلى المتن ((تجاوزاً للمرجعية التاريخية والأنثروبولوجية؛ ليلتقي وعي المؤلف بوعي القارئ، وتتحول هذه الأيقونات إلى إشارات نصية تتقاطع مع ميثولوجيا الطوارق، وطقوسهم الأسطورية، وتعاليم كتابهم المقدس المقطود (أنهي)، ووصايا أسلافهم المنقوشة على الصخور، وحواف آبار الصحراء، وإيديولوجية المؤلف))⁽³⁶⁾.

ثالثاً : حجاجية الإهداء:

يحمل الإهداء دلالات مشحونة ومكثفة تسهم في إقامة تواصلية بين الكاتب وبين المتلقي، وتثير لديه تساؤلات عن هؤلاء الذين اختصهم المبدع بإهداء رسالته الإبداعية منعدمة عن قصديّة⁽³⁷⁾.

والمأمل في رواية (التبر) يجد أن طبعها الأولى حملت عتبة الإهداء الذي جاء فيه: ((إلى فارس الفايكينغ الذي تعلق بالصحراء: إيغور يارمكوف))⁽³⁸⁾.

وبالفوص في دلالة الإهداء، نجد أنه يمثل ممارسة اجتماعية، وجهها (الكوني) إلى مخاطب معين (إيغور يارمكوف) المستشرق السوفيتي، أي إن الإهداء جاء عن قصديّة ذاتية تنشط الفاعلية التواصلية بين (الكوني) والمتلقي، الذي يتساءل عن سبب تخصيص المهدي إليه بالإهداء دون غيره، في بحث عنه في ثنايا النص الروائي؛ ليكتشف أن ذلك يرجع إلى عامل نفسي كشف عنه (الكوني) بتعلقه هو الآخر بالصحراء، أي إن ثمة مشاركة بينهما، تثير المتلقي للبحث والتنقيب عنها، وتحمله على الاقتناع بأحقية (يارمكوف) بالإهداء أو عدم الاستجابة لرؤية الكاتب؛ بالبحث عنه في الرواية؛ لاستكناه حضوره من عدمه، وهل كان الإهداء إلى (يارمكوف) الموصوف بالفارس على سبيل الرمز أم أنه يهدي العمل إلى فارس الصحراء الحقيقي في روايته (أوخيد)؟

أما الطبعة التي اعتمد عليها البحث الحالي، فقد غاب عنها الإهداء، وهو ما يثير لدى المتلقي تساؤلات حول هذا الغياب، مما يدفعه إلى النباش في تضاريس الرواية لمعرفة السبب، وهو ما ينفّث معه مجال القراءة لتأويلات عدة. ولعل غياب الإهداء يرجع إلى ما تتضمنه الرواية من رموز، وموروثات ثقافية واجتماعية توضع في خانة الخرافات والأساطير والندور وغيرها⁽³⁹⁾، فخشى أن يهديها إلى أناس معلومين أو مجهولين قد لا يتقبلوا ما احتوته الرواية وتضمنته من هذه الأمور التي قد لا يتقبلها أي شخص، فأثر السلامة على أن يتعرض للنقد.

وقد يرجع السبب في هذا الصمت عن الإهداء إلى مناسبهته لقداسة الصحراء وتفردتها بالصمت والرهبة والغموض ((هذا هو السرّ هو الذي يهبه هذا الجلال. فكم هي عاربية، وكم هي خفية هذه الصحراء! هذا السرّ. هذا الخاطر الخفي الهائم في الفضاء. الإحساس المبهم المعمم بثنايا الظلمات والسكون، هذا الذي تحسّه ولا تتلمسه هو الذي سجد له أوخيد وتوسل إليه))⁽⁴⁰⁾.

(36) خليفة بولفعة، شعرية العتبات النصية في رواية الصحراء لدى إبراهيم الكوني، حفریات الكتابة المنسبّة والنقوش المقدسة، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري - تيزي وزو، الجزائر، مج 17، ع2، جوان 2022، ص240.

(37) ينظر، عبد الفتاح الجحمري، عتبات النص، البنية والدلالة، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، 1996، ص26.

(38) التبر، دار رياض الريس، لندن، ط1، 1990، ص3.

(39) ينظر، التبر، ص ص 20، 21، 30، 34، 64 وغيرها.

(40) التبر، ص 14.

هذه التأويلات قد تدفع المتلقي إلى التسليم بما يريد المؤلف أولاً، أو قد يأتي بتأويلات أخرى، بفعل القراءة، تخالف أو تدحض ما أراد (الكوني) من الصمت عن الإهداء.

المحور الثاني: الحجاج السردى:

ثمة روابط ممتدة بين الحجاج والسرد، بما يمنح الخطاب ألقاً جديداً على مستوى البنية اللغوية والبلاغية وغيرها؛ لإقناع المسرود له / المتلقي عبر معطيات حجاجية سردية قائمة على التواصلية بين المعنون والمعنون له. وبالتالي، فالسردية والحجاج لهما الهدف نفسه المتجذر في كونهما ((صيغتين تسعيان إلى إحراز تواصل مفعم بالانسجام والاتساق، وسلح بقدر كبير من الأساليب التأثيرية، وإذا كانت السردية تعتمد على الحدث القصصي، والتسلسل والحبكة، والوصف، والحوار، فإن الحجاج يعتمد على الدلالة والعلامة، والاستدلال والقياس، والبرهان في إطار تداولي يتيح للمخاطبين أن يعبروا عن مواقفهم، وميولهم وآرائهم، وأفكارهم ومقاصدهم))⁽⁴¹⁾، وهو ما يستدعي من السارد توظيف الحجاج في الحكى، إذا ما رام إقناع المتلقي.

وقد حرص (الكوني) على حضور السرد الحجاجي؛ لايصال أفكاره إلى المتلقي، والمنبثقة عن فلسفة وجودية، ومواقف حياتية تجاه عالم الصحراء تقوم على البرهان، ما يمنح الخطاب الروائي في (التبر) وظائف متنوعة: تواصلية وحجاجية، وأدبية هدفها إقناع القارئ بما يعرضه عليه من مواقف ورؤى وأفكار، قد تحدث انقلاباً في مواقفه ينعكس على سلوكه الملموس⁽⁴²⁾.

وقد تعددت صور الحجاج السردى في رواية (التبر) منها :

أولاً : تعدد الأصوات/البوليفونية:

تعدّد الأصوات أو البوليفونية (Polyphony) هو مصطلح مجلوب من الحقول الموسيقية إلى الحقول الأدبية، مقترنة بميخائيل (باختين Bathstine) (وبالي Bally)⁽⁴³⁾، وتحيل إلى الحوارية القائمة على أصوات عدة، جرى وضعها في مواجهة بعضها البعض⁽⁴⁴⁾، ما يخلق عالماً رحباً من تعدد الرؤى التي تحيل إلى قراءات حوارية يتلبسها المؤلف بواسطة القناع السردى الذي يروي الخطاب المحكى⁽⁴⁵⁾، وهو ما يتيح إمكانيات أكبر لخلق حالة رؤيوية ووجهات نظر متعددة، أساسها التحوارية، بحيث يخرج النص إلى دائرة الحكى/ القول، ومن الأحادية الصوتية إلى التعددية.

وقد ظهر في رواية (التبر) هذا النمط من التعددية الصوتية مجسداً في الهوامش، والتي تستحيل إلى مركز ينطلق منه المتلقي إلى مضمون النص الروائي، إذ يسهل عليه قراءة (الكوني) ثقافياً وجغرافياً، فهو مسكون بخصوصيته الصحراوية الطوارقية تاريخياً ولفظاً، ولم يأت التهميش في الرواية بطريقة اعتباطية أو مجرد إضافة تكشف عن ثقافته، وإنما جاء ليحقق تواشج التلقي بين الروائي والمتلقي، وإضاءة بعض الغموض الذي

(41) منى بيكر، ترجمة السرديات / سرديات الترجمة: هل حقاً الترجمة جسر بين الشعوب والثقافات، ترجمة: حازم عزمي، مجلة فصول، ع66، ربيع 2005، ص22.

(42) ينظر، سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011، ص35.

(43) ينظر ديفيد بثيندر، نظرية الأدب وقراءة الشعر، ترجمة: عبد المقصود عبدالكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005، ص138.

(44) ينظر، ميخائيل باختين، شعرية دوستوفسكي، ترجمة: جميل نصيف، دارتوقال، المغرب، 1968، ص59.

(45) ينظر، بول ريكو، الوجود والزمان والسرد، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، 1999، ص ص 47-55.

قد يصيب القارئ البعيد عن بيئة الطوارق من ((لغة (التيفيناغ) الخاصة بتراث الطوارق وثقافتهم الشفهية، أو الفلكلور الغنائي والشعري لبعض قصائد الطوارق المجهولة المصدر، وهي نصوص تدخل ضمن استراتيجية المؤلف السردية؛ لضمان سلامة الفهم والولوج إلى عالمه الروائي)).⁽⁴⁶⁾

وقد صار الهامش في رواية (التبر) مركزاً ينطلق منه المتلقي لفهم النص الروائي، حيث استعمل (الكوني) الهامش في العديد من فصولاً لرواية كفضاء للتاريخ والتفسير، وسنورد هنا بعض النماذج التي وقف في هوامشها؛ ليُفسر بعض إشاراتنا، والتي بلغت أكثر من عشرين موضعاً.

ففي استهلال الرواية، جاء على لسان السارد واصفاً حالة (أوخيد) في علاقته مع (الأبلق) : ((عندما تلقاه هدية من زعيم قبائل أهجار، وهو لا يزال مهراً صغيراً، يطيب له أن يفاخر بين أقرانه في الأسميات المقمرة، ويتلذذ بمحاورة نفسه في صورة السائل والمجيب: هل سبق لأحدكم أن شاهد مهرياً أبلق؟. ويجيب نفسه : لا يقفز إلى الخلاء، ويحجل مقلداً رقص المجذوبين، حتى إذا تعب انهار على الرملة، واستلقى على ظهره، ورفع صوته بأحد تلك الألحان السحرية التي يتحصن بها الفرسان المسافرون في الفلاة، كتعويذة ضد الوحشة، حتى يختم مواله الحزين بالأبيات المعروفة:

أسد ينكرد أمودنكفى تيزداج.

إذ شاغتتاجنينيتجيرنيمزاد))⁽⁴⁷⁾

فكيف للقارئ أن يعرف المقصود ب(أهجار - المهري - أسد ينكرد أمودنكفى تيزداج-إذ شاغتتاجنينيتجيرنيمزاد)؟ وكيف لقارئ من خارج ليبيا، وبالأخص قبائل الطوارق، أن يعرف المراد منها ومعانيها؟. وطبيعي، والأمر كذلك، أن يتولد في رحم هذه اللحظة الرجراجة انشطار الذات الساردة، وتتميع الحواجز بينها وبين الروائي، وتتحول من الحكيم عن الماضي إلى السرد الحركي، بصوت الروائي الذي يشكل الواقع الآني، ليُفسر هذه الغوامض في الهامش ((أهجار: قبائل عريقة تستوطن جنوب شرق الجزائر. الإبل المهرية: نجائب تسبق الخيل، منسوبة إلى قبيلة مهرة بن حيدان من اليمن. أسد ينكرد أمودنكفى تيزداج، إذ شاغتتاجنينيتجيرنيمزاد: (عندما أقبل أمودنكفى استقبلناه بمهاري الحرب، وأعطيناه فرساناً لا يخطئون الهدف) مطلع قصيدة طويلة لتمجيد الزعيم أمودنكفى في حملاته لصد الغزاة الفرنسين)).⁽⁴⁸⁾

هذا التفسير من شأنه أن يخلق قوة حجاجية عبر عدد من الأسئلة التي يطرحها القارئ حول مفهوم هذه الغوامض، واتخاذ (الكوني) لها حجة على معرفته الوثيقة ببيئة الطوارق، ما يحمل القارئ طائفاً على التسليم بأفكاره ورؤيته.

وكيف للقارئ أن يعرف أن (أسيار) هو نوع من النباتات التي كانت تنبت في ليبيا في الماضي؟ لولا الهامش الموضوعي الفصل الرابع من الرواية: ((أسيار: يعتقد أنه بقايا السلفيوم، وهو نبات أسطوري يعطي قوة طاقة هائلة، انقرض من ليبيا في القرن الثالث قبل الميلاد، ويجمع المؤرخون القدماء أنه كان دواءً سحرياً لكل الأمراض المعروفة في العالم القديم. وكان ملوك ليبيا القدماء يصدرونه إلى مصر وما وراء البحار. ويعتقد الكثيرون أن فيه يكمن سرّ التحنيط، إذ استخدمه الفرعون لهذا الغرض)).⁽⁴⁹⁾

وكيف للقارئ من خارج البيئة الليبية، أن يعرف معنى (الترفاس)؟ لولا الهامش الموضوع

(46) شعرية العتبات النصية في رواية الصحراء لدى إبراهيم الكوني، سابق، ص 244

(47) التبر، ص 7.

(48) التبر، ص 7 الهامش.

(49) التبر، ص 20 الهامش

بأنه: ((هو الكما ينمو أساساً في الحمادة الحمراء. وهو ثلاثة أنواع: الأبيض، والأسود، والأحمر، حسب التربة)).⁽⁵⁰⁾

وكيف له أن يعرف أن (أيموهاج) تعني(الطوارق)، وأن بلاد السحرة تعني(كانووتمبكتو)⁽⁵¹⁾، أو أن(الودان أو الموفلون) هو النيس الجبلي أقدم حيوان في الصحراء الكبرى؟⁽⁵²⁾

إن مثل هذه الهوامش تستحيل إلى مركز حجاجي عند (الكوني)، الذي يتوخى من خلالها الإقناع والتأثير في المتلقي بفكره ورؤيته، وهذا ما يمنح الخطاب في الرواية فاعلية وقوة، الأمر الذي يجعل ما يعرضه الكاتب أكثر قبولا وإقناعاً للمتلقي، بحيث ((يشعر قارئ الكوني، من خلال هذه الهوامش، أن الرجل ملتزم بقضية معينة، يريد إيصالها، فيفسر بعض المفاهيم المتعلقة بعالم الصحراء وأساطيرها، وقضايا التصوف والحلول، وبعض الفلسفات الشرقية، ولذا فهو مضطر لاستعمال هذا الصوت التفسيري؛ للتبرير والإقناع والتأثير، وبذلك يؤدي توظيفها، بصورة واعية، إعطاء المتن بعداً بوليفونياً إضافياً يزيد في حوارية وانفتاحه، بحيث يكون لتأثيرها ردود أفعال متباينة تتراوح بين الرفض والقبول... وبالتالي، فهو صوت المؤلف المباشر خارج العالم السردي أي نص متخلل يقوم بوظيفة التفسير والشرح لبعض الكلمات الغامضة)).⁽⁵³⁾

وقد يأتي تعدد الأصوات في هيئة حوارية تحاورية، تعد آلية حجاجية من حيث بنيتها التي - غالباً - ما تنتظم ضمن تراكيب لغوية تهدف إلى إبراز قضية بين الرفض والقبول، الناجمة عن صراع بين موقفين أو رأيين، من خلال التعددية التي تتداخل فيها الأصوات، وتتعدد باحتدام الصراعات بين الطرفين⁽⁵⁴⁾، على نحو ما جاء في موقف (أوخيد) والشيخ (موسى) حول شفاء (الأبلق) من الجرب، فقد نصحه الشيخ (موسى) بأن علاجه في أسبار⁽⁵⁵⁾، وهو ما استجاب له (أوخيد)، غير أنه دخل في حوارية معه حول العلاج بالإخصاء: ((زاره في الخيمة التي نصبها أبوه خصيصاً لاستقبال الزوار والمهنيين له على السلامة من التيه ... ثم اختلى به في العراء مع حلول المساء، وعزاه بسؤال:

- هل تألمت كثيراً ؟
- لم يجبه أوخيد. أوخيد يقلقه شيء آخر. لم يستطع أن ينتظر. فسأل شيخه:
- هل أطلع أن أرى الأبلق في أصله؟ استهمم الشيخ بإيماءة، فأوضح الشاب:
- هل يسترد الأبلق لونه؟
- ابتسم موسى في العتمة، وقال :
- الله جميل يحب الجمال. وإذا اشتريت له الشفاء بهذا العذاب فلا بد أن تدفع مقابل الكمال أيضاً.
- لم يفهم أوخيد، فأوضح الشيخ :
- التكفير الطهارة. ألا تفهم؟
- الطهارة ؟
- نعم، لا بد من الإخصاء
- الإخصاء ؟

(50) النّبر، ص33 الهامش

(51) ينظر، النّبر، ص73 الهامش

(52) ينظر النّبر، ص79 الهامش

(53) شعرية العتبات النصّية في رواية الصحراء لدى إبراهيم الكوني، سابق، ص ص 242، 243.

(54) ينظر الخطاب والحجاج، سابق، ص35

(55) ينظر، النّبر، ص ص 20، 21.

- وماذا تظن ؟ ألم تتفق على أن لكل شيء ثمنًا؟

.....

صمت الشاب طويلاً قبل أن يقول:

- لا أستطيع أن أنفرد بالرأي لأبدي أن أستشير، لا بد أن أفكر.
- في خلوتهما بالمرعى [أيأوخيد والأبلىق]، قال له:
- أعتقد أن ما فعلته بنا فعلتك بكفى. لا يجيء من النوق إلا الهَمّ أم أنك ترى رأياً آخر؟
- الشيخ موسى يقول لأبدي من نزع السبب.
- البهء ليس سهلاً أيضاً. كل شيء يطالب بقربانه، لن تتألم طويلاً. سنفعل ذلك في الصيف. الصيف أنسب موسم .

.....

جلس في العراء أمامه، وقال وهو يعقد يديه حول ركبتيه :

- ولكن لأبدي من الطهارة. لن تَؤز بالجمال ولن تلقى الله بدون طهارة. الطهارة هي الشرط. أعترف لك أنه عمل قاس، ولكن ليس لدينا خيار.
- ثم حلّ الصيف، وجاء موعد العمل. تذرّع أوخيد بالسفر إلى (القريات) الجلب إبلهناك. ترك الأبلىق لأيدي الجلادين.

الشيخ موسى وحده عرف أن سفره ليس للحاق بالابل، وإنما هرباً من اليوم الموعود)). (56) يأتي هذا التحاور بين أوخيد والشيخ (موسى) من ناحية، وبينه وبين (الأبلىق) من ناحية أخرى، عبر متواليّة تصويرية سردية من خلال تساؤلات الذوات الخطابية دون (قال — قلت) المتعارف عليهما في التحاور، الأمر الذي جعل المتلقي ينجذب إلى حرارة التحاور وينخرط فيه.

وقد اعتمد (الكوني) على موقفه من قضية العلاج، وما يتخللها من صراع مكتوم ورفض مخبوء لدى أوخيد والأبلىق، معتمداً على آلية السردكبنية حجاجية، من خلال خلق بقية حوارية أسهمت في الكشف عن الأنساق المضمرّة المخبوءة التي يختزلها المقطع التحاوري السابق القائم على تسربيل الأسئلة المتصارعة حول ضرورة الإخفاء.

ويلاحظ أن الطرف الأول/ الشيخ موسى يستخدم حجة مقنعة (لكل شيء ثمن). في المقابل، جاء الطرف الثاني/ أوخيد مستخدماً عدداً من الأسئلة التعجبية التي تثير الدهشة والاستغراب، سواء معالشيخ (موسى) (الطهارة؟ - الإخفاء؟))، أم مع الأبلىق (لايجئ من النوق إلا الهَمّ أم أنك ترى رأياً آخر؟).

وقد طالعنا السارد بنتيجة التحاور معتمداً على (السين) في (سنفعل) الدالة على الاستقبال، متلائمة بخطية الزمن السردى ما بين الحاضر والمستقبل والعودة إلى الماضي؛ ليكسر رقابة السرد المشهدي التحاوري.

ولم يقف السارد خارج هذه التحاورية الحجاجية، وإنما علّق على التحاور السابق بالإثبات؛ ليبرهن على صحة الفكرة التي دافع عنها الشيخ (موسى)، وأقنع بها (أوخيد)، والذي بدوره أقنع بها (الأبلىق)، من خلال التعليق النهائي (ثم حلّ الصيف ... اليوم الموعود) وكان الرواية وظفت تجربة إخفاء (الأبلىق) تطبيقاً لهذه النتيجة التي تحققت عندما أقر (أوخيد) بصحة رأي الشيخ (موسى) في أن يتخذ من الإخفاء الحل الوحيد لعلاج الأبلىق؛ سعياً إلى ترسيخ العلاج بالتنظير من الأثام، ويأمل أن يجد صداه على مستوى التلقي، ما يدل على وعي السارد بخطابه السردى ورسم شخصياته المتحاورة؛ ليبرهن على صحة

(56) البَبر، ص ص 55-58.

الفكرة التي يدافع عنها؛ لأنّه غير منشغل بالمعنى الطلبي والإخباري معاً للمشهد التحواري، بقدر ما هو منشغل بتوجيه الخطاب للإقناع بصورة مباشرة، وتوجيه المتلقي إلى قبول ما يروم إليه/ التّطهير، بحيث يكون التحوار التعددي مندرجا في ((حوار أوسع طرفاه الراوي والمروي له، إلا أن الحجاج المضمّر في خطاب الراوي لا يستهدف المروي له إلا بقدر ما هو معبر أو حلقة وصل بين الكاتب والقارئ))⁽⁵⁷⁾ ويقصد بالكاتب هنا المؤلف الواقعي للرواية (الكوني) الذي عاش جزءاً من هذه الحياة، وجعلها موضوعاً لروايته.

ثانياً : هيمنة السارد :

تكشف الرؤية المتأنية لرواية (التبر) عن هيمنة السارد / الراوي على مجريات الأحداث. وبالتالي، فهو المتحكم في بناء الحجاج وتوجيه مساره بما يخدم السياق؛ ارتكازاً على الخطاطبة البلاغية الموزعة على الاستهلال والسرد، أو عرض الوقائع، والإثبات أو ملفوظ الحجة، والخاتمة⁽⁵⁸⁾؛ للتأثير في المتلقي واقناعه بوجهة نظره .

ولعل حضور السارد/ الراوي في التعددية الصوتية السابقة، سواء بالتفسير الهامشي أم بالتعليق، تؤكد هذه الهيمنة.

ومن نماذج هيمنة السارد/ الراوي، ما جاء في استهلال الفصل الثامن: ((ظَلَّ يتقلّب طويلاً على الرمل من دون أن يعي أين هو ولا من هو. ويبدو أن شمس الأصيل هي التي أيقظته بأشعتها، فعادت إليه الحياة، ولم يبق أو هو أفاق ولم يع....

فتح عينيه. يده اليسرى معلقة في الذيل. الأبلق يبرك في الوادي هادئاً ساكناً، محطماً أيضاً... جسمه كله موسوم بجروح عميقة ... حاول أن يتحرك فعجز. فتح عينيه فبهرتة شعاعات الأصيل. تفقد الأبلق فلم يصدق. الحيوان المسكين قطعة حمراء.... برغم الألم تفتقت نفسه بالضح. هل سيشفى الأبلق؟ هل تحققت معجزة أسيار؟ هل موسى ولي حقاً؟ هل استجاب الضريح الوثني لتوسلاته ونذره؟)).⁽⁵⁹⁾

يلاحظ في هذا المقطع الاستهلايانه مقطع ذاتي تموضع في محورية السرد وعبر ضمير الغائب الذي ((يترك مساحة للتأويل الدلالي، ويفتح مجال النص وحركته .. كما أنه يفتح مجالاً للاحتكاك والصراع والاحتدام بين السارد وشخصيته التي يشير إليها ضمير الغائب، لتبدأ منه وتعود إليه، وهما القارئان الثنائي والأحادية في آن)).⁽⁶⁰⁾

وقد هدف السارد/ الراوي من ذلك تادية غاياتحجاجية، يعزز من خلالها النتيجة التي خرج بها في نهاية الأمر/ شفاء الأبلق، وقد أحسن (الكوني) في تأكيد هيمنة السارد، من خلال معرفته بتفاصيل المشهد الاستهلاي القائم على اقتحام الحكاية/ رحلة علاج الأبلق، ووضع الفكرة الأساسية للقصة/ علاقة أوخيد بالأبلق، مستعينا بتحديد المكان/ الصحراء والزمان / شمس الأصيل، وهي مكونات استهلاية بمثابة البورة المركزية المؤكدة على رؤى الكاتب وفلسفته.

وقد جاء الاستهلال في هيئة مشهد وصفي ذي طابع مجازي، بوصف المكان، وتحديد أبعاده. بوصفه المسرح الذي ستجرى فيه الأحداث، وتتحرك فيه الشخصيتان المحوريتان: أوخيد والأبلق، بما يخلق أفق التوقع والتأثير في المتلقي، من خلال اللغة

(57) محمد نجيب العماسي، البعد الحجاجي في أقصوصة القلعة لجمال الغيطاني، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته سابق 234/1.

(58) ينظر، فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، ترجمة: محمد مشبال، وعبدالواحد التهامي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2006، صص 141، 142.

(59) التبر، صص 43، 44.

(60) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، ع240، ديسمبر، 1998، ص182.

القائمة على بث الحياة والحركة في الطبيعة، بحيث تحولت الطبيعة إلى عنصر مشارك يسهم في تعميق هذا التأثير، الذي كشف عن أن جملة الاستهلال، القائمة على تحديد الزمان والمكان، تتعالق مع لغة السرد وتتداخل معها في مستوى المنظور الحكائي، الذي يركز على الجانب الحكائي بصورة واضحة، وتقديس شخصية بطلي الرواية، واقتحام حكايتها؛ ليزيد من جانب الإشارة والتشويق عند المتلقي، ويشكل حافظاً قرائياً، يكشف عن متانة البنية السردية الحكائية، وهيمنة السارد/ الراوي، ووضوح الرؤى الفكرية والفلسفية التي يشغل عليها (الكوني)، ويعمل على إيصالها إلى المتلقي، وبخاصة أن العالم الحكائي (للكوني) يحيل على مرجعية محددة/ عالم الصحراء من خلال ((إدخال القارئ في عالم مجهول، عالم الرواية التخيلي بكل أبعاده، بإعطائه الخلفية العامة لهذا العالم، والخلفية الخاصة لكل شخصية؛ ليستطيع ربط الخيوط والأحداث التي تنتج فيما بعد)).⁽⁶¹⁾

ومن الوسائل الفنية الأخرى التي اتكأ عليها (الكوني): لإبراز هيمنة السارد على الأحداث، وكان لها دورها في الإقناع الحجاجي، الاستناد إلى الجمع، وذلك في السرد الحكائي لشخصية (دودو) قاطع الطريق الذي يسرق الزوجات ((هل رأيت الصحراء قاطع طريق يسرق الزوجات متأزجهن؟ هذه أول مرة، هو أول ضحية. ليس هذا فحسب. وإنما يذهب ويقول للناس أنه اشتراها بماله، بحلاله، بالتبر، وهؤلاء هم الشهود، عبيدهم هم الشهود، سيشهدون. شهدوا)).⁽⁶²⁾

يختلط الذاتي بالجماعي (هم - واو الجماعة) في آن واحد، في محاولة لإقناع المتلقي بصدق حجاج الغاية/ بريق التبر، حيث ارتبط السارد بمناقشة قضية سطوة بريق الذهب؛ تعالفاً مع عنوان الرواية.

الخاتمة:

عالج هذا البحث الآليات الحجاجية التي اعتمد عليها الروائي الليبي (إبراهيم الكوني) في رواية (التبر)؛ للتأثير على المتلقي، والبرهنة على صدق فلسفته ورؤيته، وذلك من خلال انتقاء مستويين لهذه الآليات هما: العتبات النصية، والحجاج السردية، على سبيل المثال لا الحصر.

ومن خلال قراءة هذه الآليات، أمكن التوصل إلى عدد من النتائج من أهمها:

1. تأرجح النص الروائي في رواية (التبر) بين الإقناع والتأثير في المتلقي من جهة، وبين الإفادة والإمتاع من جهة أخرى، ما يؤكد ثراء بنيتها، وقابليتها للتأويل والتحليل.
2. أسهمت الآليات في مستويها: حجاجية العتبات النصية، والحجاج السردية، وغيرها من المستويات الأخرى كالحجاج اللغوي والسلطة التناسبية، في تقديس تصور روائي يهدف إلى إقناع المتلقي برؤى (الكوني) وفلسفته.
3. لم تكن الآليات الحجاجية في الرواية تعمل بصورة منفردة، وإنما تعالقت فيما بينها؛ إنسجاماً مع الدعوى المركزية التي أسس عليها (الكوني) خطابه الروائي، وهو ما يعني أن توظيفها كان مقصوداً.
4. أكدت الرواية على تغافل المخيال الصحراوي وعالمه في الذات المبدعة، وهو ما كشف عنه هيمنة السارد/ الروائي على الخطاب، الذي استحال إلى بؤرة مركزية تعكس حياة الطوارق، عمل (الكوني) على إقناع المتلقي بموروثه الاجتماعي والثقافي.
5. تمثل دراسة الخطاب الحجاجي في الرواية فتحاً مستقبلياً جديداً؛ لاستكمال ما نقص

(61) سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984، ص 45.

(62) التبر، ص ص 140، 141.

6. من مستوياته، وتعميم دراسة الحجاج في باقي المنتج الروائي (اللكوني).
الرواية نموذج للجانبين معاً: السرد الحكائي، والحجاجي الإقناعي؛ فهما مقصودان في
الرواية؛ فكلاهما وسيلة للآخر، فلا إمكانية لإقناع المتلقي بعالم الصحراء إلا بالمرور
بما هو حكائي سردي.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

1. إبراهيم الكوني، التّبر، دار التنوير للطباعة والنشر، وتاسيلي للنشر والإعلام، بيروت، ط3، 1992.
2. _____، التّبر، دار رياض الريس، لندن، ط1، 1990
3. ثانياً: المراجع:
4. _____، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، 2006.
5. _____، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، دار مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، 2011.
6. إبراهيم الكوني، عدوس السّرى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ودار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت - عمان، 2014
7. أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، 2010.
8. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، الرباط، 2001.
9. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، القاهرة، 1979.
10. أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة 1997.
11. بول ريكو، الوجود والزمان والسرد، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، 1999.
12. جابر عصفور، خطاب الخطاب، دار مؤسسة سلطان علي العويس الثقافية، دبي، 1999.
13. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019
14. خليفة بولفحة، شعرية العتبات النصّية في رواية الصحراء لدى إبراهيم الكوني، حفريات الكتابة المنسية والنقوش المقدسة، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري - تيزي وزو، الجزائر، مج 17، ع2، جوان 2022.
15. دومينيك ما نغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، ومنشورات الاختلاف، بيروت - الجزائر، 2008.
16. ديفيد بثنندر، نظرية الأدب وقراءة الشعر، ترجمة: عبد المقصود عبدالكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005.
17. رشا أحمد محمود، قراءة سيميولوجية في رواية (التّبر) لإبراهيم الكوني، مجلة فيلولوجي، كلية الألسن، جامعة عين شمس، القاهرة، مج32، ع63، 2015.
18. رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، 2014.
19. سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011.
20. سعيد الغانمي، الخيال الصحراوي في أدب إبراهيم الكوني، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، 2000.
21. سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984.
22. شعيب حليفي، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، دار الثقافة، المغرب، 2005.
23. عبد الحق بلعابد، عتبان جيرار جينيت. من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف - الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر - بيروت، 2008.
24. عبد الرزاق حميدة، قصص الحيوان في الأدب العربي، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1951.
25. عبد الفتاح الجحمري، عتبات النص، البنية والدلالة، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، 1996.

26. عبد الله صولة، الججاج في القرآن الكريم، دار الفارابي، بيروت، 2007
27. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة الكويت، ع 240، ديسمبر، 1998.
28. عبدالحق بلعابد، تداوليات العنوان في الخطاب الروائي المغربي، مجلة الكلمة، نيوسفيا، قبرص، ع 27، مارس، 2009.
29. عكازي شريف، الصحراء وطاقاتها الترميزية في أعمال إبراهيم الكوني الروائية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرياح ورقلة، الجزائر، 2017-2018.
30. على عشري زايد، قصص الحيوان بين الأدب العربي والآداب العالمية، دار النصر للتوزيع والنشر، القاهرة، 2000.
31. عوني الفاعوري، تجليات الواقع والأسطورة في النتاج الروائي لإبراهيم الكوني، وزارة الثقافة، عمّان، 2002.
32. فيليب بروطون، الججاج في التواصل، ترجمة: محمد مشبال، وعبدالواحد التهامي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2006.
33. مجموعة باحثين، الججاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتصيقية، إشراف حافظ إسماعيل، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010.
34. مجموعة باحثين، أهم نظريات الججاج في التقاليد الغربية، كلية الآداب، تونس، د.ت.
35. محمد العبد، النص الججاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، ع 60، صيف - خريف، 2002.
36. محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون؛ دار المعارف، القاهرة، 1979.
37. مسعود الصحراوي، التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، 2005.
38. منى بيكر، ترجمة السرديات / سرديات الترجمة: هل حقاً الترجمة جسر بين الشعوب والثقافات، ترجمة: حازم عزمي، مجلة فصول، ع 66، ربيع 2005.
39. ميخائيل باختين، شعرية دوستوفسكي، ترجمة جميل نصيف، دارتوبقال، المغرب، 1986.
40. هيثم سرحان، الججاج السردية عند الجاحظ، بحث في المرجعيات والنصيات والآليات، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، ع 115، مج 29، 2011.

التشخيص في الشعر العربي القديم

(شعر ابن الرومي نموذجاً)

إعداد:

أمينة عبد السلام ربوه رجب

عضو هيئة التدريس بكلية التربية / الغريضة

القبول: 2023/6/14

الاستلام: 2023/5/15

○

○

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى إبراز مفهوم التشخيص ودوره في الشعر العربي، حيث نجده يعطي الموضوعات حياة وحركة، وبه يستطيع الشاعر أن يمزج الألوان بالظلال، لتصير في قمة الخيال، وستحاول الدراسة أن تبين التشخيص ودوره في شعر ابن الرومي. لتصل في النهاية إلى أن التشخيص يعتمد على الشعور المرهف بالمعالم الطبيعية في تكوين المعاني الشعرية. وتوصلت أيضاً: إلى أن القرآن الكريم يمثل الذروة الأعلى في شعر ابن الرومي، لذلك نجده يقتبس منه كثيراً.

الكلمات المفتاحية: التشخيص، ابن الرومي، صور ابن الرومي البلاغية في القرآن الكريم وأثره على التشخيص في شعره.

Abstract:

This research aims to highlight the concept of diagnosis and its role in Arabic poetry. We find that it gives subjects life and movement and with it the poet can mix colors with shades to become the pinnacle of imagination. The study will attempt to show the diagnosis and its role in the poetry of Ibn Al_Rumi in order to reach in the end that the diagnosis depends on the sensitive feelings of the natural features in the formation of poetic meaning. It also concluded that the Holy Quran represents the highest level in Ibn al Rumi is poetry, so we find it frequently quoted from it.

Keywords: Diagnosis, Ibn al Rumi, rhetorical images in the Holy Quran and its impact on the diagnosis in this poetry.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي هدانا لهذا بكتابه المبين، وأكرمنا برسوله الصادق الأمين، وصلى الله على صفة الله من خلقه أجمعين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن والاهم بالإحسان إلى يوم الدين.
وبعد،،،

أعطى ابن الرومي التشخيص حياة وحركة وأغدق العواطف عليها وخلق أنواع من التعاطف بينها وبين الإنسان، فالربيع يحظى بعناية عدد كبير من الشعراء، كأبي نواس والبحتري والصنوبري، فيصف ابن الرومي السحاب والمطر وصفاً رائعاً يلجأ فيه إلى التشخيص حيث يجد في المنظر انعكاساً لألامه ولحالته النفسية القلقة الحزينة، وينجح في تصوير المشاركة الوجدانية بينه وبين الطبيعة، ويرضى الحواس الفنية كلها مما يعد عملاً فنياً يمثل الاتجاه الإبداعي الرومانسي بكل مقوماته الفنية.

ومن هنا جاءت أهمية البحث في الكشف عن هذه الظاهرة، فالمصدر الرئيس الذي استقيت منه مادة البحث هو ديوان الشاعر إلى جانب المصادر والمراجع التي سوف أجعل لها ثبناً في نهاية البحث وقد وقع اختياري على المنهج التكاملي لدراسة التشخيص في شعر ابن الرومي، فهذا المنهج تندرج تحته كل المناهج الأخرى.

وسرت في تقسيم هذا البحث على النحو التالي:

التمهيد: ويشتمل على: ترجمة الشاعر ابن الرومي، ومفهوم التشخيص.

المبحث الأول: التشخيص في العصر الجاهلي والعصر الأموي.

المبحث الثاني: أثر التشخيص على الصورة الفنية عند ابن الرومي.

المبحث الثالث: أثر الصورة القرآنية التشخيصية على شعر ابن الرومي.

وأخيراً الخاتمة لخصت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج.

التمهيد:

ترجمة الشاعر:

الشاعر هو أبو الحسن علي بن العباس بن جرجيس الرومي ولد يوم الأربعاء من رجب سنة 221 هـ 836 م في بغداد بالموضع المعروف بالعقبة⁽¹⁾ أظهرت موهبته الشعرية منذ وقت مبكر، وهو لا يزال صبياً في الكتاب، عرف بتشأومه وتطيره الشديد، أخذ بحظ وافر من ثقافة عصره الأدبية واللغوية والدينية والعلمية والفلسفية واتخذ من شعره حرفاً وصناعة يتكسب بها، وقد بلغ في هذا الفن ما بلغ وأصبح له شأن كبير⁽²⁾ له ديوان بتحقيق حسين نصار، وعبد الأمير مهنا، يضم بين دفتيه شعراً غزيراً في ستة أجزاء مقسوماً على عدد من الموضوعات الشعرية أبرزها الهجاء والرشاء والمدح والوصف؛ أما وفاته اختلقت الروايات في سبب وفاته قيل مات مسموماً سنة 283 هـ⁽³⁾.

التشخيص في اللغة:

شَخَصَ الإنسان وغيره مذكر، والجمع أشخاصٌ وشَخُوصٌ وشَخَاصٌ؛ أثبت الشخص أراد به

(1) ينظر، ابن الرومي حياته من شعره، عباس محمود العقاد، ص 83-84، وينظر وفيات الأعيان، لأبن خلكان، تحقيق د إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج3، ص 458.

(2) ينظر، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة السادسة، (بيت) ص 299-300.

(3) ينظر، ابن الرومي حياته من شعره، عباس محمود العقاد، ص 81.

المرأة، والشخص سواد الإنسان وغيره تقول ثلاثة أشخاص⁽⁴⁾ وكل شيء رأيت جثمانه، فقد رأيت شخصه قال تعالى: (إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ)⁽⁵⁾.

التشخيص في الاصطلاح:

نسبة صفات البشر إلى أفكار مجردة أو أشياء لا تتصف بالحياة مثل الفضائل والردائل المجسدة في المسرح الأخلاقي ومخاطبة الطبيعة.⁽⁶⁾

ويبرز ذلك في قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)⁽⁷⁾ فقد جعل سبحانه وتعالى: السموات والأرض والجبال ناطقة تتجلى بالصفات الإنسانية من الإباء والرفض والإشفاق، فهي من الوسائل الفنية التي يلجأ إليها الشعراء في استخدامها للتصوير الاستعاري.

وعرفها النقد العربي القديم والحديث فرفضها فريق من النقاد القدماء؛ الذين يمثلهم الأمدي المتوفي سنة (370هـ - 980م) في موقفه من استعارات أبي تمام خير تمثيل، وارتضاها عبد القاهر الجرجاني المتوفي (471 هـ - 1078 م) حيث حدد الاستعارات المبنية على التشخيص قائلًا: ((فإنك ترى الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبنية، المعاني الخفية بادية جلية))⁽⁸⁾.

المبحث الأول: التشخيص في العصر الجاهلي والعصر الأموي:

التشخيص من الظواهر التي اتسمت بها المعاني في الشعر الجاهلي؛ لأن أكثر صور الشعراء مستمدة من البيئة المرتبطة بالبادية والحياة البدوية أشد ارتباطاً.

فالأطلال من أهم الموضوعات التي تتردد في القصيدة الجاهلية؛ لعلاقتها الوثيقة بإنسانية الشاعر وتنازعها مع ميوله وعواطفه ومآزيره وحاضره، فشخصت وأضفوا عليها صفات الكائنات الحي وخصائصه، فأصبحت تسأل وتلقى عليها التحية ومن ذلك يقول النابغة الذبياني:

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالْسِّنْدِ *** أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَدِ
وَقَفَتْ فِيهَا أَصِيلَانَا كِي أَسْأَلُهَا *** عَيْتٌ جَوَاباً وَمَا الرِّبْعُ مِنْ أَحَدٍ⁽⁹⁾

شخص الشاعر الأطلال، فوقف يسألها على ظهر ناقه قوية فاستعجمت، وأصبحت خرساء صماء لا تحسن الجواب، فاستعمل لفظي (أسألها وجواباً) وهما من خصائص الإنسان وهي جماد ولا ينطق الجماد.

وطرفة بن العبد شخصها وهي تلوح من بعيد بيد فتاة جميلة تراجع في ظاهر كمها الوشم وفي معصمها النقوش؛ وقد حُشيت كحلا ونورا تحت أشعة الشمس الصباحية شبيهة بتزيين بعض جسم الإنسان وهي اليد قائلًا:

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالُ بِبِرْقَةٍ تَهْمَدُ *** تَلَوَّحُ كِبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ
وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيهِمْ *** يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَلَدِ⁽¹⁰⁾

(4) ينظر، لسان العرب، للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن كرم بن منظور الإفريقي المصري، دار النشر والتوزيع نوبليس، الطبعة الأولى، 2006 م، ج 15، ص 56-57.

(5) سورة، إبراهيم، الآية، 42.

(6) ينظر، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، د مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984 م، ص 102.

(7) سورة الأحزاب، الآية 72.

(8) أسرار البلاغة، عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، الناشر دار المدينة، الطبعة الأولى، 1991 م، ص 43.

(9) ديوان، النابغة الذبياني، تحقيق، كرم البستاني، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1963 م، ص 30.

(10) ديوان، طرفة بن العبد، بدون تحقيق، دار صادر بيروت، (ب - ط - ص) 19.

أما لبيد شخص الشمال بأن جعل له يداً وللغداة زماماً ومن هذا يريد أن يثبت ما للشمال من القوة والفاعلية ما يجعلها تتصرف في الأمور كيف تشاء كما يفعل الإنسانقائلاً:

وَعَدَاةٌ رِيحٌ قَدْ وَزَعَتْ وَقَرَّةٌ ***
قد أصبحت بيد الشمال زمامها⁽¹¹⁾

وتأبط شراً يتحدث عن سيفه قائلاً:

إِذَا هَزَّةٌ فِي عَظْمٍ قَرْنٍ تَهَلَّتْ ***
نواجد أفواه المنايا الضواحك⁽¹²⁾

شخص الشاعر النواجذ تتهلل وتلمع لمعان البرق في فم المنايا التي تضحك كأنها إنسان فرح مسرور.

أما الشنفرى وهو من الصعاليك؛ فكان ممن يصف أسلحته يكشف عن صلة وجدانيه يتغزلون بأجزائها ومفاتيحها التي يصفونها بدقة وإعجاب؛ كما يصف الجاهلي المرأة فهذا قوسه يشخصه قائلاً:

هَتُوفٌ مِنَ الْمَلْسِ الْمُتَوْنِ تَزِينُهَا ***
رِصَانُ قَدْ نِيَطُنِيهَا وَمِحْمَلُ
إِذْ زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَنْتَ كَانَهَا ***
مُرَزَاةٌ عَجَلَى تَرْنُ وَتَعُولُ⁽¹³⁾

وسويد بن أبي كاهل اليشكري يشبه الصحراء في طرقها البالية الوعرة وجلاء أطرافها ببقايا من الشعر تغشي رأس الأضلع، وجوانبها الواسعة بالخواصر عند الناس ليشرحها قائلاً:

وَفَلَاةٌ وَاضِحٌ أَقْرَبُهَا ***
بَالِيَاتٌ مِثْلُ مُرْفَتِ الْقَرْعِ
يَسْبِغُ الْأَلَّ عَلَى أَعْلَامِهَا ***
وَعَلَى الْبَيْدِ إِذَا الْيَوْمُ مَتَّحُ⁽¹⁴⁾

ومن المعاني التشخيصية أيضاً تشخيص الشباب للشاعر سلامة بن جندل السعدي قائلاً:

أُودَى الشَّبَابُ حَمِيداً ذُو التَّعَاجِبِ ***
أُودَى وَذَلِكَ شَأْوَ غَيْرَ مَطْلُوبِ
وَلِي حَثِيثاً وَهَذَا الشَّيْبُ يَطْلُبُهُ ***
لَوْ كَانَ يُدْرِكُهُ رِكَضُ الْبِعَاقِبِ
أُودَى الشَّبَابِ الَّذِي مَجَّدَ عَوَاقِبُهُ ***
فِيهِ الْقُلُوبُ مِنَ الْبَيْضِ الرِّعَابِيِّ⁽¹⁵⁾

تبدو هذه المعاني أهات حزين وأنات مضمي، وزفرات مُضج لما احتمل في نفسه من الحزن على فقد شبابه الذي يفقده فقد متعة الحياة وأناته استشعاراً لعواقب المشيب وأسقامه؛ فالفاظه توحى بالحزن وفقد الشباب أودى فناء الشباب؛ ولي بأهات الحزن لفقد عزيز كما توحى بالفوت والذهاب فهذه لا تكون إلا للإنسان وهو يضيفها على الشباب.

وإذا نظرنا إلى التشخيص في العصر الأموي نرى أن الصورة التشخيصية ظلت كما هي عليه بمعنى أن العقل العربي التزم حدود الأشياء؛ في الوقت الذي كان فيه الخيال عاجزاً عن تصوير المشاعر الداخلية، فالعين تنقل المشاهد إلى الذاكرة، والذهن البارد يماثل ويشابه بينهما؛ فالبدائي لم يكن قد نضد إلى مرحلة التمييز والتجرد والخلوص وإن كان لم يزل في مرحلة المقابلة، والتي تقتصر على اكتشاف الشبه بين شيء وآخر.

لقد استخدم الشعراء الجاهليون ويتبعهم الأمويون لغة التصوير من مجاز وتشبيه واستعارة في إبراز خاصية التشخيص فالمهمة الأساسية للتصوير الكشف عن المجهول

(11) ديوان، لبيد بن ربيعة العامري، بدون تحقيق، دار صادر، بيروت، (ب - ط) ص 176.

(12) ديوان، تأبط شراً، إعداد طلال حرب، الدار العالمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1993 م، ص 53.

(13) ديوان، الشنفرى، إعداد طلال حرب، الدار العالمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1993 م، ص 56.

(14) المفضليات ديوان العرب مجموعات من عيون الشعر، تحقيق، أحمد شاكر و عبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة، ص 193.

(15) ديوان، سلامة بن جندل، د محمد بن الحسن الأحوال، تحقيق، فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1968، الطبعة الثانية، 1987، ص 88 - 91.

وايضاحه⁽¹⁶⁾ ففي الحديث عن وصف الأطلال وذكر الديار تقليد راسخ في افتتاح القصيدة حيث تألق فيها الشعراء تألقاً بيناً، حتي وصلت عند الكثيرين حد الاعتساف والتزين المصطنع؛ ولعل ابن بي ربعة من أعذبهم في صدر الإسلام وبني أمية، وأرقهم شعوراً وأطولهم نفساً وأجملهم حلية بيانية في تصويره لمشاهدة الأطلال التي وقف عليها ليشخصها؛ فعندما علم أن الثريا هي إحدى الحسان اللاتي تغني بحبهن قد تزوجت ونقلت إلى الشام فإنه ذهب إلى حيث كانت دارها ووقف على أطلالها وقال:

يَا صَاحِبِي قِفَا نَسْتَخْبِرِ الطَّلَالَ *** عَن بَعْضِ مَنْ حَلَهُ بِالْأَمْسِ مَا فَعَلَا
فَقَالَ لِي الرَّبِيعُ لَمَا أَنْ وَقَفْتُ بِهِ *** إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَ الْبَيْنَ فَاِحْتِمَالَا
لَمَا وَقَفْنَا نَحْيِيهِمْ وَقَدْ صَرَحْتَ *** هَوَاتِفَ الْبَيْنِ وَاسْتَوْلَتْ بِهِمْ أَضَلَا
صَدَّتْ بُعَادَا وَقَالَتْ لِلَّتِي مَعَهَا *** بِاللَّهِ لَوْمِيهِ فِي بَعْضِ الَّذِي فَعَلَا
وَحَدَّثِيهِ بِمَا حَدَّثْتَ وَاسْتَمِعِي *** مَاذَا يَقُولُ وَلَا تَعْنِي بِهِ جَدَلَا⁽¹⁷⁾

فالأبيات في مجملها حيوية ونابضة بالحركة تتدافع مظاهرها؛ فالشاعر يستوقف أصحابه كي يسأل الأطلال التي غادرتها الحبيبة فقال: يا صاحبي قفا نستخبر الأطلال يطلب من صاحبيه أن يستخبرا الطلل سؤال وجواب، وحكاية ورواية وطلب لحال ما كان عليه المحبوب من فرح وبهجة وما كان عليه من أسى وحزن؛ فقد بعث في الطلل الخصائص الإنسانية من تعقل وتفهم وأخبار وأنباء وفي تشخيص التراب قول: مجنون ليلي

وَأَشْكُو مَا لَقِيتُ وَكَلَّوْجِدُ *** غَرَامَا بِالشَّكَايَةِ لِلتَّرَابِ
وَأَشْكُو لِلدِّيَارِ عَظِيمٍ وَجُدِي *** وَدَمْعِي فِي انْهَمَالِ وَأَنْسِيَابِ
أَكْلُمُ صُورَةَ فِي التَّرَابِ مِنْهَا *** كَأَنَّ التَّرَابَ مُسْتَمِعٌ خَطَابِي
كَأَنِّي عِنْدَهَا أَشْكُو إِلَيْهَا *** مُصَابِي وَالْحَدِيثَ إِلَى التَّرَابِ
فَلَا شَخْصٌ يَرِدُ جَوَابَ قَوْلِي *** وَلَا الْعَنَابُ يَرْجِعُ فِي جَوَابِي⁽¹⁸⁾

فالشاعر من شدة حبه ووجدته وغرامه؛ لم يلق من يشكي فشكا إلى التراب ليرق لحالة كما باح للديار بأشواقه والدمع منهمر من جفنيه، وكلم التراب وكأن له أودين تسمع يوجه أهما الحزن والالام، وكأنما يوجهه الي الحبيبة ذاتها، وينتهي قائلاً لا يوجد أحد يرد على جواب قولي. وجميل بتينة من شدة حبه وهيامه استعار لفظه (المرض) لريح الصبا على سبيل التشخيص قائلاً:

يُذَكِّرُنِيهَا كُلِّ رِيحٍ مَرِيضَةٍ *** لَهَا بِالشَّلَاعِ وَأَلْقَاوِيَاتٍ وَئِيدُ
قَدْ تَلْتَقِي الْأَهْوَالَ مِنْ بَعْدِ يَأْسَةٍ *** وَقَدْ تَطْلُبُ الْحَاجَاتِ وَهِيَ بَعِيدُ⁽¹⁹⁾
وفي السراب قول ذو الرمة:

وَسَاجِرَةُ السَّرَابِ مِنَ الْمَوَامِي *** تَرْقُصُ فِي عَسَاقِلِهَا الْأَرْوَمُ⁽²⁰⁾

شخص السراب الذي يملأ الضلالة ويسحر العيون كالماء في انسكابه، حيث استعار لها لفظاً (ترقص) وهي من خصائص الإنسان أضفاها على الجماد.

وبناء على ما تقدم ندرك أن التشخيص؛ لم يقتصر على الأطلال والظواهر الطبيعية

(16) ينظر: الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، د ساسين سيمون عساف، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1982 م ص 73 - 74.

(17) ديوان، عمر ابن أبي ربعة، بدون تحقيق، دار صادر، الطبعة الأولى، 1988، ص 315 - 317.

(18) ديوان، محنون ليلي شرح مجيد طراد، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1996 م، ص 1995.

(19) ديوان، جميل بتينة، شرح أحمد عداره، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1996 م، ص 60-61.

(20) ديوان، ذو الرمة، بتصحيح كارليل هنري هيس مكارنتي، (ب ط)، 1919 م، ص 591.

فقط وانما تعدها إلى بعض الحيوانات عند بعض الشعراء فتسمع الفرزدق يخاطب الذئب قائلا:

فَلَمَّا دَنَا قُلْتُ اذْنُ دُونِكَ إِنِّي *** وَإِيَّاكَ فِي زَادِي لَمْ شَتْرِكَا
فَبَتَّ أَسْوَى الزَّادِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ *** عَلَى ضَوْءِ نَارِ مِرَّةٍ وَدُخَانِ
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَكَشَّرَ ضَاحِكًا *** وَقَائِمٌ سَيْفِي مِنْ يَدِي بِمَكَانِ
تَعَشَ فَإِنْ وَاثَقْتَنِي لَا تَخُونَنِي *** نَكْنُ مِثْلُ مَنْ يَا ذَنْبُ يَصْطَحِبَانِ (21)

شخص الذئب وجعله كالإنسان يتحدث معه ويحادثه دعاه فقبل دعوته، وأشركه في زاده وطعامه وتقاسمه معه كما يفعل مع أخيه وصديقه، وقال له لما كشر عن أنيابه أنه لم يخنه فإنهما سيصبحان صديقين، وإن كان الغدر من صفة الذئب كما استخدم كلمة (ضاحكا) وهي صفة يختص بها من له روح ومشاعر وأحاسيس وانفعالات أضفاها على هذا الحيوان الذي يلازم الإنسان وهو يجوب الصحراء.

وقول: مجنون ليلي أيضا

وَعُدْنَ بِضَرْقَارِ الْهَدِيرِ كَأَنَّمَا *** شَرِبْنَ مَدَامَا أَوْلَهُنَّ جُنُونَ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُنَّ حَمَانَمَا *** بَكِيْنٌ فَلَمْ تَدْمَعْ لَهُنَّ عَيْوُنُ (22)

فشخص الشاعر هنا هديل الحمام، وهو عائد يقرر على سبيل التشبيه بصوت المخمورين والمجانين، وتبكي دون أن تذرف الدمع وهي صفة يتصف بها الإنسان لا الحيوان. وفي تشخيص الحرباء تارة يستقبل الشمس ويشيع يديه كأنه مجرم أو مذنب تائب طالب المغفرة من الله وفي ذلك يقول ذو الرمة:

إِذَا انْتَجَّ رَضْرَاضُ الْأَخْصَى مِنْ وَدِيقَةٍ *** تَلَاقِي وَجُوهَ الْقَوْمِ دُونَ الْعَصَائِبِ
كَأَنَّ يَدَيَّ حَزْبَانَهَا مَتَشَمَّسًا *** يَدَا مُذْنِبٍ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَائِبًا (23)

ومن هذا نلاحظ أن الشاعر الأموي صور مظاهر الطبيعة حقيقياً، يستقي أحياته من العالم الحسي فيقارن بين المرثيات، ويربط بعضها ببعض، ويشيع الحركة في المعاني التي ينتقيها من العالم، وبيت في عناصرها المشاعر والحياة، وقد دفعته هذه الحسية إلى أن يدقق النظر في وصف المرثيات حتي استطاع أن يترك لنا صور قريبة من صور حياته التي كان يعيشها، وما كان يقف عنده من ظلال، وكأنه كان يحرص على نقل هذه الصور إلي قصائده ليبقي على صورها ويحافظ على جوهرها؛ ولهذا كانت قصائدهم ومقاطعهم تأنقا دقيقا لحياتهم.

(21) ديوان، الفرزدق، شرح مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1994، ج2، ص400.

(22) ديوان، مجنون ليلي، ص 205 - 206.

(23) ديوان، ذو الرمة، ص 59.

المبحث الثاني: أثر التشخيص على الصورة الفنية عند ابن الرومي:

استطاع ابن الرومي أن يؤلف صورته الفنية من الطبيعة علي غرار مظاهر النفس البشرية، فالغيث لا يعيب بالأطلال كما قال القدماء، وإنما يبكي أهلها النازحين بكاء مر المذاق قطرة ملح وبرقة كالح ورعد عويل، وما ينشر علي الأرض من لباس قاتم ورعدة يردد أصوات الطرب البليغ والريح تنشر أنفاس النور الزكية والسحب تهبط الأرض؛ فتقدم للحسنة ما لذا وطاب كأنه بعض رضابها؛ فابن الرومي وإن استفاد من القدماء مواد الصورة فقد عرض هذه المواد أجمل عرض، فصور بها الطبيعة تصويرا بديع فغدا يتمرس بالوصف المقتصر علي ذاته الشاخصة فالطبيعة في شعره هي أدني الي وجدان الشاعر وأكثر تألقا مع نفسه لا تقع فيها علي قسوت الطبيعة الجاهلية ولا على هولها ووعورتها وشقت ارتيادها و التنازع معها (24) واعتبرها ابن رشيق في هذا الشأن ((أحسن الوصف ما نعت به الشيء حتي يكاد يمثله عيانا للسمع)) (25) ومن هنا لا بد لنا أن نقف علي التشخيص وأثره على الصورة الفنية في شعر ابن الرومي وفق نماذج من ديوانه إذا نلاحظ إن أهم ما يؤخذ بمجموع ابن الرومي اهتمامه بالطبيعة ومظاهرها من رياض وبرك وجداول وأزهار ورياحين، ومنظرا مشرقا لشمس ساطعة وربيع أخضر مزهر فواح؛ نظرا لما تثيره رياحا ونسائهما وأغاني طيورها في نفسه إذ يقول:

إِذَا رَنَقَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ وَنَقَضَتْ *** عَلَى الْأَفْقِ الْغُرْبِي وَرَسَا مُدْعَدَا
وَوَدَعَتْ الدُّنْيَا لِنَقْضِي نَجْبَهَا *** وَسَوَّلَ بَاقِي عُمُرَهَا فَتَشَعَشَعَا
كَمَا لَأَحْطَتْ عَوَادُهُ عَيْنٌ مُدْنِفٌ *** تَوَجَّعَ مِنْ أَوْصَابِهِ مَا تَوَجَّعَا
وظلت عيون النور تخضل بالندى *** كما اغرورقت عين الشجي لتدمعا (26)

فالصورة تكمن في ترفق شمس الأصيل حيث بدأت تنفض ورس شعاعها مودعة الدنيا بعد أن أوشك عمرها أن ينقضي؛ فهي تنظر إلى الكون كما تنظر عين المريض إلى الشمس بالحاذ خاشعة موشحة، فألقت شعاعها المريض على الروض فشعاع اصفرارها وترطيب النسيم، كما وقفت الطير على الغصون لتتغنى (27) فالطبيعة لم تكن عادية عند الشاعر، بل أصابها شعور وأصبحت مظاهرها وملامحها الخارجية كلامح الإنسان.

ومن صورته أيضاً: تشخيصه لذيده جعله كالإنسان يؤذن وقت السحر وكذلك وقت الفجر، وله وصال مع زوجاته كما يتمتع بالحيلة والحذر، فهو شهيم إذا نزل ساحة الشجار؛ كأنه هو الفارس المنتصر الشجاع، وحارس يأتي على الشرفات في تنقله وحركاته المتتابعة بين الحارة والأخرى، على مشارف بيوتها حينما يؤذن، وفي الوصل والقنص والهيحاء أثناء المبارزة.

وفي وصف روضة قول ابن الرومي:

حَيْتَكَ عَنَّا شَمَالٌ طَافَ طَائِفُهَا *** بَجَنَّةٍ فَجَرَّتْ رَوْحًا وَرِيحَانًا
هَبَّتْ سَحْبِيرًا فَتَاجِي الْغُصْنِ صَاحِبِهِ *** مُوسِاسًا وَتَنَادَى الطَّيْرُ إِعْلَانًا
وَرَقَّ تَغْنَى عَلَى خَصْرٍ مُهْدَلَةٍ *** تَسْمُو بِهَا وَتَشَمُّ الْأَرْضَ أحيانًا
تُحَالُ طَائِرُهَا نَشْوَانٌ مِنْ طَرْبٍ *** وَالْغُصْنُ مِنْ هَرَّةٍ عَطْفِيَّةٍ نَشْوَانًا (28)

(24) ينظر، ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره، د إيليا سليم الحاوي، دار الكتب، اللبناني بيروت، الطبعة الثمانية، 1980 م، ص 39 - 40.

(25) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، 1964 م ج 2، ص 294.

(26) ديوان، ابن الرومي، ج 4، ص 116.

(27) ينظر، ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره، إيليا سليم الحاوي، ص 52.

(28) ديوان، ابن الرومي، ج 6، ص 209.

فيصور الشاعر الطبيعة وقت الصبح، من خلال شعوره بسحرها، واهتزاز وجدانه لريح الشمال التي ترسل تحيات الصباح إلي الحياة بالروح والريحان تسري في مظاهر الطبيعة؛ فتبت الحياة لتسمع وسوسة الأغصان والطيور والأوراق في حفل راقص، يغمره نغم الحب والحياة فنرى هنا تشخيصاً لكل جامد لا يعقل فيتحول إلي تعاطف وحب ومناجاة في شمال طاف طائفها هبت سحيراً ناجى الغصن صاحبه.

وفي النفاق قول ابن الرومي:

فَعَدَا كَالْخِلَافِ يُورِقُ لِلْعَيْبِ *** نِ وَيَأْبَى الْإِثْمَارَ كُلَّ الْإِبَاءِ (29)

فالتشخيص ظاهرهنا يبعث الحياة والحركة في لفظتي (يورق ويأبى) وهي من خصائص الإنسان ليؤكد صفة النفاق التي تأصلت في المشبه ولأزمته، فلا يستطيع المنافق أن يتخلى عنها كشجرة الخلاف الذي يعجب منظره.

وادعى ابن الرومي أن الأمس هو ذلك الإنسان وليس مشبها به فحسب، حيث أجرى على الأمس ما جرى على الإنسان لأنه لم يعد أمساً وإنما صار إنساناً.

قوله:

إِمَامٌ يَظَلُّ الْأَمْسُ يَعْمَلُ نَحْوَهُ *** تَلَفَّتْ مَلْهُوفٌ وَيَشْتَاقُهُ الْغَدُ (30)

فالصورة تكمن في تشبيه الأمس بإنسان يشعر بشعور الحب واللهفة، فالشاعر أضفى على الأمس صفات إنسانية وأدعاها له، وأضاف إليه عمله في التلفت والتعلق؛ فأتيت له عملاً من غير أن ينسبه إلى نوع هذا العمل الذي يعمل به وفي تصوير الربيع يقول ابن الرومي:

وَرِيَاضٌ تُخَايِلُ الْأَرْضَ فِيهَا *** خِيَلَاءُ الْفَتَاةِ فِي الْأَبْرَادِ
ذَاتٌ وَشِي تَنَاسَجَتْهُ سَوَارٍ *** لِبِقَاتٌ بِحُوكِهِ وَغَوَادِ
شَكَرْتُ نِعْمَةَ الْوَلِيِّ عَلَى الْوَسْدِ *** مَيِّ تَمَّ الْعِهَادِ بَعْدَ الْعِهَادِ
فَهِيَ تُثْنِي عَلَى السَّمَاءِ ثَنَاءً *** طَيِّبَ النَّشْرِ شَانِعاً فِي الْبِلَادِ
حَمَلَتْ شُكْرَهَا الرِّيحُ فَادَّتْ *** مَا تُؤَدِيهِ أَلْسُنُ الْغَوَادِ (31)

رسم الشاعر هنا صورة فنية نحس فيها بأن الطبيعة ذات ناطقة وأشخاص متحركة، فهو يعيش مع كل نسمة فيها وحركة وهمسة، وكأنها فتاة تجذبه إليها أو تغريه مشخصاً بطريقة بارعة، حيث جاءت معانيه منسقة كما أن صورته كانت واضحة وسهلة.

وفي صورة أخرى اتصف فيها ابن الرومي بالسوداوية في شعره فنراه يقول:

أَظَلُّ إِذَا هَزَّتْهُ رِيحٌ وَلَأَلَاتٌ *** لَهُ الشَّمْسُ أَمْوِجاً طَوَالَ الْغَوَارِبِ
كَأَنِّي أَرَى فِيهِنَّ فَرَسَانَ بُهْمَةً *** يُلِيحُونَ نَحْوِي بِالسِّيُوفِ الْقَوَاضِبِ (32)

الصورة في هذه الأبيات تكمن في أن الشاعر صور البحر وكأنه جيش من الموت يناديه ويقترّب منه، ليقتضي على ما تبقى من أيامه متخذاً عنصر التشخيص في إظهار هذه الصورة الرائعة في (يليحون نحوي بالسيف القواضب).

وفي غربة الأهل قوله أيضاً:

رُبَّ أَكْرُومَةٍ لَهُ لَمْ تَخْلُهَا *** قَبْلَهُ فِي الطَّبَاعِ وَالتَّرْكِيبِ (33)

(29) المصدر، نفسه، ج1، ص 42.

(30) ديوان، ابن الرومي، ج2، ص 175.

(31) المصدر، نفسه، ج3، ص 260.

(32) ديوان، ابن الرومي، ج1، ص 335.

(33) المصدر، السابق، ج1، ص 128.

يرى ابن الرومي المكارم ربما توجد في غير الممدوح، وأنها لم تُخلق لأجله وانوجدت في غيره فهي تبع له أو مجرد قشور ومظاهر غير متصلة بالطبع والمزاج كما هي طبيعته في نفسه لذلك استحق القول بأن يكون غريباً بين الناس وهو الغاية في الكرم وحسن الخلق⁽³⁴⁾ لقد أثر التشخيص تأثيراً كبيراً على الصورة الفنية من خلال الطبيعة التي توحى للشاعر في كل عنصر بالكثير من المعاني والآثار الأدبية الرائعة إذ هو وليد بيئته حيث افتتن بها الشاعر وصورها في مختلف مظاهرها ورسم لها صوراً تجمع في الغالب بين صدق الأداء، وبراعة الوصف لإظهار الدقائق وحرارة الإحساس⁽³⁵⁾ فالشعراء في هذا العصر أخذوا يهتمون بأوصاف الطبيعة من ربيع ورياض وأزهار وبرك كأبي تمام في وصف الربيع، والبحتري في وصف البركة وابن الرومي دامجا المرأة في الطبيعة⁽³⁶⁾ ومن هنا نلاحظ مقدرة الصورة الفنية على إبراز المبدع ومدى قدرته على المزاجية بين أساليب الإبداع المختلفة من خلال تجربته الشعرية، فغلة الشعر تعتمد على الصورة الفنية بما لها من إيحائية تعوض نقص وعجز اللغة العادية في التعبير عنخلق علاقة بين المتجانس والمتضاد من المعاني كما تعمل على تمهيق المحسوسات وتبعث الحياة في الجمادات وتبث الروح في كل ما يتناوله الشاعر فيها من مظاهر الحياة والواقع وجوامد ما يقع تحت الحس في الطبيعة⁽³⁷⁾ وتدافع الآثار والشعور بالذلة فكم من صور رائعة همست بها الطبيعة إلى الشاعر فوجد فيها سعادته لما حققته من تجاوب وتآلف بينه وبين أسرار الحياة، وبذلك تناثرنا الصورة الفنية في شعر ابن الرومي، فكانت إبداعاً وجمالاً أضفى سر النجاح في الشعر العربي.⁽³⁸⁾

المبحث الثالث: أثر الصورة القرآنية التشخيصية على شعر ابن الرومي:

للقرآن الكريم أسلوبه في بلاغة العرب وفصاحتهم حيث كان له دور مهم في نواح متعددة وتأثير رافع في دقة الأداء وبراعة التصوير، وحض أدب العرب بهذا التأثير وشاع على أسنة الشعراء والكتاب والأدباء، ولم تخل نواديهم كم تأثير فكانت النوادي الأدبية من النثر وفصاحة الخطابة ودقة المحاورة ووجهة الوصايا والنصائح ولا نستغرب حين نسمع عن أعراب فصحاء يهزمهم البيان والوضوح في بلاغة القول وعبقريته تروى، وكلام بليغ يؤثر، مرجع ذلك ثقافة المسلمين الدينية والعقلية والاجتماعية والأدبية، وهو القرآن الكريم الذي أحال خشونة الطبع عذوبة وسلاسة وقوة ووضوحاً في التفكير ودقة في التعبير والتصوير، وروعة في الحججة ورقة في الأسلوب⁽³⁹⁾ فالقرآن الكريم معجزة - الرسول صلى الله عليه وسلم - تجدى بها الناس في قوله تعالى: (قُلْ لئن اجتمعَت الإنسُ والجِنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)⁽⁴⁰⁾ وقوله تعالى: (فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)⁽⁴¹⁾.

فالتأثير البلاغي مبني على التصوير لمشاهد الطبيعة في القرآن الكريم، وفي ذلك يتحدث صاحب كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم مبنياً مفهومه يقول: ((التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن الكريم فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن

(34) ينظر: البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، دعلي صبح، الناشر: المكتبة الأزهرية، للتراث، (ب- ط) 1996 م، ص339.

(35) ينظر: الأدب وتاريخه في العصر الأموي والعصر العباسي الأول، د إبراهيم رفيعة، (ب- ط) (ب-ت) ص 185.

(36) ينظر: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والأمارات والأندلس، د شوقي ضيف (ب- ط)، (ب-ت) ص 293.

(37) ينظر: البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، ص 34.

(38) ينظر: الصورة الفنية في شعر ابن الرومي، أحمد المبروك الغنوي، رسالة ماجستير، 2006 — 2007 م، ص 26.

(39) ينظر: تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري، د نجيب محمد البهيتي، دار الثقافة، (ب-ط) 1982 م ص 1.

(40) سورة، الإسراء، الآية، 88.

(41) سورة، البقرة، الآية، 22.

المعنى الذهني، والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي رسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة والحالة النفسية لوحة أو مشهد وإذا النموذج الإنساني شاخص حي وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية ((42) فهذا هو الصبح يتنفس (والصبح إذا تنفس) (43) فيخيل إليك هذه الحياة الوديعه الهادئة التي تنضج عنها ثناياه وهو يتنفس معه ويذوب النشاط في الأحياء على وجه الأرض والسماء، وهذا هو الليل يسرى (والليل إذا يسر) (44) فتحس سرياته في هذا الكون العريض.

وفي حديثنا عن هذا الجانب واطلاعنا على ديوان الشاعر والكتب التي كتبت عنه وعن شعره الذي هو موضوع بحثنا، وجدناه المجال الذي يشكل عاملاً حيوياً في تكوين شخصيته العقلية والخيالية معا.

وقد لاحظت ذلك في شعره وثقافته فهو بجر واسع له عوامل عديدة أهمها تأثره بالصورة البلاغية بالقرآن الكريم واقتباسه منها لما لها من تأثير قوي في عقليته والمنبع الرئيسي هو القرآن الكريم، والمتأمل في ديوانه يلمس كثيراً من الاستخدامات وأنه وظف الكثير من الألفاظ في صورته فالألفاظ المقتبسة من القرآن الكريم تزيد الكلام قوة وبلاغة كما تضي عليه حسناً وجمالاً إذ تبدو وسطه كالضياء اللامع والنور المشرق والمتكلم عندما يبني كلامه على الالتئام وبهذا يبدو كلامه قوياً بليغاً (45) ومن شواهد على ذلك قول ابن الرومي:

لِي طَيْلَسَانَ أَنَا فِي يَدَيْهِ
مِثْلَ الْأَسِيرِ خَانِعٍ لَدَيْهِ
زَعَزَعْتَ الْأَيَّامَ جَانِبِيهِ
قَدْ هَدَمْتَ أَيَّامَهُ رُكْنِيهِ
كَأَنَّ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِ (46)

شخص الطيلسان بأن جعله كالإنسان يخضع غيره من بني البشر تزعزعه وتهدمه ركني الأيام مقتبساً ذلك من قوله تعالى: (يَخْسَبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاخْذَرْهُمْ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (47) وقوله أيضاً:

وعاتقة زفت لنا من قرى كوني *** تلقب أم الدهر أو بنته الكبر
رأت نار إبراهيم أيام أوقدت *** وحازت من الأوصاف الحسنى
حكمت نورها في بردها وسلامها *** وباتت بطيب لا يوازي ولا يحكى (48)

شخص الخمر وهي عاتقة في شكل امرأة تزف وتلعب أو الزمان، حيث لها من الحسن والطيب والكلام لا يوازي ولا يحكى مقتبس من قوله تعالى: (قَلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) (49).

(42) ينظر، التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، (ب- ط) (ب- ت) ص 29.

(43) سورة، التكوير، الآية، 18.

(44) سورة، الفجر، الآية، 4.

(45) ينظر، علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، د بسيوني عبدالفتاح فيود، دار الثقافة، للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1998م، ص 268.

(46) ديوان، ابن الرومي، ج 6، ص 384.

(47) سورة، المنافقون، الآية، 4.

(48) ديوان، ابن الرومي، ج 1، ص 51.

(49) سورة، الأنبياء، الآية، 69.

وقوله:

بِحَيْثُ لَا لَعُو فِيهِ إِلَّا *** غِنَاءِ طَيْرٍ بِهِ فَصَاح
طَيْرٌ تَغْنِي إِذَا تَغْنَتْ *** مهما أراد بلا اقتراح (50)

شخص ابن الرومي الطير، وجعله يغني، وهو وصف لروض الجنة بأنه لا لغو فيها إلا غناء طير به فصاح هذه صورة حقيقية لملاذ الجنة كما وعد بها المتقون حيث لا نصب ولا لغو ولا تأثيم كي تغدو كأس الحياة صافية عذبة بلا مرارة مقتبس من قوله تعالى: (يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعْوُ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ) (51).
وقوله أيضا:

أَنَا النَّارُ الَّتِي بِالْخَلْقِ تَغْذَى *** تَوْقُدُ بِالْحِجَارَةِ وَالْحَدِيدِ
إِذَا نَضِجَتْ جُلُودُ الْقَوْمِ فِيهَا *** أُعِيدُ لَهُمْ سِوَى تِلْكَ الْجُلُودِ (52)

مقتبس ذلك من قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (53) وقوله: (كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا) (54).
وقوله: في ذم الدهر أيضا:

تَأْتِي عَلَى الْقَمَرِ السَّارِي حَوَادِثُهُ *** حَتَّى يُرَى نَاحِلًا فِي شَخْصِ عُرْجُونَ (55)

شخص الشاعر القمر وجعله ناحلاً ضعيفاً مشبهاً بالعرجون القديم؛ فالتشبيه يشير إلى لحظة صلة بين الهلال في أواخر أيامه، حيث قامت الصورة على مشاركة أكثر من صفة بينهما، فالعرجون فيه الضعف ودقة الانحناء واصفرار اللون فجمع بشبيه القرآن الكريم ثلاث صفات من حيث الحجم والاستقامة مقتبس من قوله تعالى: (وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مِنْ مَنَازِلٍ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) (56).

وقول ابن الرومي:

لَوْ أَمْتَحَنَ اللَّهُ الْبِحَارَ بِجُودِهِ *** لَا ضَحَّتْ وَأَمْسَتْ مِنْ عَطَايَاهُ غُبِيضًا
وَلَوْ لَمْسَتْ ضَمَّةَ الصُّخُورِ *** لَا ضَحَّتْ بِسَلْسَالٍ مِنَ الْمَاءِ فَيُضَا (57)

شخص الشاعر البر وجعله كالإنسان يمتحن، ويدلى بجوده وكرمه حتى يفيض من العطايا مقتبساً من قوله تعالى: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاةُ أَقْبَلِي وَغِيضَ الْمَاءِ) (58).

وفي وصف رقعة ليل أيلول ولهفته قول ابن الرومي:

لَوْلَا فَوَاكُهُ أُيْلُولُ إِذَا اجْتَمَعَتْ *** مِنْ كُلِّ نَوْعٍ وَرَقَ الْجَوْ وَالْمَاءِ (59)

الرقعة صفة تتصف بها المرأة نسبة إلى ليلة من ليالي أيلول وهو الشهر التاسع من

(50) ديوان، ابن الرومي، ج 2، 52.

(51) سورة، الطور، الآية، 23.

(52) ديوان، ابن الرومي، ج 2، ص 237.

(53) سورة، التحريم، الآية 6.

(54) سورة، النساء، الآية 56.

(55) ديوان، ابن الرومي، ج 6، ص 213.

(56) سورة، يس، الآية 39.

(57) ديوان، ابن الرومي، ج 4، ص 29.

(58) سورة، هود، الآية، 44.

(59) ديوان، ابن الرومي، ج 1، ص 29.

الأشهر الرومية ، وفي هذا الوصف تشخصت هذه الليلة لما لها من جمال وفرح ومرح مقتبس من قوله: (فِيهِمَا فَآكِهَةٌ وَنَحْلٌ وَرَمَانٌ)⁽⁶⁰⁾.

وقوله أيضا:

تَسِيلُ مُسْتَعْبِرَةٌ *** بِأَيِّ ذَنْبٍ قَتَلْتِ⁽⁶¹⁾

مقتبس من قوله تعالى: (بِأَيِّ ذَنْبٍ قَتَلْتِ)⁽⁶²⁾

وقول: ابن الرومي شمس الأصيل

إِذَا شَمْسُ الْأَصَائِلِ عَارَضَتْهَا *** وَقَدْ كَرَبَتْ تَوَارِي بِالْحِجَابِ

وَأَلْقَتْ جُنْحَ مَغْرِبِهَا شُعَاعاً *** مَرِيضاً مِثْلَ أَحَاظِ الْكِعَابِ⁽⁶³⁾

شخص الشاعر الشمس وجعلها تستتر وتتوارى بالحجاب ؛ كما تستتر وتغطي المرأة وجهها وهذا اقتباس ورد في قوله تعالى: (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ)⁽⁶⁴⁾.

ويقول: الباقلاني في حديثه عن القرآن الكريم وبلاغته بأنه فاق في أسلوبه ونظمه وتأليفه كل الأساليب حتى وصل إلى الإعجاز ، وأن شعر العرب ونثرهم لم يصل إلى مكانة القرآن في بلاغته وفصاحته وبيانه، وأن ألفاظ القرآن الكريم وفق معانيه لا يفضل أحدهم على الآخر فالمزية فيهما معا⁽⁶⁵⁾ ومن هذا نستخلص أن الهدف من بلاغة القرآن التأثير في النفوس بحيث تجعل السامع أو القارئ مشدوداً لما يسمع أو يقرأ متعلقاً بقلبه وخلجات نفسه، وهذا التأثير بطبيعته ينسجم مع طبيعة الإعجاز البلاغي ؛ فليس المقصود أن يعجز الناس باتباع أوامر الله في الحلال والحرام، وإنما التعجيز واقع بما اتصف به القرآن الكريم من البلاغة والفصاحة والبيان، حيث أثر فيهم فجعلهم صاغرين مطيعين لأوامره مجتنبين لنواهيه، وعلى ذلك فالإعجاز البلاغي يعنى هذا التأثير الطاق الواقع في النفس⁽⁶⁶⁾ ومن هذا المنطلق تأثر ابن الرومي ببلاغة القرآن الكريم، حيث كان تأثيره كبيراً على صورته الفنية.

(60) سورة، الرحمن، الآية 68.

(61) ديوان، ابن الرومي، ج 1، ص 417.

(62) سورة، التكوير، الآية، ص9.

(63) ديوان، ابن الرومي، ج 1، ص 282- 283.

(64) سورة، ص، الآية 31.

(65) ينظر، أثر القرآن والبلاغة في كتب إعجاز القرآن خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، (النكت

لرומاني، بيان إعجاز القرآن للخطابي، إعجاز القرآن للباقلاني، علي عبدالسلام بالنور، رسالة دكتوراه، 2007-

2008 م ص 204 - 205.

(66) ينظر، الرسالة السابقة، ص 192.

الخاتمة

- جاء عنوان بحثي تحت مسمى التشخيص في الشعر العربي القديم (شعر ابن الرومي أنموذجاً) كان الهدف الذي أسعى إليه في هذه الدراسة الكشف عن ظاهرة من الظواهر الفنية المتمثل في التشخيص من خلال ديوان هذا الشاعر الموهوب، الذي خلق بشعره في سماء الأدب بكلماته ومعانيه العميقة وأكد من خلال هذا البحث على النتائج التالية:
1. يعد التشخيص نوعاً من أنواع الصورة في الشعر العربي عامة، وشعر ابن الرومي خاصة، وهو تحديد لهيئة الموصوف.
 2. نجد صور التشخيص متتابعة في بعض قصائد ابن الرومي، ونجد بعضها متناثرة في داخل القصيدة الواحدة، حيث يكتفي باستخدام جزء من الصورة المشخصة، دليل على تفاوت تركيز الشاعر واهتمامه في خلق الصورة على شكل مشخص من قصيدة إلى أخرى.
 3. يعتمد التشخيص على الشعور المرهف بمعالم الطبيعة في تكوين المعاني الشعرية.
 4. يقوم التشخيص بنقل المعنويات إلى أشخاص حية تننفس وتتحرك.
 5. القرآن الكريم يمثل الذروة الأعلى في شعر ابن الرومي، من الناحية البلاغية، وإن نتاجه الشعري ليس إلا محاولة للاقتباس منه والتقرب إليه.
 6. كثرة ظاهرة التشخيص في شعر ابن الرومي، فقد دخلت في جميع استعاراته سواء في الهجاء أو الوصف أو المدح.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.
2. أثر القرآن والبلاغة في كتب إعجاز القرآن خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (النكت للروماني، بيان إعجاز القرآن للخطابي، إعجاز القرآن للباقلاني، علي عبدالسلام بالنور 2007 - 2008 م.
3. الأدب وتاريخه في العصر الأموي والعصر العباسي الأول، إبراهيم رفيدة، محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى، 1386هـ 1966 م.
4. أسرار البلاغة، عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق، محمود محمد شاكر، دار المدني، الطبعة الأولى، 1991 م.
5. البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث (د - ط) 1997 م.
6. تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس، شوقي ضيف، (د-ط).
7. تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، دار المعارف الطبعة الثانية.
8. تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، نجيب محمد البهبهتي، دار الثقافة، (ب - ط) 1982 م.
9. التصوير الشعري والتجربة الشعورية، وادوات رسم الصورة الشعرية عدنان حسين قاسم، الطبعة الأولى، 1978 م.
10. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، (ب - ط) .
11. ديوان، ابن الرومي، تحقيق، عبد الأمير مهنا، دار مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، 1311 هـ - 1991 م.
12. ديوان، تأبط شراً، إعداد طلال حرب، دار العالمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1414 هـ - 1996 م.
13. ديوان، ذو الرمة، تصحيح، كارليل هنري هيس مكارنتي، طبع على نفقة الكلية، (ب - ط) 1337 هـ 1919 م.
14. ديوان، سلامة بن جندل، صنعة، محمد بن الحسن الأحول، تحقيق 1968 م الطبعة الثانية 1987 م.
15. ديوان، طرفة بن العبد، شرح الأعلام الشنتمري، تحقيق، دريّة لطفي الصقال، (ب - ط) 1395 هـ 1975 م.
16. ديوان، عمر بن أبي ربيعة، بدون تحقيق، دار صادر، الطبعة الأولى، 1988 م.
17. ديوان، الفرزدق، شرح، مجيد طراد، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1994 م.
18. ديوان، لبيد بن ربيعة العامري، بدون تحقيق، دار صادر، بيروت (ب - ط) .
19. ديوان، النابغة الذبياني، تحقيق، كرم البستاني، دار صادر، بيروت، (ب - ط) .
20. ابن الرومي حياته من شعره، عباس محمود العقاد، المكتبة الحصرية، بيروت، د ط، 1982م.
21. الكتاب بيروت، الطابعة الثانية، 1968م.
22. ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره، إيليا سليم الحاوي، دار الكتاب بيروت، الطبعة الثانية 1968م.
23. الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، ساسين سيمون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1402 هـ - 1982م.
24. الصورة الفنية في شعر ابن الرومي، أحمد المبروك الغنوي، رسالة ماجستير، 2006 - 2007 م.
25. علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، بسيني عبد الفتاح فيّود، دار المعالم الثقافية، الطبعة الثانية، 1998م.
26. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق، محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، 1383 هـ - 1964م.

27. لسان العرب، للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منصور الأفريقي المصري، دار نوبليس، بيروت، الطبعة الأولى، 2006م.
28. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984م.
29. وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1397 هـ - 1977م.

النصيحة بين الشعر العربي والشعر الهندي

دراسة مقارنة للقصيدتين الزينية وقصيدته رسالة إلى شاب

إعداد:

عزمي عبدالحميد محمد جارالله

كلية اللغة العربية- جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

الاستلام: 2023/5/17

القبول: 2023/6/13

OO

OO

المستخلص:

يتناول البحث دراسة مقارنة، بين قصيدتين لشاعرين، ينتمي كل واحد منهما لقومية مختلطة، والرابط المشترك بينهما قيمة النصيحة، وذلك ضمن الأدب المقارن، المندرج تحت الدراسات الأدبية والنقدية، وبعد مقدمة تم فيها بيان نشأة الأدب المقارن، تم اختيار قصيدتين، للمقارنة بينهما، إحداهما لشاعر هندي، كتب قصيدته باللغة الأوردية، والأخرى لشاعر عربي عباسي، وتمت المقارنة بتحليل القصيدتين من ناحية فنية، وبيان أوجه الاختلاف والشبه بين القصيدتين، وصولاً إلى الخاتمة، وما فيها من نتائج وتوصيات. والله الموفق

Abstract:

This study compares two different national literatures as part of the comparative literature field of literary and criticism studies. The comparison of two poems, one written in Urdu by an Indian poet and the other by an Arab Abbasid poet, was followed by a brief introduction outlining the history of comparative literature. Technically analysing the two poems and highlighting their differences and similarities enabled the creation of a comparison, which resulted in the comparison's conclusion, results, and suggestions.

مقدمة:

النُّصْحُ من الأغراض الشعرية التي نظم فيها الشعراء، على اختلاف مذاهبهم ولغاتهم، وهو من الأغراض التي اهتم بها الشعراء المسلمون، لتقديم النصيح والتوجيه لأبناء الأمة، للابتعاد عن النواهي، واتباع سبيل الرشاد، والنصيحة هي إرادة الخير للمنصوح له، وهي الدعاء إلى ما فيه صلاح الأمور، والنهي والابتعاد عما فيه الفساد⁽¹⁾، وقد اختار الباحث قصيدتين إحداهما باللغة العربية والأخرى باللغة الأوردية، تتناولان غرض النُّصْح، وذلك للمقارنة بينهما ضمن الأدب المقارن.

والأدب المقارن يُعد من العلوم الحديثة التي نشأت، وازدهرت في الآداب الغربية، وهو مفهوم يندرج تحت الدراسات الأدبية والنقدية، ويعتبر فرعاً منها، واختلف الباحثون في وضع تعريف جامع محدد لمفهوم الأدب المقارن، لكنهم اتفقوا على جوهره ومغزاه، وهو المقارنة بين عمليتين أدبيين، يوجد بينهما رابط مشترك، وينتمي كل منهما إلى قومية، أو لغة تختلف عن الأخرى، والمقارنة قد تكون في جانب واحد أو أكثر، قصد الاضطلاع على

(1) ينظر: علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1983م، ص241

مواطن الاختلاف، والتشابه بين الأدبين المراد مقارنتهما، ولهذا النوع من الأدب ميادين كثيرة ذكرت في كتب الأدب المقارن المختلفة، وستعرض نشأة ومفهوم الأدب المقارن ومدارسه في المطلب الأول من مطالب هذا البحث.

وستتناول في هذا البحث مقارنة بين نصين شعريين ممثلين لأدبين مختلفين، أحدهما لشاعر عربي عباسي وهو صالح بن عبد القدوس، كتب قصيدته باللغة العربية، والثاني لشاعر هندي وهو محمد إقبال، كتب قصيدته باللغة الأردية، والرابط بين النصين هو النضج، وهومن ضمن خصائص المذهب الكلاسيكي، إلا أن نضج الشاعر الهندي، موجه للشباب المسلم، ونضج الشاعر العربي، موجه للشباب، وستعرف على مواضع التشابه، والاختلاف في كلا النصين.

سبب اختيار الموضوع:

سبب اختياري لهذا الموضوع هو تسليط الضوء على هذا النوع من الأدب، الذي يربط بين آداب وأفكار الشعوب والأمم، والذي لم ينل حظاً وافراً من الدراسة في أبحاث كتابنا ونقادنا العرب، وقسمت البحث إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول: نشأة الأدب المقارن ومفهومه ومدارسه.

المطلب الثاني: ترجمة الشاعرين.

المطلب الثالث: تحليل أبيات من قصيدة (الزينية) للشاعر العباسي صالح بن عبد القدوس.

المطلب الرابع: تحليل قصيدة (رسالة إلى شاب) للشاعر الهندي محمد إقبال.

ثم الخاتمة وما تحويه من نتائج وتوصيات.

ووسمت هذا البحث بعنوان:

"النصيحة بين الشعر العربي والشعر الهندي دراسة مقارنة للقصيدة الزينية وقصيدة رسالة إلى شاب"

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث: المنهج التحليلي المقارن.

المطلب الأول: نشأة الأدب المقارن ومفهومه ومدارسه:

أولاً: نشأة الأدب المقارن:

ظهرت بدايات الأدب المقارن بتأثر الأدب الروماني قديماً بالأدب الإغريقي، وما نتج عن ذلك من محاكاة للقديم، وبعد الفتوحات الإسلامية، واحتكاك العرب بأداب الأمم الأخرى، ومن ثم حركة الترجمة في العصرين الأموي والعباسي، والتي فسحت المجال لترجمة الكثير من الأعمال الأدبية، الفارسية والهندية واليونانية، والتي بدورها ساهمت في نشأة وازدهار بعض الأجناس الأدبية، ومن ثم تأثر الأدب العربي، بعبء اتصاله بأوروبا، سواء بعد سيطرت المسلمين على الأندلس، أو الحروب الصليبية، أو الاستعمار الأوربي الحديث للبلاد العربية، وأعن طريق حركة الترجمة في عصرنا الحديث، توسعت حركة الأدب المقارن بين الأدب العربي، والأدب الأخرى، بواسطة التأثير والتأثر بين تلك الآداب.⁽²⁾

ثانياً: مفهوم الأدب المقارن:

عرّف فرنسوا جويار الأدب المقارن في كتابه بأنه: "تاريخ العلاقات الأدبية الدولية. من

(2) ينظر: أحمد درويش، نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، بدون طبعة، سنة 2002م، ص 17-18

هنا أن الباحث المقارن يتوقف عند الحدود اللغوية أو الوطنية، ويراقب تبادل المواضيع والأفكار والكتب والمشاعر بين أدبين وأكثر⁽³⁾

وعرفه الناقد الأمريكي هنري ريماك: بأنه " دراسة الأدب بحيث تتعدى حدود القطر الواحد، ودراسة العلاقات القائمة بين الأدب من ناحية وبين مجال المعرفة والمعتقدات الأخرى كالفنون، والفلسفة، والتاريخ، والعلوم الاجتماعية، والعلوم البحتة، والأديان، إلخ، من الناحية الأخرى"⁽⁴⁾.

وعرف محمد غنيمي هلال الأدب المقارن بأنه " يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة، وصلاتها الكثيرة المعقدة، في حاضرها أو في ماضيها، وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير أو تأثر، أيأ كانت مظاهر ذلك التأثير أو التأثر: سواء تعلقت بالأسول الفنية العامة للأجناس والمذاهب الأدبية أو التيارات الفكرية، أو اتصلت بطبيعة الموضوعات والمواقف والأشخاص التي تعالج أو تحاكي في الأدب"⁽⁵⁾

وذكر غنيمي أن كلمة "المقارن" لا يقصد بها هنا المقارنة بمعناها اللغوي، بل المقارنة بمعناها التاريخي، ورأى أن تسمية هذا النوع من الأدب بـ"الأدب المقارن" هي تسمية ناقصة وفيها إضمار، وكان الأولى أن يسمى "التاريخ المقارن للأدب" أو " تاريخ الأدب المقارن"، ورأى أنه لا يُعد من الأدب المقارن ما يُعقد من موازنات بين كتاب من آداب مختلفة، لم تقم بينها صلات تاريخية، حتى يؤثر أحدهما في الآخر نوعاً من التأثير أو التأثر، وبذلك يبان تأثر محمد غنيمي هلال بالمدرسة الفرنسية ويرأى "جون جاك أمبير"⁽⁶⁾

ثالثاً: مدارس الأدب المقارن:

1- المدرسة الفرنسية:

وهي تمثل المنهج التاريخي، فقد بدأت دراسة الأدب المقارن في فرنسا، في أوائل القرن التاسع عشر، وتعد المدرسة الأولى في مجال الأدب المقارن، ويعد كتاب فرنسو جويار الذي صدر عام 1951م بعنوان "الأدب المقارن"، من أهم الكتب التي تناولت مجالات، ومناهج البحث في الأدب المقارن، والاتجاه التاريخي الفرنسي، الذي اتخذ من الأدب الفرنسي محورا تتأثر به الآداب الأخرى، استمر قرابة القرن من الزمان، منذ بداية الخمسينيات، إلى أن جاءت معارضته ونقده من أمريكا، عبر محاضرات أقيمت بعنوان "أزمة الأدب المقارن"، وتشكلت بعد ذلك المدرسة الأمريكية.⁽⁷⁾

2- المدرسة الأمريكية:

وهي تمثل المنهج النقدي، وظهر هذا المنهج، إثر تعقيب الدراسات الأدبية الأمريكية على كتاب الفرنسي جويار، ومن ضمن الانتقادات التي وجهها بعض رواد المدرسة الأمريكية إلى جويار، أنه يتخذ من الأدب الفرنسي محورا تدور حوله الآداب الأخرى، تأثيراً أو تأثراً، وهذه نزعة محورية محلية ضيقة، لا تتماشى مع الطابع العالمي، الذي ينبغي أن يتسم به الأدب المقارن.⁽⁸⁾

(3) ماريوس فرنسو جويار، الأدب المقارن، ترجمة د. هنري زغيب، بيروت، لبنان، منشورات عويدات، الطبعة الثانية، سنة 1988، ص15.

(4) رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، ترجمة د. محمد عصفور، الكويت، الناشر: مطابع الرسالة، بدون طبعة، سنة 1987م، ص317

(5) محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة، سنة 2008م، ص13.

(6) ينظر: محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص14-15

(7) ينظر: أحمد درويش، نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، ص25-28

(8) ينظر: المرجع السابق ص28

وفي هذه المدرسة، تتم المقارنة على أساس الاهتمام بدراسة الأدب، في صلاته، التي تتعدى حدوده القومية، وإيجاد علاقات التشابه، بين الآداب فيما بينها، فالهدف من المقارنة، ليس إثبات التأثير والتأثر فقط، وإنما بلوغ البنية الجمالية والتشكيلية للنص المقارن.⁽⁹⁾

3- المدرسة السلافية:

ظهرت هذه المدرسة في روسيا وبلدان أوروبا الشرقية، وساهمت في تطور الدرس الأدبي المقارن، على جميع المستويات، وهي مدرسة مبنية على أساس إيديولوجي، مرتكز على الفلسفة المادية الماركسية، التي ترفض الفلسفة الوضعية، وتعتبرها فلسفة بورجوازية، وتؤمن هذه المدرسة، بأن هناك علاقة جدلية بين القاعدة المادية التي تمثل البناء التحتي للمجتمع، وبين الثقافة والأدب الذي يمثلها البناء الفوقي، والمدرسة السلافية لها نسق ثقافي، يختلف عن المدرستين الفرنسية والأمريكية، في مفهومهما للأدب المقارن، فهي مدرسة لا تنكر الخصوصية القومية للآداب، لأنها تعبر عن أوضاع واحدة مشتركة بين جميع المجتمعات، ومن أشهر مؤسسي هذه المدرسة المقارن الروسي فيكتور جيرمونسكي.⁽¹⁰⁾

4- المدرسة العربية:

لم يكن للمدرسة العربية منهجها المستقل الذي يميزها عن سابقتها، وإنما كانت متأثرة بالمدارس الأخرى التي سبقتها، واقتصر دورها على الدرس المقارن الذي يهدف إلى تعريف الطالب العربي بالآداب المقارن.

وظهر أول مؤلفين يحملان نفس العنوان: "الأدب المقارن" سنة 1948م، أحدهما لنجيب العقبي، والآخر عبدالرزاق حميدة، إلا أن كتاب العقبي كان أكثر رواجاً من معاصره حميدة، والكتابان متشابهان في كونهما لم يقدماً جديداً في مجال الأدب المقارن، واعتمدا على تقديم الدرس المقارن للطلاب، فالعقبي عرّف مفهوم الأدب المقارن منذ أسطو إلى عصره، وقدم للآداب الفرنسية والإيطالية والإنجليزية وغيرها، كما قارن بين الأنواع الأدبية الفرنسية والعربية، بينما عبدالرزاق حميدة كان كتابه ثمرة نشاطه التعليمي، فهو يحلل التشابهات العامة بين الأشعار العربية والأشعار في الأدبين الفرنسي والإنجليزي، دون مراعاة العلاقات التاريخية، واعتمد طريقة الموازنات الأدبية، ومن بعدهما ظهر كتاب "دراسات في الأدب المقارن" لإبراهيم سلامة عام 1951م، وتميز كتابه بالدقة والرؤية الشاملة في معالجة الظواهر الأدبية، مما يجعله أحد المؤسسين للدرس المقارن، رغم عدم تخصصه في الأدب المقارن، وفي عام 1953م، نُشر كتاب "الأدب المقارن" لصاحبه محمد غنيمي هلال، والذي لاقى كتابه الذبوع والانتشار أكثر من سابقه، فقد طبع سبع مرات، وتميزت كل طبعة بإضافات جديدة، وكان تأثير المدرسة الفرنسية واضحاً على غنيمي وخصوصاً تأثره بفرنسوا جويار، وتناول كتابه تاريخ الأدب في أوروبا، والأنواع الأدبية، وتأثير الآداب الأجنبية والمذاهب الأدبية، وغيرها من موضوعات، وبعد ذلك ظهرت ثلاثة مؤلفات لها قيمتها في مجال الدرس المقارن، للكاتب العراقي صفاء خلوصي، الأول بعنوان "الأدب المقارن"، والثاني بعنوان "فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة"، والأخر بعنوان "الترجمة التحليلية"، وتميز خلوصي بجمعه بين التنظير والتطبيق في مجال الدرس المقارن، وتناول في كتابه "الأدب المقارن" التعريف بالآداب المقارن، وبيان نشأته وأثره في دراسة الأدب العربي، كما تحدث عن المذاهب الأدبية في الغرب.

(9) ينظر: سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن، الناشر: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، سنة 1987م، ص94-95.

(10) ينظر: عبده عبود، الأدب المقارن مشكلات وآفاق، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، دمشق، بدون طبعة، سنة 1999م، ص40-41.

ومن خلال ما سبق يتبين أن المدرسة العربية لم تكن مدرسة مستقلة ذات منهج وتوجه خاص، وإنما اعتمدت على الدرس المقارن والتأثر بالمدارس الأخرى.⁽¹¹⁾

المطلب الثاني: ترجمة الشاعرين:

1- ترجمة الشاعر: صالح بن عبدالقدوس :

هو أبو الفضل صالح بن عبد القدوس البصري، مولى الأزدي، أحد شعراء العباسيين، وله قصائد رائقة جمعها عبد الله الخطيب في البصرة عام 1967م في ديوان شعري نشرته دار منشورات البصري ببغداد، ومن أشهر قصائده القصيدة البائية المعروفة بالزينية، اتهمه الخليفة المهدي بالزندقة، فأحضره إليه، فلما خاطبه، أعجب بغزارة أدبه، وعلمه، وبراعته، وحسن بيانه، وكثرة حكمته، فأمر بإخلاء سبيله، فلما ولى، رده وقال له: ألسنت القائل:

والشيخ لا يترك أخلاقه *** حتى يُوازي في شئٍ رسمه.

فقال: بلى يا أمير المؤمنين، قال: فأنت لا تترك أخلاقك، ونحن حكمنا فيك بحكمك في نفسك، ثم أمر به فقتل، وصلب على الجسر سنة (167هـ).⁽¹²⁾

2- ترجمة الشاعر : محمد إقبال:

ولد محمد إقبال في مدينة سيالكوت، الواقعة في إقليم البنجاب عام 1877م، وهو سليل بيت البراهمة في كشمير، وكان أبوه من المتصوفة، تعلم إقبال في مدرسة إنجليزية في بلده، ثم سافر إلى لاهور، وانضم إلى كلية الحكومة، حيث برز في اللغة العربية، والإنجليزية، ونجح بتقدير امتياز، ثم تخصص في الفلسفة، ونال وساما، وعين أستاذا للتاريخ، والفلسفة، والسياسة في كلية لاهور، ثم أستاذا للإنجليزية، والفلسفة في كلية الحكومة، وشهد بكفائته وعلمه الأساتذة، والطلبة جميعاً، ثم سافر إلى لندن عام 1905م، حيث التحق بجامعة كامبردج، وأخذ شهادة عالية في الفلسفة، وفي الاقتصاد، ودرس آداب اللغة العربية، في جامعة لندن، ثم سافر لألمانيا، وأخذ الدكتوراة من جامعة ميونخ في الفلسفة، ثم رجع إلى لندن، ومن بعدها الهند، واشتغل بالمحاماة، وكان يقضي أكثر وقته في تأليف الكتب، وقرض الشعر، وله عدة دواوين شعرية، في اللغة الفارسية، والأوردية، منها ديوان رسالة الخلود، وديوان هدية الحجاز، وديوان جناح جبريل، وديوان عصا موسى، وقد طبع أول مجموعته الشعري عام 1924م، وتوفي عام 1938م.⁽¹³⁾

أبيات من قصيدة ((الزينية))⁽¹⁴⁾ للشاعر العباسي صالح بن عبدالقدوس

(11) ينظر: سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن، ص201-216

(12) ينظر: أبو العباس شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، الناشر: دار صادر، مج2، بدون طبعة، سنة 1978م، ص492-493.

(13) ينظر: سيد عبد الماجد الغوري، ديوان محمد إقبال، دمشق، الناشر: دار ابن كثير للطباعة والنشر، ج1، الطبعة الثالثة، سنة 2007م، ص19-26.

(14) عبد الله الخطيب، ديوان صالح بن عبدالقدوس البصري، بغداد، الناشر: دار منشورات البصري، سنة 1967م، ص123

البصري

- 01- صرمت حبالك بعد وضلك زينب
والدهم فيه تغير وتقلب
- 02- نشرت ذوائبها التي تزهو بها
سوداً ورأسك كالثغامة أشيب
- *****
- 03- فدع الصبا فلقد عداك زمانه
وازهد فعمرك مر منه الأطيب
- 04- ذهب الشباب فماله من عودة
وأتى المشيب فأين منه المهرب
- 05- دع عنك ما قد كان في زمن الصبا
واذكر مناقشة الحساب فإنه
- 06- واذكر مناقشة الحساب فإنه
لم ينسسه الملكان حين نسيته
- 07- والروح فيك ودبعة أودغتها
وغيروز دنيائك التي تسعى لها
- 08- والليل فاعلم والنهار كلاهما
وجميع ما خلفته وجمعته
- 09- تبا لدار لا يدوم نعيمها
فاسمع هديت نصيحة أولأكها
- 10- والليل فاعلم والنهار كلاهما
وجميع ما خلفته وجمعته
- 11- تبا لدار لا يدوم نعيمها
فاسمع هديت نصيحة أولأكها
- 12- تبا لدار لا يدوم نعيمها
فاسمع هديت نصيحة أولأكها
- 13- فاسمع هديت نصيحة أولأكها
فاسمع هديت نصيحة أولأكها
- *****
- 14- واقنع ففي بعض القناعة راحة
والياس مما فات فهو المطلب
- 15- فإذا طمعت كسيت ثوب مذلة
فلقد كسي ثوب المذلة أشعب

المطلب الثالث: تحليل قصيدة (الزينية) للشاعر العباسي صالح بن عبد القدوس:

في مطلع هذه القصيدة في البيتين الأولين: يفتتح الشاعر قصيدته بذكر محبوبته زينب، وهي عادة درج شعراء العرب عليها منذ العصر الجاهلي، ويبين الشاعر قطع المحبوبة حبل الوصال الذي جمعها، بعد أن تغير الدهر وتبدل، ويعد أن اشتعل الرأس شيباً، حتى أصبح كشجرة الثغامة، في بياض ثمرها وزهرها، بينما المحبوبة لا تزال تزهو بشعرها، الذي لا يزال أسود كسواد الليل الحالِك.

وفي البيت الثالث: دعا الشاعر إلى الانتباه إلى العمر، الذي يجري من غير أن نلاحظه ونظن أننا لا زلنا شباباً، ثم دعا الشاعر إلى الزهد في الدنيا ونعيمها، وبين أن ما ذهب من العمر، هو أفضل وأطيبه، ولم يبق الكثير منه.

وفي البيت الرابع: بين الشاعر أن الشباب إذا ذهب فلن يعود، فوجب أن تنتبه لذلك، ونستثمر عمرنا في الخير، ولا يجب أن نفتر بقوة ونشوة الشباب ونتناسى الكبر، وأوضح أن المشيب والكبر قادمان لا محالة، ولا يمكن الهرب منهما.

وفي البيت الخامس: ينصح الشاعر المخاطبين، بأن يتركوا عاداتهم السيئة التي كانوا يفعلونها وألغوها في شبابهم، وأن يتذكروا ذنوبهم ويتوبوا منها، قبل فوات الأوان.

وفي البيت السادس: ذكر الشاعر بيوم الحساب والجزاء، وأن هذا اليوم لا بد فيه من نيل الجزاء العادل، وأعمال الإنسان مكتوبة لا يغل منها شيء.

وفي البيت السابع: بين الشاعر أننا إذا نسينا أعمالنا في الدنيا، فإن الملكين الموكلان بكتابة أعمالنا لن يغفلا ذلك، وأنهما يسجلان كل أعمالنا، بالرغم من أننا لاهون في الدنيا

ولا تتفطن لذلك.

وفي البيت الثامن: بين الشاعر أن الروح التي بين جنبينا، هي وديعة وأمانة أودعها فينا خالقنا، وأنه لا بد أن يسترد أمانته يوماً ما رغماً عنا، فوجب التفطن لذلك.

وفي البيت التاسع: أوضح الشاعر أن الدنيا التي نسعى إليها ونريد أن ننال منها الحظ الأوفر، هي دنيا تغرنا، وحقيقتها متاع زائل، لن يستمر إلى مالا نهاية، والأخرة هي دار القرار.

وفي البيت العاشر: أوضح الشاعر أن جميع أعمالنا وأنفاسنا تُعدّ وتحسب في الليل والنهار، وهو بذلك يدعو إلى استثمار الوقت واستغلاله فيما ينفع ويُفيد.

وفي البيت الحادي عشر: أوضح الشاعر أن كل ما جمعنا في دنيانا وتعبنا وشقينا لتحصيله، كل ذلك ماله إلى غيرنا بعد موتنا وتركنا للدنيا.

وفي البيت الثاني عشر: بين الشاعر أن هذه الدار، ويعني الدنيا، لا يستمر نعيمها وحسنها، وأن كل ما عليها من عمران، سائر إلى زوال ودمار، فلماذا نتعلق بها وكأنها دار خالدة.

وفي البيت الثالث عشر: الشاعر في هذا البيت، بين أنه عاش طويلاً، ويهدي ثمرة تجاربه التي اكتسبها من الدنيا للمخاطب ولجميع الناس، فهو جرب الدنيا، وعرف حقيقتها.

وفي البيت الرابع عشر: أوصى الشاعر بالقناعة والرضى، ففي ذلك استقرارنا وراحتنا، وأن لا ننظر إلى ما فاتنا من رغباتنا، التي نتحسر على عدم الحصول عليها.

وفي البيت الخامس عشر: بين الشاعر أن الطمع وعدم الرضا بما قسمه الله لنا من الرزق، فكل ذلك سيورثنا ويكسينا المذلة، ولتقوية المعنى، استعان الشاعر بالأمثال المضروبة عند العرب، وضرب مثلاً بأشعب الذي عُرف بطمعه وجشعه.

قصيدة ((رسالة إلى شاب)) باللغة الأردية للشاعر الهندي محمد إقبال:

ایک نوجوان کے نام

ترے صوفے میں افرنگی ترے قالین میں ایرانی
 لہو مجھ کو رلاتی ہے جوانوں کی تن آسانی
 امارت کیا شکوہ خسروی بھی ہو تو کیا حاصل
 نہ زور حیدری تجھ میں نہ استغنائے سلمانی
 نہ ڈھونڈ اس چیز کو تہذیب حاضر کی تجلی میں
 کہ پایا میں نے استغنا میں معراج مسلمانی
 عقابی روح جب بیدار ہوتی ہے جوانوں میں
 نظر آتی ہے اُن کو اپنی منزل آسمانوں میں
 نہ ہو نومید نومیدی زوال علم و عرفان ہے
 امید مرد مومن ہے خدا کے راز دانوں میں
 نہ ہیں تیرا نشیمن قصر سلطانی کے گنبد پر
 تو شاہیں ہے بسیرا کر پہاڑوں کی چٹانوں میں

القصيدة المترجمة للشاعر الهندي محمد إقبال ((رسالة إلى شاب)) (15)
 سَجَادُكَ الْعَجْمِيُّ هَذَا وَالْأَثَاثُ الْإِنْكَلِزِي
 ماذا يبيدك يا عزيزي!
 ماذا تفيدك ثروةً حصلتها *** في مثل أبهة الملوك بذلتها
 أبكي لأجلك يا عزيزي!
 هل ذقت يوماً غبطة الإيمان *** أو بأس حيدر أو رضا سلمان
 ارحم شبابك يا عزيزي!
 سلح الحضارة لا تقاس بذاتك *** أظننها ثمناً لكل حياتك
 أخطأت جداً يا عزيزي!
 المؤمن الصديق سيد ساعته *** ورقى عالمه رقى قناعته
 فاعرف مكانك يا عزيزي!
 لو دبّ روح النسر في قلب الشباب *** لم يبحثوا عن سرهم بين التراب
 إياك تياس يا عزيزي!
 بالياس معرفة الفتى تغتاله ويصيرته *** والمؤمن الصديق برهان الإله سريرته
 فاربأ بنفسك يا عزيزي!
 يا أيها الشاهين عشك ليس في قصر الملوك لو كنت شاهين الجبال حقيقةً ما أمسكوك
 فارجع لعشك يا عزيزي!

المطلب الرابع: تحليل قصيدة (رسالة إلى شاب) للشاعر الهندي محمد إقبال:

الشاعر محمد إقبال، كما هو معلوم شاعر إسلامي، ويظهر ذلك من شعره، ومن بين ذلك قصيدته التي بين أيدينا بعنوان (رسالة إلى شاب)، وهو ينصح الشباب المسلم بعدم الاغترار بالحضارة الغربية.

وفي البيت الأول: أوضح الشاعر للشباب المسلم، أنه حتى لو فرش أرضية بيته بالسجاد الفاخر، وملاً أرجاء زوايا بيته بالأثاث الإنجليزي الأنيق، غالي الثمن، والذي لا يملكه إلا الأغنياء عادة، فكل ذلك لا يفيد، والشاعر بنصحه يدعو إلى عدم تقليد الغرب، والأعاجم في كل عاداتهم، والتي تختلف عن عادات المسلمين، كما لا ننسى أن الشاعر محمد إقبال، عاصر الاستعمار الإنجليزي لبلاده، وربما وفضه للأثاث في البيت الأول بالإنجليزي، هو زجر للشباب عن محاكاة معيشة المستعمر، وعدم الانبهار بها.

وفي البيت الثاني: نصح الشاعر الشاب المسلم بأنه مهما جمع من أموال وثروة طائلة، وأنفقها كما ينفقها الملوك بتبذير وإسراف، فإن ذلك ماله إلى زوال، ثم عقب الشاعر بقوله إنه يبكي ألماً من أجل الشباب، الذين لا يدركون حقيقة الدنيا الزائلة.

وفي البيت الثالث: طرح الشاعر سؤالاً للشباب المسلم بقوله: هل ذقت يوماً حلاوة الإيمان، والتي تغني عن زخارف الدنيا وزينتها؟، ثم يقول: هل ذقت شجاعة حيدر، وقصد الشاعر هل ذقت شجاعة الصحابي الجليل علي بن أبي طالب. رضي الله عنه. إذ كان يكنى بحيدر، وهو اسم من أسماء الأسد، وهل جربت رضا وقناعة الصحابي الجليل سلمان الفارسي، ولعل الشاعر يستدعي إرث الصحابة الكرام في الشجاعة والقناعة، ويدعو الشاب المسلم للاقتداء بهم، ثم يعقب الشاعر بقوله: (ارحم شبابك يا عزيزي)، أي لا تتعب نفسك،

(15) سيد عبد الماجد الغوري، ديوان محمد إقبال، ص 507.

وجسدك في غير طائل، واعمل من أجل الحياة الحقيقية وهي الحياة الآخرة. وفي البيت الرابع: أوصى الشاعر الشاب المسلم، بأنه لا يمكن أن يقيس ذاته، ونفسه بسلع الحضارة الغربية، فهو أكبر شأنًا منها، وأنه بسعيه وراثتها، ودفع عمره ووقته لنيلها، فهو بذلك مخطئ في سعيه ذلك، ولا بد أن يتفطن قبل فوات الأوان.

وفي البيت الخامس: أوضح الشاعر للشباب المسلم، أن المؤمن الصادق المحافظ على وعده، هو سيد وقته ونفسه، وذلك حِزْضٌ من الشاعر، على أهمية الوقت، والوعد في أن معاً، ثم عطف الشاعر بقوله: إن رقي القناعة، هو رقيق في عالمك، ثم بعد ذلك أوصى الشباب، بأن يعرفوا مكانهم، وموضعهم الطبيعي في هذه الحياة.

وفي البيت السادس: ثم نصح الشاعر الشباب، بأن لا ييأسوا وعليهم البحث عن روح المعالي، ففي قوله روح النسر، كناية عن طلب العلو والأمور السامية، وفي قوله: (بين التراب) مقابلة بين العلو، والانخفاض.

وفي البيت السابع: حذّر الشاعر الشاب المسلم، من أن اليأس مهلك لمعرفة الشباب، ومثبط لأحلامهم، ووصفه، بأنه مغتال لبصيرتهم، ثم يؤكد على أن المؤمن الصادق سيرته واضحة كالبرهان الذي أودعه الله في نفوس المؤمنين، ونصح بالنأي عن اليأس والتقنوط، ونلاحظ أن الشاعر كرر في هذا البيت ما ذكره في البيت الخامس، وهو قوله: (المؤمن الصديق)، وفي ذلك توكيد لإبراز هذه الصفة، وتقديرها في نفس المخاطب.

وفي البيت الثامن: أوضح الشاعر أن مكان الشاب المؤمن الحر، ليس في قصور الملوك أو في الأماكن التي تقيد حريته، وإنما محله في المكان أن يجد فيه حريته التي لا يقيدتها أحد، واستعار لهذا المعنى بطائر الشاهين، وهو نوع من الصقور الجارحة التي لا تبني عُشها إلا في أعالي الجبال الشاهقة، ثم قال الشاعر: (ارجع لعشك)، أي عليك أيها الشاب أن تعرف قدرك وتعود لأصلك، ولا ترضى إلا بمعانقة المعالي.

ومن الملاحظ، تكرار الشاعر عند ختام كل بيت لجملة: (يا عزيزي)، وهذا تلطّف من الشاعر في نصحه للشباب، ليخفف بذلك أثر نقده لسلوكهم وتقلّ النصح بصيغة الأمر التي التزمها الشاعر.

من خلال تحليل القصيدتين، نجد أن المعنى العام والرابط المشترك بين القصيدتين هو "قيمة النصيحة"، إلا أنها في قصيدة الشاعر بن عبد القدوس موجّهة إلى الشباب، محذراً إياهم من الاغترار وطول الأمل، وناصحاً لهم بالتوبة قبل فوات الأوان، ومذكراً إياهم بيوم الحساب والجزاء، بينما في قصيدة إقبال كانت النصيحة موجّهة إلى الشباب المسلم، محذراً إياهم من الانبهار بالحضارة الغربية، وناصحاً لهم بالتمسك بدينهم والاعتداء بالصحاب الكرام، وحاشاً لهم بالبحث عن روح المعالي وعدم اليأس.

الخاتمة والنتائج والتوصيات:

تم بحمد الله تحليل القصيدتين ونصل إلى نتائج المقارنة الآتية:

أولاً: وجه المقارنة من الناحية الفنية:

من الواضح تأثر الشاعر الهندي محمد إقبال بمدرسة الإحياء والبعث، والتي عُرف نهجها بالسير على خطى الشعر العربي القديم في بناء القصيدة، كما استحدثت هذه المدرسة الكثير من الأغراض الشعرية، كالشعر الوطني والاجتماعي، وما يدل على تأثر الشاعر إقبال بالتوجه الكلاسيكي في الشعر القديم، التزامه بخصائص هذا التوجه، ومنها السير على خطى القدماء، ونلمس ذلك من نظم الشاعر قصيدته على النهج العربي القديم، ومن ذلك التقييد بالبحور الشعرية المعروفة، والتزام القافية في كامل القصيدة فقد نظم قصيدته الأزدية على بحر الهزج، واستخدام الصور البلاغية والفنية واللغوية في كثير

من أبيات قصيدته، ومن ذلك استخدامه للكناية في قوله: (لو دب روح النسر)، كناية عن طلب العلو والأمور السامية، ثم في نفس البيت ذكر التراب في قوله: (يبحثوا عن سرهم بين التراب)، وهو بذلك قابل بين العلو والانخفاض، وكذلك استعان الشاعر بالاستعارة في قوله: (يا أيها الشاهين عشك ليس في قصر الملوك)، استعارة بلازم سكنى الصقور في أعالي الجبال الشاهقة، كما كرر الشاعر في البيت السابع ما ذكره في البيت الخامس، وهو قوله: (المؤمن الصديق)، وفي ذلك تأكيد لإبراز هذه الصفة وتقريرها في نفس المخاطب، كما استخدم الشاعر العباسي ابن عبد القدوس التشبيه والاستعارة في البيتين الأول والثاني، فقد استخدم الحبل كاستعارة معنوية وذلك في قوله: (صرمت حبالك بعد وصلك زينب)، وأيضاً كنى بالدواهب عن الشعر: (نثرت دواهبها)، واستعار للشيب بشجر الثغام الأبيض، الذي له ثمر وزهر أبيض، وذلك في قوله: (ورأسك كالثغامة أشيب) .

ومن خصائص الاتجاه الكلاسيكي أيضاً العقلانية، فقد ابتعد إقبال عن الانسياق وراء الخيال، وابتعد عن التعابير المبالغ فيها، وكذلك الشاعر ابن عبد القدوس، ومن الخصائص أيضاً التعبير باللغة المحلية وهو ما التزمه الشاعر إقبال بكتابته لقصائده باللغة الأردية المحلية، وأيضاً الشاعر ابن عبد القدوس الذي كتب قصيدته باللغة المحلية العربية، ومن الخصائص الكلاسيكية أيضاً القيم الأخلاقية، وما يجسد ذلك موضوع قصيدة إقبال التي بين أدينا، وهو النصح للشباب المسلم، وأيضاً موضوع قصيدة الشاعر ابن عبد القدوس، وهو النصح للشيب.

وذكر كل من الشعارين اليأس، ولكن ذكره عند الشاعر ابن عبد القدوس كان دعوة لقطع الرجاء والطمع، بينما وظف الشاعر إقبال ذكره لليأس، في النهي عن الوقوع في مغبة القنوط الذي هو معارض لقوة الإيمان، ومعرقل للسان في طريق طلب المعالي.

ومن خلال المقارنة بين القصيدتين، نرى قضية التأثير والتأثر قد تجلت من خلال قضية النصح والإرشاد.

ثانياً: أوجه الاختلاف:

1. اختلاف عصر الشعارين، فالشاعر العربي ابن عبد القدوس من شعراء العصر العباسي (ت 167هـ/جري)، أما الشاعر الهندي إقبال من شعراء العصر الحديث (ت 1938م)، وهو ذو توجه كلاسيكي تأثر بالشعر العربي القديم من جميع نواحيه.
2. اختلاف لغة التعبير، فالشاعر محمد إقبال نظم قصيدته باللغة المحلية للمسلمين في الهند، وهي اللغة الأردية، بينما الشاعر العباسي صالح بن عبد القدوس نظم قصيدته باللغة المحلية العربية.
3. اختلاف سبب الشعارين، رغم وحدة الموضوع، فالسبب الذي دفع الشاعر الهندي محمد إقبال لنظم قصيدته، هو مشاهدته لشباب عصره يتأثرون بالحضارة الغربية، والشاعر إقبال كان معاصراً للاحتلال البريطاني للهند، ولاحظ انبهار الشباب، وخاصة المسلمين منهم، بتلك الحضارة، محاولين محاكاة الإنجليز في طريقة عيشهم وأسلوب حياتهم، متخليين عن حضارتهم وثقافتهم وعاداتهم، أما الشاعر العباسي صالح بن عبد القدوس فإن سبب نظمه لقصيدته، وما فيها من نصح، هو مشاهدته للمسلمين في عصره ينساقون وراء الدنيا وزخرفها وينسون الآخرة وحسابها، وذلك بعد اختلاطهم بالعجم، والانفتاح على الأمم الأخرى، وانتشار اللهو والمجون والترف في العصر العباسي.

ثالثاً: أوجه الشبه:

1. مما هو واضح، تأثير ديانة الشعارين على شعرهما، ويتجلى ذلك في التركيز على القيم الأخلاقية، فكلا الشعارين مسلمين.

2. وحدة موضوع القصيدة، وهو نصح المسلمين والدعوة إلى الزهد، وعدم الاغترار بزينة الحياة الدنيا ومتاعها القاني، من شاعرين مشفقين أصحاب تجربة وخبرة في الحياة.
3. العقلانية وعدم الانسياق وراء نزوات الخيال والتعابير المبالغ فيها.

التوصيات:

نوصي ببحثنا العرب على التركيز والاهتمام بالدرس المقارن، لما له من أهمية وقيمة أدبية عالية، ومحاولة إنشاء مدرسة عربية للأدب المقارن، لها سمتها، وخصوصيتها، التي تميزها عن بقية مدارس هذا الفن.

المصادر والمراجع

1. أبو العباس شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، الناشر: دار صادر، مج2، بدون طبعة، سنة 1978م.
2. أحمد درويش، نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، بدون طبعة، سنة 2002م.
3. رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، ترجمة د. محمد عصفور، الكويت، الناشر: مطابع الرسالة، سنة 1987م.
4. سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن، الناشر: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، سنة 1987م.
5. سيد عبد الماجد الغوري، ديوان محمد إقبال، دمشق، الناشر: دار ابن كثير للطباعة والنشر، ج1، الطبعة الثالثة، سنة 2007م.
6. عبد الله الخطيب، ديوان صالح بن عبد القدوس البصري، بغداد، الناشر: دار منشورات البصري، سنة 1967م.
7. عبده عبود، الأدب المقارن مشكلات وآفاق، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، دمشق، بدون طبعة، سنة 1999م.
8. علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1983م.
9. ماريوس فرنسوا جويار، الأدب المقارن، ترجمة د. هنري زغيب، بيروت، لبنان، منشورات عويدات، الطبعة الثانية، سنة 1988.
10. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة، سنة 2008م.

الصوائت والصوامت الشائعة في ديوان «يسكني»

لشاعر عمر عبد الدائم

وكيفية تدريسها في المناهج التعليمية

إعداد:

أ. فاطمة دين حمد الجهيمي

قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة سبها

القبول: 2023/6/28

الاستلام: 2023/5/19

○

○

المستخلص:

عالج لغويو العرب القدماء ظاهرة الشبوع في الأصوات، الحروف والمفردات والتراكيب منذ القرن الثالث الهجري، وكان الجاحظ رائد هذه الفكرة في التراث العربي الأصيل، وقد ناقشها في حديثه عن مشكلة اللثغة واللكنة عند أرباب الكلام والنحل. وتم اعتماد مبدأ الشبوع التالي وهو: تكرار الصوت أكثر من مرة في الديوان. وهدفت الدراسة إلى: معرفة أكثر الصوائت والصوامت شبوعاً، لتيسير سبل تدريسها لطلاب، ولتستفيد منها مصممو المناهج التعليمية ليستثمروها في المقررات الدراسية؛ لأنها تؤدي إلى سرعة تعلم اللغة وإتقانها لدى الطلاب. وأهم النتائج التي توصل إليها البحث، ما يلي: إن الأصوات الصائتة الأشيع هي: الألف، والياء. والأصوات الصائتة الشائعة هي: الواو، وكانت نسبة شبوعها في الديوان %32 تقريباً. وأن الأصوات الصامتة الأشيع هي: اللام، والتاء، والنون، والراء، والميم، والباء. وإن الأصوات الصامتة الشائعة هي: العين، والظاء، والذال، والكاف، والسين، والشين، والهاء، والقاف، والحاء. وأخيراً الأصوات الصامتة قليلة الشبوع هي: الطاء، والصاد، والجيم، الخاء، والضاد، والتاء، والزاي، والذال، والظاء، والغين، وكانت نسبة شبوعها جميعاً %68 تقريباً. ويجب أن تقدم الأصوات الأكثر شبوعاً فالشائعة قبل نادرة الشبوع وقليلها في التدريس. وعلى المعلمين ألا يتبنوا طريقة واحدة في تعليم الصوائت والصوامت بل أن يتنوعوا طرائق التدريس لكي يصلوا إلى النتيجة المرجوة.

Summary:

The ancient Arab linguists dealt with the phenomenon of prevalence in sounds, letters, vocabulary and structures since the third century AH. Al-Jahiz was the pioneer of this idea in the authentic Arab heritage, and he discussed it in his talk about the problem of lisp and accent among the masters of speech and bee. The following common principle was adopted: the repetition of the sound more than once in the Diwan. The study aimed to: Know the most common vowels and consonants, in order to facilitate ways of teaching them to students, and for educational curricula designers to benefit from them in order to invest them in academic curricula; Because it leads to the speed of language learning and mastery of students. The most important findings of the research are the following: The most common consonants are: alif and yaa. The most common vowel sounds are: waw, and its prevalence in the Diwan was approximately 32%.

The most common silent sounds are Lam, Taa, Noon, R, Meem, and Baa. The common silent sounds are: ain, fa, dal, kaf, seen, shin, ha, qaf, and ha. Finally, the silent sounds that are not very common are: Taa, Sad, Jaim, Khaa, Dhad, Thaa, Zai, Dhaal, Dhaa, and Ghain, and their prevalence was approximately 68%. We must present the most common and common sounds before the rare and few in teaching. Teachers should not adopt a single method in teaching vowels and silences, but rather diversify teaching methods in order to reach the desired result.

المقدمة:

برزت في أوائل القرن العشرين ظاهرة شيوع الأصوات، والكلمات الشائعة، والتراكيب اللغوية الشائعة، واستخدامها في مجال تعليم اللغة ودراساتها. وقام علماء اللغة بالبحث في هذه المسألة، ويجرون بحوثاً ودراسات كثيرة، لتوظيفها في تيسير تعليم اللغة وتعلمها لأهلها وغيرهم من المتعلمين، وأصبحوا يعملون قوائم خاصة من أجل هذا الميدان لكي يبسطوا ويبسطوا تعليم اللغة وتعلمها، خاصة أن تكرار المفردات يفيد في ثباتها وحفظها وتمكينها في عقول التلاميذ والطلاب، وهذا يعبد الطريق على المتعلمين ويبسطها لتعلمها واستخدامها في محادثاتهم ومناقشاتهم وحواراتهم المستعملة⁽¹⁾. ونجد عالم اللغة «عبده» من الذين أبرزوا هذه المسألة في القرن العشرين وعالجوها في منشوراتهم حيث يقول⁽²⁾:

«إن الكلمات الشائعة هي من موضوعات هذا العصر الحديث. وقد ظهر الاهتمام بقوائم المفردات الشائعة في اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات العالمية منذ أوائل هذا القرن (فريز 1950 Fries). وكان من أشهر هذه القوائم: قائمة (ثورندايك Thorndike 1921) التي نشرت في الولايات المتحدة عام 1921. ولقد ظهرت في اللغة العربية قوائم كثيرة كانت أولها: قائمة (بريل عام 1940)، ثم ظهرت قائمة (بيلي Bailey) بعد ذلك بحوالي عشر سنوات. وظهرت بعد ذلك قائمة عاقل عام 1953 م. وفي عام 1959 ظهرت قائمة (لنداو Landau 1959). ولقد أحصوا الكلمات من الصحف اليومية والنثر والكتب التعليمية في كل من الدول العربية التالية: مصر وفلسطين وسورية والسعودية والأردن ولبنان والعراق. وكانت الموضوعات متنوعة وكثيرة في هذا المجال. وإلى جانب قوائم المفردات الشائعة التي أحصيت من المواد المكتوبة، ظهرت قوائم مفردات لغة الأطفال التي استقيت من لغة الأطفال المحكية. وقد كان الهدف الأساسي من دراسة لغة الأطفال معرفة المفردات الشائعة فيها؛ للاستفادة من ذلك في تحسين الكتب المدرسية، ومواد القراءة الإضافية، والحكم على كتب الأطفال المستعملة، ومن هذه القوائم قائمة رضوان، وقائمة الحسون وهرمز 1973 م».

ويرى جاسم، أن ظاهرة الشيوع لم تكن حديثة في علم اللغة الحديث، ولا من بنات أفكار العلماء الأوروبيين في العصر الحديث بل شرحها لغويو العرب منذ القرن الثالث الهجري وما قبله تقريباً، واهتموا بها اهتماماً واضحاً في كتبهم القيمة⁽³⁾، وسنرى لاحقاً ما يؤيد هذا الزعم.

المبحث الأول: يتطرق هذا المبحث إلى الحديث عن الفقرات التالية، وهي: مشكلة

(1) جاسم، جاسم علي. 2015م. المهارات اللغوية ومعايير جودتها. الطبعة الأولى، القاهرة: مركز إحصاء للنشر والتوزيع، وجدة: دار أمجاد حنين للنشر والتوزيع. ص 41 وما بعدها.

(2) عبده، داود عطية. 1979م. المفردات الشائعة في اللغة العربية. الرياض: مطبوعات جامعة الرياض. ص: ب وما بعدها.

(3) الجاحظ. 1998م. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. 1998م. البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. الطبعة السابعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ج 1، ص 22 وما بعدها.

البحث، وأسئلته، وأهدافه، وأهميته، ومنهجه.

مشكلة البحث:

يحاول هذا البحث معرفة أي الأصوات: الصوائت أو الصوامت هي الأكثر شيوعاً في ديوان «يسكنني⁽⁴⁾» للشاعر عمر عبد الدائم، انطلاقاً من الفرضية التالية، وهي أن هناك عشرة أحرف من حروف العربية، لا يكاد يخلو منها اسم شخص، وهي: (ا، ب، ح، ر، س، ل، م، ن، هـ، ي)، لكي نعرف مقدار شيوعها وتكرارها، وذلك لتسهيل تعليم الأصوات للطلاب إذا واجهوا مشاكل في أثناء تعلمها. وقد تناول سيبويه هذه الصعوبات والمشكلات في كتابه حيث يقول⁽⁵⁾: «يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم: الجيم، لقربها منها. ولم يكن من إبدالها بد؛ لأنها ليست من حروفهم. وذلك نحو الجريز، والأجر، والجورب. وربما أبدلوا القاف لأنها قريبة أيضاً، قال بعضهم: قريز، وقالوا: قريق، وقريق» ويبدلون مكان آخر الحرف الذي لا يثبت في كلامهم، إذا وصلوا الجيم وذلك نحو: كوسه، وموزه؛ لأن هذه الحروف تبدل وتحذف في كلام الفرس، همزة مرة وياء مرة أخرى. فلما كان هذا الآخر لا يشبه أواخر كلامهم صار بمنزلة حرف ليس من حروفهم. وأبدلوا الجيم؛ لأن الجيم قريبة من الياء، وهي من حروف البدل. والهاء قد تشبه الياء؛ ولأن الياء أيضاً قد تقع آخرة. فلما كان كذلك أبدلوا منها كما أبدلوا من الكاف. وجعلوا الجيم أولى؛ لأنها قد أبدلت من الحرف الأعجمي إلى بين الكاف والجيم، فكانوا عليها أمضى. وربما أدخلت القاف عليها كما أدخلت عليها في الأول، فأشرك بينهما، وقال بعضهم: كوسق، وقالوا: قريق، وقالوا قريق... فالبدل مطرد في كل حرف ليس من حروفهم، يبدل منه ما قرب منه من حروف الأعجمية».

إذاً، لقد أشار سيبويه إلى هذا الموضوع قائلاً: بأن متعلم اللغة الثانية يبدل الحرف الذي لا يوجد في لفته الأم إلى أقرب حرف له في المخرج. وهذا دليل على أن هناك أصواتاً شائعة في لغة ما أكثر من غيرها، وذلك يجعل تعلم بعض الأصوات أسهل من بعض، ويجب التركيز على الأصوات الأكثر شيوعاً في بداية التعلم لتسهيل تعلم اللغة لدى المتعلمين.

وقد أسهب الجاحظ وأطنب في هذا المجال، وبحث مسألة شيوع الحروف بطريقة دقيقة وعلمية أكثر وضوحاً من سيبويه، وهذا ما سنراه فيما بعد في هذا البحث.

(أ) أسئلة البحث:

يجيب البحث عن الأسئلة التالية:

1. ما الأصوات الأشيع والشائعة والأقل شيوعاً في الديوان؟
2. ما الأصوات التي ينبغي تقديمها وتأخيرها في المقررات الدراسية؟
3. ما الطريقة الناجعة لتعليم الأصوات؟

(ب) أهداف البحث:

يحاول البحث تحقيق الأهداف التالية:

1. معرفة أكثر الأصوات شيوعاً في الديوان، ومحاولة تعميمها والتركيز عليها في أثناء

(4) عبد الدائم، عمر. 2014م. ديوان «يسكنني». ليبيا: منشورات وزارة الثقافة.

(5) سيبويه، 1983م. الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، بيروت: عالم الكتب، ج4، ص305-306. وللمزيد انظر،

- ابن جنى، أبو الفتوح عثمان بن جنى. 1992م. سر صناعة الإعراب. دراسة وتحقيق: حسن هندواي. الطبعة الثانية، دمشق: دار القلم. ج1، ص 35-40.

1. تعليمها قبل الأصوات غير الشائعة.
2. معرفة الأصوات التي يجب تقديمها وتأخيرها في المقررات التعليمية.
3. إثراء مجال علم اللغة التطبيقي عامة، وموضوع شيوع الأصوات خاصة.
4. إجراء بحوث إضافية على فنون الأدب الأخرى لمعرفة أكثر الأصوات شيوعاً، وبناء بنك صوتي يفيد منه مصممو المناهج الدراسية.
5. بيان الطرق الناجعة لتعليم الأصوات.

ج) أهمية البحث:

1. تنبثق أهمية البحث مما يأتي:
تبسيط تعليم الأصوات للطلاب.
2. تسليط الضوء على الأصوات الشائعة في تأليف المقررات التربوية.
3. تذييل تدريس العربية ونشرها واستعمالها في الحياة العامة من خلال الأصوات الشائعة عموماً.

د) منهج البحث:

اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لظاهرة شيوع الصوائت والصوامت في الدراسة. وتم اعتماد عينة مختارة — ديوان يسكنني - لإجراء البحث. ووظفت الباحثة النسبة المئوية في تحليل المعلومات لإحصاء الأصوات. وعبارة أخرى، أن تكرار الصوت في الديوان يقسم على حالات التكرار العامة لكل الأصوات، وبعد ذلك نضربه في مئة، لنستخرج نسبته المئوية. وبمعنى آخر، إن شيوع الصوائت والصوامت يكون من خلال تكرارها أكثر من مرة لدى الشاعر.

والمعادلة التالي تبين الطريقة الإحصائية المتبعة في التحليل:

$$\text{النسبة المئوية \%} = 100 \times \frac{\text{حالات تكرار كل صوت}}{\text{حالات التكرار العامة للأصوات}}$$

$$.10\% = 100 \times \frac{142}{1468}$$

والديوان يتألف من 30 قصيدة، ويقع في 107 صفحات، وهو من الشعر الحر «شعر التفعيلة». وتم تحليل واعتماد أول بيتين مع عنوان القصيدة في التحليل واستخراج عدد الأصوات.

- وهناك عدة ملاحظات ينبغي التنويه إليها في أثناء تحليل الأصوات، وهي:
- عُدَّت الألف والهمزة صوتاً واحداً، نحو: هيا... أطل، فالألف الأولى غير مهموزة عُدَّت مع صوت الألف.
 - عُدَّت همزتا الوصل والقطع، والألف الطويلة والمقصورة مع صوت الألف.
 - عُدَّت «أل التعريف» صوتين مستقلين، الألف صوت، واللام صوت آخر.
 - عُدَّت التاء المربوطة والمفتوحة صوتاً واحداً.
 - عُدَّت الهمزة المكتوبة على الواو أو الياء ألفاً.
 - عُدَّت تنوين مع حرف الألف.

- عُدَّت النون المشددة حرفاً واحداً حسب رسمها الإملائي.
- عُدَّت حركة المد حرفاً واحداً.

المبحث الثاني: يتطرق هذا المبحث إلى الحديث عن أدبيات البحث، وتم توزيعه إلى مطلبين، هما: المطلب الأول: ظاهرة شيوع الأصوات في التراث العربي القديم. المطلب الثاني: الأبحاث السابقة

المطلب الأول: ظاهرة شيوع الأصوات في التراث العربي القديم:

إن ظاهرة الشيوع في الأصوات والمضردات والتراكيب هي ظاهرة موجودة في تراثنا الأدبي القديم، حيث بحثها حيث بحثها اللغويون القدامى بحثاً عميقاً وأصيلاً في كتبهم. ورائد هذه الظاهرة هو اللغوي والأديب الكبير: الجاحظ، وهو أول من بنه إليها، وبيّن أهميتها، واهتم بها اهتماماً ملموساً في بيانه وتبيينه. وأن هذا الموضوع لم يكن جديداً أثبتة في علم اللغة، حيث شرح هذه الظاهرة ووضح أسسها بقوله⁽⁶⁾:

«... يُزَعَم أن هذه الحروف أكثر تردداً من غيرها، والحاجة إليها أشدّ - [الحروف هي: ر، ي، ل، أ] - واعتبر ذلك بأن تأخذ عدّة رسائل، وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم، فإنك متى خضلت على جميع حروفها، وعددت كل شكل على حدة، علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشدّ».

ويضيف الجاحظ إلى ذلك قائلاً⁽⁷⁾: «ولكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين. واستعمال الجرمانية للعين».

وبعبارة أدق، عندما تشيع المضردات، وتترابط، وتتلاحم، وتكون سهلة المخارج، وتنسجم مع بعض، وتكون غير متنافرة فيما بينها؛ فإنها تسير على كل لسان، وكأنها حرف واحد.

ويشرح ذلك الجاحظ بقوله⁽⁸⁾: «وأجود الشعر ما رأيتُه متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً، وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان». ويقول أيضاً: «... وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر، تراها متفقة ملساً، ولينة المعاطف سهلة؛ وتراها مختلطة متباينة، ومتنافرة مستكرهة، تشق على اللسان وتكدؤ. والأخرى تراها سهلة لينة، ورطبة متواتية، سلسلة النظام، خفيفة على اللسان؛ حتى كان البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد».

وهناك جملة من الشروط التي يجب أن تتوفر في ظاهرة شيوع الكلمات والحروف، هي: الاتساق والتألف والتلاحم والسهولة والخفة على اللسان وغير متنافرة البيان. ويوجز الجاحظ ذلك في الآتي⁽⁹⁾:

« فأمّا في اقتران الحروف: فإن الجيم لا تقارن الظاء، ولا القاف، ولا الطاء، ولا الغين، بتقديم ولا بتأخير. والزاي لا تقارن الظاء، ولا السين، ولا الضاد، ولا الذال، بتقديم ولا بتأخير. وهذا باب كبير. وقد يكتفي بذكر القليل حتى يُستدل به على الغاية التي إليها يُجرى».

ويضرب لنا الجاحظ عدداً من الشواهد على شيوع بعض الكلمات والحروف عند بعض الناس الذين يتميزون بالثغّة وغيرها من أمراض اللسان، ويصف لنا لسان واصل بن عطاء بقوله⁽¹⁰⁾:

(6) الجاحظ. المصدر السابق. ج 1، ص 22

(7) الجاحظ. المصدر السابق. ج 1، ص 64.

(8) الجاحظ. المصدر السابق. ج 1، ص 67.

(9) الجاحظ. المصدر السابق. ج 1، ص 69.

(10) الجاحظ. المصدر السابق. ج 1، ص 19-16.

«قال واصل بن عطاء عندما هجاه بشار: أما لهذا الأعمى الملجد المُشَنَّف من يقتله. أما والله لولا أن الغيلة سجيّة من سجايا الغالية، لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه، ويقتله في جوف منزله وفي يوم حفله، ثم كان لا يتولى ذلك منه إلا عقيلي أو سدوسي. وقال إسماعيل بن محمد الأنصاري، وعبد الكريم بن روح القفاري: قال أبو حفص عمر بن أبي عثمان الشمري: ألا تريان كيف تجنب الرءاء في كلامه هذا وأنتما للذي تريان من سلامته وقلة ظهور التكلف فيه لا تظنان به التكلف. مع امتناعه من حرف كثير الدوران في الكلام. ألا تريان أنه حين لم يستطع أن يقول: بشار، وابن بُرد، والمرعث، جعل المشنف بدلاً من المرعث، والملجد بدلاً من الكافر؛ وقال: لولا أن الغيلة سجيّة من سجايا الغالية، ولم يذكر المنصورية ولا المُغيريّة؛ لمكان الرءاء؛ وقال: لبعثت من يبعج بطنه، ولم يقل: لأرسلت إليه؛ وقال: على مضجعه، ولم يقل: على فراشه. وكان إذا أراد أن يذكر البُرّ قال: القمح أو الحنطة. والحنطة لغة كوفية، والقمح لغة شامية. هذا وهو يعلم أن لغة من قال بُرّ، أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة.

وقال أبو ذؤيب الهذلي:

لا دَرَّ دَرِّيَ إِنْ أَطَعْتُمْ نازِلهم قَرَفِ الحَتِي وَعندي البُرِّ مكنوزُ
(القرف: القشر. الحتي: سويق المقل)».

وينبّه الجاحظ إلى موضوع «البيئة»، والتي لها أثر كبير في شيوع المضردات والحروف، في بلد دون غيره. كما أننا نجد الاختلاف في استعمال الألفاظ عند أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر وغيرها من الأمصار.

وهناك جملة من الأسباب لشيوع الكلمات والحروف نذكر منها الآتي:

- يستخف الناس بعض الألفاظ ويستعملونها كثيراً.
 - يستعمل عامة الناس أقل اللغتين في أصل اللغة.
 - وتعد اللُّغة من أسباب شيوع المضردات الأقل فصاحة في اللغة.
- ويوضح هذه الأسباب بقوله⁽¹¹⁾:

«وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها. ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في مواطن العقاب أو في موضع القعر المدقع والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة. والعامّة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الفيث. ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سماوات لم يقل الأرضين. ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعاً. والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال. وقد زعم بعض القراء أنه لم يجد ذكر لفظ النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج. والعامّة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما، وتستعمل ما هو أقل في أصل اللغة استعمالاً وتدع ما هو أظهر وأكثر، ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجود منه، وكذلك المثل السائر.

قال قطرب: أنشدني ضرار بن عمرو قول الشاعر في واصل بن عطاء:

ويجعل البر قمحاً في تصرفه وجانب الرءاء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطراً والقول يعجله فعاذ بالغيث إشفاقاً من المطر

قال: وسألت عثمان البُرّي: كيف كان واصل يصنع في العدد، وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين، وكيف كان يصنع بالقمر والبدر ويوم الأربعاء وشهر رمضان، وكيف كان

(11) الجاحظ. المصدر السابق. ج 1، ص 20-22.

يصنع بالمحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر وجمادى الآخرة ورجب؟
فقال: مالي فيه قول إلا ما قال صفوان:

ملقن ملهم فيما يحاوله جم خواطره جواب آفاق

وأشدني ديسم قال: أشدني أبو محمد اليزيدي:

وخلة اللفظ في الياءات إن ذكرت كخلة اللفظ في اللامات والألف

وخصلة الزاء فيها غير خافية فاعرف مواقعها في القول والضخف

فهذه الكلمات والحروف أكثر تردداً من غيرها عند المصابين بأمراض كلامية غالباً،
والحاجة إليها أشد».

ونجد ابن منظور⁽¹²⁾ أيضاً قد بحث في مسألة الحروف الشائعة، وقسمها إلى ثلاثة أقسام: كثيرة التردد، وهي: أ، ل، م، هـ، و، ي، ن. ومتوسطة التردد، وهي: ر، ع، ف، ت، ب، ك، د، س، ق، ح، ج. وقليلة التردد، وهي: ظ، غ، ط، ز، ث، خ، ض، ش، ص، ذ.

كما أن اللغوي الشهير السيوطي⁽¹³⁾ أشار إلى هذه المسألة عن الحروف الشائعة التي يكثر استعمالها عند العرب «وهي الألف والواو والهمزة». وتطرق كذلك أيضاً الحديث عن التراكيب الشائعة في اللغة العربية: حيث يقول⁽¹⁴⁾: «فإن الكلمة تخف وتثقل بحسب الانتقال من حرف إلى حرف لا يلائمه قريباً أو بعداً، فإن كانت الكلمة ثلاثية فتراكيبها اثنا عشر... فاعلم أن أحسن هذه التراكيب وأكثرها استعمالاً ما انحدر فيه من الأعلى إلى الوسط إلى الأدنى، ثم ما انتقل فيه من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى، ثم من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط. وأما من انتقل فيه من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى، وما انتقل فيه من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى فهما سيان في الاستعمال، وإن كان القياس يقتضي أن يكون أرجحهما ما انتقل فيه من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى. وأقل الجميع استعمالاً ما انتقل فيه من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط».

ونرى العصيلي من علماء اللغة المحدثين الذين تناولوا هذه الظاهرة وأشار إلى أن الأصوات الشائعة في معظم لغات العالم تكتسب قبل غير الشائعة أو قليلة الشبوع، مهما كانت لغة الطفل أو بيئته، أي أن هناك علاقة إيجابية بين درجة شبوع الصوت في لغات العالم، واكتسابه في مرحلة مبكرة في لغة معينة... وتبين لبعض الباحثين أن الصوامت الأمامية المهموسة، والأصوات الأنفية... أكثر الأصوات شبوعاً في اللغات، وأنها تكتسب في مرحلة مبكرة، وأن الصوامت الانفجارية الخلفية (الطبقية) أقل شبوعاً من الانفجارية الأمامية...⁽¹⁵⁾.

وذكر جاسم في بحثه، أنه جاءته رسالة على البريد الإلكتروني؛ حول الحروف التي يكثر دورانها على ألسنة الناس، وهنا نوردتها كما رواها⁽¹⁶⁾: «هناك عشرة أحرف من أصل ثمانية وعشرين حرفاً باللغة العربية، يستحيل أن يوجد اسم لإنسان عربي لا يحتوي

(12) ابن منظور. ب. ت. معجم لسان العرب. القاهرة: المطبعة الأميرية ببولاق. ص.س. وانظر أيضاً:

- خياط، يوسف ومرعشي، نديم. ب.ت. لسان العرب المحيط. بيروت: دار لسان العرب.

(13) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. 1986م. المزهرفي علوم اللغة وأنواعها. شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى بك وغيره. صيدا-بيروت: المكتبة العصرية. ج 1، ص 195.

(14) السيوطي. المصدر السابق. ج 1، 328-329.

(15) العصيلي. 2006م. العصيلي، عبدالعزيز بن إبراهيم. 1427هـ 2006م. علم اللغة النفسي. الطبعة الأولى، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي. ص 226-228.

(16) جاسم، جاسم علي. 2015م. المهارات اللغوية ومعايير جودتها. الطبعة الأولى، القاهرة: مركز إيبصار للنشر والتوزيع، وجدة: دار أمجاد حنين للنشر والتوزيع. ص 41 وما بعدها.

على أحد هذه الحروف، وهي: «ب، س، م، ا، ل، هـ، ر، ح، ن، ي». جَرَّبُوا، ومهما حاولتم لن تجدوا أبداً أي اسم عربي لا يحتوي على أحد هذه الحروف. دققوا فيها قليلاً تجدون الحروف هي آية: «بسم الله الرحمن الرحيم». فسبحان الله العظيم الذي أعجز البشر حتى بالحروف».

وبإيجاز، يبدو لنا من الأهمية بمكان أن نهتم بدراسة مسألة شيوع الأصوات والكلمات والتراكيب، ليفيد منها مصممو المناهج التعليمية من أجل استثمارها وتوظيفها في المقررات الدراسية؛ وذلك لجعل التعلم أيسر وأبسط وأسرع، وكما أنها تساعد الطلاب على الحفظ والتذكر، وأنها تثبت في عقولهم أكثر.

المطلب الثاني: الأبحاث السابقة:

هناك عدة أبحاث تناولت ظاهرة شيوع الحروف/ الأصوات في اللغة العربية، ومنها ما يلي:

دراسة: الخولي، محمد علي. 1990م (17).

قام الدكتور الخولي بإجراء دراسة على مسألة شيوع الأصوات، من خلال اختيار خمسمئة سطر من مئة كتاب حديث النشر، بواقع خمسة أسطر من كل كتاب. وأخذت الأسطر الخمسة من خمسة مواضع مختلفة من الكتاب الواحد، بواقع سطر واحد من كل صفحة من الصفحات (10، 20، 30، 40، 50). وتم اختيار السطر الأول من تلك الصفحات، ولقد روعي أن تكون الكتب متنوعة في موضوعاتها حتى تكون العينات اللغوية غير متحيزة لموضوع معين، ولكي ترتفع درجة تمثيل العينات للغة عموماً، كما روعي أن تكون الكتب بالعربية الفصيحة. وانتهى إلى النتائج التالية:

- أ. تترتب الأصوات العربية تنازلياً حسب شيوعها في النصوص اللغوية كما يلي:
فتححة قصيرة، كسرة قصيرة، ل، فتححة طويلة، ت، ضمة قصيرة، ن، م، ء، ي، ر، و، ع، هـ، ب، كسرة طويلة، د، ف، س، ك، ق، ح، ج، ضمة طويلة، ط، ص، ذ، ث، خ، غ، ش، ض، ظ، ز.
- ب. تترتب الأصوات العربية من حيث كميّات النطق حسب شيوعها تنازلياً، كما يلي:
صائت، وقفي، احتكاكي، أنفي، جانبي، انزلاقي، تكراري، مزجي.
- ج. تترتب الأصوات العربية من حيث مكان النطق تنازلياً حسب شيوعها كما يلي:
لثوي، شفتاني، أسناني، حنجري، حلقي، غاري، طبقي، شفوي، أسناني، بيأسناني، لثوي غاري.

الأصوات المجهورة أشيع من الأصوات المهموسة والصوائت المجهورة أشيع من الصوامت المجهورة.

- د. تترتب الأصوات المهموسة تنازلياً حسب شيوعها، هكذا: ت، ء، هـ، ف، س، ك، ق، ح، ط، ص، ث، خ، ش.
- هـ. تترتب الأصوات المجهورة تنازلياً حسب شيوعها، هكذا: فتححة قصيرة، كسرة قصيرة، ل، فتححة طويلة، ضمة قصيرة، ن، م، ي، ر، و، ع، ب، كسرة طويلة، د، ج، ضمة طويلة، ذ، غ، ض، ظ، ز.
- و. تترتب الوقفيات تنازلياً حسب شيوعها، هكذا: ت، ء، ب، د، ك، ق، ط، ض.
- ز. تترتب الاحتكاكيات تنازلياً حسب شيوعها، هكذا: ع، هـ، ف، س، ح، ص، ذ، ث، خ، غ، ش، ظ، ز.

(17) الخولي، محمد علي. 1990م. الأصوات اللغوية النظام الصوتي للغة العربية. عمان: دار الفلاح للنشر والتوزيع. ص 114-156.

- ح. تترتب الصوائت تنازلياً حسب شيوخها، هكذا: فتحة قصيرة، كسرة قصيرة، فتحة طويلة، ضمة قصيرة، كسرة طويلة، ضمة طويلة.
- ط. الصوائت القصيرة أشيع من الطويلة، وغير المدورة أشيع من المدورة، والعالية أشيع من كل من الوسطية والمنخفضة، والمركزية أشيع من كل من الأمامية والخلفية.
- ي. لقد تطابق تصنيف هذه الدراسة لشيوخ الأصوات مع تصنيف ابن منظور في خمسة وعشرين صوتاً، واختلف عنها في ثلاثة رغم الفروق في المواد اللغوية موضع التحليل.
- ك. يوجد ترتيب ذو دلالة إحصائية بين مراتب الشيوخ للأصوات في هذه الدراسة، ومراتب الشيوخ في كل من دراسة موسى الأولى والثانية.
- ل. توجد علاقة موجبة قوية بين شيوخ الصوت وسهولة نطقه، فكلما كان نطق الصوت أسهل، ازداد شيوخه في معظم الحالات، وكلما كان نطقه أصعب، قل شيوخه في معظم الحالات.

دراسات: موسى، علي حلمي. 1971 م، 1972 م، 1972 م.

أجرى عالم اللغة موسى ثلاث دراسات من أجل إحصاء الجذور الثلاثية وغير الثلاثية في مضردات اللغة العربية كما وردت في معجمي الصحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور. حيث أحصى الحروف الصامتة (الساكنة) في شكلها الكتابي غير المشكول، اعتماداً على جذور الكلمات. ومن النتائج ما يلي: إن حرف الراء حصل على المرتبة الأولى في دراساته، ثم اللام والميم، وكان آخرها شيوخاً هو حرف الذال.

دراسة: جاسم، جاسم علي. 2015 م⁽¹⁸⁾.

كان هدف الدراسة هو: معرفة أكثر الحروف شيوخاً في سورة العلق، وذلك لتسهيل تعليم الأصوات لغير الناطقين بالعربية، ولإفادة مصممي المناهج التعليمية في توظيف الحروف الأكثر دورانا في المقررات الدراسية؛ لأن لها أثراً فعالاً في سرعة تعلم اللغة واكتسابها من قبل المتعلمين. ومن النتائج التي توصل إليها ما يلي: الأحرف الأشيع، هي: أ، ل، ن، ي. والأحرف الشائعة، هي: ت، ر، ب، م، ع. والحروف قليلة الشيوخ، هي: ك، س، ق، هـ، د، و، خ، ذ، ص، ط، ج، غ، ف، ز. وأخيراً، الأحرف التي لم يرد ذكرها في السورة هي: ث، ح، ش، ظ، ض.

أوجه الاختلاف مع الدراسات السابقة:

تختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة، في كونها تبحث في ديوان شعري، وهو ديوان: «يسكنني». أما الدراسات السابقة فاعتمدت على القرآن الكريم، وجذور المعاجم والكتب الحديثة. كما أنها تختلف عن دراسة الخولي أيضاً في أنها لم تبحث في الحركات الإعرابية نظراً لأن الديوان غير مشكول أيضاً.

أوجه الاتفاق مع الدراسات السابقة:

تتفق هذه الدراسة مع الدراسات القديمة في دراسة الأصوات والحروف الشائعة.

(18) جاسم، جاسم علي. 2015م. المهارات اللغوية ومعايير جودتها. الطبعة الأولى، القاهرة: مركز إبداع للنشر والتوزيع، وجدة: دار أمجاد حنين للنشر والتوزيع. ص41 وما بعدها.

المبحث الثالث: المناقشة والتحليل:

يعرض الجدول الآتي حالات تكرار الأصوات التي وردت في الديوان مع بيان نسبة الشيوخ والتكرار.

جدول رقم (1) الأصوات الصائتة والصامتة وتكراراتها والنسبة المئوية

م	النوع	التكرار	النسبة المئوية
1	الصوائت	469	32
2	الصوامت	999	68
المجموع	3	1468	100%

تبين لنا من خلال الجدول أعلاه، أن الصوائت حازت على نسبة 32 % وهي نسبة كبيرة مقارنة مع الصوامت، وهي ثلث النسب تقريباً، وهذا يدل على أهمية الصوائت في تعليم اللغة، وأنه لا بد من تعليمها في جميع الصوامت لكي تسهل عليهم القراءة في أثناء تعلم الأصوات العربية. وبلغت نسبة الصوامت جميعها 68% تقريباً من المجموع الكلي للأصوات، وهي تعادل الثلثين تقريباً.

جدول رقم (2) الصوائت وتكراراتها والنسبة المئوية

م	الصوائت	التكرار	النسبة المئوية
1	أ	279	19
2	ي	116	8
3	و	74	5
المجموع	3	469	32%

تبين لنا من خلال الجدول أعلاه، أن الأصوات الأشيع هي: الألف، والياء. والأصوات الشائعة هي: الواو. واحتل صوت الألف المرتبة الأولى في كلا النوعين: الصوائت والصوامت. وحاز على نسبة 19% تقريباً من المجموع العام للأصوات. وتلاه صوت الياء بنسبة 8% تقريباً، ثم الواو في آخر القائمة، وحصل على نسبة 5% تقريباً.

جدول رقم (3) الصوامت وتكراراتها والنسبة المئوية

م	الصوامت	التكرار	النسبة المئوية
1	ل	142	10
2	ت	102	7
3	ن	91	6
4	ر	82	6
5	م	66	4
6	ب	59	4
7	ع	51	3
8	ف	50	3
9	د	44	3
10	ك	42	3
11	س	37	3
12	ش	36	3
13	هـ	36	3
14	ق	34	2
15	ح	33	2
16	ط	20	1
17	ص	17	1
18	ج	15	1
19	خ	10	0.75
20	ض	8	0.50
21	ث	7	0.50
22	ز	7	0.50
23	ذ	4	0.25
24	ظ	3	0.25
25	غ	3	0.25
المجموع العام	25	999	68%

اتضح من خلال الجدول أعلاه، أن الصوامت الأشيع هي: اللام، والتاء، والنون، والراء، والميم، والباء، وحصلت على نسبة ما بين: 10% - 4% تقريباً.

والصوامت الشائعة هي: العين، والفاء، والذال، والكاف، والسين، والشين، والهاء، والقاف، والحاء، وحصلت على نسبة ما بين: 3% - 2% تقريباً.

والصوامت قليلة الشيوع هي: الطاء، والصاد، والجيم، الخاء، والضاد، والثاء، والزاي، والذال، والظاء، والغين، وحصلت على نسبة ما بين: 1% - 0.25% تقريباً.

مقارنة نتائج البحث الحالي مع البحوث السابقة:

يبين لنا الجدول التالي الأصوات الأكثر شيوعاً، والشائعة، وقليلة الشيع، في كل من الدراسة الحالية والدراسات التي سبقتها.

جدول رقم (4) مقارنة نتائج شيع الأصوات في البحث الحالي والبحاث السابقة

الحالة	الأصوات الأشيع	الأصوات الشائعة	الأصوات قليلة الشيع
الدراسة الحالية	أ، ل، ي، ت، ن، ر، م، ب	و، ع، ف، د، ك، س، ش، هـ، ق، ح	ط، ص، ج، خ، ض، ث، ز، ذ، ظ، غ
دراسة جاسم	أ، ل، ن، ي	ت، ر، ب، م، ع	ك، س، ق، هـ، د، و، خ، ذ، ص، ط، ج، غ، ف، ز
دراسة ابن منظور	أ، ل، ن، ي، م، هـ، و	ت، ر، ب، ع، ف، ك، د، س، ق، ح، ج	ظ، غ، ط، ز، ث، خ، ض، ش، ص، ذ
دراسة الخولي	ء، ل، ن، ي، ت، م، ر، و	ب، ع، هـ، د، ف، س، ك، ق، ح، ج	ط، ص، ذ، ث، خ، غ، ش، ض، ظ، ز

تم اعتماد مبدأ الشيع التالي: وهو أن يتكرر الصوت أكثر من مرة في الديوان. ومن خلال المقارنة أعلاه، بين نتائج الدراسة الحالية ودراسات جاسم وابن منظور والخولي، نستنتج أن نتائج هذه الدراسة تتفق مع الدراسات السابقة وتختلف معها فيما يلي:

مواطن الاتفاق:

الأصوات الأشيع، تتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في أصوات «أ، ل، ن، ي، م، ت، ر»، بالإضافة إلى أن الدراسات السابقة تحتوي على أصوات أخرى غير التي توصلت إليها الدراسة الحالية.

الأصوات الشائعة، تتفق الدراسة الحالية مع نتائج غالبية الدراسات السابقة، في الأصوات التالية، وهي: «ع، ف، د، ك، س، هـ، ق، ح». ويوجد في الدراسات السابقة أصوات أخرى غير هذه التي وجدت في الدراسة الحالية.

الأصوات قليلة الشيع، تتفق الدراسة الحالية مع نتائج بعض الدراسات السابقة في الأصوات التالية، وهي: «ط، ص، ج، خ، ض، ث، ز، ذ، ظ، غ».

مواطن الاختلاف:

الأصوات الأشيع، تختلف نتائج الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في أصوات «ء، ب».

الأصوات الشائعة، تختلف الدراسة الحالية مع نتائج غالبية الدراسات السابقة في الأصوات التالية، وهي: «و، ش».

الأصوات قليلة الشيع، لم يلحظ أي اختلاف هنا في هذه الحالة.

ويمكن أن نعزو السبب في الاختلاف في الأصوات الشائعة إلى طبيعة الديوان والعينة المنتقاة منه.

الخاتمة:

من خلال ما تم عرضه وبيانه وشرحه في الدراسات السابقة، وجدنا أن مسألة الشبوع لم تكن جديدة في علم اللغة التطبيقي، لقد بحثها علماءنا القدماء منذ القرن الثاني للهجرة وما بعده، وإن الجاحظ هو رائد هذا الميدان حقيقة، وقد وضح أسسها، وبسط القول فيها بسطاً وافياً، وتلاه ابن منظور والسوطي وغيرهم من العلماء الكبار. ويؤيد البحث الفرضية التي تم عرضها في مشكلة البحث، وهي أن الأصوات التالية: «ا، ب، ح، ر، س، ل، م، ن، هـ، ي» كانت كثيرة الشبوع وشائعة في البحث.

وقمنا بتقسيم درجات الشبوع في هذا البحث إلى ثلاث مراتب، استناداً إلى تكرار الصوت أكثر من مرة في الديوان؛ لتعرف درجة شبوعه من عدمها. ونوجز ذلك فيما يلي:

- مرتبة الأصوات الصائتة الأشيع، هي: أ، ي، وبلغت نسبة شبوعها هي: 19% و 8% على التوالي، والأصوات الصائتة الشائعة هي صوت: الواو ونسبته 5% تقريباً.
- مرتبة الأصوات الصامتة، ونوجزها في الآتي:

- إن الصوامت الأشيع هي: اللام، والتاء، والنون، والراء، والميم، والباء، وكانت نسبتها ما بين: 10% - 4% تقريباً.
- والصوامت الشائعة هي: العين، والفاء، والذال، والكاف، والسين، والشين، والهاء، والقاف، والحاء، وبلغت على نسبة ما بين: 3% - 2% تقريباً.
- والصوامت قليلة الشبوع هي: الطاء، والصاد، والجيم، الخاء، والضاد، والثاء، والزاي، والذال، والظاء، والغين، وجاءت نسبتها ما بين: 1% - 0.25% تقريباً.

وبإيجاز، يمكننا القول: إن الأصوات التي يجب أن تقدم في المناهج التعليمية أولاً هي الأصوات الأشيع والشائعة أولاً وخاصة في الوحدات التعليمية الأولى، ثم قليلة الشبوع ونادرتها في آخر المقرر التعليمي للطلاب، ويمكن أن يعلم الصوت الصامت مع نظيره الصائت بسهولة النطق به في أول الأمر ثم الصوامت مع بعضها فيما بعد.

وهناك مسألة ذكرها جاسم وأخران، وهي أنه على مصممي المناهج الدراسية، عندما ينوون تأليف الكتب التعليمية؛ يُحذَر أن يطلبوا من الطلاب كتابة عناوين الموضوعات والمحاور التي يرغبون في تعلمها أولاً، ثم يكتبون المحاور أو المقالات عنها، مثلاً: عن بلدانهم ومشاعرهم وعاداتهم وأفراحهم وغيرها، من أجل التعرف على الأصوات والكلمات والتراكيب الشائعة في تعابيرهم الإنشائية، ثم يتم توظيفها واستثمارها في المناهج التي تُعد لهم، وذلك بإعادة صياغتها بلغة فصحة سليمة⁽¹⁹⁾.

(19) جاسم، جاسم علي، والعيد، أميرة عبيد، وجاسم، زيدان علي. 2002م. سلسلة تعليم اللغة العربية للأجانب في المرحلة الابتدائية. 4 أجزاء (كتاب الحروف الهجائية العربية: 93 ص/ مهارة القراءة: 67 ص/ مهارة الكتابة: 67 ص/ كتاب الحساب: 60 ص). كوالا لمبور: إيرلي ليرنر بيليكيشنز.

- جاسم، جاسم علي، والعيد، أميرة عبيد، وجاسم، زيدان علي. 1999م. المحادثة العربية المعاصرة للناطقين بالإنجليزية. الطبعة الثانية. كوالا لمبور: إيه. إيس. نوردين. الصفحات 127.

- جاسم، جاسم علي، والعيد، أميرة عبيد، وجاسم، زيدان علي. 1998م. تعليم المحادثة العربية المعاصرة لغير الناطقين بها، المستوى المتوسط. الطبعة الأولى. 2 جزءان. كوالا لمبور: إيه. إيس. نوردين. الصفحات 58/64.

الطرق الناجعة لتعليم الأصوات:

يقول علماء التربية: ليس هناك طريقة أفضل من طريقة في التعليم، ولكن يفضل التنوع في هذه الطرق لكي لا يمل الطلاب من طريقة بعينها⁽²⁰⁾، وفيما يلي نوجز عدة طرق لتعليم الأصوات: منها القديم ومنها الحديث، وهي:

أ. الطرق القديمة، مثل: الطريقة الأبجدية، والطريقة الألفبائية، والطريقة الصوتية. إن الطريقة الألفبائية، تبدأ بتعليم الحروف بدءاً باسم الحرف: (ألف، باء، تاء، إلخ)، أما الصوتية فتعلم صوت الحرف لا اسمه، مثال: (ب، ت، ث، إلخ). وهذه الطرق تعتمد على تعليم الحرف مجرداً في البداية، ثم تعلمه من خلال المقاطع، وبعدها من خلال الكلمة، وذلك من خلال مهارتي الاستماع أولاً، والحديث ثانياً، في حين تتأخر مهارتنا القراءة والكتابة عن سابقتيهما. مما يستدعي تأخير الطالب في تعلم القراءة والكتابة، وبالتالي يكون بطيئاً فيهما؛ وذلك لأنه في هذه الطرق يكون الاهتمام موجهاً لسماع الصوت ونطقه وتمييزه، والتمكن منه جيداً، أما قراءته وكتابته فليست ضرورية في البداية، وتأتي في مرحلة لاحقة من التعليم.

ب. الطرق الحديثة، ومنها ما يلي: الطريقة الكلية، والطريقة الشفوية السمعية، والطريقة الصوتية للكلمة، والطريقة السمعية اللغوية. وأخذت هذه الطرق في التعليم منحى آخر، وهو: تعليم الحرف من خلال الكلمة، مع الاهتمام بالمهارات اللغوية الأربعة. وبكلمة أخرى، سارت عكس الطرق القديمة، ورأت أن تعليم الصوت من خلال الكلمة وشبه الجملة والجملة، أفضل من تعليمه مجرداً. هذا مع الاستفادة من المهارات اللغوية الأربعة في تعليم الصوت في الوقت نفسه. وأن تعلم الأصوات السهلة أولاً مع حروف المد، ثم الانتقال إلى الصعبة فالأصعب قليلاً قليلاً حتى يتمكن التلاميذ من النطق بها جيداً وسليماً.

المقترحات للأبحاث القادمة:

- يجب أن تنصب الأبحاث القادمة على معالجة المواضيع الآتية:
- دراسة الأصوات الشائعة في الحديث النبوي الشريف.
 - دراسة الأصوات الشائعة في الفنون الأدبية الأخرى كالنثر والمقالة والمسرحية والقصة وغيرها من الفنون.
 - دراسة الحركات الإعرابية الشائعة، (وهنا يذكر جاسم مسألة مضيئة، وهي أن اللغة العربية لغة تنغيمية، لا كما يظن كثير من الباحثين من أنها ليست لغة تنغيمية، فكلمة: «ير» مثلاً، لها معان ثلاثة حسب نطقها وتنغيمها، ير، وير، فزي الأولى: تعني الدقيق، وفي الثانية: تعني العطف على الوالدين، وفي الثالثة: تعني: الأرض الفلاة. وكذلك التاء في كلمة «كتب» كَتَبْتُ، كَتَبْتُ، كَتَبْتُ، كَتَبْتُ، فزي الأولى تعني: أنتَ للمذكر، وفي الثانية تعني: أنتَ للمؤنث، وفي الثالثة تعني: أنا للمتكلم، وفي الرابعة تعني: هي للغائبة⁽²¹⁾).
 - دراسة الجمل الضعية والاسمية الشائعة في القرآن الكريم وغيره من الفنون الأدبية.

(20) جاسم، جاسم علي. 2001م، في طرق تعليم اللغة العربية للأجانب. الطبعة الثانية، كوالا لمبور: إيه إيس نوردين. ص 80 وما بعدها.

- جاسم، جاسم علي، وعثمان، عبد المنعم حسن الملك. 2013م. طرق تدريس اللغات الأجنبية. الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة الرشد. انظر الفصل الرابع.

(21) جاسم، جاسم علي. 2015م. المهارات اللغوية ومعايير جودتها. الطبعة الأولى، القاهرة: مركز إحصاء للنشر والتوزيع، وجدة: دار أمجاد حنين للنشر والتوزيع.

المصادر والمراجع

1. الجاحظ. 1998م. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. 1998م. البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. الطبعة السابعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
2. جاسم، جاسم علي. 2015م. المهارات اللغوية ومعايير جودتها. الطبعة الأولى، القاهرة: مركز إِبصار للنشر والتوزيع، وجدة: دار أمجاد حنين للنشر والتوزيع.
3. جاسم، جاسم علي، والعيد، أميرة عبيد، وجاسم، زيدان علي. 2002م. سلسلة تعليم اللغة العربية للأجانب في المرحلة الابتدائية. 4 أجزاء (كتاب الحروف الهجائية العربية: 93 ص / مهارة القراءة: 67 ص / مهارة الكتابة: 67 ص / كتاب الحساب: 60 ص). كوالا لمبور: إيرلي ليرنر بليكيشنز.
4. جاسم، جاسم علي، والعيد، أميرة عبيد، وجاسم، زيدان علي. 1999م. المحادثة العربية المعاصرة للناطقين بالإنجليزية. الطبعة الثانية. كوالا لمبور: إيه. إيس. نوردين. الصفحات 127.
5. جاسم، جاسم علي، والعيد، أميرة عبيد، وجاسم، زيدان علي. 1998م. تعليم المحادثة العربية المعاصرة لغير الناطقين بها، المستوى المتوسط. الطبعة الأولى. 2 جزءان. كوالا لمبور: إيه. إيس. نوردين. الصفحات 58/64.
6. جاسم، جاسم علي. 2001م. في طرق تعليم اللغة العربية للأجانب. الطبعة الثانية، كوالا لمبور: إيه إيس نوردين. ص 80 وما بعدها.
7. جاسم، جاسم علي، وعثمان، عبد المنعم حسن الملك. 2013م. طرق تدريس اللغات الأجنبية. الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة الرشد. انظر الفصل الرابع.
8. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني. 1992م. سر صناعة الإعراب. دراسة وتحقيق: حسن هندراوي. الطبعة الثانية، دمشق: دار القلم.
9. الخولي، محمد علي. 1990م. الأصوات اللغوية النظام الصوتي للغة العربية. عمان: دار الفلاح للنشر والتوزيع.
10. خياط، يوسف ومرعشلي، نديم. ب.ت. لسان العرب المحيط. بيروت: دار لسان العرب.
11. سيبويه. 1983م. الكتاب. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، بيروت: عالم الكتب. ج4، ص 305-306.
12. السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. 1986م. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى بك وغيره. صيدا-بيروت: المكتبة العصرية. ج1، ص 195.
13. عبده، داود عطية. 1979م. المفردات الشائعة في اللغة العربية. الرياض: مطبوعات جامعة الرياض.
14. العصيلي. 2006م. العصيلي، عبدالعزيز بن إبراهيم. 1427هـ 2006م. علم اللغة النفسي. الطبعة الأولى، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي.
15. عبدالدايم، عمر. 2014م. ديوان «يسكنني». ليبيا: منشورات وزارة الثقافة.
16. ابن منظور. ب. ت. معجم لسان العرب. القاهرة: المطبعة الأميرية ببولاق.

البعد البنيوي التكويني في مصطلحات نجيب العوفي

إعداد:

محسين بنغالاب

باحث في دكتوراه الأدب والمناهج النقدية الحديثة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس- جامعة مولاي إسماعيل - المغرب

القبول: 2023/6/12

الاستلام: 2023/5/14

○

○

المستخلص:

بعد الثورة النقدية المغربية التي أشارت حولها الكثير من الجدل على مستوى الأسلوب والخطاب النقديين، وعلى مستوى المصطلحات الموظفة في الدراسات النقدية، خمدت نار السجال والصخب، وبدأت بوادر التحول تظهر في الكتابات النقدية، وبدأ التغيير يتسلل إلى الخطاب النقدي، وذلك أثرى توظيف المصطلحات النقدية، ونجيب العوفي بعد أن كان ناقدا واقعيا اشتراكيا يتبنى أسلوب الجدل، قلب الطاولة رأسا على عقب، واستوت قراءاته على النص الروائي، وتخلص نسبيا من النظرة الأحادية التي كانت تجبر النص على الخضوع لسلطة المنهج، وأحدث أيضا تغييرا مهما على مستوى استعارة وتوظيف المصطلحات، وقلت نسبة الانتقائية في التعامل مع النصوص، وفي توظيف المصطلحات دون رابط منطقي ومنهجي، وكانت النتيجة تختلف تماما عن البداية النقدية لنجيب العوفي، فكانت نتاج الدراسات أكثر إيجابية، وتساهم في (وعلى) فهم النص الإبداعي.

الكلمات المفتاحية: المصطلح - المنهج - الشخصيات - الزمان - المكان.

Abstract:

After the Moroccan monetary revolution, which aroused a lot of controversy at the level of critical style and discourse, and at the level of terminology employed in critical studies, the fire of controversy and clamor subsided, and signs of transformation began to appear in critical writings, and change began to creep into critical discourse, and this enriched the employment of critical terms, and Najib Al-awfl, after he was a realistic socialist critic who adopts the method of controversy, turned the tables upside down and his readings were based on the narrative text, and he got rid of the monolithic view that forced the text. The result was completely different from the critical beginning of Najib Al-Awfl, and the product of studies was more positive, and contributed to the understanding of the creative text.

Keywords: term - method - characters - time - place.

مقدمة:

ظلت أغلب الدراسات النقدية طيلة السبعينيات متأثرة بالواقعية الاشتراكية، ومغمورة بها؛ لأن بقية المناهج لا تحقق رغبة الدارسين في استخلاص المضامين ومحاكمة النصوص الإبداعية، ونجيب العوفي ظل متمسكا بتصوره الجدلي إلى حدود أواخر السبعينيات، حينما أقر أن "تفاعلا بين النهج البنيوي والشكلاني والمنهج الواقعي الجدلي في إطار نظرية نقدية ناضجة، وهي إمكانية واردة -حسب رأيه- بزيكها ويشجع عليها مشروع لوسيان غولدمان"⁽¹⁾، فهو يرى أن تفاعلا من هذا القبيل كفيلا بأن يحقق ذلك المبتغى الصعب للممارسة النقدية، كميل بأن يعزّز موقع المنهج البنيوي وموقع المنهج الجدلي في أن"⁽²⁾.

ومن هذا الجانب حاول العوفي إعادة قراءة رواية اليتيم من هذا المنظور، وحصرتها في محورين أساسيين، أسماههما: النسق الحكائي المباشر، والنسق الحكائي الضمني. وبرزت البنيوية التكوينية دون أن "يعلن عنها بالحرفية المصطلحية، لكنها سرعان ما تتكشف عن مفهوميها بكيفيات مختلفة تنوب متابها"⁽³⁾، كما برز في هذه الدراسة، فقد فضل توظيف مصطلح "النسق الحكائي المباشر" عوض مصطلح "البنية النصية"، أو البنية الداخلية للنص، وقام من خلاله بقراءة بنيوية للشخصيات، وحبكة الأحداث والعلائق، أما الجانب الذي أسماه البنية الكتيمة الضمنية للنص، أو "النسق الحكائي الضمني"، فهو يعوض به البنية الدالة للنص أو البنية الاجتماعية، التي من خلالها "يصير النص -في هذا التصور المنهجي الجديد- تعبيراً عن "رؤية العالم" (Vision du monde) التي هي ليست وقائع فردية، إنما هي أحداث اجتماعية ترفد رؤى الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها صاحب النص"⁽⁴⁾، وقد ركز في هذا الجانب على دلالة الأشخاص والأمكنة، ومستويات الذاكرة.

والملاحظ في هذا التقسيم أن العوفي وظف مصطلحات سردية صرفة، وركز على بنيتها الداخلية من جانب، ودلالاتها الاجتماعية من جانب آخر، ففي الجانب البنيوي (النصي) من دراسته، أي الذي ركز فيه على الشكل الداخلي للرواية، والذي أسماه المرتكز المعماري، أراد أن يقرأ العروي - على حد تعبيره- "روائيا، وفي حدود النص المكتوب"⁽⁵⁾، ويقول إن "الهدف الذي ستسعى إليه هذه القراءة هو مجرد معاينة النص كما هو، وكشف بعض عناصره المعمارية المكونة له"⁽⁶⁾.

وفي هذه العملية جسد العوفي مفهومين أساسيين في البنيوية التكوينية، سأحاول معاينة المصطلحات التي وظفها، من خلالها، وهذان المفهومان هما: "الفهم (Compréhension)، والشرح (Explication)؛ يظلع الأول بالبنية الصغرى (البنية النصية)، أي: الدراسة البنيوية للنص، بينما يتجاوز الثاني ذلك؛ إذ يضع هذه البنية الصغرى في إطار بنية أكبر هي البنية الاجتماعية المحيطة بالنص"⁽⁷⁾.

(1) نجيب العوفي، درجة الوعي في الكتابة، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، الطبعة 1، 1980، الصفحة 34.

(2) نفس المرجع، الصفحة 34.

(3) يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، الطبعة 1، 2008، الصفحة 150.

(4) نفس المرجع، الصفحة 146 — 147.

(5) نجيب العوفي، درجة الوعي في الكتابة، الصفحة 377.

(6) نفس المرجع، الصفحة 377.

(7) يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الصفحة 146.

المبحث الأول: النسق الحكائي المباشر:

1. اللغة:

يعد مصطلح اللغة من المصطلحات المركزية في السرد الروائي، وله مكانة مهمة في النقد الروائي، على اعتبار أنه الخيط الناظم بين عناصر السرد وأسلوب الكتابة الذي ينتج خطاباً روائياً متجانساً، لكن الحديث عن هذا المصطلح بشكل فضفاض ودون تحديد "يفضي إلى الالتباس والتعميم. وغالباً ما ينتج ذلك عن توصيف خارجي، انطباعي للغة الرواية، فتكون تارة لغة شعرية أو نثرية مسطحة، أو عاطفية أو موضوعية.. وهذه المقاربة تهمل خاصية الشكل الروائي التي تجعل منه كياناً، تتبادل مكوناته التأثير وتتفاعل داخل اللغات، وهو ما يجعل دلالة الكلمات متصلة بالبنية العامة للرواية ولرؤيتها للعالم"⁽⁸⁾.

فاللغة الروائية إذاً ترتبط بالإبداع الروائي من أفضه إلى يائه، وتتداخل بين مكونات الرواية على جميع الأصعدة، وعلى حد تعبير محمد برادة، فإذا "كان صحيحاً أن اللغة معطى سابق على وجودنا داخل مجتمع ما، فإن المبدع يسعى دوماً إلى تخصيص لغته الإبداعية ضمن اللغة السائدة والموروثة وبصراع مستمر معها. والروائي المشدود إلى تغييرات السلوكيات والفضاءات والأزمنة، يتخذ من اللغة الركن الأساس لتلمس هذه التغييرات، التي تترجمها لغة الخطابات المؤطرة، وثقافة المجتمع وصراعاته الاجتماعية"⁽⁹⁾.

ومن هذا المنطلق سوف نطّل على مصطلح اللغة من خلال قراءة العوفي لرواية البيتيم، وسنرصد المحددات التي ربطها بهذا المصطلح في علاقته بالبنية الروائية "ليبتيم"، ونعاين توظيفه لهذا المصطلح وفق خصوصيته المتعددة، والمتنقلة في كل الاتجاهات، باعتباره حاملاً ومحمولاً، على اعتبار أن استيعاب اللغة الروائية وما تحمله من معارف، مكون أساسي وضروري في تقييم النصوص الإبداعية.

إن العوفي يرى أن رواية البيتيم تتعامل "مع قارئها بلغة روائية مرهضة وشاعرية، يراها شجناً داخلياً عميقاً، تقطره الكلمات في وجدان القارئ همساً، ولا تغمر به الأذن جهازاً. ومنذ السطر الأول من الرواية حتى آخر سطر فيها، ظلت اللغة الروائية وفيه لتلك الخصلتين: الرهافة والشاعرية، قريبة إلى البوح الهادئ منها إلى الحديث المرتفع"⁽¹⁰⁾، ويرى أيضاً أن الرواية جاءت "جدولاً رقيقاً من الكلمات والمقاطع، تمضي بالقارئ الهويني عبر مستويات التجربة وفجواتها، متحاشية فرض الهيمنة والتوجيه عليه، متحررة من صرامة البروتوكول الروائي، دون أن تنسلخ أو تضرب عنه صفحا بالمرة، تاركة للقارئ هامشاً واسعاً من الحرية والتلقائية لمعايشة التجربة ومتابعتها.

في هذه القراءة نلاحظ أن العوفي أعاد النظر في أسلوبه النقدي، وبدا أكثر إيجابية وموضوعية حينما حور منظاره النقدي حول النص مباشرة، دون العودة إلى العوامل الخارجية التي أفرزت النص، وهذا معطى جديد سينعكس إيجاباً على قيمة القراءة النقدية، فالخطاب النقدي المغربي منذ أواخر السبعينات، استطاع "أن يعيد النظر في كثير من المظاهر والمصطلحات والتحليلات، وفي طليعتها علاقة الأدب بالواقع والمصطلحات والتحليلات، وعلاقة الإيديولوجيا بالواقع، وعلاقة النص بالإيديولوجيا، ووظيفة الكتابة والنقد"⁽¹¹⁾.

هذا التحول في الخطاب النقدي، الذي برز في قراءة العوفي، جعله يتراجع عن أسلوبه السجالي، ويتخلى عن سلطته النقدية، ولو بشكل نسبي، وبذلك أصبحت قراءته للنصوص تختلف عن سابقتها من دراسات، وأصبح خطابه يمزج بين دراسة الشكل والمضمون،

(8) محمد برادة، الرواية ذاكرة مفتوحة، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة 1، 2008، الصفحة 113.

(9) محمد برادة، الرواية العربية ورهان التجديد، الصفحة 54.

(10) نجيب العوفي، درجة الوعي في الكتابة، الصفحة 375.

(11) محمد برادة، فضاءات روائية، وزارة الثقافة، الرباط، الطبعة 1، 2003، الصفحة 200.

وهذا يبدو واضحاً في القراءات اللاحقة له، التي سمت بهذا الطابع القريب من البنيوية التكوينية.

وفي هذا الصدد اعتبر "النزعة التأملية.. في الرواية والطابع شبه الأوتوبيوغرافي..، كسراً من حدة الخطاب الروائي ومنطقيته ونثره نثراً شعرياً مرهفاً وانسيابياً، سواء على مستوى نعومة سلاسة الجملة مبنى ومعنى، أو على مستوى سيولة وتدقيق المقطع، أو على مستوى المنظور الفكري والفني للرواية ككل"⁽¹²⁾،

ويرى أن "هذه المرونة اللغوية في الرواية قد تلامس شفاف القارئ وتكتسب الفتنة، وقد توحى له للوهلة الأولى بخفة محمل الرواية وبساطة محتواها... وتمتد أمامنا جدولا من الأفكار والمشاعر والذكريات تترقق ولا تلتطم. فالبوح هنا يختزل كل إمكانيات الصراخ والجدول يخفي صخب النهر ودققه. إن السطح اللغوي المرهف والشاعري في رواية اليتيم، إذن، يكتب نبضاً حاراً وحركة متوترة، هما انعكاس ونتاج لنبض وحركة الفكر في اشتباكه، وحواره مع نبض وحركة الواقع الذي يراد السيطرة عليه"⁽¹³⁾.

إن مصطلح اللغة بالنسبة للعوفي يرتبط بما تعكسه الرواية من أفكار ومشاعر، التي جسدتها لغة الرواية عبر مرونة اللغة وتنوعها في الإلقاء، ولم يربط المصطلح بما هو خارج عن الرواية، الشيء الذي قربه أكثر من إبداعية الرواية، وأبرز جمالياتها من التعبير اللغوي، وبالتالي تم الكشف عن جانب من الجوانب الفنية للرواية، يراعي خصوصيتها الإبداعية.

2. الشخصيات:

بعد أن كان العوفي يعد مصطلح الشخصيات رديفاً للمؤلف، أو صورة من صور حياته التي تعكسها الشخصيات، أصبح في هذه الدراسة، يحمل خصوصيته التي تُعرّف من خلال الأصوات المعبرة عن ذاتها في الرواية، ولا شيء غير الرواية، وكان المنطلق في دراسة هذا المصطلح، منطلقاً بنيوياً، باعتباره عنصراً أساسياً داخل الرواية، وهذا أمر مهم يساعد أكثر في فهم الشخصيات، من خلال أصواتها وليس من خلال القوى الفاعلة التي تحركها.

وفي هذا الباب يرى العوفي أن الأصوات والشخصيات تتعدد وتنوع "في رواية اليتيم، إذا قيست بحجمها الذي لا يتجاوز المئة صفحة. وعلى الرغم من أن الرواية تمثل، في العمق، عزفاً بصوت منفرد ويمتد في الرواية عبر مقاطعها ظلاً وارفاً ومهيماً، إلا أنها أفسحت المجال لكورس من الأصوات، ليضيف إيقاعات تكميلية أخرى لمعزوفات الرواية. الشيء الذي يجعل عالم الرواية قريباً من العوالم الروائية عند كل من (غلاب ومبارك ربيع والحبابي)، منها إلى العوالم الروائية عند بعض روائيينا الشبان (محمد زفزاف، أحمد المديني، عز الدين التازي، سعيد علوش)"⁽¹⁴⁾.

سواء أقمقنا مع رأيه هذا أم اختلفنا، فهو يعد متقدماً في تعامله مع مصطلحات الشخصيات والأصوات، مقارنة مع باقي الدراسات السابقة، التي كان يربط فيها الشخصيات بعناصر خارجية، ويحاكمها، ليس باعتبارها مكوناً روائياً، بل "بوصفها ذاتاً فردية أو جوهرًا سيكولوجياً"⁽¹⁵⁾، فقد تجاوز هذه الانطباعات الجدلية، ولو بشكل نسبي، وأصبح يفسح المجال أمام النص ليحدثنا عن نفسه، دون الاستعانة بأدوات خارجية، والبحث عن يتحمل المسؤولية لكي تتم محاسبته.

(12) نجيب العوفي، درجة الوعي في الكتابة، الصفحة 375.

(13) نفس المرجع، الصفحة 375 - 376.

(14) نفس المرجع السابق، الصفحة 378 - 379.

(15) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء - الزمن - الشخصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة 2، 2009، الصفحة 210.

وفي ضوء هذه القراءة قسّم الشخصيات في رواية اليتيم إلى قسمين، أسماها "مجاور شخصية حاضرة ومجاور شخصية مستحضرة...، الشخصيات الحاضرة في الرواية التي تشخص فيها وجودا فوريا مباشرا...، والشخصيات المستحضرة في الرواية التي تشخص فيها وجودا ارتجاعيا وغير مباشر..."⁽¹⁶⁾، وبحسب أهمية التأثير الذي تمارسه الشخصيات- حسب رأيه- على السياق الروائي، وقيمة الأدوار التي تضطلع بها"⁽¹⁷⁾، قسّم الشخصيات إلى شخصيات محورية وثانوية، وأخرى مجهرية.

فالعوفي في هذا التصنيف لم يظن إلى مسألة مهمة، هي أن العروي، انضرد بأسلوب خاص في عرض شخصيات روايته، يميزه عن باقي الروائيين، وهذا أمر مسلم به، "فقد لجأ جميع الكتاب إلى تقنيات مختلفة لتقديم الشخصيات إلى القارئ، فهناك من جهة، الروائيون الذين يرسمون شخصياتهم بأدق تفاصيلها، وهناك من يحجب عن الشخصية كل وصف مظهري، ومن جهة أخرى، هناك من يقدم شخصياته بشكل مباشر، وذلك عندما يخبرنا عن طبائعها وأوصافها، أو يوكل ذلك إلى شخصيات تخيلية أخرى، أو حتى عن طريق الوصف الذاتي الذي يقدمه البطل عن نفسه **Auto-déscription**، كما في الاعترافات..."⁽¹⁸⁾

فالعروي ترك المجال مفتوحا أمام مخيلة القارئ، كي يرسم بطريقته الخاصة ملامح الشخصيات، ويساهم في عملية البناء الروائي، ويصبح فاعلا في عملية الخلق والصنعة الروائية، الشيء الذي انتقده العوفي، ليعتبر "الشخصيات المتنوعة والمتفاوتة الحجم، الحاضرة المستحضرة، المحورية والثانوية والمجهرية، لا تحفل الرواية بتسليط الأضواء الكافية عليها من الخارج، لا تحفل بموضوعة حسية وشخصية، ولا ترسم ملامحها وهوياتها الخاصة، على النحو الذي يجعل لها صورا انطباعية محددة وواضحة في مخيلة القارئ. إنها كيانات ورقية باهتة أكثر منها كيانات ممثلة وحية، ذات خصائص وسمات متميزة"⁽¹⁹⁾.

من خلال هذا الحكم، فالعوفي يرى مصطلح الشخصيات في الصورة التقليدية، التي تجسد الشخصية واضحة المعالم وبارزة المواقف، تجعل القارئ يحكم عليها بسهولة، وهي شخصية تتسم بكثير من السمات والصفات، الشيء الذي تناقض، نوعا ما، مع طبيعة الشخصيات في رواية العروي، التي برزت بصورة أقرب إلى الشخصيات المركبة التي يتطور الصراع داخلها، وتصارع الظروف بأسلوبها الخاص.

غير أن العوفي فطن في الأخير إلى تلك الخصوصية، التي تتكون من خلالها الشخصية داخل الرواية، الخصوصية التي تمنح الشخصية سلطة روائية، تجعلها لا تفصح عن نفسها إلا بعد جهد عسير في القراءة، والعوفي يرى أن "الرواية تلتزم الحياد في هذا الجانب وتقتصد في التعرية، وتحاول بناء الشخصية من الداخل، تتركها لتتّم عن هوياتها ومعادنها، من خلال أحاديثها وتصرفاتها ورواها، وقليل ما تمسك بنواصيها وتحاول اقتحامها وتأمّلها من الخارج. وحين تفعل ذلك، فبواسطة عين روائية ذات حيادية وصفية وفوتوغرافية واضحة.. ولأن الرواية رواية الشخصية بالدرجة الأولى، رواية تأملية ذات إيقاع أوتوبوغرافي؛ فقد نابت العين الباطنية عن العين الخارجية. وحلت لغة الإحساس محل لغة الحواس"⁽²⁰⁾.

بناء على ما سبق، وبغض النظر على المواقف المتباينة في قراءة شخصيات رواية العروي، فالعوفي، في توظيفه لمصطلح الشخصيات، تخلص نسبيا من الانتقائية التي كانت

(16) نجيب العوفي، درجة الوعي في الكتابة، الصفحة 379.

(17) نفس المرجع، الصفحة 379.

(18) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء - الزمن - الشخصية، الصفحة 223.

(19) نجيب العوفي، درجة الوعي في الكتابة، الصفحة 379.

(20) نفس المرجع، الصفحة 380.

تطبع علاقته بالمصطلحات، إلى خصوصية المصطلح ودوره في علاقته بالنص ووظيفته النقدية، وأصبح الموقف النقدي بفضل ذلك إيجابياً، وموضوعياً نسبياً، أعاد القيمة الجمالية والفنية للنص المدروس، بعيداً عن السلطة الخارجية التي تحاول فرض الهيمنة على النص وتحاكمه، وبعيداً عن حشو المصطلحات بالدلالات المبتورة، وتقييدها بمفاهيم غير سليمة.

إن هذه الظفرة النوعية في إعادة الاعتبار إلى مصطلح الشخصيات، وجعله مصطلحاً قائماً بذاته، باعتبارها عنصراً من عناصر السرد الروائي، يستقل عن الدلالات الخارجية، قيمة مضافة لهذا النقد، ستساهم حتماً في تطويره، ما دام يضع المصطلحات في أماكنها السليمة، ويوظفها بطريقة توافق خصوصية الرواية، فالمصطلحات النقدية ليست قوالب جاهزة، توظف بشكل ميكانيكي، بعيداً عن الحقل الذي وجدت له، فكل مصطلح يوافق الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه، ونقله يستوجب عملية معقدة، تحترم شروط وخصوصية كل حقل معرفي.

3- حبكة الأحداث:

يعد مصطلح الحبكة من المصطلحات المركزية في السرد الروائي، باعتباره الناظم بين شبكة العلاقات بين الشخصيات والأحداث والأزمنة والأمكنة، في إطار علاقات متداخلة، فالحبكة هي "ترتيب سلسلة الوقائع والمواقف في النص السردى، وفق النظام الذي يرتضيه المؤلف، وليس عبر النظام الزمني بالضرورة"⁽²¹⁾، وبما أنها تكتنف هذا الدور الرئيسي في عملية الربط والوصل، خصص لها العوفي حيزاً في إعادة قراءته لرواية اليتيم، وسلط الضوء من خلالها على أهم الأحداث التي طبعت الرواية، وما يهمنها في هذا الجانب، هو الكيفية التي تصور بها العوفي مصطلح الحبكة في علاقته بالأحداث والوقائع داخل الرواية، إضافة إلى طريقة توظيف هذا المصطلح من باب الكشف عن مظاهر التطور والتغيير، لا من باب المساءلة والمحاسبة.

إن الحبكة بالنسبة للعوفي، هي تلك التي تبحث في "نسيج الأحداث والعلائق، الذي يشبك خيوط الحوار الشخصية المشار إليها وغير المشار إليها"⁽²²⁾، بهدف الكشف عن "الناظم الذي يربط فيما بينها"⁽²³⁾، فهو يرى أن الشخصية الرئيسية هي الرابط بين بقية الشخصيات والأحداث والزمان والمكان، وبدونها في نظره "ستبدو الرواية شبيهة بحملة تعارف تنكزية، وتغدو الشخصيات شتاتاً متنافراً من الوجوه وكورسا هجيناً من الأصوات، كما ستغدو الأحداث بالتالي، مبعثرة ومفككة الأوصال"⁽²⁴⁾، ففي نظره يرى أن هناك "خيوطاً سريرية يسري داخل شبكة الأحداث والعلائق، ويحررها من قوانين المكان والزمان. هناك ناظم ذاتي وذهنى يقوم مقام الناظم الموضوعي والواقعي. هذا الخيط السريري وهذا الناظم الذاتي يمثلان في مركز الرواية، إدريس، الذي تلتحم به الأحداث والعلائق وتكتسب بواسطته عليّة ومعنى، هذا إذا نظرنا إلى الرواية نظرة كلية وعمامة، وقرأناها قراءة سيميوتية واسترسالية."⁽²⁵⁾

من خلال هذه القراءة نلمس بعض المعالم التي تمثل تصور العوفي لمصطلح الحبكة، أو إن شئنا القول، فهو يقصد به الرابط، أو أداة الوصل التي تصل بين عناصر الرواية، وفي مقدمتها الشخصيات التي تكاد تكون متناقضة، ولا شيء يجمع بينها سوى الشخصية الرئيسية، من خلال شبكة العلاقات التي تربطها بها، وبدون تأثيرها ستفقد الرواية بوصلتها،

(21) يوسف حطيني، مصطلحات السرد في النقد الأدبي، الصفحة 84.

(22) نجيب العوفي، درجة الوعي في الكتابة، الصفحة 381.

(23) نفس المرجع، الصفحة 381.

(24) نفس المرجع، الصفحة 381.

(25) نفس المرجع، الصفحة 381.

والكيفية التي تمت بها مناقشة حبكة الرواية فيها نوع من الانحياز غير المعلن إلى شكل من أشكال العلاقات التي تجسدها الحبكة، غير الذي بدا في رواية العروي.

ووفق تصوره هذا للمصطلح يرى أن النظر إلى الرواية "كنسق معماري ذي بنيتين متداخلتين، بنية أفقية وبنية عمودية، فإن شبكة الأحداث والعلائق ستنقسم تبعاً لذلك إلى شبكتين متداخلتين، شبكة تنسج خيوطها أفقياً، ويمكن فهمها في حد ذاتها وقراءتها كسيناريو متتابع، وشبكة تنسج خيوطها عمودياً ولا يمكن فهمها في حد ذاتها، وتقرأ كسيناريو متقاطع"⁽²⁶⁾.

وشبكة العلاقات هذه في الرواية يحصرها العوفي في فضاءات مكانية وزمنية، تحركت فيها شبكة الأحداث التي يرى أنها "تبتدئ بعلامة استهها م... وتنتهي بعلامة استهها م...، وتتحرك نفسياً في اتجاه مسدود...، وتتحرك شبكة الأحداث والعلائق العمودية الالمباشرة جغرافياً عبر مجال أكثر اتساعاً (المغرب، فرنسا، إيطاليا، أمريكا)، كما تتحرك تاريخياً عبر زمنين، زمن أرشيضي وزمن وهمي. زمن الذاكرة وزمن الحلم، وإن كان الزمن الأول هو الغالب. ومن ثم تتبعثر خيوط الأحداث والعلائق على نحو اعتباطي مشتت وفقاً لتبعثر وتشتت المحاور الشخصية"⁽²⁷⁾.

بغض النظر عن طبيعة الحبكة التي حاول العوفي كشفها، التي يرى أنها شبكة من الخيوط المشتتة المكونة من مجموعة من الحكايات، فارتكازه في كشف العلاقات بناء على النص في ذاته، بعيداً عن سلطة تحاكم النص، أبرزت تلك العلاقات وفق أنماط لم يكن بإمكانه الكشف عنها، لو لم يوجه نظاره نحوها مباشرة، ليساهم ذلك في إظهار خصوصية الرواية الإبداعية التي تمثل لونا من ألوان الكتابة الروائية، التي تستحق من الدارس الإلمام بها، وفق ما تتيح له من إمكانات.

ولولا هذه الرؤية الجريئة في التعامل مع النص، باعتباره ذاتاً مستقلة، ما كان للعوفي أن يوظف مصطلحات السرد الروائي التي ترتبط أساساً ببنية الرواية، ومصطلح الحبكة من ضمن هذه المصطلحات التي تعنى بتحديد وظائف وعلاقات النص الداخلية، وبه استطاع استخلاص أن الأحداث والعلاقات في الرواية "أكثر تنوعاً ودينامية والتباساً من الشبكة الأولى. فتخففت الرواية من عبء القوانين الروائية، وأطلقت العنان لذاكرتها على الطريقة الجويسية والبروستية، واتسع الفضاء الوجداني والفكري باتساع الفضاء الجغرافي والتاريخي، وبتباين وتداخل الأصوات. وتنوعت تربيها على ذلك مستويات وطرائق الخطاب الروائي، تبعاً لموضوع التخاطب، ووفق الهاجس الداخلي واللحظة الانفعالية والفكرية في حالة الحوار المغلق والسرد المباشر. وأصبحت الحبكة الفنية مندغمة ومنصهرة في الحبكة النفسية"⁽²⁸⁾.

بناء على كل ما سبق نلاحظ أن مصطلح الحبكة، كما باقي المصطلحات السردية، أخذ حيزاً مهماً في نقد العوفي، وساهم في إبراز أحد أهم الجوانب الفنية في رواية العروي، وتخلص نسبياً من الانتقائية المصطلحية التي كانت تمنح السيطرة للمصطلح الواقعي، وتقحم مصطلحات لا تنتمي للحقل النقدي والأدبي، وبفعل تجاوزها وتوجيه المنظار النقدي نحو خصوصية النص الروائي، بعيداً عن كل سلطة خارجية تحجب إبداعية الرواية، أصبحت هذه الأخيرة تجود بما لا حصر له من دلالات وأبعاد متعددة ومتنوعة، ما كان لها أن تكشف لو لم يعد النقد إلى سكوته الحقيقية.

(26) نفس المرجع السابق، الصفحة 381-382.

(27) نفس المرجع، الصفحة 383.

(28) نفس المرجع، الصفحة 384.

المبحث الثاني: النسق الحكائي الضمني:

1- دلالة الأشخاص:

إن مصطلح الشخصيات ليس مكونا سرديا ثابتا يمكن حصره في دلالة محددة، وإنما هو مصطلح يحمل سمات متعددة ودلالات لا حصر لها في سياقات مختلفة، يمكن أن تتيح الكثير من إمكانات السرد المتعددة والمتنوعة، فالشخصية ليست "تابعة للحدث أو منفصلة به، وإنما هي-جزء مكون وضروري لتلاحم السرد"⁽²⁹⁾، والموقع الروائي هو الذي يحدد الصفات والانفعالات التي تطبع تلك الشخصية، "فالمؤلف يسند إلى شخصياته رتبة محددة، حين يجعل منها شخصيات رئيسة وأخرى عابرة. وهذه الضرورة الشكلية أصبحت من القوة، بحيث إن القارئ يبحث بالفطرة عن هذه التراتبية بين الشخصيات"⁽³⁰⁾، لكن المهم في الرواية ليس "ما تمثله الشخصية في العالم، ولكن ما يمثله العالم بالنسبة للشخصية، وما تمثله الشخصية بالنسبة لنفسها"⁽³¹⁾.

وبرغم القفزة النوعية التي حققها العوفي فإنه لا يزال يخلط بين الإبداع الروائي وصاحبه، برغم محاولته إضمار ذلك، ونلمس هذا في ربطه بين ندرة الشخصيات في رواية البيتم وبين موقف العروي في كتابه الأيديولوجية العربية، على اعتبار أن العروي يمثل البورجوازية، وأن "الأوساط المغايرة للبرجوازية هي أوساط تخومية، غير مركزة، ويدخل الروائيون إليها دخولات عابرة سريعة، لكنها لا تكون أبدا دعامة للرواية. وهي تخدم على الأكثر في تحديد أطراف الدائرة في الرواية. ذلك لأن هذه الأطراف تتلقى بنية ووتيرة هذه البؤرة المركزية وشكلها الأساسي... إن موضوع الرواية المفضل هو الكشف عن بنية اجتماعية غير تجربة فردية، وعن نجاحاتها وإخفاقاتها المباشرة أو غير المباشرة"⁽³²⁾.

بناء على هذا الصورة التي أفرزت الرواية، وعلى حد تعبير العوفي، بدت الأطراف والمحاور التخومية في الرواية واهية المواقع باهتة السيماء ذات حضور عرضي عابر، إذا قيست بإدريس ومارية، كأقنوم محوري مزدوج، وبإدريس على نحو خاص، كبطل أول للرواية ومفتاح أساسي لها. ومن ثم يمكن اعتبار المحاور الأخرى، ثانوية كانت أم مجهرية، حاضرة أم مستحضرة، مجرد هوامش وظلال محيطية تسبح حول المركز ومفاتيح صغرى للرواية"⁽³³⁾.

وبغض النظر عن موقف العوفي من طبيعة الشخصيات وطريقة توزيعها، نلاحظه يوظف مصطلح المحاور أو المحاور الشخصية، عوض مصطلح الشخصية/الشخصيات، وهذا الانفراد في اختيار الألفاظ لمعاني ودلالات المصطلحات، ليس في التميز من شيء، سوى أنه يسقط القارئ في الالتباس وعدم التمييز بين المصطلحات، لا سيما أن مصطلحات النقد ليست في حاجة إلى الاضطراب وعدم الضبط؛ لأن كل انزياح عن سكة النقد، يزيد من أزمته، ويعيد خلط الأوراق ويعيق حركته.

هذا من جهة، أما من جهة الدلالات التي تحيل عليها الشخصية/الشخصيات في نظر العوفي، وتجسدها شخصية إدريس، فهو بالنسبة إليه يمثل "في الرواية القيم الطهرانية والأصيلة في مجتمع يفتقدها، ويسبح ضدها في مدار خارج عن جاذبيتها. يمثل الوعي

(29) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الصفحة 209.

(30) Georges Lukacs : Problèmes du réalisme, Edition L'arc, 1975, page 90.

(31) Mikhaïl Bakhtine : La poétique Dostoïevski. Editions seuil. 1970. Page 282.

(32) عبد الله العروي، الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ترجمة محمد عيتاني، دار الحقيقة، بيروت-لبنان، الطبعة 1، 1970، الصفحة 277.

(33) نجيب العوفي، درجة الوعي في الكتابة، الصفحة 386.

الصافي ضمن واقع يرتع في الخطايا ويتنفس هواء التخلف"⁽³⁴⁾، وكأنه بطل يقوم "بالبحث عن قيم أصيلة في عالم منحط"⁽³⁵⁾، يقف "بين شجنين، شجن الذهنية الغربية (أوروبا)، وشجن الذهنية الشرقية (العالم العربي)، وضمنه (المغرب) كشجن قريب وخاص. الفاصل والصعب بين شجنين، شجن الذهنية الغربية (أوروبا)"⁽³⁶⁾.

وبما أن هذه الشخصية عنصر دال في منظور العوفي الذي تبناه، فهو يرى أن من دلالات إدريس شخصية "اليتيم" الرئيسية، إدراك "ميكانيزم الغرب الذي يقبله ويرفضه معا، و(إدراك) ميكانيزم الشرق الذي يقبله ويرفضه معا أيضا. يسكن الأول دماغه ويسكن الثاني وجدانه، وبينهما تتأرجح المسألة المغربية منزلة بين المنزلتين. ومن ثم تضاعفت مأساوية الوعي، بتضاعف التخلف والتباس معادلاته. وأصبح إدريس مسكونا بشيزوفرنيا حضارية"⁽³⁷⁾.

وبغض النظر عن كون الشخصية التي سلط عليها الضوء تمثل "البورجوازية المدنية الصغرى.. الطبقة المثقفة... (التخبة)"⁽³⁸⁾، وبغض النظر عن علاقاته المركبة في الرواية، فهو يرى أن العالم النقيض لعالم تلك الشخصية، "يرتكز على ما يسميه العروي "التقليدية...، ويقوم على علاقات مخزنية رقية... وعلى فكر ثيولوجي...، وعلى سلفية تبريرية..."⁽³⁹⁾،

وتتجسد رؤية العالم من خلال تلك الشخصية -كما يرى العوفي من خلال "الانتهازية الفيودالية... وذيلية البورجوازية الوسيطة والميوعة الليبرالية... ومن خلف هذه المحاور/العوامل -على حد تعبير العوفي- يطل المجتمع الضحية، خلال الرواية، من ثقب ضيق ويتنفس في عالم محدود. لكن برغم محدوديته في الرواية، يظل هو العالم الأرحب والأنقى والأشقى أيضا"⁽⁴⁰⁾.

إن فدلالة الأشخاص/الشخصيات في نظر العوفي تتجسد في مجموعة من الصور، التي تكون رؤية للعالم بمنظار هذه الرواية، وفي علاقة هذا المعطى بدلالة المصطلح الذي وظفه العوفي، فهو يجسد المفهوم الذي ينبغي أن يحمله المصطلح، وكلما اقترب به أكثر من دلالة النص المستقل بذاته، كلما كان لتلك المصطلحات قيمة وظيفية، ستساعده على استخلاص الدلالات، وستبرز ما كان يختفي وراء الكلمات وسطور الرواية.

وعليه فقراءة العوفي هذه، مقارنة مع القراءات السابقة التي كانت تربط الشخصية بالمؤلف، كانت موضوعية نسبيًا، واحترمت خصوصية النص الروائي، واكتفت بما يتيحها لها النص وعناصره من دلالات، والتوظيف المصطلحي هو الآخر، ساهم في بروز دلالات متنوعة ما كانت الرواية ستسلم بها لو لم يلتزم العوفي بخصوصيتها، وهذه القفزة النوعية في النقد، كان لها الأثر الإيجابي على النصوص وعلى تطور الخطاب النقدي ومصطلحات النقد.

إن هذه الطفرة في الارتباط بالبنوية التكوينية، خلصت العوفي من المعيارية والانتقائية التي كانت تسيء إلى النقد، وتسيء استعمال مصطلحات النقد في مواضع غير مواضعها، وبناء على تلك الخصوصية التي ظلت الرواية متمسكة بها، التي توجب في

(34) نفس المرجع، الصفحة 386.

(35) Lucien Goldmann: Pour une sociologie du roman. Editions Gallimard 1964. Page24.

(36) نجيب العوفي، درجة الوعي في الكتابة، الصفحة 387.

(37) نفس المرجع، الصفحة 387.

(38) نفس المرجع، الصفحة 388.

(39) نفس المرجع، الصفحة 389-390.

(40) نفس المرجع، الصفحة 390.

دراستها مراعاة تلك الخصوصية، فقد اقترب منها العوفي في قراءته الثانية لرواية العروي، ووفق نسبيا في قنص رسائلها المشفرة، واستوعب الدرس النقدي، وكانت هذه الخطوة في إضفاء البعد البنيوي التكويني على مصطلح الشخصية/ الشخصيات مهمة، وأحدثت تفاعلا بين المصطلح السردى والدلالة البنيوية التكوينية، ما ساهم في بناء تصور جديد أغنى قراءة الرواية.

2. دلالة الأمكنة:

يعد المكان من المصطلحات المهمة في السرد، ويمثل عنصرا بارزا وركيزة أساسية من عناصر السرد الروائي؛ لأنه الفضاء الذي يحتوي أحداث الرواية، لكنه لم يحظ بالاهتمام الكاف، "ولا توجد أية نظرية للمكان الروائي، ولكن يوجد فقط مسار للبحث ذو منحنى جانبي غير واضح. وقد مثل هذا التوجه الأكثر حيوية غاستون باشلار، عندما قام في (شعرية المكان) بدراسة القيم الرمزية المرتبطة بالمناظر التي تتاح لرؤية السارد أو الشخصيات، سواء في أماكن إقامتهم كالبيت والغرف المغلقة، أم في الأماكن المنفتحة، الخفية أو الظاهرة، المركزية أو الهامشية"⁽⁴¹⁾.

وبما أن المكان ليس "منعزلا عن باقي عناصر السرد، وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد، كالشخصيات والأحداث والرؤيات السردية"⁽⁴²⁾، فله وظائف مهمة في الرواية ودلالاته متعددة ومتنوعة، ولا ينحصر دوره في مجرد فضاء تجري فيه الأحداث، وقد عنيت العديد من الدراسات بهذه الدلالات التي يحملها المكان في الرواية، وباعتباره عنصرا تخييليا فهو يحمل كما هائلا من المشاعر والتصورات التي لا حصر لها.

وبناء على هذه الخصوصية التي يحملها مصطلح المكان في بنية الرواية السردية، قام نجيب العوفي بقراءة دلالاته في رواية اليتيم، وقبل ذلك يرى أن "الفضاء الجغرافي في الرواية غلاف شديد الرقة والشفافية للفضاء الزمني والنفسي، تتحرك ظلالة ومساحاته داخل الذات أكثر مما تتحرك خارجها. فمعظم الأمكنة الواردة في السياق الروائي، كما هو الشأن بالنسبة لمعظم المحاور الشخصية، مستحضرة بالذاكرة ومتداولة غيابيا وليست مقتحمة بالحواس ومتداولة عيانيا. إن حجم المتذكر والمتخيل في الرواية يفوق حجم المشهود والمحسوس"⁽⁴³⁾.

والعوفي يرى أن "لهذا الأمر دلالتين أساسيتين: الأولى تشير إلى أن واقع اللحظة المكانية والزمانية، واقع غير مرغوب فيه، واقع يثير نضور الذات وقلقها أكثر مما يثير رضاها وسكينتها. ولهذا يقع اختراق وتخطي سجن اللحظة، عبر لحظات أخرى يفيض بها التذكر والتخيل. والثانية تشير إلى أن النشاط الذهني عند إدريس أقوى من النشاط العملي، وعالمه الداخلي أكثر اتساعا وغنى من عالمه الخارجي"⁽⁴⁴⁾.

إن للمكان في الرواية، إذن، حسب ما أورد العوفي، حضور متخيل وذهني أكثر ما هو ملموس، ولهذا دلالة عاطفية يجسدها ارتباط الشخصيات بالأماكن والفضاءات، وفي هذا الباب يمكن للمكان أن يقوم بدور دلالي بالغ الأهمية، وهذا راجع بالأساس إلى "التأثير المتبادل بين الشخصية والمكان الذي تقيم فيه، أو البيئة التي تحيط بها، بحيث يصبح بإمكان بنية الفضاء الروائي أن تكشف لنا عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية، بل

(41) هنري ميتراند، نقلا عن حسن بحرواي، بنية الشكل الروائي، الصفحة 25.

(42) حسن بحرواي، بنية الشكل الروائي، الصفحة 25.

(43) نجيب العوفي، درجة الوعي في الكتابة، الصفحة 391.

(44) نفس المرجع، الصفحة 391.

وقد تساهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليها"⁽⁴⁵⁾.

وقد قسم العوفي أمكنة الرواية إلى "أمكنة صغرى... وأمكنة وسطى... وأمكنة كبرى...، ويبقى المركز الأساسي، الواقعي والرمزي، الجامع لهذه الأمكنة في الرواية -حسب رأيه- هو المدينة. وهي هنا مجسدة في البيضاء، وتبقى الرموز المكانية الأخرى، إما مندغمة في صلب المركز، أو محيطات عابرة ومضافة. وليس في هذا خروج على المؤلف. فقد كانت المدينة وما تزال المجال الأثير الذي تسبح فيه الرواية، غريبة كانت أم شرقية، والرثة التي تنتفس بها"⁽⁴⁶⁾، وتبدو المدينة في الرواية -من منظور العوفي- "كما هي في نصوص الأدب العربي المعاصر، رواية وقصة وشعرا، رمزا للاغتراب ولمحات الذات وافتقاد السكينة والبراءة وانحطاط القيم وزيفها"⁽⁴⁷⁾. ول يؤكد هذه الفرضية المكانية استعان بمقولات العروي عن الرواية الذي يعتبر "المدينة الكبيرة هي المسرح الضروري للرواية الكبيرة، لأنها تجمع في حيز محدود، المركز والأطراف، الإنسان وسوابقه، العالم المنجز ورسومه الأولية العرضية"⁽⁴⁸⁾، وهذا الخلط، كما أشرت سابقا، يجسد قصور العوفي النظري في نقد الرواية، فرغم تغييره للأساليب النقدية وتوظيفه مصطلحات نقدية خاصة بالرواية، وتخلصه نسبيا من الانتقائية المصطلحية، لا يزال يلح على ربط الإبداع بصاحبه ويحملة المسؤولية في كل صغيرة وكبيرة، كما في هذه الدلالة التي يريد تأكدها.

بناء على ما سبق، نلاحظ أن العوفي أولى اهتماما بالغا بمصطلح المكان، على اعتبار أنه يحمل دلالات عديدة ومتنوعة، ليس مجرد مكان جامد يستوعب الأحداث الروائية، وإنما باعتباره فاعلا ومؤثرا في العملية السردية، وكان توظيفه لهذا المصطلح مرافقا لدلالات المنهج الذي سلكه في نقد الرواية، فاقتران مصطلح المكان ومصطلح الدلالة أضفى على البعد السردى، أبعادا أخرى بنيوية تكوينية، ما أحدث تفاعلا مصطلحيا ودلاليا مهما، ساهم في إعادة قراءة الرواية، بشكل يختلف عن القراءات السابقة.

3- مستويات الذاكرة:

يعد مصطلح الذاكرة من المصطلحات المهمة ضمن عناصر السرد، على اعتبار أنه يمثل الوقائع والمواقف التي يسترجعها السرد في اللحظة الحاضرة، وتفيد في سد فراغات الحكاية، وتساعد على تسويق شرح سلوك الشخصيات في الحاضر، وعلى توقع ذلك السلوك في المستقبل"⁽⁴⁹⁾، فإن كل عودة للماضي تشكل، بالنسبة للسرد استذكارا يقوم به لماضيه الخاص.. ومن بين الأنواع الأدبية المختلفة تميل الرواية، أكثر من غيرها، إلى الاحتفال بالماضي، واستدعائه، لتوظيفه بناثيا عن طريق استعمال الاستذكارات التي تأتي دائما، لتلبية بواعث جمالية وفنية خالصة في النص الروائي. وتحقق هذه الاستذكارات عددا من المقاصد الحكائية، مثل ملء الفجوات التي يخلفها السرد وراءه، سواء بإعطائنا معلومات حول سوابق شخصية جديدة دخلت عالم القصة، أم بإطلاعنا على حاضر شخصية اختفت عن مسرح الأحداث ثم عادت للظهور من جديد"⁽⁵⁰⁾.

وتأسيسا على ما سبق قام العوفي بتوظيف مصطلح الذاكرة كونه أشمل وأرحب من الزمن الذي يعد جزءا من الذاكرة، وعليه "يلعب الزمن النفسي في الرواية دورا أساسيا وعميقا، ويعد عصب الذاكرة الروائية وشريانها المتدفق والمتوتر...، والرواية بهذا تشبه جلسة سرية، يخلو فيها إدريس إلى ذاته، يكشف مكنونها وينزع الصمام عن تأملاتها وذكراياتها

(45) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الصفحة 30.

(46) نفس المرجع، الصفحة 391 - 392

(47) نفس المرجع، الصفحة 392.

(48) عبد الله العروي، الأيديولوجيا العربية المعاصرة، الصفحة 276.

(49) يوسف حطيني، مصطلحات السرد في النقد الأدبي، الصفحة 107.

(50) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الصفحة 121 - 122.

وأحلامها. إن معظم الشخصيات والأحداث والأمكنة الواردة في الرواية، كما سبق، معطيات لذلك الزمن النفسي المشتغل، شبكة من الحياة تنسج على نول الذاكرة وتتخلق داخلها. بل يمكن القول -بتعبير العوفي- إن الرواية على نحو عام، شريط تأملي ذاتي يحمض في الذاكرة، ويتقطر من حدقتها⁽⁵¹⁾.

إذن فالعوفي يرى أن مصطلح الذاكرة في الرواية حاضر بقوة من خلال الزمن النفسي، الذي هو عبارة عن تأملات وذكريات وأحلام، لكنه تناول المصطلح بشكل سطحي، ولم يحط بكل جوانبه في الرواية، معتبرا هذا الجانب النفسي في طبيعة إدريس شخصية الرواية الرئيسية، سلبيا من زاوية أنه "كان يتأمل أكثر مما كان يتصرف"⁽⁵²⁾، ولا يرقى إلى مستوى البطل الثوري الذي يراه العوفي "ينتقل.. من حيز الرفض السلبي إلى التجاوز مغامرا بنقاء حلمه، محاولا ألا يقف عند مخاصمة النفس والواقع"⁽⁵³⁾.

إذن فالعوفي يقف موقفا سلبيا، نوعا ما، من طبيعة الذاكرة في رواية اليتيم، برغم إقراره بإيجابية الموقف الروائي من حيث المبدأ، ونفهم من موقفه هذا أن وظيفة الذاكرة يجب أن ترقى بالرواية وشخصياتها من مستوى التأمل والحلم إلى مستوى التصرف والفعل، كما أقر ذلك، واستشهد بمحمد عابد الجابري ليؤكد موقفه من العروي نفسه الذي يحمله مسؤولية روايته، فالعروي في نظره "مفكر عربي يكتب عن معاناة وعن اطلاع. ولو أن معاناته معاناة ذهنية فقط، واطلاعه اطلاع (غربي) أكثر منه عربي"⁽⁵⁴⁾.

وهذا الموقف يذكرنا بدراساته السابقة حينما كان يقحم مؤلف الرواية في دراسته، ويحاسبه ويحمله مسؤولية إبداعه، وبهذا ينزاح مجددا عن وظيفة النقد، ويسمح لنفسه بربط النص بخارجه، ويضغ الدراسة من محتواها الحقيقي، وتصبح المصطلحات في غير موضعها، وهو بهذا الربط يريد القول إن مصطلح الذاكرة وفق تصوره لم يوظف في الرواية بالشكل المطلوب، وإن الاستغراق فيه من خلال الحلم والتأملات، يحصر فعل الشخصيات الروائية في حدود التأمل.

بغض النظر عن موقفه من طبيعة الذاكرة في رواية اليتيم، فهو يقسمها إلى ثلاث مستويات، ذاكرة استرجاعية يرى أنها "تنكص بالرواية إلى الوراء، وينبش إدريس بواسطتها مستودع الماضي، وذلك على مستويين، مستوى الماضي القريب...، ومستوى الماضي البعيد. وذاكرة حلمية، - يرى أنها- تتردد بواسطتها الرواية من الخلف إلى الأمام، وتحاول اقتضاض الزمن واختراقه عبر الحلم. وتتجلى من خلال الرحلة الوهمية التي قام بها إدريس إلى البندقية، ومن خلال الصبوات المتخطفة والعرضية نحو مدن وعوالم أخرى. وذاكرة تسجيلية وأنية، واسطتها العين الخارجية في حال السرد الوصفي وتحديد المشاهد والأشياء. ولحمتها التفاعل الثوري والمباشر الحاصل بين الأطراف في حال الحوار وجدل العلاقات الأنية، ثانيا كان هذا الحوار أم الجدول متعدد الأطراف"⁽⁵⁵⁾.

وبرغم تقسيم مستويات الذاكرة، هذا، فالعوفي يرى أن الرواية تصطبغ بمأساة اليتيم، "سواء ارتدت الذاكرة إلى أطواء الماضي، أو جنحت إلى سديم الحلم، أو تغلفت في قعر الوعي والتأمل، أو ارتطمت بجدار اللحظة والآن، كان المعنى يتقلت من اليد. وكان اليتيم والمثل تختنق وسط هواء عكر، تضرب بأجنحتها المكدودة والناعمة بدون جدوى. وكان اليتيم قدرا مأساويا وغرابا أسطوريا، يجثم بجناحه الأسود على الأشياء"⁽⁵⁶⁾.

(51) نجيب العوفي، درجة الوعي في الكتابة، الصفحة 393

(52) نفس المرجع، الصفحة 394.

(53) نفس المرجع، الصفحة 394 - 395.

(54) نفس المرجع، الصفحة 395.

(55) نفس المرجع، الصفحة 394.

(56) نفس المرجع، الصفحة 394.

ومنه يتضح أن تصور العوفي لمصطلح الذاكرة يتناقض مع المفهوم الذي ورد به في رواية العروي، على اعتبار أن الذاكرة في الرواية يغلب عليها الطابع الذهني والنفسي، ويحد من تصرف وفعل الشخصيات، وكان الهدف الرئيس من توظيف هذا المصطلح، والعوفي نفسه لم يخف ذلك، هو محاكمة الرواية وشخصياتها، ومحاسبتها على الأخطاء التي ارتكبتها.

وهذا بارز في التساؤل الذي طرحه، بقوله: "أي حكم يمكن أن نرتبه على إدريس، بعد هذه الرحلة التي قمنا بها معه؟ أية بطولة هذه التي جسدها في الرواية.. أبطولة إيجابية أم بطولة سلبية؟ لا مرء في أن إشكاليته، في العمق، كانت إشكالية إيجابية وصحية؛ لأنها مرآة صادقة للإشكالية الاجتماعية أولاً، ولأنها أية الجدل الخصب الذي يقوم بين الذات والواقع. الذات المهمومة الراضة والتواقفة التي تدين الواقع عوض أن تمائله، تريد بعثه عوض موته. ولكن دورة هذه الإشكالية كانت في نفق مسدود؛ لأن إدريس كان يتأمل أكثر مما كان يتصرف. كان يسأل أكثر مما كان يجيب. لقد كان شمعة تحترق في صمت ومعاناة، لكن إضاءتها، عملياً، كانت باهتة أو منعدمة"⁽⁵⁷⁾.

ومن هنا نستنتج أن توظيف العوفي لمصطلح الذاكرة، انزاح كما أشرت سابقاً عن قراءة دلالات الرواية، إلى تقديم أحكام قيمة في حقها، وكان اختياره لمصطلح الذاكرة عوض مصطلح الزمن، إيماناً منه بعلاقة الرواية بصاحبها، ووسمها بالرواية الأوتوبيوغرافية ليس غريباً عن مواقف العوفي، فقد صاحبته هذه الفكرة طوال مسيرته النقدية، سواء أخطأها أم أعلنها، حتى في إعادة قراءة نفس الروايات وفق منهج جديد، يعيد ارتكاب الأخطاء نفسها بربط النص الروائي بمؤلفه، ولعل هذه الرؤية، هي المحددة لطبيعة توظيف المصطلحات وطريقتها.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

1. نجيب العوفي، درجة الوعي في الكتابة، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، الطبعة 1، 1980.
2. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء - الزمن - الشخصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة 2، 2009.
3. محمد برادة، فضاءات روائية، وزارة الثقافة، الرباط، الطبعة 1، 2003.
4. محمد برادة، الرواية ذاكرة مفتوحة، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة 1، 2008.
5. محمد برادة، الرواية العربية ورهان التجديد، كتاب دبي الثقافية، الطبعة 1، مايو، 2011.
6. يوسف حطيني، مصطلحات السرد في النقد الأدبي، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة 1، 2019.
7. عبد الله العروي، الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ترجمة محمد عيتاني، دار الحقيقة، بيروت - لبنان، الطبعة 1، 1970.
8. يوسف وعليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، الطبعة 1، 2008.
9. هنري ميتراند، نقلا عن حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي.

المراجع الغربية:

1. Georges Lukacs: Problèmes du réalisme, Edition L'arc, 1975.
2. Mikhaïl Bakhtine: La poétique Dostoïevski. Editions seuil. 1970.
3. Lucien Goldmann: Pour une sociologie du roman. Editions Gallimard 1964.
4. HENRI MITTERAND: Discours du roman; Ed PUF; 1980.

بعض الشواهد الجيومورفولوجية على التغيرات المناخية في هضبتي البطان والدفنة شمال شرق ليبيا خلال البلايستوسين والهولوسين

إعداد:

د. علاء جابر فتح الله الضراط

أستاذ مشارك — قسم الجغرافيا - كلية التربية /جامعة طبرق.

القبول: 2023/6/7

الاستلام: 2023/5/14

○

○

المستخلص:

تركز هذه الورقة العلمية على دراسة بعض الشواهد الجيومورفولوجية على التغيرات المناخية في هضبتي البطان والدفنة من حيث الدلائل البيئية والمناخ القديم أثناء الزمن الرابع. وتمت المقارنة بين ما توصل إليه الباحث من شواهد جيومورفولوجية والدراسات السابقة التي تمت على سواحل البحر المتوسط، والأسباب التي أدت إلى التغيرات المناخية بالزمن الرابعي.

وبينت النتائج على وجود تغيرات مناخية وبيئية في منطقة الدراسة أثناء عصري البلايستوسين والهولوسين، وتبين من خلال الشواهد الجيومورفولوجية أن طبيعة المناخ كانت مطيرة وتخللها فترات جفاف، وكذلك تبين من خلال التكوينات الجيولوجية تقدم وتراجع المياه البحرية على الأطراف الشمالية لمنطقة الدراسة استنادا إلى وجود الشواطئ البحرية القديمة والفتحات الساحلية وكذلك تبدل شبكات الصرف المائي نتيجة تأثرها بالطغيان البحري، كما بينت بعض أسباب التبدلات المناخية التي حدثت خلال البلايستوسين والهولوسين على هضبتي البطان والدفنة.

الكلمات المفتاحية: الشواهد الجيومورفولوجية، التغيرات المناخية، المناخ بالزمن الرابع

Abstract:

This paper focused on studying some geomorphological evidence of climate changes in the Al-Batnan and Al-Dafna plateaus in terms of environmental indicators and the ancient climate during the Quaternary time. A comparison was made between the findings of the research in terms of geomorphological evidence and previous studies that took place on the coasts of the Mediterranean Sea, and the reasons that led to climate changes in the Quaternary time.

The results showed that there were climatic and environmental changes in the study area during the Pleistocene and Holocene eras, and it was found through geomorphological evidence that the nature of the climate was rainy and interspersed with periods of drought, It was also shown through the geological formations the progress and decline of marine waters on the northern outskirts of the study area based on the presence of ancient sea beaches and coastal openings, as well as the change of water drainage networks as a result of being affected by marine tyranny.

المقدمة:

يعد الزمن الرابع من أهم الأزمنة في العروض الوسطى بسبب التغيرات المناخية خاصة الحرارة والتساقط ما أدى إلى تنوع الدلائل التي تشير إلى التغيرات المناخية البلايستوسينية التي تركت شواهد متنوعة ذات طبيعة جيولوجية ودلائل جيومورفولوجية، ترسيبية، بيئية، والرواسب القارية المحفوظة في قيعان البحار والمحيطات. واستحوذت الدلالات المناخية للأشكال الجيومورفولوجية على اهتمام متزايد قاد إلى ظهور نظم جديدة للجغرافيا الطبيعية مثل: الجيومورفولوجيا المناخية جيومورفولوجية البلايستوسين.

وتتميز هضبتي البطنان والدفنة بتنوع الظاهرات الجيومورفولوجية الدالة على تذبذبات مستوى سطح البحر خلال عصر البلايستوسين سواء فوق اليابس أو المغورة منها تحت مستوى سطح البحر الحالي، ومن أهم الشواهد الجيومورفولوجية على ساحل منطقة الدراسة الشواطئ القديمة (الأرضة البحرية) والفضجات الساحلية، وتبدلات نظم شبكات مجاري المياه السطحية وغيرها من الشواهد الدالة على مستويات تذبذب مستوى سطح البحر على منطقة الدراسة، إلى جانب تأثرها بحركات الرفع التكتونية خلال الزمن الرابع. ومحاولة تحديد أسباب التغيرات المناخية القديمة خلال عصر البلايستوسين والهولوسين.

وعلى الرغم من أن البلايستوسين المتأخر يضم آخر مرحلة دفيئة للأرض بين العصر الجليدي الأخير (Wurm) الذي بدأ منذ حوالي 70 ألف سنة من الآن والعصر الجليدي الذي قبله (Riss) الذي انتهى منذ حوالي 90/130 ألف سنة من الآن كما ذكر (Heyer 1972) وهي المدة التي شهدت السواحل الليبية والتي تعد سواحل منطقة الدراسة جزءاً منها تغيرات مناخية دراماتيكية تعاقبت فيها البرودة والدفء والرطوبة والجفاف وغيرها من سواحل البحر المتوسط والعالم.

مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس الآتي:

- ما الدور الهامة للتغير المناخي القديم على هضبتي البطنان والدفنة؟
- ما انعكاسات دورات التغير المناخي القديم وتأثيرها على هضبتي البطنان والدفنة في ضوء الدراسة الحالية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تغطي مساحة جديدة من سطح الأرض لا زالت مجهولة نسبياً في هذا المضمار وتقدم مساهمة علمية أولية في النقاش الدائر حول التغيرات المناخية ودلالاتها خاصة الجيومورفولوجية خلال البلايستوسين والهولوسين.

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

- معرفة الشواهد الدالة على مستويات تذبذب مستوى سطح البحر خلال الفترات الجليدية والدفئة التي تخللتها بالزمن الرابع.
- مناقشة وتحليل بعض الدلائل والمؤشرات الجيومورفولوجية الأكثر انتشاراً في منطقة الدراسة ومضامينها المناخية القديمة التي تشكلت فيها خلال البلايستوسين والهولوسين.
- تهدف هذا الدراسة إلى تأريخ الدورات الهامة للتغير المناخي في منطقة الدراسة وتفسيرها انطلاقاً من أسبابها العالمية والإقليمية.

فرضيات الدراسة:

- لتحقيق أهداف الدراسة لا بد من إثبات الفرضيات الآتية:
- تعد العوامل البنوية والمناخية القديمة المسؤولة عن تكون وتشكيل الأرضة والشواطئ البحرية القديمة وتبدلات نظم شبكات التصريف المائي على سطح هضبتي البطنان والدفنة وظهيرهما.
 - عدم تعارض نتائج المعاملات التحليلية مع الملاحظات والدلائل الميدانية.

منهج البحث:

تعتمد الدراسة الحالية المنهج الوصفي التحليلي لوصف الظاهرة موضوع الدراسة، والمنهج الاستقرائي الذي تترتب فيه الحقائق عن الظاهرة الجيومورفولوجية قيد الدراسة في تنظيم منطقي يقود في النهاية إلى الاستنتاجات التي تحقق أهداف هذه الدراسة.

طريقة العمل:

وسوف تعتمد الدراسة على:

الخرائط الطبوغرافية لمنطقة الدراسة، مقياس 1:50000، ونموذج الارتفاع الرقمي (DEM) 2021 م بدقة 30 م والذي يعد الأساس في دراسة طبوغرافية السطح، وبرنامج (Excel) للإحصائيات والتمثيل الكرتوغرافي للظاهرات المختلفة للمنحدرات، والدراسة الحقلية باستخدام جهاز (GPS) لتحديد المواقع ميدانياً، وبوصلة، وجهاز (Abeny-level) لقياس درجات الانحدار، وعجلة قياس المسافات الرقمية، و 10000 آلاف متر (ZFP-DW2) وآلة تصوير، والعمل الميداني. ونظراً للصعوبات التقنية والكلفة المالية لتأريخ التغيرات المناخية من خلال تحديد العمر المطلق للأشكال الجيومورفولوجية فقد اعتمدت الدراسة على البيانات الميدانية والخرائط الجيومورفولوجية مقياس 1:25000 لمنطقة الدراسة وربطها بشواهد وأدلة توصلت لها بعض الدراسات الجيومورفولوجية والجغرافية في حوض البحر المتوسط سبق دراستها وتاريخها.

الدراسات السابقة:

- Desio, A (1928) Resultai scientified Della missions all Oasis di Giarabub, pt. II, la geologies, Roma.
- Desio, A (1939) Missione scientific della R. Academia d,italia ACu-fra .V.2,Studi morphological sulla Libya Orientale , R. Accad. D, Italia, Roma.
- Desio, A. (1968) History of geologic exploration in Cyrenaica. In Geology and Archaeology of Northern Cyrenaica, Libya, Tripoli.
- Desio, A (1971) Outlines and Problems of the Geomorphological Evolution of Libya from the Tertiary to the present day, Symposium on the Geology of Libya, Tripoli.

كانت معظم دراسات دزيو على إقليم برقة والجبل الأخضر والبطنان على التكوينات الجيومورفولوجية، والحافات الساحلية القديمة ودراسة الخطوط العريضة والمشاكل الجيومورفولوجية خلال الحقبة الثالثة وحتى الوقت الحاضر، ودراسة حافات شمال شرق ليبيا، واستنتج من خلال دراساته أن الحافات العليا المحددة بخطوط انكسارية واضحة هي مظاهر للسطح التحاتي القديم هبط في هيئة مدرجات صوب البحر شمالاً نتيجة

لتحركات كتلية حدثت على سطوح الفوالق، فهي حافات انكسارية النشأة.

- **Marchetti, M, M. (1934): Note illustrative per UN abbozzo di carta geological Della Cyrenaica. Boll. soc Geol. Ital., Vol. L III, fasc.2, pp.309325-, Roma.**

وملخصها أن الفوالق الحديثة النشأة قد تسببت في تكوين درجات طبوغرافية، مثل العيوب التي تمر قرب المخيلي جنوب غرب من منطقة الدراسة.

- **MC. Burney, CB. M & Hey, R.W (1955): Prehistory and Pleistocene geology in Cyrenaica Libya. Cambridge University Press, London.**

كانت الدراسة في مدرجات شمال برقة، وتوصل من خلالها أن نشأتها انكسارية وكلها أرصفت بحرية النشأة، وفسر عدم انتظام ارتفاع أكبر الأرصفت بعملية تحطيم تكتونية حدثت لها عقب التكوين، وحدد سبع درجات فوق مستوى سطح البحر الحالي.

- **Bellini, E (1968) Biostratigraphy of the ALjaghbob formation in eastern Cyrenaica, Libya. Proceeding of the 3 rd. African micro pal. Colluq. Cairo, p. 165183-.**

قام بدراسة الطبقات الحيوية في تكوين الجغبوب، وتوصل من التحليل البتروغرافي أن هذا التكوين ترسب في بيئة ضحلة بالقرب من الشاطئ خلال عصر الميوسين الأوسط، في حين الجزء السفلي من هذا التكوين يرجع عمره إلى الميوسين السفلي.

- عبد الباقي، قادري، بعض الدلائل الجيومورفولوجية على التغيرات المناخية في اليمن خلال البلايستوسين والهولوسين، مجلة الجغرافي، الجمعية الجغرافية اليمنية، العدد الثاني، 2003 م.

وخلصت هذه الدراسة إلى أن الدراسات الأثرية والتاريخية قدمت عدة شواهد على تبدلات مناخية قصيرة المدى ناتجة عن انحرافات أو ضعف في نظام الموسميات الجنوبية الغربية بسبب التغير في توزيع الضغوط على الجزيرة العربية. فقد عملت زيادة السكان ومسائل توفير الغذاء والسكن لهم ولغيرهم من التجار آنذاك على تطوير نظم الري والاستفادة القصوى من الأراضي والمياه السطحية الجارية في الأودية؛ وقد أدى ذلك إلى إزالة الأشجار وزيادة استخدامها لأغراض البناء وتوفير الطاقة، الأمر الذي نتج عنه المزيد من التدهور البيئي والتصحر وزيادة في تأثير الإشعاع المنعكس في تسخين الجو وإلى مزيد من التحول نحو الجفاف. وقد نتج عن هذا التحول المناخي توسع نطاق الجفاف الجغرافي في اليمن إلى وضعه الحالي وزيادة في نشاط العمليات المورفوديناميكية الضجائية للمياه السطحية الجارية وحمولتها الكبيرة من الرواسب الخشنة الأمر الذي أدى إلى انهيار نظم الري القديمة ومن ثم إلى هجرة وتصحر الأراضي الزراعية القديمة في حضرموت، كما أدى إلى هجرة العواصم التاريخية القديمة التي تزحزحت رأسياً إلى المرتفعات الجبلية الغربية.

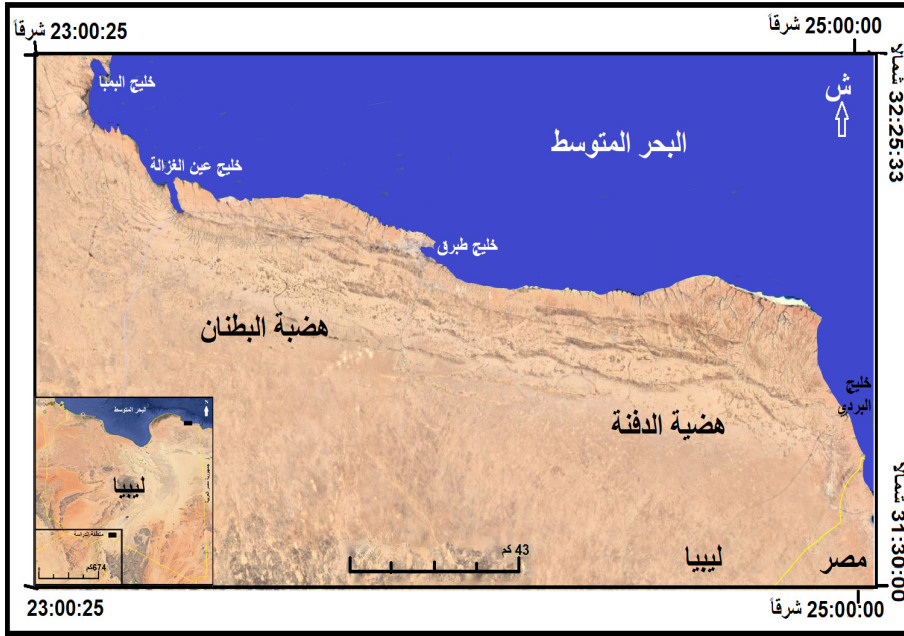
- صالح، محمود على المبروك، هضبة الدفنة في شمال شرق ليبيا- دراسة جيومورفولوجية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة عين شمس، القاهرة 2013.

خلصت الدراسة إلى تحديد العوامل الطبيعية المكونة للهضبة وتحديد مظاهر النحت والإرساب بها.

منطقة الدراسة:

تقع هضبتي البطنان والدفنة محل الدراسة في شمال شرق ليبيا، وتمتد ما بين دائرتي عرض 00°:30':31° إلى 00°:25':32° شمالاً، وخطي طول 00°:00':23° إلى 00°:00':00°

00:25 شرقاً، وتبلغ مساحة منطقة الدراسة 14133 كم²، وهي هضاب تشرف على البحر المتوسط بساحل يبلغ طوله 277 كم من الحدود الليبية المصرية شرقاً وحتى خليج البمبا غرباً، ويوجد بها العديد من المرافئ والخلجان الطبيعية وأبرزها خليج طبرق والذي يعد من الموانئ الطبيعية الهامة في الساحل الليبي لعمق المياه به؛ خاصة على الساحل الجنوبي من الخليج والتي تتجاوز الأعماق به 20 م. وتوضح الخريطة رقم (1) منطقة الدراسة.



المصدر من إعداد الباحث بناء على المرئية الفضائية DEM بتاريخ 17.7.2022 بدقة وضوح 28.5م.

يوضح الشكل رقم (1) منطقة الدراسة

نبذة عن جيولوجيا منطقة الدراسة:

لعبت الأحداث الجيولوجية التي مر بها شمال شرق ليبيا بوجه عام، وهضبتي البطنان والدفنة بشكل خاص، عبر الأزمنة الجيولوجية وتطورها دوراً هاماً في التفاعل بين العمليات الداخلية والخارجية والتي تحكمت في تشكيل سطح منطقة الدراسة، وأضفت عليها خصائصها المميزة، وكانت دراسة زيتل عام 1873 م والذي قدم وصفاً دقيقاً لصخور العصر الثلاثي التي تظهر شمال شرق ليبيا وغرب مصر، ثم قام ديزو عام 1930 م، بإعداد خريطة جيولوجية من خلال الدراسات السابقة مضيئاً إليها دراساته الخاصة. مع بداية التنقيب عن النفط في ليبيا عام 1955 م، صدرت عدة نشرات علمية بالإضافة إلى مجموعة من خرائط جيولوجية لمناطق متفرقة من ليبيا، وجمعت هذه المعلومات والخرائط عام 1964 م، في خريطة جيولوجية عامة لليبيا بمقياس 1:2000000 سم⁽¹⁾. ومع بداية النصف الأول من القرن العشرين شهدت الدراسات الجيولوجية تطوراً

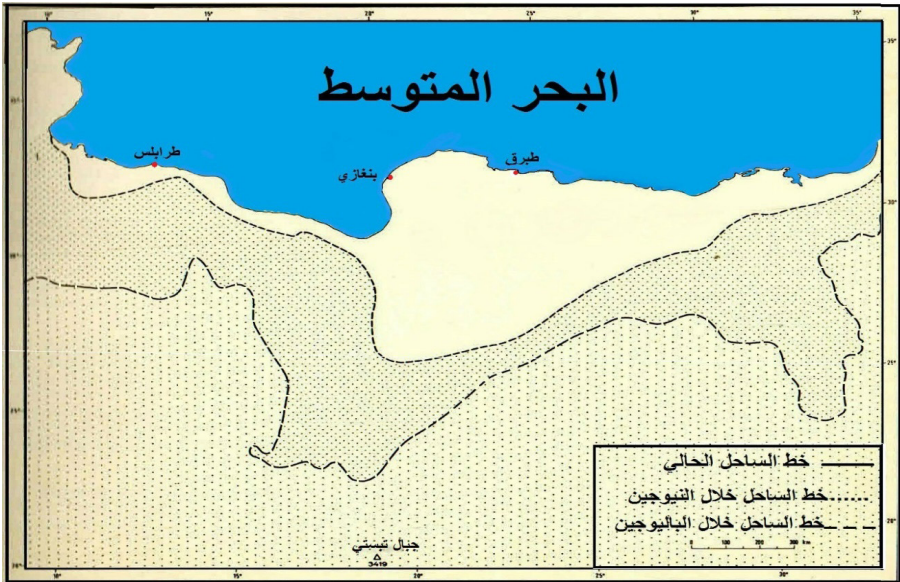
(1) المسلاتي، أمين (1995) التطور الجيولوجي والتكتوني، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، تحرير الهادي مصطفى بولقمة وآخر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، سرت، الطبعة الأولى ص 31-32.

ملحوظا في شمال شرق ليبيا، واتساع دائرة المعلومات المتوفرة، وساهمت هذه الدراسات في توحيد أسماء وخصائص المكونات وكان أهم هذه الدراسات:

(W.F. KLEINSMIEDE) (N.J. VANDEN BERG) عام 1968 م، وكذلك (A.A.WEEGER) (F.T. BARR) عام 1972 م، وكذلك الدراسات المتعددة التي قام بها مركز البحوث الصناعية ليبيا بالتعاون مع الهيئات العلمية العالمية المختلفة للمسح الجيولوجي لمعظم الأراضي الليبية، ولا يمكن دراسة منطقة الدراسة بمعزل عن محيطها الإقليمي، وبناء على هذه الدراسات فإن هضبتي البطنان والدفنة كانتا مغمورتان بمياه بحر تيثس خلال الزمن الثاني لم تظهران بعد إلى حيز اليابس.

الزمن الجيولوجي الثالث: (Cenozoique).

= هذا الزمن يعتبر ذو أهمية كبيرة بسبب الحركات التكتونية التي حدثت خلاله، حيث توغل البحر في اليابس على شمال أفريقيا من المغرب حتى مصر (الإيوسين) حيث رسمت ثلاث خلجان كبرى في شمال أفريقيا، وتقدم الأول: حتى منطقة أسوان جنوب مصر، والثاني: توغل حتى أطراف جبال تبستي جنوب ليبيا، والثالث: وصل إلى جبال الهوفاق جنوب الجزائر. كما بالشكل رقم (2)، وفي نهاية ذلك العصر تراجع البحر مرة أخرى تاركا بحيرات ومستنقعات على سطح الصحراء الكبرى حاليا.



المصدر: Desio, A.(1971), P15.

يوضح الشكل رقم (2) خط الساحل خلال الزمنين الثالث والرابع على شمال أفريقيا

وفي نهاية الإيوسين الأوسط (اللوتيسي) تراجع البحر بالمعنى الحقيقي تاركا رواسب من الجبس، وفي فترة الإيوسين الأعلى ظلت السواحل الشمالية مغمورة بمياه البحر الدافئة⁽²⁾ وخلال العصور المختلفة من الزمن الثالث تواتت عمليات تقدم البحر وانحساره لمرات عدة،

(2) Furon، ترجمة فضل الأيوبي، (1995) الأزمنة الجيولوجية، منشورات جامعة سبها، سبها، ص 262-273.

إلى جانب الحركات التكتونية التي حدثت خلال عصر الباليوسين والإيوسين والتي أدت إلى حدوث تغييرات مهمة في شكل وحجم البحر المتوسط الحالي.

ومن خلال ما سبق يمكن القول: إن هضبتي البطنان والدفنة في شمال شرق ليبيا خلال العصور الأولى من الزمن الثالث كانتان مغمورتان بمياه بحر تيثس، وخلال عصر الإيوسين الأسفل بدأت حركة الرفع التدريجي وظهور قمة الجبل الأخضر في الشمال الشرقي الليبي، وبداية انحسار البحر عن اليابس شمال ليبيا، ومع نهاية الزمن الثالث وبداية الزمن الرابع بدأت السواحل الشمالية الليبية تظهر بصورتها الحالية⁽³⁾. وبذلك فإن هضبتي البطنان والدفنة بدأت تتشكل وتظهر فوق مستوى سطح البحر بنهاية الزمن الثالث خلال عصري الميوسين والباليوسين بفعل عمليات الرفع التدريجي المصاحبة والتي أدت إلى وجود الجبل الأخضر شمال شرق ليبيا. ويمكن حصر التكوينات الجيولوجية للزمن الثالث من الأقدم إلى الأحدث⁽⁴⁾⁽⁵⁾ فيما يلي:

- تكوين أبولونيا (إيوسين أوسط - إيوسين أعلى) ويتكون من الحجر الجيري الطباشيري ويتميز بالحبيبات الدقيقة النقية نسبياً، ويتدرج من مجهري التبلور إلى خشن، وينتشر في هضبة البطنان فقط وهو الأقدم.
- تكوين درنة (إيوسين أوسط- إيوسين أعلى) ويتكون من صخور جيرية دقيقة الحبيبات ذي لون رمادي مشبع بالبياض ويحتوي عل وفرة من الحفريات. وينتشر في غرب هضبة البطنان فقط.
- تكوين الخويمات (إيوسين أعلى- أوليجوسين سفلي) ويتكون من حجر جيرى والدولومايت والطفل. ينتشر في هضبة الدفنة وهو الأقدم بها.
- تكوين الأبرق (أوليجوسين أوسط — أوليجوسين أعلى) ويتكون من صخور جيرية تتدرج من الصخور الجيرية الطينية الدولوميتية الضعيفة إلى الطبقات الدولوميتية الثانوية التبلور، وهو غني جداً بالحفريات في طبقاته الوسطى والعليا، ويتميز باللون البني الداكن، وينتشر في غرب هضبة البطنان فقط.
- تكوين الفايديدة (أوليجوسين أعلى — ميوسين سفلي) ويتكون من الحجر الجيري الطباشيري الغني بالحفريات مع طبقات من الطين والحجر الجيري المارل. وينتشر في هضبتي البطنان والدفنة.
- تكوين الجغبوب (ميوسين سفلي — ميوسين أوسط) ويتكون من طبقات الحجر الجيري الرملى والطباشيري الغني بالحفريات. ينتشر في هضبتي البطنان والدفنة.
- تكوين قارة مريم (ميوسين أوسط) ويتكون من حجر جيرى غني بالحفريات، ومتوسط الصلابة ذات لون أبيض، وهو حجر جيرى طباشيري، وكذلك طفلة ذات لون أخضر فاتح، وينتشر في هضبة البطنان فقط.

الزمن الرابع: (Quaternary)

تتابعت فترات شديدة البرودة خلال عصر البلايستوسين بالزمن الرابع ويتخللها فترات ترتفع بها الحرارة ويسود الدفاء. أما عن المدة التي استغرقها هذا العصر اختلفت الآراء حول تقدير طول البلايستوسين وفق الأدلة التي يعتمد عليها، فهناك من اعتمد على الأسس

(3) المهدي، محمد المبروك، (1990) جغرافيا ليبيا البشرية، منشورات جامعة قاريونس: بنغازي، الطبعة الثانية، ص ص 20-24.

(4) Geological map of Libya- Darnah, (1973), sheet NI34-16, Industrial Research Centre, Tripoli, Libya.

(5) Geological map of Libya-Albardia, (1975), sheet NH 35-1, Industrial Research Centre, Tripoli, Libya.

الحيوانية والحفريات وقدر طول هذا العصر مليوني سنة، وهناك من اعتمد على الأسس المناخية وقدر فترة هذا العصر ما بين 2.5 —

3.0 مليون سنة، ويمكن القول: إن عصر البلايستوسين يتراوح ما بين 2-3 مليون سنة مضت⁽⁶⁾. وارتبط منسوب سطح البحر بالتغيرات المناخية — النباتية في الزمن الرابع، وكذلك هناك عوامل أخرى منها: التكتونية مثل توازن القشرة الأرضية وبناء الجبال والتواء سطح الأرض؛ لذلك فإن مستوى سطح البحر خلال عصر البلايستوسين قد شهد تذبذبا مستمرا، حيث كان الغمر البحري بالفترات الدافئة التي تتخلل الفترات الجليدية، والعكس أثناء فترات البرودة الشديدة أو الجليدية.

تميز الزمن الرابع بالتغيرات المناخية التي شاهدها الصحراء الكبرى الحالية من تتابع للربوبية والجفاف، والأودية الجافة الموجودة حاليا كانت تتلقى سيولا كثيرة، وكذلك الكثبان الرملية القارية والتي تماسكت مكونة الحجر الرملي، حيث نجد هذه التغيرات المناخية مسنولة إلى جانب التكوين الصخري عن أنواع التربة المختلفة. وأخذت الأراضي الليبية الشمالية شكلا لا يختلف كثيرا عن شكلها الحالي مع نهاية الزمن الثالث ومع بداية عصر البلايستوسين بالزمن الرابع⁽⁷⁾.

ويمكن حصر رواسب الزمن الرابع على شكل غطاءات رملية أو كثبان رملية شاطئية تتدرج من خشنة إلى ناعمة، وتنتشر في مناطق متفرقة وفق شكل السهل الساحلي، وفي بعض الأماكن تتماسك الرمال على شكل صخور الكالكارينيت التي يكون أصلها ريحيا في الغالب، وتنتشر في مناطق متفرقة من الساحل الشمالي لمنطقة الدراسة، كما تنتشر العديد من السبخات حول مصبات الأودية والخلجان في المناطق المنخفضة نسبيًا بالقرب من شاطئ البحر حول خليج البمبا وعين الغزالة وخليج طبرق، وتنتشر أيضا الرواسب المائية التي تتكون من بعض الطمي والرمل الدقيقة والخشنة وبعض الأحجار شبه المستديرة في معظم أحواض الصرف الداخلي المنتشرة جنوب منطقة الدراسة وأودية الحافات الشمالية المنحدرة صوب البحر شمالا، ويمكن حصر مكونات الزمن الرابع فيما يلي:

1- رواسب قيعان المنخفضات:

تعد هذه الرواسب الأكثر شيوعا على سطح هضبة البطنان والدفنة، وتتكون في معظمها من الطمي واللوس، وتغطي العديد من قيعان المنخفضات على سطح منطقة الدراسة بدرجات متفاوتة، وهذه الرواسب تحتوي على الكوارتز الذي تتراوح نسبته بين 20-30 % وجزء كبير من الطمي قد يكون مشتقا من ناتج التعرية والتجوية من الصخور الجيرية، ويميل لون هذه الرواسب إلى اللون البني الفاتح، وفي كثير من المواضع تكون هذه الرواسب مختلطة بكميات متفاوتة من الحصى خاصة في أحواض المنخفضات.

2- الرواسب الساحلية: (Coastal sediments)

تشمل هذه المجموعة الرواسب الساحلية من رمال الشاطئ، وفي بعض الأحيان تتماسك وتلتحم مشكلة صخور الكالكارينيت الساحلية التي غالبا ريحية النشأة، وكذلك الكثبان الرملية الساحلية، والحصى الساحلي، وتنتشر الرمال الشاطئية في مناطق متفرقة على ساحل مرسى لك في هضبة الدفنة، وكذلك ساحل القرصية ومنطقة المرصص وحول مصبات الأودية التي تخترق الحافة الشمالية لمنطقة الدراسة نحو البحر المتوسط شمالا.

(6) أندروس.جودي، ترجمة محمود محمد عاشور: (1995) التغيرات البيئية — جغرافية الزمن الرابع، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ص 34.

(7) جودة، حسنين جودة، (1975) أبحاث في جيومورفولوجية الأراضي الليبية، الجزء الثاني، منشورات جامعة بنغازي، مؤسسة عبد الحفيظ البساط، بيروت.

3- رواسب السبخات: (Sebkhha sediments).

تنتشر البحيرات الملحية الضحلة حول الخلجان الرئيسية شمال منطقة الدراسة حول خليج البردي وطبرق وعين الغزالة والبمبا، وفي مناطق متفرقة من الساحل، وترتفع أمواج البحر في أثناء عواصف الشتاء؛ لتغطي هذه البحيرات، وكذلك تصب بها بعض الأودية عند سقوط الأمطار مكونة بحيرات بالقرب من شاطئ البحر حول الخلجان والمناطق المنخفضة، وفي فصل الصيف ترتفع الحرارة والجفاف، وبالتالي ترتفع نسبة التبخر السريع مكونة رواسب تكون في الغالب من الرمال الكلسية الدقيقة جداً، والجبس المجهرى والملح القلوي والطين⁽⁸⁾.

ويتبين ما خلال ما سبق أن جل التكوينات الصخرية المكونة لهضبتى البطنان والدفتة تنتمي للزمنيين الثالث والرابع، وشهدت هذه المنطقة مراحل متعاقبة من تطورها الجيولوجي، ويتراوح عمرها بين الأيوسين الأوسط حتى البليستوسين والعصر الحديث، ومرت خلالها بأحداث عديدة أهمها حركات الرفع والتصدع والهبوط وتقدم البحر وانحساره، بالإضافة إلى نشاط عمليات التجوية وعوامل التعرية والتي أدت إلى المظهر الجيومورفولوجي الحالي لسطح الهضبة، وما يسود بها من أشكال تضاريسية.

نبذة عن المناخ الحالي:

بلغت معدلات الأمطار في الهولوسين المبكر (8000 قبل الميلاد) أكثر من 500مم/سنة على شمال أفريقيا في سواحل البحر المتوسط الجنوبية والتي تعد منطقة الدراسة جزءاً منها، وأخذت الأمطار تتناقص بشكل كبير على هذه المنطقة في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وفي الألف الأولى قبل الميلاد أصبحت الأمطار شبه نادرة على هذه المنطقة، ويمكن القول إن المناخ الحالي قد بدأ منذ حوالي 5000 سنة⁽⁹⁾. ويهيمن بوجه عام على هضبتى البطنان والدفتة في الوقت الراهن نوعين من المناخ هما:

1. المناخ شبه الجاف على الأطراف الشمالية من منطقة الدراسة بما يتراوح بين 10-20 كم من الساحل التي فيها تتحسن الظروف المناخية نسبياً خاصة في فصل الشتاء.
2. المناخ الصحراوي الجاف إلى القاحل ويسود في الأراضي الداخلية من منطقة الدراسة وجنوبها.

وتتأثر العمليات المورفوديناميكية الحالية كثيراً بالتجوية الكيميائية على المناطق الساحلية، والتجوية الميكانيكية المرتبطة بالوضع المناخي الجاف وخاصة في وسط منطقة الدراسة وجنوبها، وتأتي عمليات النحت والترسيب بواسطة الرياح في مقدمة العمليات التي تعكس الظروف المناخية الحالية، وهي تختلف مكانياً باختلاف درجة التدهور في الغطاء النباتي واختلاف سرعة الرياح واتجاهاتها وديمومتها والطاقة الانحدارية. وتظهر هذه الاختلافات المكانية في شدة العمليات الريحية، حيث تسود عمليات النحت في سفوح المنحدرات، وتسود عمليات التعرية الساحلية في المناطق المسطحة وخاصة في مناطق أحواض الصرف الداخلي المنتشر جنوب خط تقسيم المياه، كما أن عمليات الترسيب في الأودية والأراضي السهلية تشهد أيضاً عمليات التعرية الأفقية. ويوجه عام فإن تلك العمليات تعمل في الوقت الحاضر بصورة بطيئة على تعرية السفوح ونقل الرواسب وبناء سهول أقدام المنحدرات. ونتيجة لهيمنة المناخ الجاف والقاحل في

(8) Geological map of Libya-Albardia, (1975), sheet NH 35-1, Industrial Research Centre, Tripoli, Libya.p.36.

(9) Hélène Jousse, Gilles Escarguel., 2006, The use of Holocene bovid fossils to infer palaeoenvironment in Africa, Quaternary Science Reviews 25, pp775-776

معظم هضبتي البطنان والدفنة فإن العمليات الريحية تنشط كثيراً وخاصة في الجهات التي تقل فيها معدلات الأمطار عن 100 ملم في السنة. هذه العمليات الريحية تسود اليوم في المناطق الصحراوية الداخلية في وسط منطقة الدراسة وجنوبها، حيث تزداد عمليات إعادة تموضع الأتربة وبناء الكثبان الرملية القارية، ومع ذلك فإن هذه المناطق تشهد أيضاً بعض العمليات الخاصة بالمياه السطحية الجارية المؤقتة خلال موسم الأمطار الشتوي وهي تنحصر في بطون الأودية وبعض أحواض الصرف الداخلي (البلط) تتسع وتتداخل مع الرواسب الريحية.

المضامين المناخية القديمة لبعض أشكال سطح الأرض في هضبتي البطنان والدفنة:

- تبدلات وتغيرات نظم أو شبكة التصريف المائي السطحي:

تعد هضبتي البطنان والدفنة جزء من هضبة مارمريكا القديمة، وهي هضاب مترامية الأطراف ويغلب عليها المظهر الهضبي وتنحدر حافتها الشمالية تدريجياً في بعض المواضع نحو السهل الساحلي على البحر المتوسط، وأحياناً يكون انحدارها على شكل جروف صخرية صوب البحر مباشرة، كما في أقصى الساحل الشرقي من هضبة الدفنة بين مصبي وادي الجرفان وحتى وادي العين وكذلك في هضبة البطنان بالمنطقة الممتدة بين مصبي وادي العودة وحتى وادي الكراث، أما باتجاه الجنوب بعد خط تقسيم المياه الذي لا يبعد كثيراً عن الساحل فيكون الانحدار هين جداً حتى إن المتجول من الشمال إلى الجنوب لا يشعر بذلك الانحدار في مواضع كثيرة. وهذه المنطقة تأثرت بالاضطرابات التكتونية (عمليات الرفع) ما أدى إلى ظهورها فوق سطح البحر، وكانت عمليات الرفع في شمال المنطقة أكثر من أطرافها الجنوبية، ما أثر على نظم التصريف المائي واختلالها في بعض المواضع⁽¹⁰⁾. ويوضح الشكل رقم (3) نظم التصريف المائي بهضبة مارمريكا والجبل الأخضر في أواخر عصر الميوسين:



SOURCE: Desio, A. (1971), p21

يوضح الشكل رقم (3) نظام تصريف المياه السطحية بهضبة مارمريكا وأواخر عصر الميوسين

(10) Desio, A (1971) Outlines and Problems of the Geomorphological Evolution of Libya from the Tertiary to the present day, Symposium on the Geology of Libya, Tripoli. P. 21.

وتشكل منطقة الدراسة حوضاً طبوغرافياً عظيماً يمكن أن يتواصل فيه الجريان المائي السطحي في ظروف المناخ المطير بحيث يكون حوضه الجنوبي جنوب خط تقسيم المياه تتجمع به المياه السطحية الجارية، أما شمال خط تقسيم المياه فيكون الجريان السطحي للمياه نحو الشمال وتصب في البحر المتوسط عبر الأودية الساحلية المنتشرة على المدرجات الشمالية حالياً، ينفصل هذا الحوض الطبوغرافي العظيم في نظامه التصريفي بواسطة الرصيف الكلابري الذي يمتد من الغرب جنوب خليج عين الغزالة إلى الشرق جنوب خليج البردي ويتراوح ارتفاعه ما بين 222 م جنوب منطقة القرضبة إلى 218 م جنوب خليج البردي⁽¹¹⁾ إلى قسمين الجنوبي وتصريفه نحو الجنوب حيث المناخ القاحل فضلاً عن الظروف المناخية الحالية الجافة إلى شبه الجافة في المدرجات الشمالية التي تصرف مياه التغذية المطرية الكافية لأوديتها كوادي الجرفان والمانستير الشرقي والغربي والكيب والسهل الشرقي والغربي و بودويصة والكراث وغيرها إلى البحر شمالاً، وتشير الشواهد الاستراتيجرافية والأركيولوجية إلى حدوث تغييرات مناخية كانت لها آثار بيئية على السواحل، ووفقاً لآراء **Mc Burney & Hey (1955 م)** فإن خط الشاطئ حتى ارتفاع 6 م، يرجع تكوينه في الفترة الدافئة بين جليدي ريس وفورم من رواسب بحرية، والحضريات البحرية الموجودة بالرواسب الساحلية عند خط الشاطئ ليست لها أهمية مناخية أو تاريخية؛ لأن معظمها من فصائل الرخويات التي ما زالت تعيش حتى الآن في البحر المتوسط، وأن المرحلة الأولى من هذه الرواسب والتي تمثلها رواسب التوفا الكلسية كانت تتميز بصيف حار، أما الشتاء فيرجح بأنه بارد، وكمية الأمطار به كبيرة، أما المرحلة الثانية وتمثلها الكتلان الرملية والحصى الأحدث، وهذه المرحلة كانت تتميز بشتاء شديد البرودة، وكمية الأمطار الفضلية تشبه الوقت الحالي، أما الرواسب الأخرى فهي قارية وأحدث عهداً من البحرية، ومعظم الرواسب الساحلية سواء كانت بحرية أم قارية في النطاق الساحلي تقتصر على عصر البليستوسين في أثناء فترة جليد فورم (**Wurm**) وهي آخر المراحل الجليدية أقلها عمراً من الفترات الجليدية الأربعة، إذ استغرق الفترة من 40000 - 18000 قبل الميلاد.

وفضلاً عن التبدلات السابقة في نظم التصريف المائي السطحي يمكن ملاحظة بعض التحويرات في شبكة التصريف السطحي ناتجة عن النحت التراجمي والأسر النهري. وتتركز معظم ظواهر الأسر النهري في نظم التصريف السطحي على المدرجات الشمالية التي تتميز بالطاقة الانحدارية الكبيرة. وما يذكر في هذا المجال أن الجزء الجنوبي من منطقة الدراسة أصبح أقل انحداراً ما أدى إلى الأسر النهري لروافد وادي الشعبة ووادي الحميم، هذا فضلاً عن ظواهر الأسر النهري في جنوب منطقة الدراسة في الوادي الخالي ووادي قوز الحمر ووادي الحيط، ومع ذلك فإن ظواهر الأسر النهري تتسارع مع النشاط المتواصل للنحت الخطي في ظل ظروف مناخية مطيرة حدثت خلال مراحل مختلفة من البليستوسين.

فقد نشطت العمليات المورفوديناميكية للجريان السطحي على المدرجات الساحلية الشمالية التي لازالت في عنقوانها خلال موسم سقوط الأمطار شتاءً وعملت على تقطيع تلك المدرجات إلى العديد من الأودية الخطية العميقة وتطوير نظم التصريف السطحي إلى ساحل البحر المتوسط شمالاً. أما فيما يتعلق بوسط هضبتي البطنان والدفنة وجنوبها فإنها أقل انحداراً وتأخذ شكلاً هضبياً ينحدر ببطء إلى الأراضي السهلية الداخلية.

وترتبط نشأة هضبتي البطنان والدفنة بتطور الأحداث الجيولوجية لمنطقة الجبل الأخضر وإقليم برقة ككل، كما ذكرنا سابقاً، ومع استمرار حركات الرفع خلال عصر الميوسين ظهر إقليم برقة كجزيرة فوق سطح بحر تيثس القديم ويمثل الجبل الأخضر قمته، وامتد تأثير حركة الرفع شرقاً ليشمل هضبتي البطنان والدفنة، وغرباً شمل سهول

(11) الدراسة الميدانية شهر ديسمبر 2022.

سرت⁽¹²⁾ لذلك تظهر هضبتي البطنان والدفنة من الناحية الجيومورفولوجية ارتباطاً أكثر بالظروف الليثولوجية، نظراً لمكوناتها من صخور الحجر الجيري.

وقد تعرضت للتعرية المائية السطحية الجارية والجوفية التي عملت على نحت وإذابة التكوينات الجيرية التي في أسفلها ونتج عنها تكوين الخنادق الضيقة والعميقة التي تصل حتى عمق 40 م دون مستوى سطح منطقة الدراسة والتي نجد 77% من مساحتها يتراوح ارتفاعها بين 100-258 م فوق مستوى سطح البحر. وقد تطور عن تلك العمليات المورفوديناميكية القديمة في هضبتي البطنان والدفنة نظام تصريف الأودية المنتشرة على الحافة الشمالية الذي مزق منطقة الدراسة تمزيقاً شديداً وميزها بحوافها الحادة التي تطل على بطون الأودية في الشمال.

ونظراً للتصدع الشديد الذي تعرضت له المنحدرات الشمالية لمنطقة الدراسة مكونة المدرجات الساحلية فإنها تتميز بالتضرس ودرجة الانحدار الكبيرة نحو ساحل البحر المتوسط شمالاً ما أدى إلى زيادة فاعلية الجريان السطحي وتكوين عدد من نظم الأودية الساحلية القصيرة. أما فيما يتعلق بوسط منطقة الدراسة وجنوبها فإنها أقل ارتفاعاً من شمالها، وتندحر تدريجياً نحو الجنوب لتغوص تحت بحر الرمال العظيم جنوباً.

- تذبذب سطح البحر:

من المعروف أن أول عصر جليدي ظهر في القارة القطبية الجنوبية وكان خلال عصر الإيوسين (Eocene) بالزمن الثالث، وقد نتج عنه فترات ممطرة في شمال إفريقيا وفي الصحراء الكبرى الحالية والتي تعد منطقة الدراسة جزءاً منها، أما العصر الجليدي في نصف الكرة الشمالي والذي وصل حتى خط العرض 45 شمالاً صاحبه تناقص كبير للأمطار في شمال إفريقيا وجفاف في الصحراء الكبرى الحالية⁽¹³⁾. وغيرت البحار شواطئها خلال الفترات الجليدية وفترات الدفاء التي تخللتها، وخضعت لعمليات مد وجزر متتالية خلال عصر البلايستوسين تاركة شواطئ متتالية ومتدرجة في ارتفاعها، وبعدها عن شاطئ البحر الحالي وفق زمن تشكيلها، وإن أشار هذه التقلبات المناخية تظهر واضحة في طبوغرافية منطقة الدراسة. وتختلف هذه الدلائل إلى حد كبير من حيث درجة حفظها وطبيعتها ترسباتها.

تأثر التذبذب الأيوستاتي للبحر أساساً بالتغيرات المناخية العالمية، ويرتبط في علاقة مباشرة بالعصور الجليدية الباردة وما بين الجليدية الدفيئة، وما رافقها من عمليات غمر وانحسار بحري للأراضي الساحلية، وتعرف هذه التغيرات في مناسيب مياه البحر بالتذبذبات الإيوستاتية **Eustatic fluctuations**، وقد ارتبط انخفاض منسوب سطح البحر على المستوى العالمي بفترات القمم الجليدية البلايستوسينية، إذ تراوح بين: 100-150 م⁽¹⁴⁾، واختلقت الآراء والتقديرات لمعدلات انخفاض مستوى سطح البحر في ذلك العصر، وقد قدر (Donn et al 1962) انخفاض منسوب البحر بين 137-159 م، دون مستواه الحالي خلال فترة ريس، وبين: 105-123 م خلال الفترة الجليدية الأخيرة (فورم، وسكنسن، ويستشل) تحت مستواه الحالي، ويرى (Veehvevers, 1970) أن منسوب سطح البحر

(12) Desio, A. 1971, Op.Cit. P.29.

(13) MALEY. J. (1980): Les changements climatiques de la fin du Tertiary en Afrique: leur conséquence sur l'apparition du Sahara ET de SA végétation, In: Williams M.A.J. (Ed) Faure H. (Ed) the Sahara and the Nile: quaternary environments and prehistoric occupation in Northern Africa. Rotterdam: Balkema, 1980, 4, p63-86.

(14) محسوب، محمد صبري، (2002) جيومورفولوجية الأشكال الأرضية، بدون دار نشر، 2ط، القاهرة، ص 317.

انخفض إلى ما دون : 175 م على المستوى العالمي خلال نهاية الفترة الجليدية الأخيرة؛ لانحسار المياه في الغطاءات الجليدية، أي خلال الفترة : 17000-13600 سنة مضت⁽¹⁵⁾ ومع انتهاء فترة جليد فيرم وبداية انصهار الجليد ارتفع مستوى سطح البحر في بداية عصر الهولوسين نحو: 5 م، فوق مستواه الحالي، فيما يعرف بالغمر الفنلندي⁽¹⁶⁾؛ ومن ثم غمرت المياه النطاق الساحلي، وكذلك الأجزاء الدنيا من الأودية الساحلية مكونة الشروم بأحجامها المتباينة، وما لبثت أن تناقصت أبعادها؛ لانخفاض مستوى سطح البحر التدريجي لمستواه الحالي. لذلك عمد الباحث إلى إضافة بعض الأشكال البحرية الساحلية إلى الدلائل الجيومورفولوجية للتغيرات المناخية وذلك بهدف تعزيز المقارنة لظروف المناخية محليا وعالميا. وتبين الدراسات أن الارتفاع أو الانخفاض في مستوى سطح البحر يخلف أرضة شاطئية وجروفا ساحلية أو رملية وغيرها من الأشكال البحرية التي تميزه في الخصائص الجيومورفولوجية وفي العمر الجيولوجي.

- الفتحات الساحلية:

تعد الفتحات الساحلية والأرضة البحرية والمدرجات النهرية فوق اليابس على ضفاف الأودية دلائل جيومورفولوجية على تذبذب مستوى سطح البحر، وهي من نتائج التغيرات المناخية بالزمن الرابع. تكونت الفتحات الساحلية نتيجة حدوث غمر بحري لبعض السواحل، وهي فتحات ساحلية تشبه سواحل الريا ولكنها أصغر وأقل منها اتساعا، هي عبارة عن امتداد لمياه البحر داخل اليابسة، وترتبط في الغالب بمصبات الأودية، وتأخذ الشكل القمعي نتيجة الغمر البحري للشاطئ المنخفض⁽¹⁷⁾ وتعرضت بعد نشأتها لظروف مناخية متباينة نتج عنها اختلاف فيما تعرضت له من عمليات ردم أو نحت قاري أو بحري، وتنتشر هذه الفتحات الساحلية قرب مصبات الأودية الساحلية بمنطقة الدراسة خاصة بالقطاع الشمالي الشرقي من الساحل الممتد من الحدود الليبية المصرية شرقا من مصب وادي المعترض جنوبا وحتى مصب وادي الملاحة شمالا، ومن مصب وادي الطرفاوي حتى مصب أم الشاوش غربا، وتنتشر الفتحات الساحلية عند مصبات الأودية شمال ساحل هضبة الدفنة، والبالغ عددها 58 وادي، وأيضاً نجد الساحل الممتد من مصب وادي أميرة شمال مدينة طبرق وحتى مصب وادي الكراث تنتشر به الفتحات الساحلية أمام مصبات الأودية التي تصب في البحر المتوسط شمالا. وتعاصر هذه الفتحات الساحلية حالياً عوامل تشكيل بحرية، تتمثل في الأمواج والعواصف البحرية والتي لها دوراً فعالاً في نحت جوانب الفتحات وتآكلها وتراجعها، وحركة التيارات البحرية، وحركتي المد والجزر، التي يكون تأثيرها محدوداً على تلك الفتحات الساحلية. ومن خلال المشاهدات الميدانية لساحل منطقة الدراسة والمرئية الخاصة بالساحل، تم حصر عدد 35 فتحة بحرية على الساحل، وقد سميت وفق أسماء الأودية التابعة لها ويوضح الجدول رقم (1) بعض الفتحات الساحلية في هضبة الدفنة، والجدول رقم (2) الفتحات الساحلية في هضبة البطنان.

(15) أندروس.س.جودي، ترجمة محمود محمد عاشور، (1995) مصدر سبق ذكره، ص 246.

(16) أبورية، أحمد محمد أحمد، (2007) المنطقة الممتدة فيما بين القصير ومرسى أم غيج دراسة جيومورفولوجية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ص 222.

(17) محسوب، محمد صبري، (2002) مصدر سبق ذكره، ص 367.

يوضح الجدول رقم (1) الخصائص المورفومترية للفتحات الساحلية في هضبة الدفنة

م	الاسم	الموقع	المساحة كم ²	المحيط كم	متوسط العرض كم	أقصى امتداد في اليابس كم
1	مرسى الرملة	25°:08'~31° شرقاً 31°:40'~47° شمالاً	0.11	1.53	0.25	0.48
2	مرسى المريفة	25:08:23 شرقاً 31:40:00 شمالاً	0.04	1.12	0.11	0.36
3	مرسى البردي	25:07:43 شرقاً 31:42:34 شمالاً	0.33	2.67	0.39	0.95
4	مرسى العورة	24:53:02 شرقاً 31:58:58 شمالاً	0.91	4.51	1.48	0.60
5	مرسى لك	24:44:46 شرقاً 32:00:58 شمالاً	0.58	4.79	1.29	0.40
6	مرسى بالعضاريت توجد فتحتين بالساحل	24:25:07 شرقاً 31:59:42 شمالاً الشرقية والغربية	0.25	2.15	0.42	0.60
			0.21	2.22	0.30	0.68
7	مرسى دومة	24:23:05 شرقاً 31:59:36 شمالاً	0.20	2.52	0.31	0.65
8	مرسى بوخشبية	24:21:50 شرقاً 31:59:46 شمالاً	0.31	3.03	0.48	0.55
9	مرسى الكد سك مصب وادي الذوق	24:20:53 شرقاً 31:59:47 شمالاً	0.12	1.59	0.26	0.49
10	مرسى الكويضية	24:17:07 شرقاً 31:59:56 شمالاً	0.22	2.13	0.58	0.38
11	مرسى العقيلة	24:15:10 شرقاً 32:00:11 شمالاً	0.15	1.84	0.49	0.30
12	مرسى رأس بياض	24:01:45 شرقاً 32:02:30 شمالاً	0.18	2.24	0.45	0.50
13	مرسى أم الشاوش	24:00:48 شرقاً 32:02:00 شمالاً	0.22	2.84	0.37	0.71
14	مرسى الحريقة	23:59:55 شرقاً 32:03:24 شمالاً	0.02	0.82	0.12	0.23
		المتوسط	0.26	2.55	0.52	0.53

المصدر من قياسات الباحث من الخرائط الطبوغرافية مقياس 1:50000 (البردي، قصر الجدي، كمبوت، القفرة، طبرق) وتم استخراج المساحة والمحيط من المرئية الفضائية DEM بتاريخ 17.7.2021 وتم استخراج المساحة والمحيط باستخدام برنامج ARC GIS 10.3. بتاريخ 2022/11/15.

الجدول رقم (2) الخصائص المورفومترية للفتحات الساحلية في هضبة البطنان

م	الاسم	الموقع	المساحة كم ²	المحيط كم	متوسط العرض كم	الامتداد في اليابس كم
1	أمريرة	55°:23':58" شرقاً 51°:32':05" شمالاً	0.12	1.77	0.35	0.47
2	عبد الرسول	29°:23':58" شرقاً 03°:32':06" شمالاً	0.07	1.30	0.25	0.38
3	هاشم	14°:23':57" شرقاً 16°:32':06" شمالاً	0.10	1.60	0.21	0.46
4	العودة	50°:23':55" شرقاً 20°:32':06" شمالاً	0.56	4.08	0.81	0.91
5	طبيرق	41°:23':54" شرقاً 42°:32':06" شمالاً	0.15	1.71	0.29	0.51
6	حسوها	55°:23':53" شرقاً 49°:32':06" شمالاً	0.07	1.41	0.13	0.54
7	بوحجر	14°:23':53" شرقاً 57°:32':06" شمالاً	0.09	1.48	0.21	0.52
8	بوكريميسة	52°:23':52" شرقاً 52°:32':06" شمالاً	0.10	1.53	0.22	0.50
9	بوالقمل	15°:23':52" شرقاً 01°:32':07" شمالاً	0.31	2.72	0.47	0.77
10	بوالمقارين	34°:23':51" شرقاً 30°:32':07" شمالاً	0.27	2.32	0.45	0.66
11	الوعير	05°:23':51" شرقاً 30°:32':07" شمالاً	0.08	1.33	0.20	0.46
12	أم كحيل	35°:23':50" شرقاً 01°:32':08" شمالاً	0.16	1.79	0.46	0.37
13	السهل ثغري	52°:23':49" شرقاً 13°:32':08" شمالاً	0.12	1.54	0.51	0.26
14	بودويسة	33°:23':49" شرقاً 23°:32':08" شمالاً	0.06	0.98	0.22	0.32
15	المعطينات	13°:23':49" شرقاً 33°:32':08" شمالاً	0.09	1.42	0.29	0.30
16	الشريمية	54°:23':48" شرقاً 42°:32':08" شمالاً	0.04	0.81	0.14	0.33
17	بوقشيطة	16°:23':48" شرقاً 56°:32':08" شمالاً	0.05	0.92	0.29	0.24
18	امرايف	06°:23':48" شرقاً 02°:32':09" شمالاً	0.02	0.66	0.16	0.16

0.27	0.34	1.02	0.06	37°:23'09" شرقاً 14°:32'09" شمالاً	المعقب	19
0.13	0.18	0.60	0.02	04°:23'09" شرقاً 25°:32'09" شمالاً	أميرية الغربي	20
0.22	0.35	1.00	0.04	35°:23'09" شرقاً 39°:32'09" شمالاً	الكراث	21
0.42	0.31	1.52	0.12	المتوسط		

المصدر من قياسات الباحث من الخرائط الطبوغرافية مقياس 1:50000 (البردي، قصر الجدي، كمبوت، الفقرة، طبرق) وتم استخراج المساحة والمحيط من المرئية الفضائية DEM بتاريخ 17.7.2021 وتم استخراج المساحة والمحيط باستخدام برنامج ARC GIS 10.3. بتاريخ 2022/11/15.

يتبين من خلال دراسة الخصائص المورفومترية للفتحات الساحلية في هضبتي البطنان والدفنة ما يأتي:

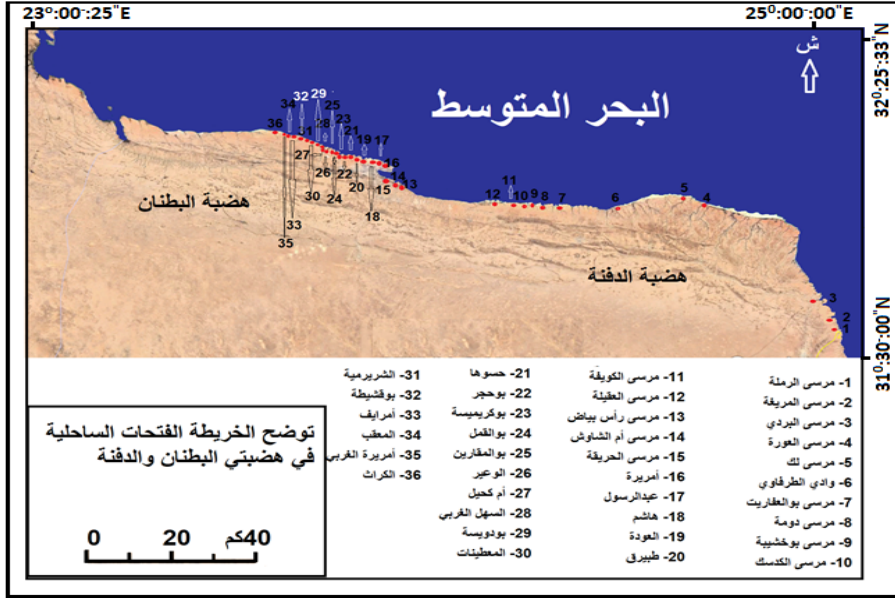
- تقع معظم الفتحات الساحلية في شمال شرق منطقة الدراسة وشمالها، نتيجة طبوغرافية السطح، وكثرة الأودية الساحلية التي ترتبط بها.

- بلغ متوسط مساحة الفتحات الساحلية في هضبة الدفنة 0.26 كم²، وفي ساحل هضبة البطنان 0.12 كم²، وكانت أقل الفتحات الساحلية مساحة في ساحل منطقة الدراسة فتحة الحريقة وأمرايف وأميرة الغربي (0.02 كم²) في هضبة البطنان، وكانت فتحة مرسى العورة وهي الأكبر مساحة حيث بلغت مساحتها (0.91 كم²)؛ ويرجع تباين مساحة الفتحات الساحلية إلى مساحة أحواض الأودية التي ترتبط بها، وتوجد علاقة طردية بين مساحة الفتحات الساحلية وأحواض الأودية، لأنها امتداد للقطاعات الدنيا للأودية التي كونتها.

- بلغ متوسط امتداد الفتحات الساحلية في اليابسة بهضبة الدفنة 0.53 كم، وفي هضبة البطنان 0.42 كم وتراوحت مسافة تداخل مياه البحر مع اليابسة في ساحل هضبة الدفنة بين 0.23 كم في مرسى الحريقة إلى 0.95 كم عند مرسى البردي، وكذلك ساحل هضبة البطنان تراوحت مسافة امتداد البحر في اليابسة ما بين 0.13 كم عند مصب وادي أميرة الغربي إلى 0.91 كم عند مصب وادي العودة، ويرجع ذلك إلى طبيعية الساحل وتركيبه الصخري وتأثير فعل الأمواج والتيارات البحرية وحركتي المد والعجز إلى جانب العوامل المختلفة التي أدت إلى نشأة هضبتي البطنان والدفنة.

- بلغ متوسط عرض الفتحات الساحلية باتجاه البحر في ساحل الدفنة 0.52 كم، وفي ساحل البطنان 0.31 كم. ويرتبط اتساع الفتحات الساحلية باتجاه البحر بعوامل النشأة؛ نتيجة تذبذبات منسوب سطح البحر قديماً خاصة السالبة منها، الأمر الذي أدى إلى نشاط عوامل التعرية النهرية، التي عملت على تعميق مجاري الأودية؛ للوصول إلى مستوى القاعدة الجديد، وأدى امتداد المجاري المائية فوق الهوامش المكشوفة الضحلة للرف القاري إلى النحت التراجمي من المصب إلى المنابع. وكذلك الخصائص الليثولوجية لصخور منطقة الفتحات الساحلية وطبوغرافية السطح، كلها عوامل مجتمعة أدت إلى تشكيلها وفق مظهرها الحالي، ويعتبر عامل اختلاف التركيب الصخري من أهم العوامل التي تشكل الإطار الجيومورفولوجي العام لخط الساحل. فإذا كانت الجروف البحرية التي تشرف على خط الساحل تتألف من طبقات صخرية صلبة متراكبة فوق طبقات صخرية لينية، وأنها تمزقت وتشققت بفعل الشقوق الكثيفة فتتآكل الصخور اللينة بسرعة بفعل تكسر الأمواج وتلاطمها، وسرعان ما تنزلق الكتل الصخرية أو تنهار وتتساقط من أعالي الجروف البحرية لتقدم إلى البحر رسوبيات قارية جديدة تتجمع فوق أرضية قاعه، كما في الساحل الممتد

من مصب وادي الطرفاوي وحتى مرسى العقيلة في هضبة الدفنة، وكذلك الساحل الممتد من مصب وادي أميرة حتى مصب وادي الكراث في هضبة البطنان. وتوضح الخريطة رقم (4) الفتحات البحرية على ساحل هضبتي البطنان والدفنة.

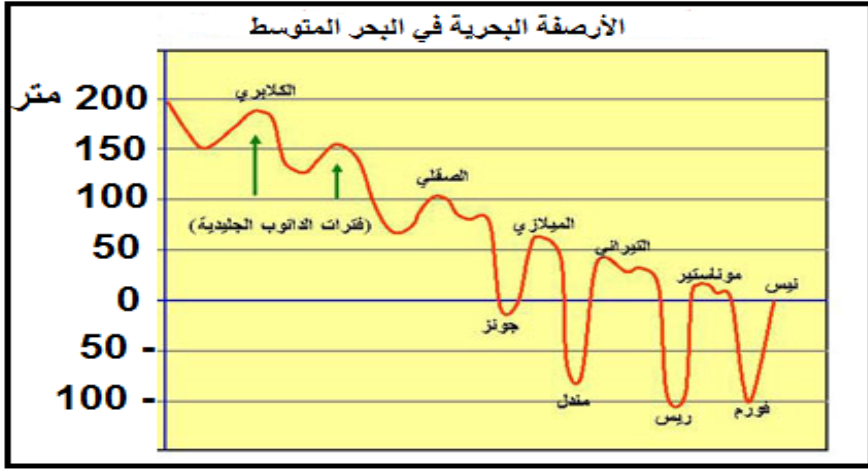


المصدر من إعداد الباحث بناء على المرئية الفضائية DEM بتاريخ 17.7.2022 بدقة وضوح 28.5م.

توضح الخريطة رقم (4) الفتحات البحرية على ساحل هضبتي البطنان والدفنة

الأرصفة البحرية:

لم تقتصر التغيرات البيئية خلال عصر البلايستوسين في الزمن الرابع على التغيرات المناخية فحسب، بل تعدتها إلى بعض النتائج التي تركت دلالاتها على سطح الأرض، أهمها تذبذبات مستوى سطح البحر خلال عصري البلايستوسين والهولوسين في الزمن الرابع والتي تعرف بالتذبذبات الإيوستاتية **Eustatic** التي ترتبط بالتغيرات المناخية في الزمن الرابع وبعده، وما أرتبط بها من تغير العلاقة بين توزيع اليابس والماء على سطح الأرض، ونشأة بعض الظواهر الجيومورفولوجية خاصة على امتداد السواحل أهمها الأرصفة البحرية. ووضع كل من **Depert & Gignoux (1913)** و**(1918)** مسميات للأرصفة البحرية التي قام بدراستها في جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية، وأصبحت هذه المسميات الأساس الذي بنيت عليه الدراسات اللاحقة الخاصة بالشواطئ في البحر المتوسط. ووفقاً لدراسات **Buedel (1965)** بلغ منسوب سطح البحر في بداية عصر البلايستوسين 100 م فوق مستوى الحالي، والأرصفة البلايستوسينية يشترط أن تقع في مناسيب أدنى من مائة متر، وإذا وجدت خطوط للشواطئ أعلى من هذا المنسوب، فهي إما أنها قد تكونت بفعل البحر في بداية البلايستوسين، أو تكون قد تكونت بفعل عوامل تكتونية. ويوضح الشكل رقم (5) مناسيب الأرصفة البحرية كما يراها **Buedel (1965)**.



المصدر Buedel (1965).

يوضح الشكل رقم (5) الأرضفة البحرية في حوض البحر المتوسط

تعد الأرضفة البحرية في منطقة الدراسة دليل على التغيرات التي انتابت حُط الساحل قديماً، وخاصة الموجية منها، والتي كانت خلال الفترات الدافئة بين الجليدية، وقام بدراسة الأرضفة الساحلية في هضبة البطنان كل من (1920 C.Migliorini م) وكذلك (1925 C.Crema م) و (1939 A. Disio م) ويبدو أن ساحل هضبة البطنان والدفنة متقطع بواسطة مجموعة من الصدوع والفوالق والتي تمتد موازية لخط الساحل تقريبا، ويرى Disio أن هذه الصدوع المنتشرة شمال منطقة الدراسة قد أنشأت سلسلة من الحافات، ويعتقد أن الأسطح التي تقع أعلى الحافات الصدعية وأسفلها تماثل المدرجات التركيبية، أما Hey (1955 م) فيرى أن كل الحافات شمال برقة وهضبة البطنان والدفنة قد نشأة بسبب التعرية البحرية وهي أرضفة بحرية، أما Disio (1939 م) فقد استنتج أن المدرجات العليا والتي تحدها صدوع واضحة هي مظاهر السطح التحتي القديم والذي هبط في هيئة درجات باتجاه البحر المتوسط شمالا؛ نتيجة تحركات كتلية حدثت على سطوح الفوالق، ولكي يتفق رأي Disio والذي يقول: بالنشأة الصدعية للأرضفة مع رأي Hey (1955) والذي يقول: أن كل أسطح الحافات من صنع التعرية البحرية، فإنه ينبغي افتراض أن الصدوع أقدم، وأن حافات الصدوع قد أزيلت بواسطة التعرية، وهنا نجد تناقضا مع ما يؤكد Disio أن عمر هذه الصدوع أحدث، ويرى أنها بليوستوسينية النشأة، أي خلال البليوستوسين، استنادا على دراسات مماثلة في أجزاء كثيرة من سواحل البحر المتوسط، وأما عن دراسة جودة (1975 م) فقال: إنه لا يشترط إرجاع نشأة الحافات في ساحل برقة إلى عامل واحد، فهناك ما قد يرجع نشأتها إلى الصدوع والفوالق، وما قد يكون بسبب التعرية البحرية .

ومن خلال دراسة C. Crema (1925) يمكن مشاهدة خمس درجات في منطقة طبرق وترجع نشأتها إلى التعرية البحرية، وارتفاعات هذه الأرضفة كما بالجدول رقم (3).

الجدول رقم (3) ارتفاعات الأرصعة في هضبة الهضبة البطنان

الارتفاع/ متر	ترتيب المدرج أو الرصيف
150	الرصيف الخامس الأعلى
لم يذكر ارتفاعه	الرصيف الرابع العلوي
لم يذكر ارتفاعه	الرصيف الثالث
95	الرصيف الثاني
50	الرصيف الأول

المصدر: C.Crema (1925), The Terraces of northern Marmarica p27-28

وكذلك قام **C.I.Migliorini** بدراسة الأرصعة في مدينة طبرق ولم يحدد ارتفاعها، ووصف هذه الأرصعة على أنها صدعية المنشأة، ولم يذكر الدرجة الخامسة على أنها مستقلة، ويرى أن الرصيف الثاني والثالث والرابع يمر على سطح واحد منحدر من الرصيف العلوي (الرابع) إلى الرصيف الأسفل، وكذلك **Disio** قال: إن الدرجات الساحلية في طبرق تمثل كتلا لسطح طبوغرافي واحد وقد تغير بواسطة الصدوع والفوالق، وإن الأحواض الطولية المنتشرة بين هذه الحافات تعترض انبساط أسطحها هي ذات نشأة صدعية، في حين استبعد (جودة) ربط تكوين الأحواض الطولية والتي تعرف محليا باسم السقايف بالعمليات الصدعية، وعدها أودية تالية تجري لتتصل بالأودية الرئيسية التي تقطع الحافات وتجري فوقها؛ لتصل إلى البحر شمالا أو أنها ناتجة عن عمليات التعرية سواء أكانت تعرية بحرية حدثت وقت تكوين الحافات أم بتأثير العمليات الكارستية، أم كلاهما معا، أما عن نشأة الأرصعة في هضبة البطنان والدفنة والتي لا تتماشى مع خطوط صدعية واضحة، هي في واقع الأمر بحرية المنشأة والتشكيل، وهذه الأرصعة لا يتعدى ارتفاعها : 100 متر فوق منسوب سطح البحر الحالي، وأشار إلى أن سبب عدم انتظام توزيع ارتفاعات الحافات يرجع إلى حركات تكتونية حديثة أدت إلى تشويه هذه الأرصعة بعد نشأتها، ويوضح الجدول رقم (4) الأرصعة البحرية في بعض مناطق حوض البحر المتوسط والمقارنة مع منطقة الدراسة.

الجدول (4) الأرصعة البحرية بهضبة البطان والدفنة والمقارنة بالأرصعة في حوض المتوسط

		أرصعة بحرية البحر المتوسط (متر)						الرصيف البحري وعمره	
الدفنة 2022	البحطان م 2022	برقة ليبيا Mc Burney Hey & 1955م	مطروح-السلوم مصر / م 1956	مريوط مصر م 1956	تونس- الجزائر م 1968	جنوب إيطاليا		الكلابري؛ بلايستوسين أقدم	
						Woldstedt م 1966	Buedel بيدل م 1965		
الدراسة الميدانية	الدراسة الميدانية	شاطن بحريان 200 - 140 م 1955	شكري وآخرون م 1956	شكري وآخرون م 1956	100-90	100-80	180	الدفن الصقلي ظهر في فترة الدفن الأولي (جونز) معدل	
218 -102	شاطن بحريان 210 -102	200	100	110-80	60-55	60	60	ميلا زي (جونز / معدل)	
106 -71	99-61	90- 70	100	110-80	30-28	30	40-28	تيراني (معدل/ ريس) موناستير (ريس / فورم)	
69 -38	60-47	55-44	60	60	6-5	10	8-7	الفاندري ما بعد جيد فورم	
40 -30	38 -29	40-35	35	35	20-18	25	28-20		
27 -22	27-10	25-15	25	25	8-7	7	8-7		

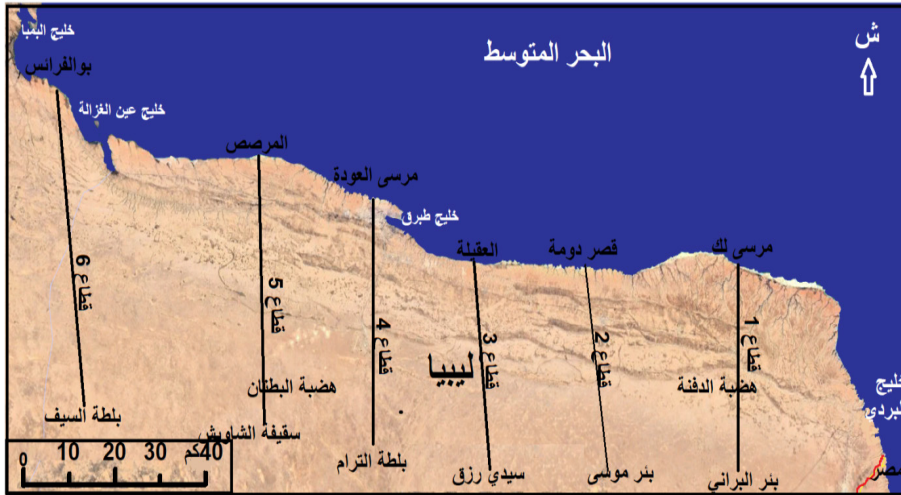
المصدر: تم الإعداد بناء على: الدراسات المرفقة والدراسة الحقلية خلال ديسمبر 2022م⁽¹⁸⁾.

(18) * جودة، 1975م، ص ص 20-32.

- Mc Burney and Hey (1955), The Terraces of northern Cyrenaica, p 71.
- Shukri,M, Philip, G. and Said, R (1956), The Terraces of northern Marmarica, p 28.
- Buedel, J. (1965), Eiszeitalter und heutiges Erdbild Die Umschau, Heft 1.
- Depert, C. (1968), Essai de coordination chronologique generale des temps quaternairesC.R.Acad .Sci Paris.
- Woldstedt, P. (1966), Ablauf des Eiszeitalters. Eiszeitalter und Gegenwart, 17, Oehringen.

ويمكن من خلال الجدول السابق ملاحظة الآتي:

- تتباين مناسيب الأرصفة التي صاحبت الفترات الدافئة خلال عصر البليوستوسين على هيئة مدرجات موازية لخط الساحل، حيث أن الهضبة تعرضت لحركات تكتونية أثرت على مناسيب الأرصفة، وخاصة أن المنطقة متأثرة بعدد لا بأس به من الانكسارات، ويبعد الرصيف الأعلى أو الأقدم عن البحر (40 كم تقريبا من الساحل الحالي) وتدرج في الانخفاض نحو البحر، وتشكل خطوط الشواطئ القديمة لساحل هضبة البطنان والدفنة خلال الزمن الرابع، ومن خلال المشاهدات الميدانية أمكن رصد ستة مستويات في منطقة الساحل تتراوح في الارتفاعات بين 3- 218 م، على مسافة تتراوح بين 0 - 40 كم، من خط الشاطئ الحالي، فالمدرجات تبدأ من الغرب جنوب خليج البمبا على هيئة تموجات أرضية هبنة حتى منطقة بوالفرائس شرق التميمي حيث يظهر الرصيف الأول على ارتفاع 100 م، ويستمر هذا الرصيف في الارتفاع باتجاه الشرق، ثم يتفرع إلى قسمين عند عين الغزالة، والحافة الشمالية منه تستمر منخفضة نسبيا حتى رأس المحيطة شرق المرصص، ثم يأخذ في الارتفاع بعد ذلك حتى وادي العودة شمال طبرق، ويبدو أن هذا الرصيف ينقسم أيضا إلى أرصفة ثانوية باتجاه الشمال صوب البحر المتوسط، في حين نجد الرصيف الجنوبي هنا يرتفع صوب الجنوب خاصة بين عين الغزالة حتى طبرق، ويمثل خط تقسيم المياه؛ ليصل الارتفاع جنوب القرصية حوالي 212 م، فوق سطح البحر في مسافة لا تتجاوز 10 كم، من شاطئ البحر شمالا. وقام الباحث بقياس الارتفاعات من الشاطئ شمالا وحتى منطقة أحواض الصرف الداخلي جنوب منطقة الدراسة بواقع ستة قطاعات طولية، ويوضح الشكل رقم (6) موقع القطاعات.



يوضح الشكل رقم (6) موقع القطاعات الطولية في هضبتي البطنان والدفنة

- عند مقارنة مناسيب الأرصفة في حوض البحر المتوسط، وخطوط الشواطئ القديمة بمنطقة الدراسة، نجد تشابهاً وتناسقاً كبيراً بينها في معظم الدراسات التي أجريت على ساحل البحر المتوسط، ومنها دراسة Shukri, M (1956 م) لساحل مريوط غرب الإسكندرية في مصر، وكذلك دراسة Depert (1964) على سواحل تونس والجزائر، ومعظم الدراسات ترجع هذا الرصيف الكلايري إلى البلياستوسين الأقدم وهو تكويني المنشأ. ويوضح الشكل رقم (7) قطاعات الارتفاع في هضبة الدفنة، والشكل رقم (8) قطاعات الارتفاع في هضبة البطنان والتي تبدأ من الشاطئ شمالا حتى منطقة أحواض

الصرف الداخلي جنوب منطقة الدراسة.

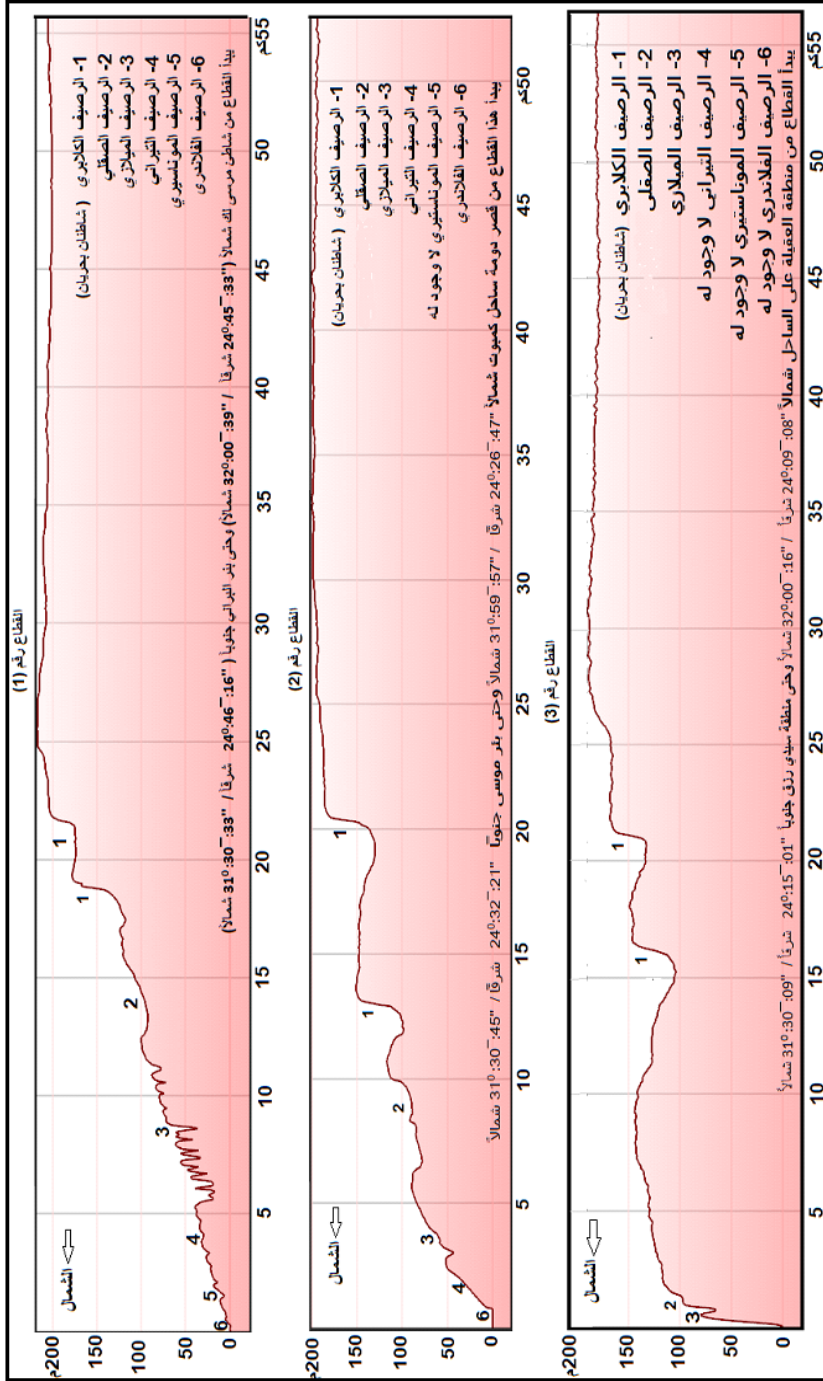
يمكن حصر الأرصفة البحرية القديمة في منطقة طبرق من خلال الدراسة الميدانية بالآتي:

الرصيف الأعلى: (الكالبري) Calabria

يعد هذا الرصيف الأقدم والأعلى، ويشكل شاطئان بحريان، وهو على هيئة تلال مسطحة القمم، تخترقه بعض مجاري الأودية الجافة، ويبعد في الغالب عن الساحل الحالي بين 30 - 40 كم، ويتسم سطحه بالانحدار الهين نحو الجنوب، وتتراوح درجة الانحدار بين 3 - 4°، في حين تتراوح درجة انحدار واجهته الشمالية بين 30 - 70°، ويتراوح ارتفاع هذا الرصيف في هضبتي البطان والدفنة بين 102-218 م، وتنتشر على سطحه الأحجار الجيرية المتفاوتة الأحجام، والحادة الحواف، وأحياناً تكون مختلطة مع التربة الرملية الصحراوية السائدة. ووفقاً لدراسات **MC.Burney & Hey (1955)** ودراسات جودة **(1975)** فإن هذا الرصيف ينتمي لعصر البلايستوسين الأقدم، وهو تكتوني المنشأ.

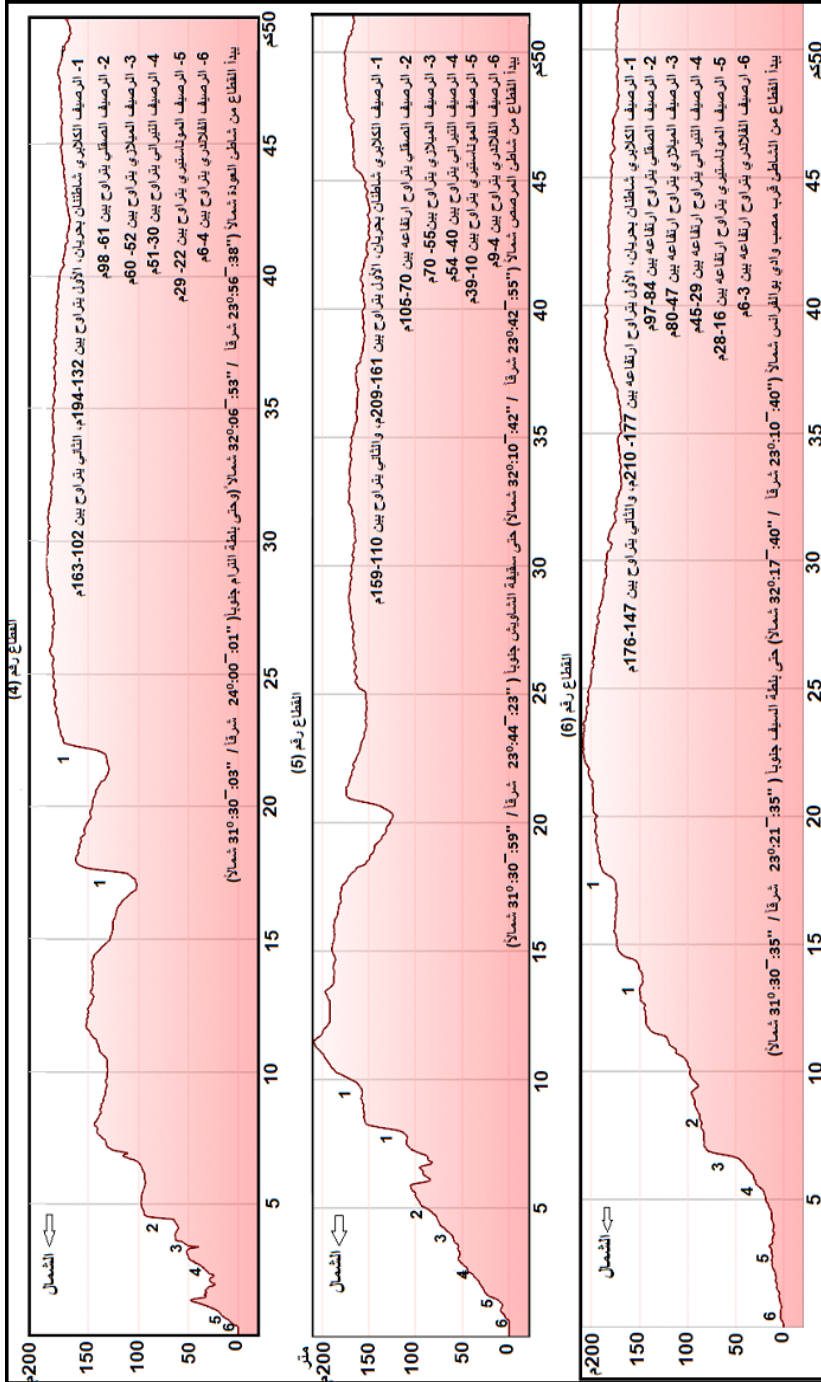
الرصيف الصقلي Sicilian

يقع هذا الرصيف إلى الشمال من الرصيف السابق بمسافة تتراوح بين 4 - 7 كم، ويمتد من الشرق إلى الغرب موازياً لخط الساحل، مع تباين في الارتفاع من منطقة إلى أخرى، وقد شقت الأودية المائية غير الدائمة الجريان مجاريها عبر هذا الرصيف وصولاً إلى البحر شمالاً، ويتراوح ارتفاع هذا الرصيف ما بين 61 - 106 م، وهذا الرصيف عبارة عن سلاسل تلالية تمثل حواجز بحرية، ويتراوح انحدار الواجهة الجنوبية بين 2 و 4°، والواجهة الشمالية يتراوح انحدارها بين 30 و 45°، ووفقاً لدراسات **Depert (1968)** على ساحل تونس، والذي قدر عمر هذا الرصيف 660 ألف سنة، وجودة **(1975)** على ساحل برقة، يعتقد أن هذا الرصيف قد تكون في أواخر البليوسين بالزمن الجيولوجي الثالث وأوائل عصر البلايستوسين بالزمن الرابع، وظهر على السطح خلال فترة الدفاء الأولى (جونز، مندل) يعد هذا الرصيف بحري المنشأ والتشكيل، ويعادل الرصيف الصقلي في البحر المتوسط.



المصدر من قياسات الباحث الدراسة الميدانية خلال شهر ديسمبر 2022

يوضح الشكل رقم (7) القطاعات الطولية التي تبين الشواطئ القديمة في هضبة الدفنة



المصدر من قياسات الباحث خلال الدراسة الميدانية خلال شهر ديسمبر 2022

يوضح الشكل رقم (8) القطاعات الطولية التي تبين الشواطئ القديمة في هضبة البطنان

الرصيف الميلازي Millazzo

يمتد هذا الرصيف إلى الشمال من الرصيف السابق، ويبعد عن البحر مسافة تتراوح بين 5 - 6 كم، وهو محيط بمدينة طبرق من جهة الجنوب، وقد نحتت روافد الأودية الجافة به مجاريها المائية؛ للوصول إلى خليج طبرق، ويتكون من التكوينات الجيرية المختلطة بالحصى، ذات الحبيبات الناعمة إلى المتوسطة، وتراوح ارتفاعه ما بين 38-69 م، وبلغ انحدار سطحه جنوباً بين 3-5°، أما الواجهة الشمالية فهي بين 30 — 40°، ووفقاً للدراسات **Woldstedt (1966)** في جنوب إيطاليا الذي قدر عمر هذا الرصيف بنحو نصف مليون سنة، ودراسات **MC.Burney & Hey (1955)** فإن هذا الرصيف ظهر بعد الرصيف الصقلي، ويحتوي على نفس الحفريات.

الرصيف التيراني (Tyrrhenian)

يلي هذا الرصيف مباشرة الرصيف الصقلي جنوب خليج طبرق على متوسط ارتفاع 35 م، وتتراوح ارتفاعه في مناطق متفرقة من الساحل ما بين 29-40 م، وبلغت درجات انحدار نحو الشمال ما بين 27 و 40°، ووفقاً لدراسات **MC.Burney & Hey (1955)** على ساحل برقة، وكذلك شكري وآخرون (1956) على ساحل مطروح السلوم، يرجع عمر هذا الرصيف إلى فترة الدفاء الثانية (بين مندل و ريس) إي حوالي 270 ألف سنة.

الرصيف الموناستيري (Monasterian)

تراوح ارتفاع هذا الرصيف ما بين 10-27 م، ووفقاً لدراسات **MC.Burney & Hey (1955)** على ساحل برقة، وكذلك **Depert (1968)** في ساحل تونس، يتراوح عمر هذا الرصيف بين 125 و 150 ألف سنة، ويعتقد أن نشأته تعود إلى فترة الدفاء الثالثة (بين ريس و فورم)، يوجد هذا الرصيف البحري إلى الشمال من الرصيف السابق ويشرف مباشرة على الساحل بجروف ساحلية يتراوح انحدارها بين 50 و 70°، إلى الشرق من منطقة رأس بياض بهضبة الدفنة، و سطح الرصيف الجنوبي يتراوح انحداره بين 3 و 5°، ويظهر إلى الشرق من مدينة طبرق على الساحل مباشرة في المنطقة الممتدة من مرسى الحريقة وحتى شرق مرسى رأس بياض، ويوضح الشكل رقم (9) واجهة هذا الرصيف شرق مرسى رأس بياض شرق مدينة طبرق.

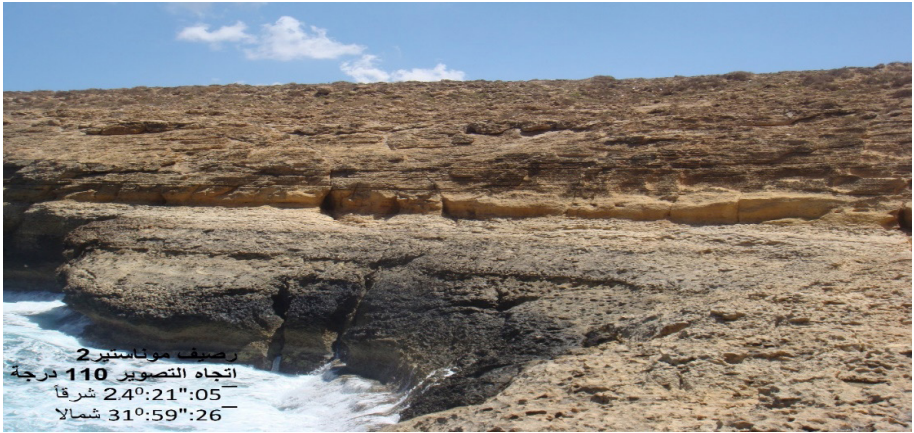


الرصيف موناستيري 1 (ريس-فيرم)
اتجاه التصوير: 165 درجة
11/11/2022

الشكل رقم (9) واجهة الرصيف البحري شرق رأس بياض

الرصيف الفنلندي أو الفيرسيلي (Flandrienne or Versilienne)

تراوح ارتفاع هذا الرصيف ما بين 3-7 م، ووفقاً لدراسات **Depert (1968)** على ساحل تونس، ودراسات **Buedel (1965)** على ساحل جنوب إيطاليا، و **MC.Burney & Hey (1955)** ودراسة جودة **(1975 م)** على ساحل برقة، تم تقدير عمر هذا الرصيف بنحو 5 آلاف سنة، وترجع نشأته إلى بعد انتهاء جليد فورم، يمتد هذا الرصيف على خط الساحل من خليج البردي شرقاً وحتى خليج البمبا غرباً، ويشرف على البحر مباشرة في مواضع كثيرة على هيئة جروف صخرية شبه رأسية، وسطحه مغطى بالرمال الساحلية والأحجار الجيرية المتباينة الأحجام، ويتراوح انحداره نحو البحر شمالاً بين 2° و 5°، وتظهر به بقايا الأصداف البحرية، ويوضح الشكل رقم (10) الواجهة الشمالية لهذا الرصيف شمال منطقة كمبوت قرب مصب وادي الكويضية.



المصدر من تصوير الباحث خلال الدراسة الميدانية 2022/11/15

الشكل رقم: (10) الواجهة الشمالية للرصيف البحري الفنلندي ما بعد الجليد قرب مصب وادي الكويضية

ويتضح مما سبق أن انخفاض أو ارتفاع معدلات حرارة الغلاف الجوي للأرض يؤثر على تذبذب مستوى كافة بحار العالم، فقد بينت الدراسات أن تراجع سطح البحر الذي بدأ منذ البلايستوسين المبكر لم يكن متواصلاً بل تم في عدة مراحل متأثراً بالتغيرات المناخية حتى وصل إلى أدنى مستوياته ما بين 100 إلى 150 متراً تحت مستواه الحالي، وذلك خلال العصر الجليدي الأخير (Wurm) في البلايستوسين المتأخر. ومع نهاية العصر الجليدي الأخير وخلال الهولوسين حدثت مرحلة أخيرة من التذبذبات الأيوستاتية تزامنت مع المرحلة الدفيئة الأخيرة التي شهدتها الأرض. وتظهر آثار هذه التذبذبات في الجروف الساحلية والسطوح الصخرية المرتفعة التي توجد قريبة من شاطئ البحر في أجزاء متفرقة من سواحل منطقة الدراسة على ارتفاع 3-7 م عن سطح البحر، ويوضح الشكل رقم (11) بعض الجروف الساحلية والأسطح الصخرية قرب مصب وادي العودة طبرق.



المصدر من تصوير الباحث خلال الدراسة الميدانية نوفمبر 2022

يوضح الشكل رقم (11) بعض الجروف الساحلية والأسطح الصخرية على قرب مصب وادي العودة طبرق

وفضلاً عن تلك الأشكال البحرية المرتفعة توجد أيضاً مظاهر مماثلة مغمورة تحت سطح البحر كالشواطئ الرملية والأرضة الشاطئية والأودية الغارقة التي تبين أنها تعرضت لعمليات تخديد ونحت نتيجة لهبوط مستوى القاعدة، كما هو الحال في الشواطئ الرملية الأرضة الشاطئية والأودية المغمورة في معظم ساحل هضبة الدفنة وهضبة البطنان، كما هو واضح من المرئية⁽¹⁹⁾. وتوضح الخريطة رقم (12) الشواطئ الرملية والأودية والأرضة الشاطئية المغمورة أمام ساحل منطقة كمبوت بهضبة الدفنة.



المصدر من إعداد الباحث بناء على (المرئية الفضائية DEM بتاريخ 2021/9/1 بدقة وضوح 28.5م هضبة الدفنة).

توضح الخريطة رقم (12) بعض الأشكال الجيومورفولوجية المغمورة أمام ساحل كمبوت بهضبة الدفنة

(19) المرئية الفضائية DEM بتاريخ 2021/9/1 بدقة وضوح 28.5م هضبة الدفنة.

وكذلك الساحل الممتد شمال مدينة طبرق من مصب وادي أميرة وحتى مصب وادي العودة تنتشر أمامه الشواطئ الرملية الأرصفة الشاطئية والأودية المغمورة في معظم الساحل بهضبة البطنان، ومعظم الأودية التي تنتهي إلى الساحل الحالي منحوتة في رواسبها الفيضية القريبة من البحر إلى عمق يتراوح بين 1 - 6م⁽²⁰⁾. وتشير معظم الدراسات إلى أن مستوى سطح البحر بدءاً يتراجع منذ حوالي 3750 سنة من الآن ووصل إلى مستواه الحالي منذ ألف سنة من الآن⁽²¹⁾ وتوضح الخريطة رقم (13) الأودية والشواطئ الرملية المغمورة أمام ساحل مدينة طبرق.



المصدر من إعداد الباحث بناء على (المرئية الفضائية DEM بتاريخ 2022/10/12 بدقة وضوح 28.5م هضبة البطنان).

توضح الخريطة رقم (13) الأودية والشواطئ الرملية المغمورة أمام ساحل مدينة طبرق

الخلاصة:

رغم أن الأشكال الجيومورفولوجية من شواطئ قديمة (أرصفة بحرية) وفتحات ساحلية وتغير نظم شبكات التصريف المائي السطحية في هضبة البطنان والدفنة التي تعتبر نتاجاً لعمليات مورفو ديناميكية قديمة تعود إلى نهاية الزمن الثالث وبداية الزمن الرابع في تفاعل مباشر مع الظروف التكتونية الليثولوجية المختلفة، إلا أن عدة تغيرات متعاقبة في العمليات المورفوديناميكية قد حدثت خلال البلايستوسين والهولوسين نتيجة لتغيرات مناخية مختلفة مكانياً بين الأراضي الداخلية والسهول الساحلية. وفضلاً عن مضامين المناخ الجاف أو الرطب بنوعيه للأشكال الجيومورفولوجية في منطقة الدراسة التي دلت على حدوث تلك التغيرات المناخية سواءً الطويلة أو القصيرة المدى، وتوصلت هذه الدراسة أيضاً إلى أن عدة أشكال جيومورفولوجية في هضبة البطنان والدفنة لا زالت مغمورة في مواقع جغرافية خارجة عن نطاق التوازن مع العمليات المورفوديناميكية الحالية، كالرواسب البحرية ونظم التصريف المغمورة، والمراح الفيضية والرواسب الريحية وركامات سفوح

(20) قياسات الباحث خلال الدراسة الميدانية نوفمبر 2022.

Felber H., and others (1978): Sea level Fluctuation during the Quaternary Pe- (21) rioid. - In: Al-Sayari S.S. and Zotl J.G.: Quaternary period in Saudi Arabia, Springer — Verlag, Wien / New York, 50 — 57

المحدرات، فضلاً عن التباين في نسيج رواسب المياه السطحية الجارية في بطون الأودية. ولقد دلت الأشكال الجيومورفولوجية التي نوقشت في هذه الدراسة على أن مناخ هضبتى البطنان والدفنة خلال المرحلة الجليدية للعصر الجليدي (Wurm) الممتدة بين 40 — 25 ألف سنة من الآن تميز بالتغير بين الجفاف والرطوبة وذلك وفقاً للتغير في هيمنة الضغط الجوي المرتفع الأزوري ومدى توغل تأثير الرياح الشمالية الغربية وذلك بسبب دفء الأرض نسبياً والانحسار الجزئي للجليد في نصف الكرة الشمالية. وقد تكونت خلال الفترات الرطبة رواسب التوفا والبحيرات ورواسبها الصلصالية الناعمة في الأراضي الداخلية (أحواض الصرف الداخلي- البلط)، وتعد الأودية الجافة من الظواهر الجيومورفولوجية الهامة، والأكثر انتشاراً على سطح هضبتى البطنان والدفنة، وتشق معظم هذه الأودية مجاريها وفقاً لطبوغرافية سطح منطقة الدراسة وصولاً إلى البحر شمالاً، أوالمسيلات الضحلة إلى منطقة المنخفضات جنوباً التي تأخذ اتجاهات متعددة، وشبكات تصريف المياه السطحية المنتشرة على سطح الهضبة هي أشكال موروثية عن ظروف بيئية كانت أكثر أمطاراً وتعكس صوراً جيومورفولوجية ناتجة عن فاعلية المياه الجارية خلال الزمن الرابع وخاصة البلايستوسين، فهي ليست وليدة الحاضر، كما تميز الجريان السطحي بالحمولة الكبيرة للرواسب التي كونت المراوح الفيضية وخاصة في أحواض الصرف الداخلي الحالية، والتي غطت أيضاً مساحات واسعة في الأراضي الداخلية.

وبتأثير من العامل الأيوستاتي أنخفض مستوى سطح البحر خلال العصر الجليدي (Wurm) إلى حوالي 100 — 150 متراً تحت مستواه الحالي الأمر الذي زاد من درجة قارية المناطق الداخلية من هضبتى البطنان والدفنة. ومع نهاية العصر الجليدي وبداية الهولوسين حوالي 12 — 10 ألف سنة من الآن، ونتيجة لارتفاع النسبي للحرارة والدفء لسطح الأرض وذوبان الجليد ارتفع مستوى سطح البحر إلى حوالي 2- 3 متر فوق مستواه الحالي وقد سيطر مناخ رطب إلى شبه رطب في عموم منطقة الدراسة مع ميل إلى غزارة الأمطار على أطرافها الشمالية، وذلك بسبب زيادة التبخر وكثافة الغيوم فضلاً عن شدة تأثير دور الرياح الشمالية الغربية الأمر الذي ميز هذه المرحلة الرطبة الممتدة منذ بداية الهولوسين وحتى منتصفه تقريباً، والتي أمتد تأثيرها إلى المناطق الجافة اليوم في وسط هضبتى البطنان والدفنة وجنوبهما التي ارتفعت فيها كميات الأمطار خلال تلك المرحلة الرطبة عن الوضع الحالي .

ومنذ منتصف الهولوسين وحتى اليوم تراجع البحر إلى مستواه الراهن، وبدأ المناخ الحالي لهضبتى البطنان والدفنة في التشكل حيث هيمن ولا يزال المناخ الجاف والقاحل في منطقة الدراسة وجنوبها في حين انخفض مستوى الأمطار في أطرافها الشمالية إلى وضعه الحالي المتميز بمناخ شبه جاف. ويمكن تفسير الظروف المناخية الحالية بأنها خاضعة لتأثير الدورة الهوائية ومنخفضات الأعاصير التي تسود شتاءً في حوض البحر المتوسط وشمال أفريقيا. ومنذ منتصف الهولوسين ونتيجة لجفاف المناطق الداخلية نشطت العمليات الريحية مجدداً في تذبذبة المصنّات الرملية، كما حملت العواصف الرملية إلى المناطق الشمالية الرواسب الريحية في معظم بطون الأودية ومنطقة أحواض الصرف الداخلي (السقايف) وقد ساعد في انتشارها نشاط السكان منذ القدم في الزراعة البعلية بمنطقة الدراسة. الأمر الذي أدى إلى تصحر بعض المناطق وخاصة في وسط هضبتى البطنان والدفنة، فقد عملت زيادة السكان والعمل على توفير الحبوب الغذائية من القمح والشعير على الاستفادة القصوى من الأراضي الهامشية والمياه السطحية الجارية في الأودية؛ وقد أدى ذلك إلى تناقص كبير بالغطاء النباتي الطبيعي وزيادة استخدامه لأغراض الرعي وتوفير الطاقة، الأمر الذي نتج عنه المزيد من التدهور البيئي والتصحر وزيادة معدل تأثير الإشعاع المنعكس في تسخين الجو وإلى مزيد من التحول نحو الجفاف. وقد نتج عن

هذا التحول المناخي توسع نطاق الجفاف الجغرافي في هضبتي البطان والدفنة إلى وضعه الحالي وزيادة في نشاط العمليات المورفوديناميكية الفجائية للمياه السطحية الجارية وحمولتها الكبيرة من الرواسب الخشنة الأمر الذي أدى إلى انهيار بعض السدود وزيادة الرواسب بالآبار السطحية أحياناً ومن ثم إلى هجرة وتصحر الأراضي الزراعية القديمة في منطقة أحواض الصرف الداخلي (السقايف).

المراجع

المراجع العربية:

1. أبورية، أحمد محمد أحمد، المنطقة الممتدة فيما بين القصير ومرسى أم غيج دراسة جيومورفولوجية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، 2007م.
2. أندروس.س.جودي، ترجمة محمود محمد عاشور، التغيرات البيئية - جغرافية الزمن الرابع، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1995م.
3. المسلاتي، أمين، التطور الجيولوجي والتكتوني، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، تحرير الهادي مصطفى بولقمة وآخر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، سرت، الطبعة الأولى، 1995 م.
4. المهدي، محمد المبروك، جغرافيا ليبيا البشرية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثانية، 1990م.
5. Furon ، ترجمة فضل الأيوبي ، الأزمنة الجيولوجية ، منشورات جامعة سبها ، سبها ، 1995م.
6. جودة، حسنين جودة، أبحاث في جيومورفولوجية الأراضي الليبية، الجزء الثاني، منشورات جامعة بنغازي، مؤسسة عبد الحفيظ البساط، بيروت، 1975م.
7. سباركس، ترجمة ليلي محمد عثمان، الجيومورفولوجيا، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1983م.
8. عبد الباقي، قادري، بعض الدلائل الجيومورفولوجية على التغيرات المناخية في اليمن خلال البلايستوسين المتأخر والهولوسين، مجلة الجغرافي الصادرة عن الجمعية الجغرافية اليمنية العدد الثاني 2003.
9. محسوب، محمد صبري، جيومورفولوجية الأشكال الأرضية، بدون دار نشر، ط2، القاهرة، 2002م.

المراجع الأجنبية:

1. Buedel, J. (1965), Eiszeitalter und heutiges Erdbild Die Umschau, Heft 1.
2. Bunker D.G. (1953): The Southwest Borderland of the Rub Al Khali. - In: The geogr. J. vol. 69, 420 - 430.
3. Crema, C. (1925): Le "seghife" Particularita morfologica dei dintorni di TOBRUK. Atti IXcongr., VOL.II, pp.9196-, Geneva.
4. Depert, C. (1968), Essai de coordination chronologique generale des temps quaternaires C.R.Acad .Sci Paris.
5. Desio, A (1971) Outlines and Problems of the Geomorphological Evolution of Libya from the Tertiary to the present day, Symposium on the Geology of Libya, Tripoli.
6. Geological map of Libya- Darnah, (1973), sheet NI3416-, Industrial Research Centre, Tripoli, Libya.
7. Geological map of Libya-Albardia, (1975), sheet NH 351-, Industrial Research Centre, Tripoli, Libya.
8. Felber H., and others (1978): Sea level Fluctuation during the Quaternary Period. - In: Al-Sayari S.S. and Zotl J.G.: Quaternary period in Saudi Arabia ,springer - Verlag, Wien / New York, 50 - 57.
9. Heyer E. (1972): Witterung und Klima. - B5B. B.G Teubner Verl. Leipzig.
10. Hélène Jousse, Gilles Escarguel, 2006, the use of Holocene bovid fossils to infer palaeoenvironment in Africa, Quaternary Science Reviews 25, pp775776-.
11. MALEY. J. (1980): Les changements climatiques de la fin du Tertiary en Afrique: leur conséquence sur l'apparition du Sahara ET de SA végétation, In: Williams M.A.J. (Ed) Faure H. (Ed) the Sahara and the Nile: quaternary environments and prehistoric occupation in Northern Africa. Rotterdam:

- Balkema, 1980, 4, p6386-.
12. MC.Burney, C.M.B, &Hey, R.W. (1955): Prehistory and Pleistocene geology in Cyrenaica Libya. Cambridge University Press, London.
 13. Migliore Jeremy., 2013: surviving in mountain climate refugia: new insights from the genetic structure and diversity of the relict shrub *Myrtus nivellei* (Myrtaceae) in the Sahara Desert. PLOSONE 8 (9), p3.
 14. Shukri, N.M, Philip, G and Said, R (1956), The Terraces of northern Marmarica.
 15. Woldstedt, P. (1966), Ablauf des Eiszeitalter und Gegenwart, 17, Oehringen.

المقومات البشرية للجذب السياحي لمدينة توكرة (دراسة في جغرافية السياحة)

إعداد:

أ. سعيد عبدالحميد عبدالله دعبس

قسم الآثار والإرشاد السياحي - كلية الآداب والعلوم توكرة - جامعة بنغازي

القبول: 2023/6/23

الاستلام: 2023/4/14

○○

○○

المستخلص:

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على مقومات العرض السياحي البشري لمدينة توكرة، ولتحقيق هدف الدراسة تم الاعتماد على المنهج الموضوعي والمنهج التاريخي والمنهج الكمي والميداني، والتي من خلالها تم التوصل إلى عدة نتائج أهمها تمتع منطقة الدراسة بمقومات بشرية تمكّنها من أن تكون واجهة سياحية مهمة، كما تم وضع عدة توصيات من شأنها أن تساهم في تطوير وتنشيط السياحة بالمنطقة.

الكلمات المفتاحية: السياحة، المقومات السياحية، الخدمات السياحية

Abstract:

The current study aimed to identify the components of the human tourism offer in the city of Tocra. To achieve the goal of the study, the objective approach, the historical approach, and the quantitative and field approach were adopted, through which several results were reached, the most important of which is the enjoyment of the study area with the elements of humanity that enable it to be an important tourist destination.

Keywords: Tourism . Tourism potential . Tourism services.

المقدمة:

تعتبر جغرافية السياحة أحد الاتجاهات الحديثة في علم الجغرافيا، وتهتم بدراسة المقومات المرتبطة بعناصر الجذب السياحي؛ كالبينة الطبيعية والبشرية، كما أنها تدرس حركة السياح وتوزيعهم الجغرافي، وأسبابها والآثار الناجمة عنها ولهذا تعد السياحة من الصناعات التي تساعد على بناء عالم أفضل لتعزيز فرص التفاهم والسلام بين الشعوب؛ مما يؤدي إلى تفاعل حضاري وثقافي ينتج عنه ظواهر اقتصادية واجتماعية وحضارية، كما تعتبر في الوقت الراهن داعمة لاقتصاد العديد من الدول التي عملت على تعزيز التخطيط السياحي واستثمار مقوماتها السياحية؛ إذ أصبحت السياحة من المصادر المهمة في الدخل القومي حيث ترتبط السياحة بعناصر البيئة الطبيعية والبشرية؛ فالبيئة الطبيعية بمجمل عناصرها تشكل الأساس الذي يقوم عليه النشاط السياحي وتشمل المقومات البشرية العديد من العناصر، منها المقومات الدينية والتاريخية والأثرية، وبالتالي فإن السياحة ظاهرة جغرافية لها مضمون واسع مما يعني التمتع بالمقومات الطبيعية والبشرية في الإجازات وأوقات الفراغ والسياحة، كنشاط يهدف إلى سد حاجات الفرد، ومنها: حاجة السائح للراحة، وحب الاستطلاع عن طريق الاستجمام والترفيه؛ بهدف صفاء الروح ونقاؤها

خاصة في البلدان التي تتمتع بمقومات سياحية طبيعية وبشرية متنوعة، مثل ليبيا.⁽¹⁾ وتسلط الدراسة الضوء على عوامل الجذب السياحي البشري بمدينة توكرة التي تنتشر بمنطقة الدراسة فالمعالم التاريخية التي تمتد من العصور الفينيقية والإغريقية والرومانية والإسلامية تعد أحد أهم المواقع السياحية حيث التنوع في مقومات العرض السياحي.

مشكلة الدراسة:

تعتبر مدينة توكرة أحد أهم المواقع التي يمكن استثمارها سياحياً، حيث تتوفر فيها العديد من مقومات الجذب السياحي الفريدة المميزة بها؛ ونظراً لأن السياحة لا تعتمد فقط على المقوم الطبيعي كعامل جذب سياحي بل تعتمد في المقام الأول على الإنسان ومدى تأثيره على المقومات الطبيعية التي تعتبر غير ذات جدوى إن لم يقيم الإنسان بتطويرها واستثمارها على الوجه الأمثل، بحيث يجعل منها مناطق جاذبة ومتكاملة ومزدهرة سياحياً ولهذا فإن الدراسة الحالية تسعى لمعرفة مقومات الجغرافية البشرية للجذب السياحي بمدينة توكرة من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

1. هل تمتلك مدينة توكرة مقومات جذب سياحية يمكن أن تجعلها منطقة سياحية مميزة؟
2. ما مقومات الجذب السياحي البشرية لمدينة توكرة؟
3. هل الخدمات السياحية الداعمة للنشاط السياحي المتوفرة تكفل استمرار النشاط السياحي بشكل جيد في منطقة الدراسة؟

أهداف الدراسة:

1. التعرف على مقومات الجذب السياحي لمدينة توكرة.
2. التعرف على مقومات الجذب السياحي البشرية لمدينة توكرة.
3. التعرف على الخدمات السياحية المتوفرة التي تكفل استمرار النشاط السياحي بشكل جيد في منطقة الدراسة.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة في إبراز المقومات الجغرافية البشرية للجذب السياحي بمدينة توكرة، وكذلك الأنماط السياحية القائمة عليها كأحدى مناطق الجذب السياحي وتحليل فرص التنمية السياحية المستقبلية.

الموقع الجغرافي لمنطقة الدراسة:

يعد الموقع الجغرافي والفضائي من المقومات المهمة التي لها أثر واضح على السياحة من ناحيتين:

الأولى تكمن في موقع منطقة الجذب السياحي من مناطق ورود السائحين، فكلما كان الموقع قريباً من مصادر السائحين بحيث يمكن الوصول إليه بسرعة وتكليف أقل كان الإقبال عليه كبيراً.

أما الناحية الثانية هي موقعه بالنسبة لدوائر العرض وما لها من أثر على خصائص ونوع المناخ وأشكال النباتات ذات الجذب السياحي.

(1) أيمن يوسف نجيب، "المقومات السياحية في محافظة بيت لحم"، (رسالة ماجستير في الجغرافيا، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2011)، ص 2.

تقع مدينة توكرة في الجزء الشمالي من سهل بنغازي الواقع شمال شرق ليبيا. حيث تبعد عن مدينة بنغازي بحوالي 70 كم وتحدها من الشمال الشرق منطقة بوتراية، في حين إن البحر يحدها من جهة الشمال والغرب، ومن ناحية الجنوب تحدها منطقة بوجرار، وتمثل الحافة الأولى للجبل الأخضر حدودها الشرقية. وتمتد المنطقة على الطريق الساحلي بين بنغازي والمرج، ولموقعها سمة خدمية في كونها تقع بمنتصف المسافة بين مدينتي بنغازي والمرج، كما أنها تقوم بدور المركز الخدمي للمناطق المحيطة بها وكذلك حركة السير التي تمر عبرها.

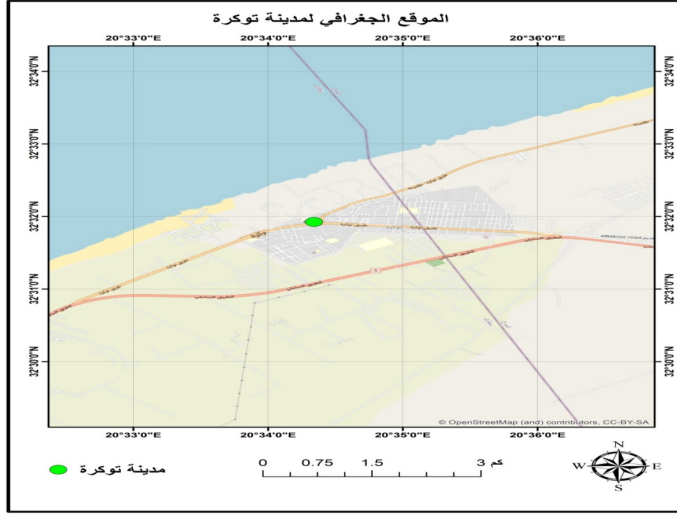
أما الموقع الفلكي من دوائر العرض يحدد لنا نوع المناخ ومن ثم النباتات والحيوانات البرية، كما يتحكم في طول النهار وقصره وهذه الشخصية المناخية لها أثرها في تحديد نوع الحركة السياحية وطبيعتها. وبالنظر إلى الخريطة الجغرافية (1) لمنطقة الدراسة نجد أن المنطقة تقع عند تقاطع خطي طول 33 - 20° و 36 - 20° شرقاً، ودائرتي عرض 30 - 32° و 34 - 32° شمالاً، جعل من هذه المنطقة تتميز بمناخ حار جاف صيفاً ومعتدل وممطر شتاءً وهو مماثل لمناخ البحر المتوسط.⁽²⁾

ويعد هذا الموقع لمنطقة الدراسة مقوم مهم من مقومات العرض السياحي وذلك للمزايا الآتية:

1. موقع منطقة الدراسة أثر في اكتسابها عناصر جذب أثرية وتاريخية وثقافية نشأت بسبب تعاقب الحضارات الإغريقية والرومانية والإسلامية عليها.
2. تقع منطقة الدراسة بالقرب من المراكز العمرانية منها مدينة بنغازي والمرج وباقي مدن برقة مما يسهل عملية الوصول إليها بوسائل النقل المختلفة.
3. يعد موقع منطقة الدراسة على السهل الساحلي المنبسط ضمن سهل بنغازي في الشمال الشرقي من ليبيا على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط في العروض المعتدلة من أهم مقومات تنشيط السياحة بنوعها الداخلية والخارجية كما موقعه في هذه العروض جعلها تتمتع بمناخ البحر المتوسط.⁽³⁾

(2) المكتب الاستشاري للدراسات الاقتصادية بنغازي، تحديث المخطط العام لاستثمار مياه المرحلة الأولى من النهر الصناعي، الجزء الأول منظومة أجدابيا بنغازي، 1997، ص 61.
(3) المرجع السابق، ص 62.

شكل (1) موقع منطقة الدراسة



المصدر: أعداد الباحث باستخدام برنامج (Arc Map Gis 10.3.1)

منهجية وأدوات الدراسة:

بالنسبة لمنهجية البحث فذلك يتوقف على طبيعة الموضوع بحد ذاته وخصائصه والهدف الذي تسعى الدراسة للوصول إليه في سبيل تحقيق أهداف الدراسة والإجابة على ما أثير في التساؤلات، ولهذا اعتمدنا على العديد من الأدوات لجمع البيانات المرتبطة بموضوع الدراسة وتحليلها وذلك من خلال ما يأتي:

أ- الجانب النظري:

ويكون عن طريق المسح المكتبي وذلك بالإطلاع على الدراسات السابقة الخاصة بموضوع الدراسة، وتشمل المراجع والدوريات والنشرات والتقارير الاستشارية والمخططات الخاصة بالمواقع السياحية في منطقة الدراسة والإطلاع على الرسائل العلمية الخاصة بها.

ب- الجانب الميداني:

تعد الدراسة الميدانية من أهم مصادر جمع البيانات وذلك من خلال:

1. النزول إلى الميدان لالتقاط الصور الفوتوغرافية الخاصة بالدراسة وخاصة في المنطقة القديمة وصور عديدة أخرى.
2. أخذ المواقع السياحية التي تم تحويلها إلى خرائط لتوضيح المواقع أو الأماكن السياحية في منطقة الدراسة.

واعتمدت الدراسة على العديد من المناهج وهي على النحو التالي:

- أ. المنهج الموضوعي: والذي يتناول فيه موضوع البحث لتحديد المقومات السياحية البشرية ودراستها داخل نطاق منطقة الدراسة.
- ب. المنهج التاريخي: ويتبع هذا المنهج سرد وقائع المنطقة عبر العصور المختلفة وفهم نظرة المنطقة إلى السياحة.

ج. المنهج الكمي: أخذ الإحداثيات لرسم الخرائط، استخدمت الممرثيات الفضائية لمنطقة الدراسة للاستعانة بها لرسم بعض الخرائط.

- مقومات الجذب السياحي البشرية في منطقة الدراسة:

تعد المقومات البشرية والتاريخية للجذب السياحي الركيزة الأساسية التي تحرك السياحة في أي منطقة، وتختلف المقومات البشرية عن المقومات الطبيعية للجذب السياحي من ناحية أنها تعد المحرك الفعلي للأنشطة السياحية.

ويمكن تقسيم المقومات البشرية إلى قسمين: القسم الأول يحتوي على المقومات التاريخية والمتاحف والمقومات الثقافية في منطقة الدراسة، أما القسم الثاني فيتمثل في التسهيلات والخدمات السياحية المتوفرة في منطقة الدراسة. والشكل (2) يوضح مقومات الجذب السياحي بالمنطقة.

أولاً: المقومات التاريخية والأثرية:

تشكل الأماكن الأثرية والتاريخية، إرثاً بشرياً وسجلاً حضارياً، يربط بين الماضي والحاضر، فما خلفته حضارات الأمم عبر تاريخها من معالم عمرانية كالمدن والقلاع والأسوار وغيرها، جعلت كثيراً من الدول التي توجد فيها جاذبة للسياح، ويمكن تقسيم المقومات التاريخية حسب الحضارات التي مرت بها منطقة الدراسة ابتداءً من الحضارة الإغريقية مروراً بالحضارة الرومانية والبيزنطية والإسلامية وأخيراً العصر الحديث وهي كالآتي:

1- الأول الحضارة الإغريقية:

تعرضت منطقة الدراسة للكثير من الحضارات عبر الزمن حيث وصل الإغريق إلى شواطئ ليبيا واحتلوا مدينة قورينا (شحات) في عام 631 ق م ولقد لعب موقع المدينة دوراً مهماً في نموها وازدهارها، وأصبحت قورينا مركزاً سياسياً ودينياً وزراعياً وتجارياً مهماً.

وزاد عدد المهاجرين إلى المدينة حتى إنها ضاقت بهم فأدى ذلك إلى إنشاء مدن جديدة في بارشي (المرج) ويوسبريدس (بنغازي) وتوخيرة (توكرة) بطلموس (طلميثة) ودارنس (درنة) قاسيوس (قمينس) أيوسيميدا (الحنية) ونستاثموس (رأس الهلال) وغيرها من المستوطنات، هذا و استطاعت قورينا أن تتحالف مع يوسبريدس (بنغازي).⁽⁴⁾

كما أن موقع توكرة قرب وادي زاوا (جنوب غرب برسس) الذي كشف عن كهفين بهما نقوش يرجع أقدمها للحضارة القفصية وأحدثها تعود لفترة الحصان، مما رجح أن الإنسان قد استمر في الاستيطان في المنطقة بما فيها توكرة وهذه البلدة استوطنها الإنسان في عصور ما قبل التاريخ ثم سكنتها قبيلة البكالي الليبية، ثم استوطنها الإغريق في أواخر القرن السابع ق م وعرفت عندهم وربما قبلهم باسم تاوخيرا.⁽⁵⁾

2- الحضارة الرومانية:

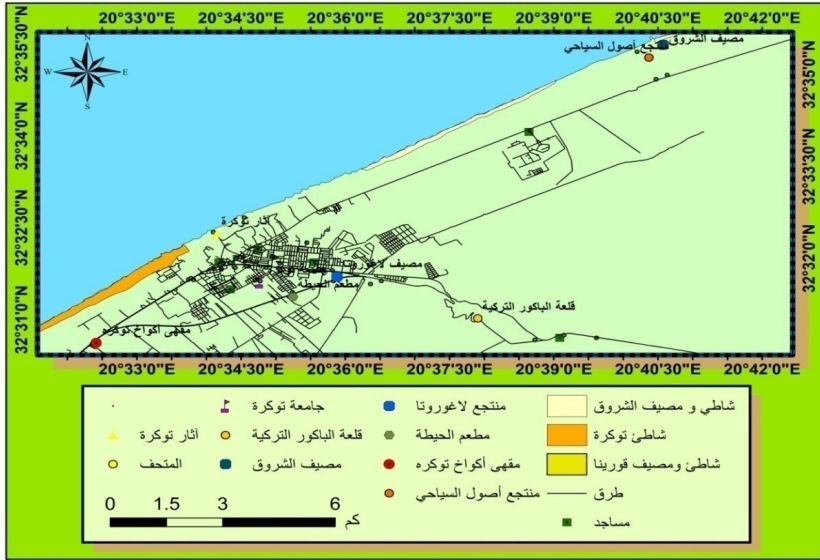
ورثت روما المدن الفينيقية واليونانية بسبب قوتها العسكرية وسيطرتها على البحر المتوسط، وظلت الإمبراطورية الرومانية تسيطر على السواحل الليبية وبعض المدن الداخلية لما يقرب من 400 عام، ولقد أبقى الرومان على الطابع المعماري للمدن الفينيقية والإغريقية.⁽⁶⁾

(4) سعد خليل القزيري، "التحضر"، في كتاب دراسة في الجغرافيا، (تح) الهادي بولقمة، سعد خليل القزيري، (سرت: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1995)، ص 399 - 400.

(5) خالد محمد عبدالله الهدار، توكرة، (منشورات مصلحة الآثار الليبية، 2020)، ص 6

(6) سعيد صفى الدين الطيب، دراسات في جغرافية ليبيا السياحية، (بنغازي: دار المكتب الوطنية، 2005)،

شكل (2) المقومات البشرية في منطقة الدراسة



المصدر أعداد الباحث باستخدام برنامج (Arc Map Gis 10.3.1)

وأضافوا إليه شخصية المعمار الروماني كالحمامات والأسواق والمسارح والملاعب ومجالس المدن، كما طورت نظاما زراعيا فريدا وذلك في بناء شبكة قوية معتمد عليها من الأمطار، وقد أدخل الرومان خلال سيطرتهم على المنطقة ديانتين هما اليهودية والمسيحية، أما الأولى فقد نشرها اليهود الذين جلبهم الرومان من فلسطين والثانية نشرها الرومان في مقاطعاتهم الإغريقية بعد اعتناقهم لها.⁽⁷⁾

3 - الحضارة العربية الإسلامية:

لقد بدأ التأثير العربي الإسلامي دينيا وثقافيا منذ عام 642 م عندما فتح عمر بن العاص برقة قادما من مصر ولم ينتهي عام 633 م حتى كانت أغلب البلاد تحت النضوذ والقوانين الإسلامية ولكن التعريب الضعلي للبييا لم يبدأ إلا منذ القرن الحادي عشر ميلادي، عندما تدفقت قبائل بني هلال وبني سليم العربية من صعيد مصر بأعداد ضخمة الأمر الذي أدى إلى تواجد وظهور الاختلاط العرقي والثقافي مع السكان الأصليين وبقيت ليبيا تابعة للدولة الإسلامية. ومن الآثار الإسلامية المنتشرة في كافة أرجاء البلاد القلاع والحصون والمدارس سواء في المدن الساحلية أو في الواحات، كما تشمل أيضا الطراز المعماري الإسلامي في عدد من المدن الليبية، وهناك بعض المعالم الإسلامية الأخرى مثل مقبرة صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم.

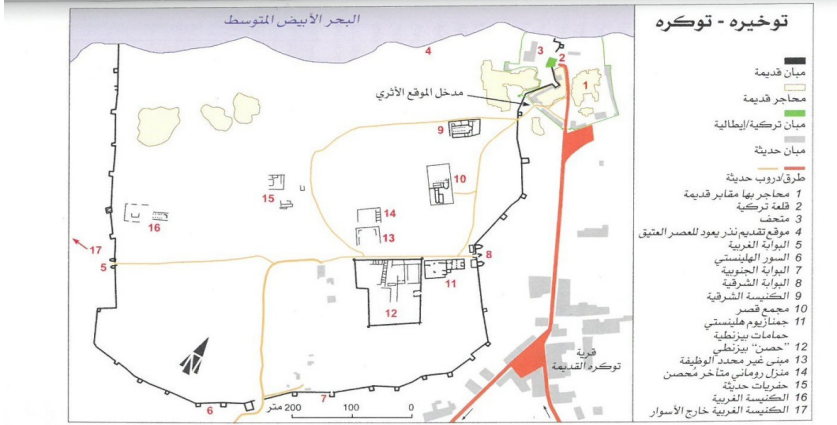
(7) المرجع السابق، ص 127 - 128.

– أهم المعالم الأثرية والسياحية في منطقة توكرة شكل (3):

1. القلعة التركية – الإيطالية:

تشغل هذه القلعة موقعا مميزا، كما في الصورة (1) إذ أنها تقع عند الزاوية الشمالية من المدينة الأثرية بين شاطئ البحر والمحجر الشرقي وداخل حدود أو أسوار قد بنيت في مكان مرتفع على أنقاض سور المدينة بين البرجين، وما تزال بقايا هذا السور تبرز من الجدار الجنوبي الشرقي من القلعة، وقد استغلت أحجار ذلك السور المتهدم في بناء القلعة.

شكل (3) الفهرس الجغرافي لأسماء المواقع الأثرية في توكرة



المصدر: فليب كنريك، دليل المواقع الأثرية في ليبيا، قوريناية (إقليم المدن الخمس)، (تر)، احمد بوزيان، عبدالله الرحيبي، (تونس: دار النشر مطبعة سيمباكت، 2013)، ص 50.

ويبدو أن الأتراك قد بنو هذه القلعة مقرا للحامية التركية في توكرة وظيفتها الرئيسية حماية جباة الضرائب، وليس من الممكن تحديد تاريخ بناء هذه القلعة ولكن من المرجح أنها بنيت في أواخر العهد العثماني (1835 — 1912). وان هذه القلعة كانت صغيرة الحجم عند بنائها بواسطة الأتراك والتي تتكون من مجموعة من الحجرات مزودة بنوافذ تحيط بها جدار سميك غير منتظم، بني من أحجار ضخمة مازالت ظاهرة حتى الآن، كان في جانبها مصلى هدمه الإيطاليون في عام 1913، هذا احتل الإيطاليون توكرة وأضافوا إلى القلعة التركية السابقة الكثير من المعالم مثل البرج الوحيد الذي يبلغ ارتفاعه حوالي 8 أمتار، وأصبح مدخلها في الناحية الشمالية والشرقية يليه درج يؤدي إلى الطابق الثاني، بعد إلغاء حجرات الطابق الأرضي التي كانت تستخدم بواسطة الأتراك.

كما أن الشكل الحالي للقلعة لم يكن هكذا تماما في العهد الإيطالي حيث وضحت صورة التقطت للقلعة أبان احتلالها من قبل الحلفاء في عام 1941 ومن قبلها صورة نادرة لجنود إيطاليين في العشرينات على الجانب الجنوبي الغربي للقلعة، حيث وضحت صورتان وجود امتداد للقلعة في الاتجاه الشمالي الغربي تمثل في طابقين من الحجرات، وقد تعرض هذا الجانب للقصف أثناء الحرب العالمية الثانية ولم تبق إلا أساساته وصور لتدل عليه، كما يلاحظ وجود لوحة تذكارية مثبتة على الجدار الغربي للقلعة الغربي عليها أسماء بعض الجيش الإيطالي الذين قتلوا في الحرب ما بين (1911 — 1914) كانت الأصل معلقة

في منتصف جدارها الجنوبي الشرقي. (8)

صورة (1) القلعة التركية الايطالية



المصدر: تصوير الباحث سنة 2022

بالإضافة إلى وجود الساعة الشمسية في الزاوية الجنوبية للقلعة من الخارج، هذه البقايا الأثرية لا تزال هامة وتشرف على مدينة توكرة الأثرية، والتي تعد من أهم المعالم لجذب السياح على الرغم من مرور أكثر من 100 عام. (9)

2- الحصن البيزنطي الإسلامي:

قامت بالحفر فيه مصلحة الآثار بين السنوات (1962 - 1965) تحت إشراف البروفسور (جو شيلدو)، ويقع على الجانب الجنوبي للشارع الطولي الرئيسي، وهناك جدار طويل يحاذي الشارع، ولكن المدخل هو بوابة عريضة تقع في وسط الجدار الغربي، وجدرانها مشيدة من أحجار منزوعة من مبان أقدم وهذا ويرتكز فقط على طين متماسك فوق سطح الأرض مما أدى إلى تشقق بعض الجدران الداخلية، وأن هذا البناء أقيم على عجلة بعكس القلاع الضخمة التي بنيت في عصر (اناستا سيوس وجوشنين)، ويمكن اعتبار هذا الحصن آخر أثر للحكم البيزنطي باقٍ لكل برقة والحصن لاشك أنه قد تم بنائه في فترة متأخرة من حكم الإمبراطورين.

فالنتيان وفالنس (364 - 367) اللذان يظهر أسماهما في نقش على حجر معاد استعماله في الجدار الشمالي في نهايته الغربية، والنقود التي عثر عليها في الحظائر كانت تنتمي إلى حكم الإمبراطور (هرقل)، ويتفق مع الرأي الذي يقول إن الحصن بني قبل الفتح الإسلامي في سنة 642 م.

ويشغل الحصن من الداخل مبان أقيمت بغير عناية من بينهما فناءان أحدهما في الركن الشمالي الشرقي وله أعمدة حجرية ذات تيجان دورية وايونية أما الآخر وهو الأكبر فلم يتم حفره تماما، ويقع في الشمال الغربي له أروقة محيطة بدعامات خشبية.

3- الحمامات البيزنطية:

تطل هذه الحمامات على شارع الديكومانوس قرب البوابة الشرقية، وقد بنيت داخل مبنى الجمنازيوم الهلنستي كانت مجرد أكوام من الحجارة إلى الأعوام ما بين (1962 - 1965).

(8) خالد محمد عبدالله الهدار، مرجع سابق، ص 10 - 18.

(9) المرجع السابق، ص ص 16 - 17.

يمكن أن نصف هذا المبنى بأنه مستطيل الشكل تقريبا ليمتد إلى مسافة 38.25 مترا بعرض يتراوح ما بين (10.20 - 19) مترا.⁽¹⁰⁾

ويمكن الدخول إلى الحمامات من عدة مداخل أهمها المدخل الرئيسي المطل على شارع الديكومانوس، ومدخل آخر في الجدار الجنوبي الغربي، ويوجد في الحمامات البيزنطية ثلاثة حجرات رئيسية أولها حجرة الحمام البارد وبعدها الحمام الدافئ والحمام الساخن.⁽¹¹⁾

4- الكنيسة الشرقية:

تعد هذه الكنيسة مثالا جيدا للمعمار المسيحي بالمدينة من حيث أنها قد تكون أقدم كنيسة بتوكة، وكنيتها الرئيسية (كاتدرائية)، كما أنها تقع في القطاع الشمالي الشرقي من المدينة المجاورة للسور الشرقي الذي تبعد عنه بمسافة 75 مترا، وهذه الكنيسة تتمثل في بناء مستطيل الشكل، كما في الصورة (2)، وهي من طراز البازيكية ثلاثية الأجنحة، تقع حنيتهما النصف دائرية في ناحية الشمالي الشرقي، تحيط بها حجرتان جانبيتان غير منتظمة الشكل، فإن الشكل الحالي للكنيسة يمكن أن يؤرخ بالنصف الأول من القرن السادس أي إلى عصر الإمبراطور جسنيان (527 - 565) مع وجود تعديلات في زمن ليس من السهل تحديده.⁽¹²⁾

صورة (2) الكنيسة الشرقية



المصدر: مكتب مراقبة آثار توكة

5- الكنيسة الغربية:

عندما يواصل الزائر مسيره في الديكومانوس وقبل أن يصل إلى البوابة الغربية سوف يلاحظ إلى الشمال منها بمسافة حوالي 80 مترا وجود بقايا مبنى ديني غير منقّب لكن مخططه واضح جزئيا يؤكد أنه يمثل كنيسة التي عرفت باسم الكنيسة الغربية، كما أنها لا تبعد نهايتها الغربية عن السور الغربي سوى بمسافة 25 مترا، وقريبا من البرج نلاحظ أن الكنيسة مستطيلة الشكل تمتد من الشرق إلى الغرب ما بين (27 — 29) مترا، وهي تمتد من الشمال إلى الجنوب ما بين (14.20 — 14.50) مترا، وهي من طراز البازيكية ثلاثية الأجنحة، تقع حنية الكنيسة في الناحية الشرقية (و الحنية هي القوس أو

(10) على سالم الترك، مدينة توكة، ط2، (طرابلس: منشورات مصلحة الآثار، 1978)، ص ص 49 - 50.

(11) المرجع السابق، ص 50.

(12) خالد الهدار، مرجع سابق، ص ص 46-48.

القبو ذى تجويف نصف دائري مغطى بقبو نصف كروي أو شبه قبة وهي مكان جلوس رجل الدين أو مكان المذبح).

تعد الحنية من أبرز معالم الكنيسة وضوحا تأخذ شكل حدوة الفرس، قد بنيت من أحجار رملية مستطيلة يوجد بداخلها حنية صغيرة أخرى قطرها 1.30 مترا، ربما كانت جزء من مقعد الأسقف، قد تمت حماية الحنية من الخارج بجدار تمتد بقاياها من الشمال إلى الجنوب.⁽¹³⁾

6- المتاحف:

متحف توكرة:

أقيم هذا المتحف الصغير داخل المدينة الأثرية توكرة عام (1945) عقب اكتشاف كمية كبيرة من الأواني الإغريقية التي ترجع إلى فترة تاريخية مبكرة أسهمت في التعرف على التاريخ الحقيقي الذي أسست فيه (تاوخيرا) وعلاقتها الخارجية، وهذا ما أبرزته المعروضات الفخارية بالمتحف، وعرضت به أيضا مجموعة من النقوش ألفت بعض الأضواء على تاريخ المدينة.⁽¹⁴⁾

وقد فتح المتحف أبوابه للزوار في (18 / 4 / 1972) ثم أفضل عام 1990 بسبب تعرضه للعديد من السرقات، وفي عام 2021 تم افتتاح المتحف في مدينة توكرة في المنطقة الأثرية، وهذا المتحف يحتوي على مجموعة من خزانات فيها مجموعة من الأواني الفخارية المختلفة ترجع إلى عصور مختلفة. صورة (3).

صورة (3) المتحف بمنطقة الدراسة



المصدر: مكتب مراقبة آثار توكرة

(13) المرجع السابق، ص 41.

(14) فليب كنريك، دليل المواقع الأثرية في ليبيا، قوريناوية (إقليم المدن الخمس) ترجمة، احمد بوزيان، عبد الله الرحبي، دار النشر مطبعة سيمباكات تونس، سنة 2013، ص 50.

7 - المقابر والأضرحة:

تنتشر المقابر البيزنطية والإسلامية والعربية والتركية في المنطقة، وتنتشر أضرحة الصالحين انتشارا واسعا، توجد بجانب كل ضريح مقبرة لأشخاص لهم صلة قرابة بصاحبه، بينما في مدينة توكرة المركز بعض الشواهد لقبور تعود إلى العصر الإغريقي وأخرى إلى العصر الروماني وبعض هذه الأضرحة تعود إلى العصر البيزنطي.⁽¹⁵⁾

8 - المساجد والكنائس والزوايا:

يوجد في منطقة الدراسة العديد من المساجد التي يمكن أن تساعد في عملية الجذب السياحي، هذه المساجد والزوايا التاريخية كلها ترجع إلى فترات تاريخية مختلفة، وفي منطقة الدراسة يوجد مسجد يرجع إلى العصر التركي وأيضا يوجد مسجد آخر يعود تاريخه إلى نهاية العصر التركي.

بالإضافة إلى العديد من المساجد الحديثة الإنشاء، كذلك الزوايا في حين لا توجد كنيسة يمارس فيها التعبد في منطقة الدراسة، وهناك المساجد والزوايا تشكل عنصر لجذب سياحي حتى وقتنا الراهن.

9 - الفنون والتراث:

تعد مدينة توكرة غنية بفننها وتراثها الشعبي الراقي المتميز والمتمثل في الفنون الشعبية المتنوعة مثل الشعر الشعبي والغناء وغناوي العلم والكشك والصابية والمجرودة والمزمار الشعبي والرقص جميعها ملازمة للأفراح، مواسم الجلالة والحصاد والفروسية كل هذا كان عنصرا من عناصر الجذب السياحي.

10 - الرياضة:

تقوم النوادي الرياضية بالإضافة إلى دورها الرياضي والترفيهي بدور ثقافي واجتماعي، حيث يلتقي عدد كبير من الرياضيين من مختلف شرائح المجتمع في أروقة الأندية الرياضية وتقام الملتقيات الرياضية التي تساهم في تنشيط ما يعرف بالسياحة الشبابية من خلال ملتقيات الدوريات والمسابقات والمباريات الودية التنشيطية والرياضة المفتوحة، ومن أهم هذه النوادي في مدينة توكرة هي: نادي الأحرار الرياضي الاجتماعي.⁽¹⁶⁾

كما يوجد أيضا العديد من الساحات العامة التي تمارس فيها الأنشطة الشعبية العامة المختلفة، والتي تكون ممارستها موسمية مثل صيد الطيور التي تمر في هجرتها من أوروبا إلى إفريقيا والعكس، وأيضا رياضة الفروسية والتي تعتبر في حد ذاتها عامل جذب سياحي في منطقة الدراسة.

11 - الأسواق:

تنتشر المحلات التجارية في جميع توكرة وتجمعاتها السكانية المختلفة، تتوفر في هذه المحلات مستلزمات الحياة اليومية من مواد غذائية وملابس وغيرها. وإن هذه الأسواق يرتادها السكان من مختلف جهاتها تباع فيها السلع وتمارس مختلف أنواع التجارة، ويمكن أن تكون عنصر جذب ثقافي للسياح من هذه الأسواق:

سوق توكرة الذي يرجع تأسيسه إلى العهد الإيطالي ويعتبر موقعه ذا مكان سياحي مهم، إذ يقع في الطريق المؤدي إلى جنوب المنطقة الأثرية.

(15) سعد خليل القزيري، التخطيط والتنمية السياحية في ليبيا، (بنغازي: دار الكتب الوطنية، 2006)، ص 356.

(16) المرجع السابق، ص 358.

12 - الصناعات التقليدية:

لم تلق الصناعات التقليدية في توكرة اهتماما من قبل الدولة، لذلك لم ترق إلى مستوى المنافسة ولا تمثل عنصر جذب سياحي في الوقت الحالي، و من الصناعات الموجودة بالمنطقة صناعة الخزف التقليدي وغزل الصوف وصناعة بيوت الشعر والأغطية بأنواعها. إلا أن هذه الصناعات اندثرت بسبب عزوف النساء عن ممارستها بحجة كثرة المشاغل وعدم التشجيع، بالرغم من أن ممارسة هذه الصناعات قد قلت في الوقت الحاضر إلا أنه بالإمكان إحيائها وإعادة الروح لممارستها نظرا لوجود المادة الخام اللازمة لجميع تلك الصناعات التي كانت تمارس سابقا إذا جاءت خطة طموحة لهدف تطورها لتصبح عنصر جذب سياحي فعال.

ثانياً: خدمات البنية الأساسية لقيام النشاط السياحي:

يتبين مما سبق أن مدينة توكرة تتمتع بمقومات جذب سياحي تعتبر عامل أساسي للجذب السياحي وتمثلة في مقومات تاريخية ومعالم أثرية قديمة مثل القلاع والحصون والمساجد إلى جانب العناصر الثقافية كالمتحف والنادي الرياضي والسوق القديم... الخ.⁽¹⁷⁾ إلا أنه مهما كانت درجة جاذبية المنطقة السياحية فإن الإقبال عليها يكون محدودا إذا لم يجد السائح التسهيلات التي توفر الإقامة المريحة والاستمتاع بها، والخدمات الصحية ووسيلة النقل الجيدة، وشبكات الطرق ومحطات المواصلات التي تجعل الوصول والاتصال امرا لا عناء فيه، وشبكة الاتصالات ومياه الشرب والصرف الصحي.⁽¹⁸⁾ وهذا ما سوف نستعرضه فيما يأتي:

أ - تسهيلات الإيواء:

لا تستطيع عوامل الجذب السياحي المختلفة في أي دولة أو مدينة أن تساهم في قيام صناعة سياحية مزدهرة إلا إذا توفرت التسهيلات التي يحتاجها السائح من الفنادق والشاليهات.

إن تسهيلات الإيواء المتعارف عليها هي المكان الذي يقدم فيه خدمة المأوى والمأكل والمشرب للسائح، أو منشأة سياحية، ومن ثم فإن المطعم والفندق والقرية السياحية وبيوت الشباب تندرج كلها تحت مسمى (منشأة سياحية) ومن هنا تعرف المنشأة السياحية بصفة عامة بأنها مكان مخصص ومرخص لتقديم خدمة الإقامة والمأكل والمشرب وتوفير جميع الإمكانيات التي تحقق للضيف الخدمة التي ينشدها في مقابل أجرة محددة لفترة معلومة، ولكل منشأة سياحية طريقة عمل خاصة بها مع اشتراك بعضها في خاصية الإيواء مثل الفندق والمطعم وبيت الشباب.

وهناك في منطقة توكرة جدول (1) مطاعم واستراحات ذات شهرة محلية جيدة مثل استراحة لاقروتا واستراحة الحيطه واستراحة الباكور، وبعض البيوت الشبابية على شاطئ البحر، بالإضافة إلى العديد من المقاهي والمطاعم تؤدي خدماتها على أحسن وجه وبمستويات عالية ومختلفة يتردد عليها الكثيرون وتقصدها العائلات للترفيه مما أدى ذلك إلى معرفة الكثير عن هذه المنطقة من قبل الزوار، وتعد الفنادق غير موجودة أما مرافق الإيواء الحالية (القرى السياحية وبيوت الشباب غير كافية مقارنة بحجم السياحة الموجودة والمتوقعة بمنطقة الدراسة.

(17) المرجع السابق، ص 360، 361.

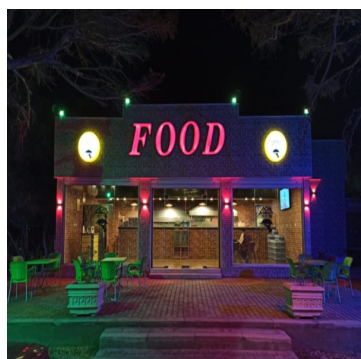
(18) المرجع السابق، ص 361، 362.

جدول (1) تسهيلات الضيافة

نوع الخدمة	الاسم
وجبات خفيفة - وجبات دسمة مشويات - سندوتشات - خدمات كافي - مهرجانات وحفلات أسبوعية	استراحة لاقروتا
وجبات طعام دسمة مشويات - وجبات خفيفة - خدمات كافي - تنزه في الحديقة الموجودة في الاستراحة	استراحة الحيفة
وهي عبارة عن دور إقامة وتكون خدماتها بسيطة وأسعارها رخيصة وتختص بالإيواء الفردي والجماعي	بيوت الشباب
قرية الشروق السياحية ومنتجع أصول السياحي والتي توفر فيهن خدمة المبيت والإقامة على شاطئ البحر	القرى السياحية
لا توجد في توكرة فنادق من أي نوع وأقرب الفنادق إليها توجد في بنغازي	فنادق
توجد لديهم خدمات كافي ووجبات خفيفة ويوجد بها جناح خاص بالعائلات ويوجد بها كل ما يلزم العائلة يوجد بها الألعاب الترفيهية للأطفال	استراحة الأكواخ

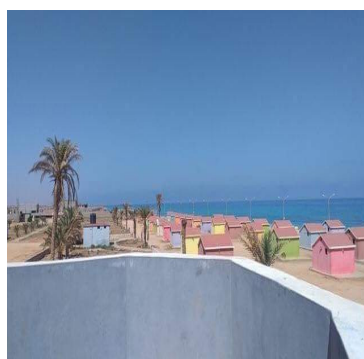
المصدر: أعداد الباحث سنة 2023.

صورة (5) مطعم الاكواخ



المصدر: تصوير الباحث سنة، 2022

صورة (4) مصيف الشروق



المصدر: تصوير الباحث سنة، 2022

صورة (6) مطعم لاقروتا



المصدر: تصوير الباحث سنة، 2022

ب- الخدمات الصحية:

للخدمات الصحية دور في جذب السواح حيث يفضل السياح الذهاب للمناطق الآمنة صحيا التي تتمتع بوجود خدمات صحية إذا ما حدث عارض مرضي لهم، ومن خلال الدراسة الميدانية اتضح إن منطقة الدراسة تتمتع بوجود مراكز صحية عديدة منها:

= في القطاع العام:

- مستشفى توكرة العام.
- مركز الهلال الأحمر الطبي.
- مجمع الرعاية الصحية للأطفال.

= وفي القطاع الخاص:

- مركز توكرة الطبي.
- عيادة الأسرة
- عيادة الزهراوي.
- عيادة النور.

بالإضافة إلى وجود العديد من الصيدلانيات الطبية الحديثة التي تعمل على مدار 24 ساعة منها (صيدلية الدواء الشافي - صيدلية الشروق - صيدلية الشهيد عزمي البرغثي وغيرهم)

ج- الطرق ووسائل النقل:

ترتبط التجمعات السكانية في بلدية توكرة بشبكة جيدة من الطرق الرئيسية والفرعية التي تربطها بالبلديات الأخرى، وتعتبر شبكات الطرق شريان الحياة السياحية لمدينة توكرة باعتبار أن معظم السياح القادمين للاستمتاع بشواطئ وأثار المدينة هم من خارج منطقة المقصد السياحي، ومن أهم هذه الطرق الطريق الممتدة من مدينة بنغازي إلى مدينة توكرة بطول 72 كم، والطريق الذي يربط مدينة توكرة مع ظلميشة، والطريق

الرباط مابين المرج ومدينة توكرة، أما الطرق المعبدة داخل مدينة توكرة فهي محدودة وتحتاج إلى صيانة حتى تلائم متطلبات السياحة.

وأما عن الوسائل البرية المتوفرة منها الحافلات وسيارة الأجرة (الروميس) وهي في حركة مستمرة بين مدن وقرى منطقة الدراسة.

أما النقل البحري والجوي يتمثل في المطارات والموانئ التجارية، وتتوفر إمكانية الوصول إلى منطقة الدراسة بحرا عن طريق ميناء بنغازي، وتتوفر إمكانية الوصول جوا عن طريق مطار بنينا الدولي.

وهذا يوفر سهولة الوصول إلى منطقة الدراسة بحرا وجوا، لذلك فإن منطقة الدراسة لا تعاني من هذه الناحية لأن كل مقومات البنية الأساسية البحرية والجوية اللازمة لقيام النشاط السياحي متوفرة لقرىها من مدينة بنغازي والتي تتوفر فيها هذه الخدمات، وتبعد منطقة الدراسة عن بلدية بنغازي بمسافة قصيرة تقطعها السيارة في مدة لا تتجاوز نصف ساعة، وبصفة عامة تعد شبكات الطرق وعمليات النقل البري جيدة.

د - خدمات الاتصالات:

أما بالنسبة لخدمات الاتصالات فإن مدينة توكرة تتمتع بإمكانيات كبيرة جدا من حيث سهولة الوصول والاتصال جوا وبراً وبحراً، وهذا كله يدعم منطقة الدراسة بالسياح الذين يرغبون في رؤية ما يتوفر فيها من عناصر جذب سياحي، وتنتشر مراكز الاتصالات وشبكات الانترنت بشكل كبير ومتطور في منطقة الدراسة، فخدمات الهاتف المحمول والخدمات الخاصة بالانترنت تغطي معظم المراكز السكانية، وهذا الأمر يوفر الكثير من الوقت والخدمات للسياح لنقل ومشاركة إمكانيات المنطقة السياحية مع أصدقائهم وعائلاتهم بالصوت والصورة معا، بالإضافة إلى وجود شبكات الاتصالات لبييانا والمدار وبريد وشركة مساهي وغيرها.

- أنواع الشركات التي تقدم خدمات الاتصالات والانترنت في منطقة الدراسة:

- القطاع العام:

- الشركة العامة للبريد والاتصالات.
- وكلاء لبييانا للاتصالات في منطقة توكرة (القلعة لكل الخدمات، لبييانا فون، (LTT4g
- شركة لبييانا للهاتف المحمول - شركة المدار الجديد .

- القطاع الخاص:

- شركة السحابة الرقمية.

ثالثاً: مصلحة الجوازات والجنسية وشؤون الأجانب فرع توكرة:

الإدارة العامة للجوازات والهجرة والجنسية هي أحد أجهزة وزارة الداخلية التي تؤدي خدماتها للمواطنين والأجانب، ومن خلال الدراسة الميدانية تبين لنا افتتاح مصلحة الجوازات فرع توكرة سنة 2018 يقدم العديد من الخدمات للمواطنين من استخراج جوازات السفر والاهتمام بشؤون الأجانب من إقامات وتسجيل إجراءات للمواطنين والسياح، فعلى الرغم من وجود الفرع الرئيسي في مدينة بنغازي، إلا أن هذا الفرع يشغل دور كبير في تقديم الخدمات للمواطنين وللأجانب، ومن المعوقات التي تعترض منطقة الدراسة في هذا المجال أن منظومة الجوازات لا تعمل من فترة وذلك بسبب أعمال صيانة على أجهزة التصوير "كاميرات".

النتائج:

1. المقومات البشرية في منطقة توكرة تتميز بإرث حضاري ثقافي كبير قد قامت فيه مجموعة من الحضارات التي تركت أثارها وتاريخها في هذه المدينة، مما يجعل هذه المدينة مركزا جذب للسياحة الترفيهية والثقافية.
2. عدم وجود خرائط أو كتيبات بلغات مختلفة تبرز مختلف الخصائص البشرية والتراثية لتسهل على السائح معرفة معالم المنطقة.
3. توفر بعض تسهيلات الضيافة في منطقة الدراسة منها المطاعم السياحية التي تستقبل السياح مثل مطعم لاقروتا ومطعم الحيطة والتي تقوم بها بعض المهرجانات الترفيهية.
4. وجود طرق جيدة في منطقة توكرة نوعا ما، كما يمر عليها الطريق الساحلي الذي يربطها بمدينة بنغازي.
5. إهمال المناطق الأثرية والتقصير في أعمال الصيانة والترميم وإعادة البناء وإجراء المزيد من أعمال التنقيب.

التوصيات:

بناءً على الاستنتاجات السابقة توصي الدراسة بالآتي:

1. زيادة الاهتمام بالمرافق السياحية والأثرية والعمل على حمايتها وصيانتها وترميمها وتحسين الطرق المؤدية إليها.
2. منطقة الدراسة تتمتع بجميع مزايا التي تجذب السياح إليها ولكن تفتقر إلى الاهتمام الخاص والدعم من الدولة لتنمية السياحة.
3. إعادة النظر في الإعلام والإعلان عن إمكانات المنطقة وترويجها داخليا وخارجيا.
4. تشجيع المستثمرين وأصحاب رؤوس الأموال من أهالي المنطقة للاستثمار في المشاريع السياحية، مما سيكون له مردود ايجابي في تنشيط الاقتصاد وتوفير العديد من فرص العمل.

المراجع

1. المكتب الاستشاري للدراسات الاقتصادية بنغازي، تحديث المخطط العام لاستثمار مياه المرحلة الأولى من النهر الصناعي، الجزء الأول منظومة أجذابيا بنغازي، 1997.
2. أيمن يوسف نجيب، "عودة المقومات السياحية في محافظة بيت لحم"، (رسالة ماجستير غير منشورة في الجغرافيا، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين 2011)
3. خالد محمد عبدالله الهدار، توكرة، (طرابلس: منشورات مصلحة الآثار الليبية، 2020).
4. سعد خليل القزيري، التحضر، دراسة في الجغرافيا "في كتاب الجماهيرية دراسة في الجغرافيا (تحرير) الهادي ابولقمة وسعد القزيري (سرت: دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1995).
5. سعد خليل القزيري، التخطيط والتنمية السياحية في ليبيا، (بنغازي: دار الكتب الوطنية، سنة 2006).
6. سعيد صفي الدين الطيب، دراسات في جغرافية ليبيا السياحة، (بنغازي: دار الكتب الوطنية، سنة 2005).
7. على سالم الترك، مدينة توكرة، ط2، (طرابلس، منشورات مصلحة الآثار، 1978).
8. فليب كنريك، دليل المواقع الأثرية في ليبيا، قوريناية (إقليم المدن الخمس)، (ترجمة)، احمد بوزيان، عبدالله الرحبيبي، (تونس: دار النشر مطبعة سيمباكت، 2013).

حماية المدنيين والتحول الديمقراطي في ليبيا

(تاورغاء نموذجاً)

إعداد:

د. خالد علي عبد القادر التومي

جامعة ليبيا المفتوحة - جنزور — طرابلس / ليبيا

القبول: 2023/5/20

الاستلام: 2023/4/11

○

○

المستخلص:

تناول البحث قضية دعم التحول الديمقراطي التي ينظر لها العالم الغربي، ويستخدم كل الوسائل لوصول لذلك التحول، بما فيها الحروب تحت مظلة المؤسسات الدولية والأمم المتحدة، وما تضمنته من عقود وشعارات ومبادئ لحقوق الإنسان وحماية المدنيين. إن التدخل بموجب حماية المدنيين دون شك، جاء على حساب مدنيين أيضاً، فالتدخل بين الأسباب والدواعي في القضية الليبية يحجب الرؤية والوصول إلى نتائج منطقية؛ لهذا فإن البحث يلقي الضوء على جوانب من تعقيدات القضية الليبية في ظل ما حدث، ويضع تصوراً عاماً لحجم المشكلة، ومفهوم حماية المدنيين، وتدويل القضية الليبية، ومستقبل التغيير في ليبيا، ونماذج من تجارب الأمم المختلفة، التي عصفت بها رياح التحول الديمقراطي، أما النتائج والحلول فإنها تقف أمام عجز القدرات الوطنية عن إيجاد مبادرات وطنية حقيقية، لحل مثل تلك القضايا، مما جعلها عائقاً يسد المسار السياسي، ويعيق التحول الديمقراطي كما أريد له.

الكلمات المفتاحية: (تاورغاء - حماية المدنيين - مخيمات - مستقبل التغيير - التحول الديمقراطي).

Summary:

The research addressed the issue of support for democratization seen by the Western world and uses all means of achieving that transition, including wars under the umbrella of international institutions and the United Nations, and its decades, slogans and principles of human rights and the protection of civilians.

Intervention under the protection of civilians undoubtedly came at the expense of civilians as well. The interplay between reasons or motives in the Libyan case obscures vision and logical results, So the research sheds light on aspects of the complexity of the Libyan issue, in the light of what happened. protection of civilians and internationalization of the Libyan issue, The future of change in Libya and models of different nations' experiences, which have been ravaged by the winds of democratization The results and solutions stand in the face of the inability of national capacities to develop genuine national initiatives to resolve such issues, This has made it a hindrance that blocks the political path and hinders the democratic transition as planned.

المقدمة:

يحتاج هذا الموضوع الشائك والمعقد من الباحثين والمحليلين الحيادية والهدوء، بعيداً عن الانفعالات والاستقطاب، والاستخدام لغرض تأجيج وإطالة عمر الأزمة، فالمشكلة محددة العناصر، وهي واضحة تماماً أمام أغلب الليبيين والمهتمين بالشأن الليبي، فهي من الآثار البارزة عقب الأحداث التي دارت رحاها في 2011م، بل ربما تكون الأبرز والأشد تعقيداً؛ إذ طردت مدينةً مدينةً أخرى مجاورة لها بالكامل، فهي التهجير الأكبر والمعظلة الأساسية، التي تُلقي بظلالها على القضية الليبية، وتقوّس جهود المصالحة الوطنية، التي هي الأخرى لم يكتب لها البداية بعد.

يتناول هذا البحث قضية تاورغاء، بداية من قرارات الأمم المتحدة والمجتمع الدولي، التي أطلقت لغرض حماية المدنيين في 2011م، التي وقعت في الأزواجية والخلط، كونها تتبنى الحرب وتدعي حماية المدنيين، وهي متناقضات، وتباين لا يُفسر إلا بأنه تخيُّط وعدم وضوح، لمن قاد الأمم المتحدة ودفعها إلى تلك الإجراءات.

فكما يبدو، باتت عادة للمجتمع الدولي والأمم المتحدة قيادة حرب بذريعة حماية المدنيين، ونم تركهم بعد ذلك للصراعات والحروب، التي تفتت نسيجهم الاجتماعي. وتغيب بعدئذ قضية حماية المدنيين وحقوقهم وراء قضبان السجون، والتهجير القسري، وهذا لا يعنى شيئاً سوى أن تلك القرارات لم تكن تشمل أهل تاورغاء، على اعتبار أن مناطقهم كانت تحت سيطرة (النظام)؛ أي أنها كانت تعدهم مؤيدين له؛ لهذا وجب القصاص منهم، كما فهمها كل الليبيين المتعاطين والمروجين لفكرة الانتقام بعد انتهاء تلك الأحداث، أو من شجع قادة الحرب في مصراتة بشكل نفعي استرضاء لهم، وتكبيلمهم بجرائم إنسانية سوف يأتي اليوم الذي تتضح فيه تلك الملفات.

إن بعض القادة السياسيين كانوا مدركين لفضاعة ما تقترفه الميلشيات في مصراتة باسم المدينة، وهذا سيكون في المستقبل من الملفات السوداء في مجال حقوق الإنسان، وستظل تلك القضايا عالقة وستدفع المدينة يوماً الثمن، أو لربما يدفعه الوطن الليبي بأسره.

إن طرح هذا الموضوع في هذه الفترة، بما يحمله من حساسية مفرطة، يستوجب على الباحث محاولة سلوك الحيادية؛ لهذا رأى الباحث تبويبه في الأظر الآتية:

أولاً: إشكالية الموضوع.

ثانياً: نطاق الموضوع.

ثالثاً: طريقة تناول الموضوع.

لقد وقعت قضية تاورغاء (الإنسانية) بين التوظيف السياسي، والاستغلال السيئ، ولم تجد حلاً جادة لحلها منذ أكثر من عشر سنوات، وذلك راجع بحسب ظن الباحث إلى الطريقة التي صوّرت عليها الأحداث، بل إن هناك تعمداً مقصوداً كان يتبع في مسارات تعبوية؛ لشحن الرأي العام حول استيفاء الحق بالذات، وهذا دون شك دفع بالمقتضين إلى الاشتطاط والمغالاة في تصوير ماحدث، على أنه جرائم غير مسبوقه، وهذا أدى بالطبيعة إلى سلبية المتعاطين مع الملف؛ لأن كل دروبه كانت مقلته، ولا نقاش فيها، فأثر ذلك بشكل سلبي، واستمر الجرح ينزف طيلة تلك السنوات، بل إن الطرف المتعنت الذي هو (مصراته عموماً)؛ استغل ذلك الملف أسوأ استغلال، بل إنهم فرضوا نوعاً من (الإرهاب الفكري) و(التشدد)، فمناقشة المصالحة مثلاً أو قضية تاورغاء؛ كانت بمثابة التنازل عن دماء — الشهداء - والتفريط في كل حقوقهم. بل إنه تعارض مع مبادئ الثورة التي يتزعمونها.

كما أن ذلك التعنت والتصلب، كان قد فرض مساراً واحداً على كل الأحداث، بل إنهم استخدموه ورقة عبور، لكل المشاركين في العملية السياسية في ليبيا عقب 2011م، فكان الحكم المسبق وغير القابل للنقاش فداحة جرائم تاورغاء، التي تستحق عليها النفي والقتل والإبعاد، وربما الإبادة من قبل مصراتة وبشكل مباشر، دون الرجوع إلى المبادئ المتعارف عليها عرفاً أو قانوناً.

إشكالية الموضوع معقدة، وتكمن في عمق الهوة التي خلقت بين تاورغاء ومصراتة، التي ساهم في تعميقها الصراع الدولي المختزل والمتخط، الذي أفسح المجال لتطور تلك المأساة، كما أن انتهازية بعض السياسيين النفعيين، ووقوفهم بشكل غير علني مع ما تتخذه مصراتة من تدابير زاد الطين بلة، وفي ظل ذلك الضباب الكثيف، وسكوت الجميع وتسترهم - إلا ما ندر- على ما يرتكب من بشائع؛ تطورت القضية التاورغية وتآزمت، وصار الجميع شركاء متواطئين فيها من الوهلة الأولى، وهنا وجبت الإشارة إلى أن بعض الأطراف السياسية داخليا وخارجيا أدركوا فداحة الأخطاء التي ترتكب منذ البداية، فتصحيحها يعني نسفاً للعملية السياسية من أساسها؛ لهذا تستروا وعضوا الطرف عن هذا الملف، فلا قدرة لهم على الوقوف أمام تيار الانتقام.

إن سيطرة ميليشيات مصراتة على أجزاء كبيرة من الوطن الليبي؛ جعل كثيراً من الجرائم والملاحقات والقتل، تتم حتى في المخيمات البعيدة، كمخيم (الأكاديمية البحرية بجنزور)، فبتاريخ (2012/02/06م) هوجم المخيم، حيث كانت تقييم فيه (528) خمسمائة وثمان وعشرون أسرة، يعانون ظروفًا صعبة، أسفر ذلك الهجوم عن مقتل (7) سبع ضحايا). كما هوجم مخيم (الضاح)؛ الذي تسكنه (250) متان وخمسون أسرة من قبل ميليشيات مسلحة؛ بتاريخ (2013/07/25م) نتج عن الهجوم (قتيل) وعدد من الجرحى، والحكومة لم تحرك ساكناً⁽¹⁾.

إن هذه القضية مختزلة وشاملة، ومُجسدة لكل الأحداث التي وقعت في ليبيا، فهي الأعمق والأعقد والأطول عمراً وأثراً؛ فنطاقها يتمثل في الآتي:

أولاً: سكوت كل الأطراف عن التجاوزات التي ارتكبت بعد انتصار مصراتة، أي أن الجميع كان مشاركاً حتى بصمتهم، والأخطر أن الجسم التشريعي المنتخب (المؤتمر الوطني)؛ كان من المفترض أن يمثل كل الليبيين إلا أنه سار في طريق الإقصاء؛ فلم يُسمح فيه بمشاركة (تاورغاء)، ولم يصدر عنه أي توصية بحقوقهم، أو مشاركة في حل قضيتهم، أو حتى التخفيف من معاناتهم داخل مخيمات نزوحهم التي كانت موزعة كالآتي:

- مخيمات طرابلس:
- مخيم طريق المطار، وتقطنه (356) ثلاثمائة وست وخمسون أسرة.
- مخيم الفلاح، وبه (250) متان وخمسون أسرة.
- مخيم سيدي السائح، وبه (75) خمس وسبعون أسرة.
- مخيم السراج، وبه (11) إحدى عشرة أسرة.
- مخيم شركة اثيب بترهونه، ويسكنه (60) ستون أسرة.
- كما توجد (530) خمسمائة وثلاثون أسرة موزعة في المنطقة الغربية.
- وعدد (400) أربعمائة أسرة تقطن حول ترهونه.
- مخيمات بنغازي: وبها (7) سبعة مخيمات، أهمها:
- قاريونس، وبه (554) خمسمائة وأربع وخمسون أسرة، وقد تعرضت هي الأخرى

(1) ناصر الهواري، وآخرون، تقارير منظمة ضحايا لحقوق الإنسان، بتاريخ 11- اغسطس- 2014م، ص4-6.

للتعدي من قبل الميليشيات، كما أن الحرب التي دخلتها بنغازي جاءت على حساب أولئك اللاجئين.

- ومخيم الحليس، وبه (360) ثلاثمائة وستون أسرة.
- أما الجنوب، فقد وصل عدد القاطنين به إلى 80 ثمانين أسرة.
- وقد بلغ عدد الأسر المقيمة خارج المخيمات (3120) ثلاثة آلاف ومائة وعشرين أسرة⁽²⁾.

إن هذه المخيمات والظروف التي تقاسيها، كانت ومازلت صعبة جداً، فلم تستطع كل الأجسام والكيانات السياسية المشاركة في العملية السياسية بعد 2011م أن تطرق باب الحلول، أو أن تضع تصورات للخروج من تلك المحنة، بل وللأسف رضت، وصرح بعضها بأن لمصراته الحق في حل قضية تاورغاء بمفردهم وبالطريقة التي تراها.

ثانياً: تجمعت مصراتة دور المنتصر الوحيد في فبراير، وحملت تاورغاء كل تبعات النظام السابق، فالقضية أخذت أبعاداً خطيرة جداً في غياب تام لأي صوت يرى عكس ذلك، بل إن الجميع آثر الابتعاد عنها محاباة، أو مجاملة، أو لمآرب أخرى.

ثالثاً: إن الخطأ الفادح كان ذلك السكوت الطويل من قبل الوطنيين، والأفدح قيادة الأمم المتحدة لشكل من أشكال التسوية بين الطرفين؛ إذ أعلن أن هناك تسوية للقضية التاورغوية، في ظروف ربما تكون غامضة، بل إن فبركات خطيرة تمت تئبى بأن هناك تستراً على جرائم ضد الإنسانية، بل إن مباركة المجلس الرئاسي بقيادة (فائز السراج) لها (2017م - 2018م)؛ جعلها من بين إنجازاته؛ حيث جمعت العائلات في قرارة القطف تهيئاً لدخولهم لتاورغاء.

إن طرح ملف (تاورغاء، مصراتة) موازيا لطرح تفاوضات، واتفاقات وتسويات أخرى، أهمها (الصخيرات)، وخطة الأمم المتحدة من أجل إنهاء الأزمة في ليبيا؛ هو مجرد خلط أوراق ليس إلا، كما أنه محاولة ضغط مستمرة من قبل اللاعبيين الحقيقيين ومجرد تبديل للأدوار.

رابعاً: الاستغلال السيئ لكثير من الأطراف، والاستعجال في عودة أهالي تاورغاء، ووضع مصراتة في متروك طريق، بل هو شق الصف المصراتي وإظهار التشقق والتشردم داخل تلك المدينة، فما حدث من إعطاء الإذن بدخول المدينة من قبل المجلس الرئاسي، لا يفسر إلا في إطار استقطاب حاد جداً واستغلال قضايا عمرها بعمر الأزمة في ليبيا.

إن السؤال الذي يفتح سيلاً من الاستفسارات؛ هو لماذا يطرح ملف تاورغاء من قبل المجلس الرئاسي بقيادة فائز السراج؟ وما المستجدات الجديدة؟ وهل حماية المدنيين وحق العودة صار أمراً ملحاً الآن، على الأمم المتحدة، وعلى كثير من الليبيين؟ وما المقصود من إدخال المنطقة الوسطى في ترتيبات جديدة؟ أم أنها محاولة توزيع أدوار ليس إلا؟ ومن المستفيد؟ وهل حقا يُبحث عن حل جذري لأهل تاورغاء؟

خامساً: حقوق الإنسان ودور المنظمات الإنسانية⁽³⁾ وقرارات الأمم المتحدة، هي أيضاً ضمن نطاق هذه القضية، فالبحث سوف يلقي الضوء على ذلك المسار غير الواضح، وربما لشمولة ازدواجية للمعايير، رافقت كل الملطات المعروضة على مجلس الأمن والأمم المتحدة، بما يتعلق بليبيا.

(2) ناصر الهواري، المرجع نفسه، 2014م، ص 7-8.

(3) ما قام به الصليب الأحمر في ليبيا في أثناء الأحداث من جمع روايات لشهود عيان من الطرفين خلال الأزمة، يمكن تقديمها في حوارات سرية للأطراف المعنية حول الانتهاكات. انظر: برونو بومييه، استخدام القوة لحماية المدنيين والعمل الإنساني، حالة ليبيا وما بعدها: المجلة الدولية للصليب الأحمر، المجلد 39، العدد 884، سبتمبر 2011م، ص 19.

المحور الأول: التصور العام لحجم المشكلة:

تكمن المشكلة في كون مدينة بأسرها قد هُجرت بعد نهاية الأحداث (2011م) والحرب التي شنتها الأمم المتحدة والقوى العظمى؛ لا لشيء إلا من أجل مصالحها وإنهاء وجود القذافي، فتاورغاء البالغ عدد سكانها ما يقارب (42) اثنين وأربعين ألف نسمة)، يضاف إليهم أيضاً (5 خمسة آلاف نسمة) كانوا يسكنون مصراتة ويقيمون بها إقامه دائمة، ولكن ما حدث جعل منهم نازحين مهجرين هم أيضاً، إلا القلة منهم الذين شاركوا مع مصراته في حربها على النظام، إذا الحجم العام للقضية يكمن في تهجير مدينة بأكملها، وجعل سكانها مشردين في مخيمات غير معدة أصلاً للحياة البشرية، وما هي إلا مقرات للشركات التي غادرت ليبيا، فأقام بها النازحون طيلة تلك الفترة؛ إذ يأبى أولئك اللجوء الذي تعرضه كثير من الدول عليهم خارج الوطن.

كما أن القضية ومن الناحية الأخلاقية تقف وتفضح ادعاءات أنصار ما حدث، في كونهم كانوا يعانون من ظلم دام طيلة (42) اثنتين وأربعين سنة)، وعندما حكموا استفتحوا عهدهم بظلم فادح، ووصمة عار سوف تظل تلاحق كل الليبيين بسبب سكوتهم على ما جرى؛ من إقصاء وقتل وإزدراء، وكان سكان تاورغاء ليسوا ليبينين أو أنهم كانوا لوحدهم أنصار النظام - إن كانت جدلا - هذا هو أصل الاتهام الموجه إليهم، وفي هذا الصدد تؤكد منظمة **Human Rights Watch** في تقريرها الصادر في (20 مارس 2013م)، أن على الحكومة الليبية اتخاذ خطوات عاجلة؛ لمنع انتهاكات حقوق الإنسان الخطيرة والمستمرة بحق سكان بلدة تاورغاء، الذين يشيع اعتبارهم من مؤيديين سابقين لمعمر القذافي⁽⁴⁾.

لقد وثقت بعض المنظمات المحلية كثيراً من الشهادات، عن جزء مما حدث في منطقة تاورغاء، كونها كانت ملاصقة لمدينة مصراتة من ناحية الشرق، وقد درت فيها أغلب العمليات العسكرية في أثناء حصار مصراته، فالذنب ليس ذنب الأهالي، فالنظام والدولة الليبية القائمة آنذاك استخدمت تلك الأراضي للدفاع عن نفسها، وعندما انتهت الحرب انسحبت القوات العسكرية التابعة للنظام من تاورغاء، وسيطرت ميليشيات مصراتة عليها، فعاشت في الأرض فساداً؛ حيث قتلت وأسرت ودمرت، وأخيراً أخرجت كل الأهالي في ردة فعل على ما حدث.

لقد هُجرت المدينة بأكملها شرقاً وغرباً وجنوباً، هرباً على الأقدام من هول وبطش القادمين، الذين لم يعضوا النساء والأطفال والشيوخ من انتقامهم؛ لهذا مات في تلك العملية أعداد ليست بالقليلة من كبار السن والأطفال، وهذه الحقائق سوف تطرح من قبل سكان تاورغاء؛ لأنها شهادات عن حقيقة ما حدث، فالمصالحة تعني كشف الحقيقة الكاملة أو الجزء المسكوت عنه، وإن حدث فلن تكون إلا مطلباً شعبياً يبني على المصارحة والكشف الكامل لما حدث.

إن مبدأ الإفلات من العقاب الذي تروج له الأمم المتحدة؛ لن يكون إلا عندما يتفق عليه كل المكلومين والمظلومين في ليبيا، فكشف حقيقة ما حدث ليس من حق مصراته أو تاورغاء وحدهما؛ وإنما هو مطلب شعبي من أجل كشف الحقيقة، ولخلق رؤية شعبية لحقيقة ما حدث، ليكون عبرة ودرساً لعدم تكراره مستقبلاً.

ربما ارتكبت جرائم ضد مصراته في أثناء الأحداث، ولكن تلك الادعاءات لم يوضح عنها، ولم تشكل لجان لتقصي الحقائق من قبل الأجسام المنبثقة عن العملية السياسية الساعية إلى التحول الديمقراطي في ليبيا، ولا عن الجهات الحكومية ولا الدولية التي من المفترض أنها محايدة.

ويبدو كما يدعي البعض في مصراته أن القضية تتعلق بالشرف، وبقضايا اغتصاب لا

(4) ناصر الهواري، المرجع السابق، ص 5.

يودون التصريح عنها بحكم القيود والعادات وثقافة المجتمع الليبي، وهذا ما يزيد من تعقيد المسألة بل ويعمقها، فهي ليست مثبتة، ولا يمكن تسجيلها ومعاقبها بالقانون وأمام العدالة؛ لهذا فقد تعاطف مع مصراتة جزء من الليبيين، والقريبون منها، وأوجدوا لها الأعداء في قضية غير مثبتة، ولن تثبت بل أخذ بجريرتها الآلاف من أهالي تاورغاء، حتى النساء والأطفال وكبار السن الذين هم أبرياء من تلك الجرائم المدعى بها.

إن قضية الاغتصاب المسكوت عنها شرفاً، والمباح عنها عذراً، سوف تظل هي الذريعة غير المثبتة والمنسوبة لقوات القذافي، فقد تحدثت التقارير الدولية وكثير من الدراسات، عن ممارسات وعمليات الاغتصاب في حق المدنيين من النساء في المدن التي تعارض النظام، ومن يشك في اتصافهم إلى المعارضة بطريقة همجية وغوغائية⁽⁵⁾.

إن صيغة الإثبات التي أطلقت (2011م)، وعززتها وسائل الإعلام، تكاد تجزم بوقوع الجرم، وكأن النظام قد أصدر تلك الأوامر فعلاً! أما الآن فقد تبخرت فلا يوجد دليل عليها، كما أن أغلب المناطق الأخرى التي كانت تواجه النظام؛ لم تسجل فيها تلك الشهادات كالجبل الغربي والزواية...إلخ.

إن البعض في مصراتة لا يدرك أنه لم يعد الكثيرون يجدون لهم الأعداء، فهم طرف مسلح ولم يكن هذا الطرف في يوم من الأيام ضعيفاً أو أعزل، فمن الأيام الأولى للانتفاضة تمت عسكريتهم، وأصبحوا مقاتلين لهم ندية قوات النظام، وهذا ما تؤكد بعض الدراسات التي أجريت في جامعة هارفارد، التي تؤكد أن الانتفاضة لم تكن سلمية، وإنما كانت عنيفة ومسلحة، وتؤكد أن التدخل ضاعف عدد القتلى إلى ما يقارب (7 سبع مرات) على الأقل، ما ترتب عنه انتهاك صارخ لحقوق الإنسان⁽⁶⁾.

وهناك أيضاً إحصائيات قدمتها **Human Rights Watch**) تتحدث عن القتلى والمصابين في مصراتة، الأكثر تضرراً في بداية الأحداث وخلال الأسابيع السبعة الأولى؛ إنه من بين (943) تسعمائة وثلاثة وأربعين جريحاً، كانت أعداد النساء والأطفال (30) ثلاثين فقط، بما يشير إلى أن قوات القذافي كانت تستهدف المقاتلين أساساً، وقد قتل⁽⁷⁾ من بين سكان المدينة الذي يقدر بحوالي (400 أربعمائة ألف) نسمة ما نسبته لا تتجاوز %0,0006، وهي نسبة ضئيلة للغاية⁽⁸⁾. وإذا كانت هذه الإحصائية في الأسابيع الأولى؛ فإن إحصائية أخرى من مصراتة قدمت بعد انتهاء الأحداث بتاريخ (2011/10/20م) جاءت بالاسم، وفيها عدد القتلى (1308 ألف وثلاثمائة وثمانية قتيل)، منهم (535) خمسمائة وخمسة وثلاثون من الذكور) فوق سن (18 سنة)، و(31 جثة) من العرب والأجانب، وعدد (25 جثة) مجهولة الهوية⁽⁹⁾.

ومهما يكن من أمر فإن ردة الفعل كانت قاسية جداً، واستمرار معاناة أهل تاورغاء على حد سواء- مجرمين وأبرياء- كل هذا الأمد الطويل؛ يمثل سادية مطلقة وعجزاً واضحاً لكل الحكومات المتعاقبة الهزيلة، التي لم تكن جادة في معالجة تلك القضية أو حللتها.

إن مشكلة تاورغاء هي المشكلة الأساسية والمحورية بعد إسقاط النظام، فلماذا سكت

(5) علاء الدين زدومى، التدخل الاجنبي ودوره في إسقاط نظام القذافي، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر، 2013م، ورقة، 122.

(6) يوسف محمد الصوانى، الولايات المتحدة وليبيا، تناقضات التدخل ومستقبل الكيان الليبي، مجلة المستقبل العربي، 2014م، ص 17.

(7) للاطلاع على قوائم الضحايا في مصراتة من بداية الأحداث إلى تاريخ (2011/8/20م)، الذين بلغ عددهم (1174) قتيل فقط. انظر: ابو القاسم عبد الله عبد العاطى، أحداث ثورة 17 فبراير، (محرقة مصراتة الهولوكوست من جديد)، ط2، ج2، دار قباء للطباعة، القاهرة، مصر، 2012م، ص 202-284.

(8) يوسف محمد الصوانى، المرجع السابق، ص 17-20.

(9) أبو القاسم عبد الله عبد العاطى، المرجع السابق، ج1 ص 220-243.

عنها المؤتمر الوطني، المؤسسة الديمقراطية المنتخبة الأولى، التي اكتسبت الشرعية عبر الصناديق والتي مات من أجلها الأف الليبيين؛ فالمؤتمر لم يشرع ولم يلزم الحكومات التي اعتمدها على إيجاد حلول لتلك القضية، بل لم يناقشها، فقد انشغل بالحروب المستمرة التي نشأت بين المكون الضريبي، مما أغرقه في فساد وتدهور للأوضاع العامة، ختمها بخلاف كبير رفض على أثرها تسليم السلطة للجسم الذي يليه، فادخلت البلاد وملفات النازحين والأسرى والمخطوفين في نضق طويل، وفي هذه الأثناء اكتفت الأمم المتحدة بالمراقبة، أما الدول الطاعلة فلم تعد تعنى بحقوق الإنسان وحماية المدنيين وبقية القضايا العالقة في ليبيا، كالنازحين، والسجون، والحروب، والفضى العارمة التي دخلت فيها البلاد، فقد حرصت فقط على التهديد الدائم لكل الأطراف بأنها سوف تستخدم الخطة (ب)، التي تعتمد على وضع اليد على كل المرافق الحيوية في البلاد، بما فيها الاستثمارات والنضق، ومصرف ليبيا المركزي، إن لم يتم توافق بين الأطراف المتخاصمة على السلطة⁽¹⁰⁾.

إن الصمت الداخلي قابله دون شك عدم اهتمام عالمي، فالعالم الذي أقام الدنيا ولم يقعدا (2011م) بسبب حقوق الإنسان وحماية المدنيين؛ تجاهل تماما قضية تاورغاء، واكتفى بالمراقبة، واكتفت منظماتها هي الأخرى بإصدار بعض التقارير عن سوء معاملة اللاجئين والظروف القاسية التي يعيشونها في بلادهم.

المحور الثاني: تدويل القضية الليبية كان من بوابة الأوضاع الإنسانية:

إن الأمم المتحدة والقوى المسيطرة والمنفذة لكل القرارات الدولية، لا تقود حربا بسبب حقوق الإنسان، أو بسبب مناشدات إنسانية، فلا وجود للحرب ذات الدوافع الإنسانية، ومن غير المعقول أيضا أن تعلن حرب من أجل تقديم مساعدات لفئة معينة تؤدي إلى مقتل الآلاف من البشر، وحتى وإن وجدت فهي مخالفة لكل المواثيق وخارجة عن الأعراف.

إن ميثاق الأمم المتحدة، يخلو من أي تعريف لمفهوم التدخل، ووجوده أقره الفقه الدولي بسبب تصاعد روح الهيمنة والتسلط، كما أن ميثاق الجامعة العربية هو الآخر لا يسمح بالتدخل، فالمادة (8) منه تحرم التدخل، وكذلك نص ميثاق الاتحاد الإفريقي من خلال المادة (3) البند (1-2)، كما أن محكمة العدل الدولية وفي حكمها الصادر حول تدخل الأمريكان في نيكارغوا في الثمانينيات من القرن الماضي كان واضحا، فقد نص الحكم الصادر بتاريخ (27/6/1986م) على رفض التدخل مهما كانت أسبابه⁽¹¹⁾.

إن عدم مشروعية التدخل حسب الأعراف الدولية، كان المعيار السياسي والأمني لتبرير مبدأ التدخل نفسه، فقد سعت الدول المسيطرة للبحث عن ذرائع ووسائل للتدخل، والتعدي على مبدأ السيادة الوطنية، الذي لم يعد موجودا، كما أكد ذلك (بطرس غالي)، (وكوفي عنان) الأمينان السابقان للأمم المتحدة، كما أن اجتماع الاتحاد الأوربي والولايات المتحدة على أن مسألة حقوق الإنسان والأمن البشري هي مسأله دولية، ولم تعد داخلية ولم يعد مقبولا للدول التذرع والتخفى وراء السيادة الوطنية، لهذا بات من المفروض وجود مفهوم الأمن العالمي المتكامل الجديد، إن جاز لنا التعبير.

إن حالة غياب الوثائق والعهود العالمية والدولية، التي تشرع وتبيح التدخل مبدأ متفقاً عليه أمميا؛ يجعل من القرارات العامة للأمم المتحدة حالات الخاصة، لا ينبغي التعويل عليها واعتبارها المبرر والمستند القانوني للتدخل، فتاريخ تلك الحالات يبدأ من

(10) نوري أبو سهمين، رئيس المؤتمر الوطني العام: جلسة المؤتمر 2015/4/28م، محضر رقم 220، طرابلس، 2015م.

(11) مرزوق بكر، بوزيان أمين، التدخل العسكري لحماية حقوق الإنسان (ليبيا نموذجا) رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الحقوق والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي الطاهر بسعيدة، الجزائر، 2017م، ورقة 38-45.

المبادرات الفرنسية (1988 م) و(1990 م) حول حق المساعدة الإنسانية لضحايا الكوارث والأوضاع الطارئة، فكانت هي حجر الأساس لإيجاد دعائم لفرض التدخل، بل مهدت الطرق للمجتمع الدولي لأن يمتلك الحق في التدخل متى شاء⁽¹²⁾.

لقد كانت النماذج كثيرة بعد ذلك في التدخل بذرائع إنسانية، فمثلاً: القرار (668) الصادر عن مجلس الأمن (5 ابريل 1991 م)، حول قمع المدنيين في العراق بما فيها مناطق الأكراد، وكيف استخدم القرار ذريعة، وعندما أسقط العراق ترك الأكراد للحروب الداخلية فيما بينهم، وكذلك ما فعله الأتراك بهم بعد ذلك من قتل وتشريد، كما تبين فيما بعد حجم الانتهاكات والفضائح حول حقوق الإنسان، كأحداث سجن (أبو غريب) وقصف المدنيين... الخ.

إن الأمم المتحدة تقدم قرارات أخرى من هذا النوع، أهمها قرار مجلس الأمن (794)، في (3 ديسمبر 1992 م) الخاص بالصومال، وقرار جورجيا (1993 م)، وقرار الأرمن، وأنغولا (1993-1994 م)، وأفغانستان... الخ، وصولاً إلى القرارات الليبية، التي صدرت في شهري (فبراير ومارس 2011 م)، وهما القرار (1970)، والقرار (1973) الذي يركز على اتخاذ التدابير والإجراءات لحماية المدنيين.

الحالة الليبية وقرارات الأمم المتحدة:

جاء التدخل في ليبيا من قبل المجتمع الدولي، من بوابة حماية المدنيين وحقوق الإنسان، ولكنها طوعت ضمن (الفصل السابع) من ميثاق الأمم المتحدة، فعندما صدر القرار (1970) وشعر الجميع بأنه لم يات بالنتائج المرجوه، ولم تحدث الاستجابة المطلوبة من قبل النظام، وبموافقة جامعة الدول العربية أصدر القرار (1973)، في (17 مارس 2011 م) الذي كان أشد وطأة، فقد أعطى الحق بالتدخل الكامل وقضى على آمال النظام بالبقاء⁽¹³⁾.

لقد أعطى القرار (1973) الإذن باستخدام القوة، وذكر قضية حماية المدنيين بشكل ضمني وليس أساسي، ودعا إلى الوقف الفوري لإطلاق النار، وفوض الدول المنضمة له باتخاذ التدابير لحماية المدنيين بموجب أحكام (الفصل السابع) من ميثاق الأمم المتحدة.

لقد اعتمد القراران على (الفصل السابع)؛ الذي يعطي الحق للتدخل في استخدام الوسائل القهرية في حالات تهديد السلم والإخلال به، وليس حقوق المدنيين، ومن أجل إضفاء حسن النية؛ أردف القرار بمادة جاءت مناصرة لتلك القضايا الإنسانية.

إن الاستعجال بإصدار ذلك القرار المفوض باستخدام القوة - حسب زعم البعض- جاء بناء على ما صرح به (معمر القذافي) حول بنغازي؛ حيث توعد المتمردون، فما كان من الأمم المتحدة والقوة المناصرة لها من سبيل إلا التعجيل؛ لأن كارثة إنسانية سوف تقع بفعل ذلك التهديد على حسب زعمهم ووطنهم⁽¹⁴⁾، فجاءت حماية المدنيين في بنغازي حسب ظن الأمم المتحدة، بالرغم من أن الحقائق على الأرض تنفي هذا الظن، فالمدة التي كانت بين إعلان الانتفاضة في (15/2/2011 م) وتدخله في (19/3/2011 م) شهر أو يزيد؛ حيث كانت كامل المناطق الشرقية تحت سيطرة المنتفضين تماماً، الذين نجحوا في وقت مبكر في عسكرة الانتفاضة، خصوصاً عندما اقتحموا جميع مخازن الأسلحة، لهذا

(12) مرزوق بكر، بوزيان أمين، المرجع السابق، ورقة، 47-48.

(13) علاء الدين زردومي، المرجع السابق، ص 123-140.

(14) خير الدين حسيب، ليبيا.. إلى أين؟ سقوط نظام القذافي، ولكن، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد، 391 السنة 34، أيلول، 2011م ص71؛ برونو بومييه، المرجع السابق، ص 2-10؛ تيسير إبراهيم قديح، التدخل الدولي الانساني -دراسة حالة ليبيا- 2011، ماجستير علوم سياسية، إشراف: صلاح أبو ختلة، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، 2013م، ورقة 129-142.

قاموا بفعل الهجوم على المنطقة الوسطى؛ حيث كانوا متجهين إلى سرت، فهم كانوا في حالة هجوم، وليس كما صور الإعلام بأن قوات (معمر القذافي) هي التي هاجمت وبادرت بالعدوان، فالترتل المتجهه إلى بنغازي تحرك لصد ذلك الهجوم.

لقد أضفي الطابع السياسي والعسكري والنضعي على حماية المدنيين تلك، بسبب وسائل الإعلام وعلو جميع الأصوات، الأمر الذي جعل الشكوك تحوم حول أغراض متعددة، كانت وراء ذلك التدخل، وليس كما زعمت الأمم المتحدة.

يقول: ستيرت باتريك "قد تكون الإطاحة بالقذافي هي المبرر الأساسي للدفع (بمسؤولية الحماية)؛ ولكن تطبيق هذه القاعدة في المستقبل ستكون حتما انتقائيا وشديد التأثير بالسياق السياسي"⁽¹⁵⁾.

لقد توقف ذلك الزخم الذي رافق الأحداث في ليبيا عقب مقتل القذافي فقد كان نهاية الحظر وإيقاف العمليات العسكرية في (31/ 10/ 2011م)، عقب مقتله بفترة وجيزة، وكان كل المشاكل مرتبطة به أو هو العقبة الوحيدة أمام حقوق الإنسان المهده للمدنيين.

لقد غضت الأمم المتحدة البصر عما أعقب تلك النهاية، ومقدار وحجم ذلك الانتقام الذي قاده الطرف المنتصر بعد أن انتصرت له ومكنته من البلاد والعباد.

إن النضحية خلال كل هذه السنوات الماضية بشعب بأكمله في سبيل المصالح الاستراتيجية⁽¹⁶⁾ لقوة عظمى، أو لتحالف عدد من الدول؛ لا يمكن تبريرها أخلاقياً بأية حال⁽¹⁷⁾. فتخلي الأمم المتحدة عن دورها الذي بدأنه تخاذل بعينه، وما هو إلا استمرار لفوضى خلقت وتركت، بل إن أزمة المهجرين واللاجئين سوف تستمر.

المحور الثالث: مستقبل التغيير في ليبيا ونماذج مختلفة:

هل كان الليبيون مستعدين للتغيير؟ بل هل كانوا مدركين لحجم ما ينتظرهم من استحقاقات عندما أعلنوا خروجهم على نظام (معمر القذافي)؟ وإلى أي مدى هم قادرين على هضم الماضي والتطلع إلى المستقبل؟ وهل سنوات الفوضى التي أعقبت ذلك الخروج سوف تؤثر على وحدتهم وقاعدتهم ووطنيتهم؟ أم أنها ستفقد أهم أساسيات وجودهم وتكوينهم المكاني والقيمي؟

لقد مرت كثير من دول العالم في (ثمانينات) القرن الماضي، بموجة عنيفة من التغيير الديمقراطي، يمكن الاستفادة منها لمعرفة كيف عبرت تلك الشعوب إلى بر الأمان، عقب ما حدث، خصوصا إذا ما علمنا أن كل التغييرات التي تمر بها المجتمعات البشرية؛ تكون دائما دموية ذات آثار عميقة في المجتمعات، بل إن بعضها ينتج حروب أهلية يذهب ضحيتها آلاف من البشر، فالآثار المترتبة عنها ربما تظل عشرات السنوات تقف أمام تصالح وإصلاح أنسجة المجتمعات، وهنا إسقاطة مهمة يجب على الطبقة السياسية التي تولت دفة الحكم

(15) مسارات (تطور مفهوم التدخل العسكري الإنساني إلى مسؤولية الحماية)، نشرة شهرية، يصدرها مركز الملك فيصل للبحوث الإسلامية، السعودية، عدد، مايو، 2013م، ص 13.

(16) هناك من يرى أن التدخل كان من أجل إسقاط (معمر القذافي). وليس حماية المدنيين، كما أن من بين الدوافع ما تمتلكه ليبيا من ثروات، فاحتياطات النفط الليبي يمكن أن ترتفع إلى (74 مليار برميل)، وليبيا تحتل المرتبة (الخامسة) عالميا في احتياطات النفط الصخري، ومن المتوقع زيادة أمد النفط الليبي وعمره من (70 سنة إلى 112 سنة). كما أن الغاز مصدر الطاقة المستقبلية تبلغ احتياطاته (177 تريليون قدم) وإضافة (122 تريليون قدم) مكعب من الاحتياطي القابل للاستخراج من الصخور. انظر: يوسف محمد الصوانى: الولايات المتحدة وليبيا: تناقضات التدخل ومستقبل الكيان الليبي: مجلة المستقبل العربي، 2014م، ص 9-17.

(17) هانس كشر، سياسة الأمم المتحدة في فرض العقوبات والقانون الدولي، مركز دراسات العالم الإسلامي، جمعية الجماهير للثقافة والفلسفة، طرابلس، 1997م ص 18-21.

في ليبيا عقب تلك الحروب، الاطلاع عليها ودراستها ومعرفة الايجابيات منها والسلبيات لتفاديها.

وفي هذا الإطار يبرز هنا سؤال مهم، وهو كيف ينبغي أن يكون رد الحكومة الديمقراطية على تهم المخالفات الصارخة لحقوق الانسان، أثناء موجة التحول وما يرافقها من فوضى وجرائم كالقتل والاختطاف، والتعذيب والاعتصاب، والاعتقال بدون محاكمة، وهل يجب عليها أن تبطش بالفاعلين؟ أم أن تسبخ عليهم عفوها؟

لقد قُدمت بعض الإحصائيات عن الخطف والقتل في (الأرجنتين)، مثلاً: في حقبة السبعينيات والثمانينيات، وصلت إلى (تسعة آلاف) يحتمل أنهم قتلوا على يد قوات الأمن، واختطف عدد آخر كبير تعرضوا لعمليات تعذيب قاسية. أما في (الأرجواي)، وخلال عهد سنوات الحكم العسكري، كانت هناك أعلى نسبة اعتقال سياسي في أية دولة في العالم؛ حيث اعتقل شخص واحد من بين خمسين شخصاً، وكذلك الأمر في (شيلي)، فقد قتل حوالي (800) شخص إبان انقلاب (1973 م) أو بعده مباشرة، وقتل أيضاً (1200) آخرون في السنوات التالية، وبعد إعلان العفو في (1979 م) أطلق سراح (7000) معتقل سياسي من السجن⁽¹⁸⁾.

إن تلك الموجه العنيفة دون شك كانت عميقة بسبب حجم الدماء والانتهاكات التي وقعت، لهذا دار نقاش مجتمعي وجدل حول ما ينبغي على النظام الديمقراطي الناشئ والجديد أن يفعله بعد أن يؤسس؟ فقيل: يجب عليه أن يعاقب مرتكبي الجرائم بأقصى العقوبات، وهي الإعدام لأسباب منها: أن الحق والعدل يُقران ذلك؛ وعلى النظام الجديد واجب أخلاقي لعقاب من ارتكبوا جرائم وحشية ضد البشر، وكذلك لأن العقاب يعد التزاماً أخلاقياً تجاه الضحايا وأسره، ويضيفون إلى ذلك أن الديمقراطية تقوم على القانون ويجب إثبات أن لا أحد مهما كانت رتبته فوق القانون، فالديمقراطية ليست قاصرة على إجراء انتخابات، وعلى حرية الرأي وما إلى ذلك، بل هي سيادة القانون، كما أن العقاب ضرورة لإثبات رسوخ النظام الديمقراطي⁽¹⁹⁾، ولقد دفع بالعديد من الأسباب لتنفيذ أقصى العقوبات على مرتكبي الجرائم، ولكن رد المعارضين لهم كان هو الآخر مشفوعاً بردود مقنعة، فالديمقراطية تقوم على التصالح ونبذ العنف، والتحول الديمقراطي يقوم على التفاهم الصريح أو القيمي فيما بين الطوائف والجماعات، على عدم إنزال العقاب على إساءات الماضي، وفي حالة ارتكاب الجميع لانتهاكات لحقوق الإنسان على السواء، يكون العفو العام للجميع؛ حيث يقدم قاعدة أقوى وأكثر رسوخاً للديمقراطية؛ كما أن العفو ضرورة من أجل إقامة الديمقراطية الجديدة على أساس صلب، وحتى إن كان ثمة من يرى وجوب إجراء محاكمة على أساس القانون والأخلاق؛ فإن هذا يأتي بعد الواجب الأخلاقي فإنشاء ديمقراطية مستقرة يجب أن يأتي بعد ترسيخ دعائم الديمقراطية، قبل عقاب الأفراد، وفي هذا الصدد يقول رئيس (الأرجواي): "أيهما أعدل: إذا تثبتت دعائم السلام في البلاد؛ أم نسعى إلى عدالة ارتجاعية تهز دعائم ذلك السلام"⁽²⁰⁾.

إن تلك الموجه العنيفة والعضوية، التي اجتاحت أغلب دول العالم في نهاية القرن الماضي كانت بعيدة عن التدخلات، وعن دهاليز الأمم المتحدة، والقوى المسيطرة، لهذا فقد أرست دعائم أنظمة ديمقراطية ذات هوية محلية خاصة بالدول التي حدثت فيها، كما أنها قدمت حلولاً لكل قضاياها نابعة من معاناة شعوبها، وضمنت لها النجاح والاستمرارية، وفي نفس السياق كانت الاتجاهات العامة لحل كل القضايا التي تترتبت عن تلك الموجهة، في

(18) صاموئيل هانتنجتون، الموجة الثالثة، ترجمة عبد الوهاب علوب، مركز ابن خلدون، ط1، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993م، ص 296-299.

(19) صاموئيل هانتنجتون، المرجع السابق، ص 297-300.

(20) صاموئيل هانتنجتون، المرجع السابق، ص 298-301.

بعض دول أوروبا الشرقية سابقا تميل إلى اتجاهين؛ الأول: يدعو للعضو والنسيان، والثاني: يدعو للمطالبة بإجراء تحقيقات ومحاكمات للمسئولين عن أفضع الجرائم التي ارتكبت، مما أدى في نهاية الأمر إلى إصدار بعض الأحكام القضائية على بعض المسئولين، فحكم على بعضهم بالسجن لمدة (4 سنوات)؛ لاستخدام العنف في مواجهة المتظاهرين. أما في (الأرجنتين) فقد تعالت الأصوات مطالبة بمعرفة الحقيقة، وقد استجابت لهم حكومتهم، وأعد تقرير مفصل عما حدث، كما استمع إلى شهادات مطولة من الضحايا وأسره، ومن المسئولين وغيرهم.

لقد وصل إدراك تلك الشعوب ووعيها إلى أن العضو لا يعني أن الجرائم لم ترتكب؛ بل يعني نسيانها، من أجل المستقبل، وصار الكثير منهم يرى أن الحقيقة أهم من العدالة، ودون شك فإن تلك التجارب خلقت وعيا جماعيا ومجتمعيا، كما إنها أفرزت نخب صارت تؤمن بأن الديمقراطية هي أقل أشكال الحكم شرا على مجتمعاتهم، وعلى أنفسهم، أما الأهم فهو اكتساب تلك النخب مهارة تحويل الفترة الانتقالية إلى ديمقراطية⁽²¹⁾، وعدم السماح للعناصر (الراديكالية) والتمشدة التي ستظل موجودة حتما، بالشد إلى الوراء أو إفشال ذلك النموذج من الديمقراطيات التي صنعتها المجتمعات بفضل نضالها.

إن أغلب ما طرح في تلك النماذج السابقة، يكاد يكون مستنسخا لما نعيشه نحن الآن في (ليبيا)، ولا يختلف إلا في كون واقعا قد صنعه الآخرون، فهم المتحكمون فيه، ومبدأ التدخل وشرعيته أعطى الأمم المتحدة الحق الكامل في رسم تصورات الحل، كما أن عملية إعادة البناء والهيكلة الجديدة تصف حكرا على ما تراه الأمم المتحدة، والسبب يرجع في اعتقادي لظرف هيمنتها، فهي تتعامل مع المجتمعات المنهارة على أنها قاصرة، ولا تمتلك إرادة البناء ولا مسئولية القيادة، وهذا دون شك سوف يؤدي إلى غياب تام للروح الوطنية والمبادرات وحسن النيات، التي تطرح من المتعاشين مع هذا الوضع بمختلف مكوناتهم واتجاهاتهم الفكرية، وهذا القول ربما يدل عليه من خلال رفض الأمم المتحدة للمبادرة التي كانت خارج إرادتها في (2016 م)، في مالطا بين (رئيس المؤتمر الوطني، ورئيس البرلمان)، عندما حاولا إنهاء الأزمة بشكل ليبي ليبي بعيدا عن الأمم المتحدة، التي اعتبرت أن كل الحلول يجب أن تكون تحت إطار سلطتها، وهذه أولى ضرائب التدخل التي سيظل يدفعها الليبيون إلى أمد طويل.

إن واقع تدخل الأمم المتحدة شيء مضروب منه، على اعتبار أنه أصيل في القضية الليبية، بل هو الأساسي، وهذا ربما ما يبطل الحل في ليبيا بسبب محاولة كثير من التيارات السياسية الداخلية إلغاء دور الأمم المتحدة، فالحل ليس كما يتوقعه الليبيون، وإنما كيفما تراه الدول المشاركة في عملية التفكيك تلك، وأي عدم تناغم بين جميع العوامل المشاركة في القضية الليبية لن يصل بنا إلى حلول أو أنه لن يعطيها المساحة الكافية لتنفيذ ما اتفق عليه.

إن ما يريك المشهد في ليبيا أيضا هو تداخل مصالح القوى الخارجية المختلفة، التي عملت منذ البداية على تبني وتقوية أطراف محلية، تستخدم لصالح تلك الدول في حالة عدم انسجام الحلول مع مصالحهم، لهذا فإن موقف الأمم المتحدة صار هزيلا وغير قادر على فرض أية حلول؛ بالرغم من إنها تمتلك القوانين الدولية التي تخولها إلزام كل الأطراف بالعملية السياسية، وفي أثناء ذلك تعزز من واجباتها نحو حماية السكان المدنيين، واحترام حقوقهم، فجميع الأطراف ومنهم المتحاربون تحت سلطة قوانينها الإنسانية⁽²²⁾.

والمشهد الليبي الآن يعاني من شدة التعقيد واختلاف الانتماءات، وتداخل المصالح

(21) صاموئيل هانتنجتون، المرجع السابق، ص 316-408.

(22) هانس كشر، المرجع السابق، ص 4-20، 65-81.

وببطء فرض الحلول من قبل الأمم المتحدة، وهذا التباطؤ تترتب عليه نتائج غير محمودة العواقب، بل إنه يزيد من معاناة النازحين والمهجرين خصوصا من أبناء (تاورغاء)، فالمطلوب من الأمم المتحدة ليس تقديم المساعدات أو المعونات، وإنما فرض الحلول التي من شأنها إعادة الحقوق للسكان المدنيين، الذين تضرروا جراء تلك القرارات الداعية لحماية حقوق المدنيين، التي استبيحت بها البلاد سنة (2011م).

فكثير من الشكوك في ظن الباحث بدأت تطفو على السطح، حول دور الأمم المتحدة في كيفية إدارة قضية أهالي (تاورغاء)، فالاتفاق المبرم بين (مصراتة وتاورغاء)، الذي ترعاه الأمم المتحدة ولا تعترض عليه، يشك في بنوده، وما تحمله من تسويات غير منصفة أو حقيقية، تعطي للطرف الأقوى- بعد أن ارتكب جرائم ضد المدنيين- الحق في تبرير ما ارتكبه ضد الغزل، بل أعطته حق الإفلات من العقاب، كما إن هذا الاتفاق الذي يعطي (لتاورغاء) حق العودة يعتمد على ضرورة تقديم اعتذار من قبلهم على أخطاء لم يكونوا مسؤولين عنها، وجرائم لم تستطع الأمم المتحدة، والمنظمات الدولية، أو المحلية، إثبات حتى جزء منها، وهنا لا ننف ريبا وقوع بعض الانتهاكات، بل نجزم بالمطلق عدم قصد ارتكاب تلك الجرائم بواسطة (العقل الجمعي)، والإرادة المطلقة لكل أهالي (تاورغاء) على حد سواء، أو موافقتهم عليها، أو مناصرتهم لها، خصوصا الأبرياء من الأطفال والعجائز والنساء .

إن التخبط وعدم سعي الجميع لحل شامل، قاد هذا الملف إلى هذه النقطة وأوصل سكان (تاورغاء) إلى العراء في (قرارة القطف)، بل إن وجودهم في أماكن مقفرة وصحراء جرداء، يضخم المشكلة ويجعلها ساخنة وملتبهة، فلماذا أخرجوا من مقرات إقامتهم في المناطق التي كانوا فيها، قبل وجود حل شامل ومكتمل وضامن، وحمائية، ومراقبة (أقلها ستة الشهور الأولى)؟ بل أين مبادئ حسن النيات لجميع الأطراف؟ خصوصا إذا ما علمنا أن أكثر من (80%) من العائدين هم من العجزة والأطفال والنساء! وهل التمثيل في الاتفاق المبرم برعاية الأمم المتحدة ومجلسها الرئاسي يمثل التمثيل الحقيقي (للقاعدة الشعبية) (التاورغية والمصراتية)؟ وهل للطرفين القدرة على ضمان النتائج وتحمل مسؤولياتهم؟ وما البنود السرية في ذلك الاتفاق؟ وما النصوص والآليات وطرق التنفيذ؟ ومن أين دفعت الأموال والمبالغ الكبيرة التي يتحدثون عنها؟ وأين أصدقاء ليبيا وكل المؤتمرات من أجل إعادة الإعمار؟ وهل المجتمع الدولي تحمل هو الآخر مسؤولياته على اعتبار أنه حمى المدنيين وأزال عنهم ذلك النظام؟

يبدو أن كل هذا وغيره مجهول، فيما عمل الرئاسي ومندوب الأمم المتحدة التصالحي هو المعلوم، ولكنه لم يكلل بالنجاح، فقد تركت المخيمات الجديدة في العراء، وما يحدث بها من أخطار كثيرة منها، كوجود الميليشيات المسلحة والمتنازعة.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث يمكن استنتاج الآتي:

- تدخل الأمم المتحدة (2011م) في ليبيا كان تحت ذريعة حماية المدنيين، وقضية (تاورغاء) قضية إنسانية صرفة، فماذا فعلت فيها؟
- إن ملف (تاورغاء) القديم المتجدد قضية شائكة ومعقدة، وهو ضمن أهم ملفات القضية الليبية بل يكاد يكون أعمقها، وطرحه بكل ما فيه وبشفافيه أفضل من محاولة حله على عجل.
- كل مخرجات العملية السياسية في ليبيا تعاملت مع هذه القضية بسلبية تامة، بل إنهم لم يقدموا أية حلول لقضية المخيمات، بل تركوها عرضة لتعدي واقتحام بعض الميلشيات؛ الأمر الذي أدى إلى ارتكاب جرائم لم تعر لها الأمم المتحدة بالأ.
- ما ارتكب من جرائم بعد سقوط النظام في ليبيا أمر مسكوت عنه، ومجهول ويتجاهله الكثيرون عن قصد، وذلك من أجل إرضاء أطراف سياسية تمتلك السلاح والقوة.
- ما تدعيه (مصراتة) من جرائم ارتكبتها (تاورغاء) لم تأخذ مساراتها القانونية الطبيعية، بل سمح لها باستيلاء حقها بذاتها أمام علم الجميع، وهذه بادرة خطيرة سوف يكون لها آثار سلبية بشكل عام.
- الأمم المتحدة والحكومات المتعاقبة، لم تسع لتشكيل لجان لتقصي الحقائق، وهذا عمق من حجم الهوة، وأعطى انطباعاً بأن القضية لم تكن من أولويات كل تلك الأطراف.
- ازدواجية المعايير تتضح في تدويل القضية الليبية أصلاً، كما أن دوافع التدخل الإنسانية وحماية المدنيين تصطدم بقضية (تاورغاء)، والذين على ما يبدو ليسوا مستهدفين بتلك الحماية.
- موجات التغيير التي مرت بها الأمم الأخرى، وعبر فترات مختلفة دون شك، تقدم للبيين دروساً يجب الاستفادة منها، للخروج من الأزمة الليبية.
- إن ترك المجال كاملاً لتفرد الأمم المتحدة بطرح الحلول، سوف يلغي دور الوطنيين، ويسبب غياباً كاملاً لهم، بل إنه لن يجعل من تلك الحلول المقترحة ذات عمق جماهيري وشعبي، وهذا لا يكون إلا بخلق مسارات جديدة للحوار الوطني المبني على المصارحة، وتغليب صالح الوطن على الذوات المختلفة والأهواء، التي تكاد تجعل منا جميعاً لاجئين مشردين بدون وطن.

قائمة المراجع

1. برونو بومييه، استخدام القوة لحماية المدنيين والعمل الإنساني، حالة ليبيا وما بعدها، المجلة الدولية للصليب الاحمر، مجلد39، العدد884، سبتمبر، 2011م.
2. تيسير إبراهيم قديح، التدخل الدولي الإنساني - دراسة حالة ليبيا- رسالة ماجستير، إشراف صلاح أبو ختلة، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، 2013م.
3. خير الدين حسيب، ليبيا... إلى أين؟ سقوط نظام القذافي، ولكن؟ مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 391، السنة34، ايلول، 2011م.
4. صاموئيل هانتنجتون، الموجه الثالثة، ترجمة عبد الوهاب علوب، مركز ابن خلدون، ط1، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993م.
5. علاء الدين زردومي: التدخل الأجنبي ودوره في إسقاط نظام القذافي، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2013م.
6. أبو القاسم عبد الله عبد العاطي، أحداث ثورة 17 فبراير، محرقة مصراته الهولوكوست من جديد، ط2، ج، 1، 2، دار قباء، للطباعة، القاهرة، مصر، 2012م.
7. مرزوق بكر، بوزيان أمين، التدخل العسكري لحماية حقوق الإنسان (ليبيا نموذجاً) رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولاي الطاهر بسعيدة، الجزائر، 2017م.
8. ناصر الهواري، وآخرون: تقارير منظمة ضحايا لحقوق الإنسان، (بتاريخ 11 اغسطس 2014م)، حول قضية تاورغاء.
9. نوري أبو سهمين رئيس المؤتمر الوطنى العام: جلسة المؤتمر الوطنى العام، 28/4/2015م، محضر رقم 220، طرابلس.
10. هانس كشرلر: سياسة الأمم المتحدة فى فرض العقوبات والقانون الدولي، مركز دراسات العالم الإسلامى، جمعية الجماهير للثقافة والفلسفة، طرابلس، 1997م.
11. يوسف محمد الصوانى: الولايات المتحدة وليبيا: تناقضات التدخل ومستقبل الكيان الليبى: مجلة المستقبل العربى، 2014م.
12. ثانيًا: الدوريات:
13. مسارات: تقارير تطور مفهوم التدخل العسكري الإنسانى إلى مسؤولية الحماية، نشرة شهرية، مركز الملك فيصل للبحوث الإسلامية، السعودية، عدد مايو، 2013م.

المسؤولية الجنائية للطبيب " Doctor's Criminal Responsibility "

إعداد:

د. شعبان محمود محمد الهواري

أستاذ القانون الجنائي المشارك، كلية القانون جامعة خليج السدرة

القبول: 2023/5/25

الاستلام: 2023/5/4

OO

OO

المستخلص:

إن مهنة الطب مهنة إنسانية وأخلاقية قبل أن تكون علمية، ويعد الأطباء ملائكة الرحمة التي تعمل على تخفيف آلام المرضى، وتبرز أهمية الموضوع بسبب التقدم العلمي السريع في مجال الطب الذي ضاعف من مسؤوليات الطبيب، فعمل الطبيب قد يترتب عليه مسؤولية قانونية وتاديبية في حالة ارتكابه خطأ مهنيًا، كان أهمل في تشخيص المرض، أو أخطأ في وصف العلاج المناسب، أو فوت على المريض الفرصة في العلاج، أو أخطأ في العمليات الجراحية، أو أخطأ في التخدير، أو غيرها من الأخطاء بسبب إهمال أو رعونة أو عدم انتباه أو عدم احتراز، ومعيار تقدير ما إذا كان الطبيب قد بذل العناية اللازمة من عدمه؛ والالتزام بواجبات الحيطة والحذر، هو ما يقدمه طبيب يقظ على دراية وعلم في ذات الظروف المحيطة في أثناء تأديته لعمله مع مراعاة تقاليد المهنة والأصول العلمية الثابتة؛ فإذا انحرف الطبيب عن هذا المعيار، وقام بأداء عمله دون المستوى المطلوب؛ فإن الطبيب يسأل قانونًا عما يلحق بالمريض من ضرر طالما أن هذا الضرر كان نتيجة حتمية لخطأه.

كلمات مفتاحية: المسؤولية الجنائية - الخطأ الطبي - المسؤولية الطبية - الأصول العلمية - تحقيق نتيجة

Summary:

the medical profession is a humane and ethical profession before it is scientific, and doctors are considered angels of mercy who work to relieve the pain of patients, and the importance of the subject is highlighted due to the rapid scientific progress in the field of medicine that doubled the responsibilities of the doctor, as the work of medicine may entail legal and disciplinary responsibility in In the event that he commits a professional error by neglecting to diagnose the disease, or misprescribing the appropriate treatment, or missing the patient the opportunity for treatment, or making a mistake in surgeries, or making a mistake in anesthesia, and other mistakes due to negligence, recklessness, lack of attention, or lack of precaution. a criterion for assessing whether or not the doctor took the necessary care; Commitment to the duties of caution and caution is what a vigilant doctor provides with knowledge and knowledge in the same surrounding circumstances while performing his work, taking into account the traditions of the profession and established scientific principles. If the doctor

deviates from this standard, and performs his work below the required standard; The doctor is legally responsible for the harm that befalls the patient, as long as this harm was an inevitable result of his mistake, and the Penal Code requires the punishment of every person who committed an act intentionally or by mistake that led to the death of a person or inflicted bodily harm on him.

Opening words: Criminal responsibility - medical error - medical responsibility - achieve a result.

مقدمة:

موضوع البحث: الخطأ بصورة عامة هو انحراف عن السلوك المألوف للشخص العادي، فإذا خرج الشخص بسلوكه عن سلوك الإنسان العادي يكون مخطئاً، ويترتب على ذلك مسؤوليته، وبالنسبة للطبيب، الالتزام الذي يقع على عاتقه تجاه مرضاه هو التزام ببذل عناية، والذي يفرض عليه بذل العناية اللازمة التي تقتضيها الأصول العلمية والفنية في مجال الطب، ومن ثم فإن إخلال الطبيب بهذا الالتزام يشكل خطأ طبيًا يرتب المسؤولية الطبية، فالخطأ الطبي بوجه عام يكون عند وجود تقصير في مسلك الطبيب، واستقر الفقه والقضاء على أن التزام الطبيب نحو المريض هو التزام ببذل عناية، وإن كانت هناك بعض الحالات يكون فيها التزام الطبيب التزاماً بتحقيق نتيجة، ويفترض فيه العناية المطلوبة التي تقتضيها الأصول العلمية في الطب، التي يتوجب أن يقدمها طبيب في مستواه المهني، وعليه فإن خروج الطبيب عن ذلك يشكل خطأً يستوجب مساءلته عن أي ضرر يصيب المريض، ومن ثم فرضت التشريعات الجنائية على الطبيب بذل العناية اللازمة لحفظ حياة المريض وسلامة بدنه، وعليه التقيد بالأصول العلمية المتفق عليها فقها وقانوناً، وفقاً للمادة الخامسة/ (أ) والمادة السابعة من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية، وعليه فإن معيار الخطأ الطبي، هو معيار عام أساسه سلوك الطبيب العادي، ويكون التزام الطبيب في أداء عمله التزاماً ببذل عناية، إلا إذا نص القانون على خلاف ذلك، ولا يكون الطبيب مسئولاً عن الحالة التي يصل إليها المريض إذا ثبت أنه بذل العناية اللازمة، ولجأ إلى جميع الوسائل التي يستطيع من كان في مثل ظروفه لتشخيص المرض ووصف العلاج وفقاً للمادة (114) من القانون الليبي رقم (106) لسنة 1973 م بشأن إصدار القانون الصحي.

أهمية البحث: العمل على تحقيق التوازن بين حماية المريض وما قد يقع من الأطباء من أخطاء، وتقديم العناية الطبية للمرضى، هذا من جانب، وعلى الجانب الآخر توفير الحرية اللازمة للأطباء من أجل قيامهم بواجبهم نحو مرضاهم في جو يمكنهم من أداء عملهم على أكمل وجه.

منهجية البحث: اتبعنا في دراسة هذا الموضوع منهجاً تحليلياً، فهو أولاً منهج تأصيلي يرد النقاط التفصيلية إلى أصولها النظرية، فعندما نعالج أحكام المسؤولية الجنائية للطبيب عن الأخطاء الطبية نردها إلى الأركان العامة في التجريم، بهدف الوصول إلى توصيف شامل وكامل للظاهرة محل الدراسة، وتعتمد الدراسة أيضاً على المنهج المقارن من أجل مقارنة النصوص القانونية بالأخرى مع تحليلها لتحقيق الفائدة من البحث.

إشكاليات البحث: يثير البحث عدة تساؤلات تتمثل في:

- ماهية وصور الخطأ الطبي وأنواعه؟
- وما مسؤولية الطبيب القانونية في حالة ارتكابه لخطأ مهني، ترتب عن إهمال منه، أو رعونة، أو عدم انتباه، أو عدم احتراز؟ وما درجات الخطأ الطبي؟
- وما معيار تقدير الخطأ الطبي وكيفية إثباته؟ وما مدى التزام المحكمة بعرض قضايا

المسؤولية الطبية على المجلس الطبي، والالتزام بما يرد في تقريره بشأن مدى قيام المسؤولية الطبية؟ وما مقتضيات إباحة العمل الطبي وشروطه؟
- وما التكليف القانوني لمسؤولية الطبيب؟ وهل مسؤولية الطبيب عقدية ناشئة عن العقد المبرم بين الطبيب والمريض، أم هي مسؤولية تقصيرية أساسها تقصير الطبيب في أداء عمله؟ وما مدى التزام الطبيب في تدخلاته الطبية؟ وهل المطلوب من الطبيب بذل عناية أم تحقيق نتيجة؟ والإجابة عن هذه التساؤلات تشكل خطة البحث على النحو التالي:

خطة البحث:

- المبحث الأول: ماهية إباحة العمل الطبي وشروطه.
المطلب الأول: تعريف العمل الطبي.
المطلب الثاني: شروط إباحة العمل الطبي.
- المبحث الثاني: أركان المسؤولية الطبية للطبيب.
المطلب الأول: ركن الخطأ الطبي.
المطلب الثاني: ركن الضرر وعلاقة السببية بينهما.
- المبحث الثالث: التكليف القانوني لمسؤولية الطبيب.
المطلب الثاني: الطبيعة القانونية لمسؤولية الطبيب.
المطلب الثاني: مدى التزام الطبيب في تدخلاته الطبية.

المبحث الأول: ماهية إباحة العمل الطبي وشروطه:

يحتاج الطبيب عند ممارسته للمهنة القيام بأعمال، مثل: الكشف، والتشخيص، والعلاج، مما يتطلب منه المساس بجسم المريض، إما بطريق مباشر: كإجراء العمليات الجراحية، أو التحاليل الطبية. أو بطريق غير مباشر: كإعطاء الأدوية والعقاقير التي قد تسبب الآلام، أو تغيرات في وظائف الجسم، وبذلك لا يسأل الطبيب جنائياً أو مدنياً عن الأفعال التي يأتيها في أثناء ممارسته لمهنة الطب: طالما توافرت في فعله الشروط التي تقررها التشريعات الجنائية، ومن ثم نتناول ماهية إباحة العمل الطبي وشروطه على النحو الآتي:

المطلب الأول: تعريف العمل الطبي:

أولاً: التعريف الفقهي للعمل الطبي:

عرّف البعض الخطأ الطبي بأنه " ذلك النشاط الذي يتفق بكيفيته وظروف مباشرته مع القواعد المقررة في علم الطب، ويتجه في ذاته، أي وفق المجرى العادي للأمر إلى شفاء المريض، والأصل في العمل الطبي أن يكون علاجياً، أي يهدف إلى التخلص من المرض أو تخفيف حدته أو مجرد تخفيف الآلام"⁽¹⁾، كما عرفه البعض بأنه: "العمل الذي يشمل حالات التدخل الطبي لتحسين الحالة الصحية للمريض، أو أي عضو من أعضائه، فهو بذلك يشمل أعمال الجراحة والتجميل"⁽²⁾، وعرف البعض الخطأ الطبي بأنه: "انحراف عن السلوك الواجب اتخاذه لتحقيق النتيجة المقصودة"⁽³⁾.

(1) د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات، القسم الخاص، دار النهضة العربية، مصر، 1988، ص 172.

(2) د. مأمون محمد سلامة، شرح قانون العقوبات القسم العام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1984، ص 200.

(3) د. إيمان محمد علي الجابري، المسؤولية القانونية عن الأخطاء الطبية، دار الجامعة الجديدة للنشر، مصر، 2011، ص 95.

ثانياً: التعريف القانوني للعمل الطبي:

1- التعريف القانوني للعمل الطبي في التشريع الليبي: نص المشرع الليبي على تعريف محدد للعمل الطبي في المادة الثانية من القانون الليبي رقم (60) الصادر بتاريخ 20 / 5 / 1957 م بشأن مزاوله مهنة الطب، التي تقرر بأنه "تعتبر مزاوله مهنة الطب إبداء مشورة طبية، أو عيادة مريض، أو إجراء عملية جراحية، أو مباشرة ولادة، أو وصف أدوية، أو علاج مريض بأية طريقة كانت، أو وصف نظارات طبية، وبوجه عام مزاوله مهنة الطب بأية صفة عامة كانت أو خاصة"⁽⁴⁾.

2- التعريف القانوني للعمل الطبي في التشريع المصري: لم ينص المشرع المصري على تعريف محدد للعمل الطبي، بل اكتفى بالإشارة إلى بيان الأعمال التي تدخل في نطاق العمل الطبي، وتمنح القائمين بها وصف الطبيب أو المعالج، وفقاً للقانون رقم (415) لسنة 1954 م بشأن مزاوله مهنة الطب، والتعديلات التي جاءت بعده على أنه "لا يجوز لأحد إبداء مشورة طبية، أو عياده مريض، أو إجراء عملية جراحية، أو مباشرة ولادة، أو وصف أدوية، أو علاج مريض، أو أخذ عينة من العينات التي تحدد بقرار من وزير الصحة العمومية من جسم المرضى الأدميين للتشخيص الطبي المعملية، بأية طريقة كانت، أو وصف نظارات طبية، وبوجه عام مزاوله مهنة الطب بأية صفة كانت، إلا إذا كان مريضاً أو كان من بلد تجيز قوانينه للمصريين مزاوله مهنة الطب بها، وكان اسمه مقيداً بسجل الأطباء بوزارة الصحة العمومية، وبجدول نقابة الأطباء البشريين، وذلك مع عدم الإخلال بالأحكام الخاصة بالمنظمة لمهنة التوليد. ويستثنى من شرط الجنسية الأجانب الذين التحقوا بإحدى الجامعات المصرية قبل العمل بأحكام القانون رقم (142) سنة 1948"⁽⁵⁾.

المطلب الثاني: شروط إباحت العمل الطبي

تتناول شروط إباحت العمل الطبي على النحو التالي:

الفرع الأول: شرط الترخيص بمزاوله مهنة الطب:

نصت المادة الثانية من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية على أنه: يحظر ممارسة أي عمل من أعمال المهن الطبية والمهن المرتبطة بها بدون ترخيص بذلك من الجهات المختصة، ولا يجوز الجمع بين أي من تلك المهن ومهنة أخرى. كما لا يجوز للمرخص له مزاوله المهنة إلا في حدود تخصصه، ولا يسري ذلك في حالة إذا لم يوجد أخصائي، أو كان هناك خطر على حياة المريض، كما نصت المادة (14) من القانون الليبي رقم 60 لسنة 1957 م بشأن مزاوله مهنة الطب الصادر بتاريخ 20 / 5 / 1957 م على أنه "يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز سنة، ويفرمة لا تزيد عن مائتي جنيه، أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل من زاول مهنة الطب على وجه يخالف أحكام هذا القانون. وفي جميع الأحوال يأمر القاضي بإغلاق المحل الذي مارس المتهم فيه العمل، مع نزع اللوحات واللافتات، وبمصادرة الأشياء المتعلقة بالمهنة، ويأمر كذلك بنشر الحكم مرة أو أكثر من مرة في جريدة يعينها، وذلك على نفقة المحكوم عليه. كما نصت المادة (110) من القانون الصحي الليبي رقم (106) لسنة 1973 م على شروط مزاوله مهنة الطب، التي ضمنها شرط الحصول على المؤهل العلمي في مجال تخصص الطبيب، وشروط

(4) انظر: المادة (2) من القانون الليبي رقم (60) الصادر بتاريخ 20 / 5 / 1957 م بشأن مزاوله مهنة الطب.

(5) د. محمد أسامة عبد الله قايد، المسؤولية الجنائية للأطباء، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، مصر، بدون سنة طبع، ص25.

القيّد بالسجلات التي تعتمدها أمانة الصحة بالخصوص؛ لأن الترخيص هو السبب المشروع لإباحة الأعمال الطبية، متى روعيت وفقاً للأصول الفنية للمهنة، ولا يستثنى من ذلك إلا حالتان: الحالة الأولى: التي يثبت فيها عدم توافر الأخصائي الطبي، والحالة الثانية: وجود خطر يهدد حياة المريض.

كما نصت المادة (10) من القانون المصري رقم 415 لسنة 1954 الصادر بتاريخ 1954 / 7 / 22 م بشأن مزاوله مهنة الطب على أنه "يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز سنتين، ويفرمة لا تزيد على ماتتي جنيه، أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل من زاول مهنة الطب على وجه يخالف أحكام هذا القانون، وفي حالة العود يحكم بالعقوبتين معاً، وفي جميع الأحوال يأمر القاضي بإغلاق العيادة مع نزع اللوحات واللافتات، ومصادرة الأشياء المتعلقة بالمهنة، ويأمر كذلك بنشر الحكم مرة أو أكثر من مرة في جريدتين يعينهما على نفقة المحكوم عليه." كما نصت المادة (11) منه، ويقابلها نص المادة (15) من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م، بشأن المسؤولية الطبية، التي تقرر أنه يُعاقب بالعقوبات المنصوص عليها في المادة السابقة:

1. كل شخص غير مرخص له بمزاوله مهنة الطب يستعمل نشرات، أو لوحات، أو لافتات، أو أية وسيلة أخرى من وسائل النشر، إذا كان من شأن ذلك أن يحمل الجمهور على الاعتقاد بأن له الحق في مزاوله مهنة الطب، وكذلك كل من ينتحل لنفسه لقب طبيب، أو غيره من الألقاب التي تطلق على الأشخاص المرخص لهم بمزاوله مهنة الطب.
2. كل شخص غير مرخص له بمزاوله مهنة الطب وجدت عنده آلات أو عدد طبية، ما لم يثبت أن وجودها لديه كان بسبب مشروع، غير مزاوله مهنة الطب⁽⁶⁾.

وباستقراء النصوص القانونية السابقة يتبين لنا أن الشخص الذي يمارس العمل الطبي يجب أن يكون طبيباً حاصلًا على شهادة معترف بها في البلد الذي يروم فيه ممارسة العمل الطبي؛ ولذلك تحصر قوانين الصحة العامة في دول عدة ممارسة العمل الطبي بالأشخاص الحائزين على شهادة أو إجازة علمية معترف بها، والحاصلين على ترخيص قانوني بمزاوله المهنة الطبية، ومن ثم يجب الحصول على ترخيص بمزاوله مهنة الطب من السلطات المختصة وفقاً للقوانين واللوائح المنظمة لهذا الأمر، بعد أن يحصل الشخص على المؤهل العلمي الذي يمكنه من مزاوله مهنة الطب⁽⁷⁾، وبالتالي يُسأل الطبيب جنائياً عما يحدثه في المريض من جراح على أساس العمد، ولا يؤثر على تلك المسؤولية أن يكون هذا التدخل قد حقق الغرض الذي قصده بشفاء المريض أو لم يتحقق، ولا يعفى من العقاب إلا عند قيام حالة الضرورة بشرطها القانونية، وحتى يستطيع من يحمل صفة الطبيب أن يمارس عمله، لا بد له من أن يحصل على ترخيص قانوني، إذ إنه شرط أساسي لإباحة الأعمال الطبية، حتى ولو كان من أجراءها حاصلًا على المؤهل العلمي الذي يعده لممارسة العمل الطبي⁽⁸⁾، والجدير بالذكر أن حصول الطبيب على الترخيص الذي يخوله مزاوله مهنة الطب، قد يكون عامًا شاملًا لجميع أعمال المهنة، وقد يكون خاصًا بمباشرة أعمال معينة، وفي هذه الحالة لا تتوافر الإباحة إلا إذا كان العمل داخلًا في حدود الترخيص المقرر، كما هو الحال بالنسبة لطبيب الأسنان.

(6) انظر: القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية، الجريدة الرسمية لسنة 1986 العدد 28 السنة الرابعة والعشرون، والقانون المصري رقم (415) لسنة 1954 الصادر بتاريخ 1954 / 7 / 22 بشأن مزاوله مهنة الطب.

(7) انظر: القانون المصري رقم (415) لسنة 1945 الخاص بمزاوله مهنة الطب، والمادة 4 من قانون نقابة الأطباء العراقيين رقم (81) لسنة 1984، والمادة الثانية من قانون تنظيم مزاوله المهنة الطبية في سوريا رقم (12) لسنة 1970، والمادة 52 / 1 من قانون الصحة العامة الأردني رقم (21) لسنة 1971.

(8) د. أحمد شوقي أبو خطوه، القانون الجنائي والطب الحديث، دار النهضة العربية، 1986، ص 30.

الفرع الثاني: شرط رضا المريض:

يُعد الرضا من أهم الشروط الجوهرية الأساسية التي يلزم توافرها لمشروعية إجراء التجارب الطبية العلمية على جسم الإنسان الحي⁽⁹⁾، ومن المتفق عليه في الفقه أن الطبيب الذي يحصل على رضا المريض، أو من يمثله قانوناً، ولم تكن ثمة ضرورة لتدخله يكون مسؤولاً⁽¹⁰⁾، وذلك لأن رضا المريض يعد من أهم الشروط التي تبيح العمل الطبي، وتزداد أهمية رضا المريض في مراحل العلاج التي تكون على قدر من الخطورة، كالعلاجات الجراحية، كونها تعرض المريض للخطر، حيث نصت المادة (15) من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية⁽¹¹⁾ على أنه "لا يجوز المساس بجسم الإنسان، أو نقل عضو أو جزء منه، ما لم يكن ذلك بموافقة خطية، وبعد التأكد من عدم حصول ضرر له، إن كان حياً أو كان ذلك وفقاً لأحكام القانون رقم (4) لسنة 1982 م، إن كان ميتاً، ويحظر إجراء التجارب العلمية على جسم الإنسان الحي إلا برضاه، ولغرض تحقيق منفعة مرجوة له، وبمعرفة أطباء مرخص لهم بإجرائها، طبقاً للأسس العلمية المتعارف عليها"، ويتطلب المشرع لإباحة الجراحة الطبية وأعمال التطبيب أن تتم برضاء المريض أو النائب عنه قانوناً، صراحة أو ضمناً، فلا يجوز أن يرغم الشخص على تحمل المساس بتكامله الجسدي، ولو كان ذلك من أجل مصلحته، ويجب الحصول على رضا المريض قبل البدء في مباشرة العمل الطبي، ويتوافره تنتج الإباحة آثارها بالنسبة لما يحدث من مساس بجسم المريض، ومن مظاهر الحماية الجنائية المقررة للحق في سلامة الجسم ما نص عليه قانون العقوبات الليبي في المادة 374، 375، 380، 378، 384، 384⁽¹²⁾.

والجدير بالذكر أنه يتعين توافر رضا المريض في كافة مراحل العمل الطبي، أي من مرحلة التشخيص إلى مرحلة التدخل العلاجي، الذي قد يتم بتعاطي الأدوية، أو التدخل الجراحي، ويستطيع الطبيب أن يتجاوز عن الحصول على رضا المريض، ويظل فعله مباحاً إذا كان المريض مصاباً بمرض معد يخشى انتقال عدواه إلى غيره، فيتم تطعيمه دون رضائه، وكذلك الحال إذا كان المريض مهدداً بخطر جسيم يقتضي التدخل العلاجي السريع، وكان المريض غير قادر على التعبير عن إرادته ولم يوجد من يرضى نيابة عنه، ويشترط لصحة رضا المريض أن يكون حراً ومتبصراً، وأن يصدر عن مريض متمتع بأهلية إصداره، بأن يكون بالغاً رشيداً متمتعاً بكامل قواه العقلية، وفي حالة صحية تسمح له بإبداء ذلك الرضاء. ولما كان الرضاء موقفاً إرادياً كامناً في النفس، فإن المريض يعبر عنه صراحة بالكلام، أو الإشارة، أو الكتابة، أو ضمناً. وإذا كان المريض في حالة خطيرة لا يقدر معها على التعبير عن إرادته، وكانت هناك ضرورة التدخل الطبي السريع بصورة يعجز معها الطبيب عن الحصول على رضا المريض، أو ممثله القانوني، أو أحد أقاربه، يمكن للطبيب مباشرة عمله الطبي دون مساءلة جنائية؛ نظراً لتوافر حالة الضرورة المانعة للمسؤولية⁽¹³⁾، والرضا ليس سبب إباحة وأنه يعد عنصراً يقوم عليه السبب لإباحته، وبذلك تكون له أهمية قانونية باعتبارها يساهم في ببيان الإباحة، فالأعمال الطبية لا يبيحها رضا المريض، لكن هذا الرضا شرط إلى جانب الشروط الأخرى، لا غنى عنه لقيام الإباحة⁽¹⁴⁾.

(9) لمزيد من التفصيل حول شرط رضا المريض راجع: سمير عبد السميع الأودن، مسؤولية الطبيب الجراح وطبيب التخدير ومساعديهم: مدنياً- جنائياً- وإدارياً- منشأة المعارف، الإسكندرية، عام 2004. ص 172.

(10) د. محمد عيد الغريب، التجارب الطبية والعلمية وحرمة الكيان الجسدي للإنسان، بدون دار نشر، الطبعة الأولى، 1989م، ص 80.

(11) انظر: المادة (15) من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية.

(12) انظر: د. حميد السعدي، أ. عامر عبيد المشاي، المسؤولية الطبية من الوجهة الجنائية، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 90.

(13) د. أمين مصطفى محمد، قانون العقوبات، القسم العام، دار النهضة العربية، 2009، ص 121.

(14) د. رؤوف عبيد، مبادئ القسم العام من التشريع العقابي، الطبعة الرابع، دار الفكر العربي، 1979، ص 506.

الفرع الثالث: قصد العلاج:

تنص المادة الرابعة من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية على أنه: "يحظر على كل من يمارس أياً من المهن الطبية والمهن المرتبطة بها استغلال حاجة المريض لتحقيق منفعة لنفسه أو لغيره"⁽¹⁵⁾، ولإياحة العمل الطبي يجب أن تتجه إرادة الطبيب إلى العلاج لا إلى غاية أخرى، أي أن يكون غرضه مما يقوم به من أعمال مهنته الوصول إلى علاج المريض بتخليصه من الآلام التي يكابدها أو التخفيف من حدتها. إذا انتفى قصد العلاج في العمل الطبي أصبح فعل الطبيب خاضعاً لنص التجريم، وبالتالي قيام المسؤولية الجنائية للطبيب، كحالة الطبيب الذي يصف مواد مخدرة لشخص ما لغير العلاج، أو الذي يقوم بإجراء عملية بتر عضو من أعضاء شخص ما بغرض إعفائه من أداء الخدمة العسكرية⁽¹⁶⁾.

وباستقراء النصوص القانونية يتبين لنا أنه يجب أن تكون الأعمال الطبية التي يباشرها الطبيب هادفة إلى شفاء المريض أو تخفيف آلامه، ويكفي مجرد القصد ولو لم يتحقق بعدها شفاء المريض بالفعل، ولا يكون فعل الطبيب مبرراً، وتقوم مسؤوليته إذا كانت الأعمال التي يمارسها لهدف غير العلاج، كإجراء تجربة علمية أو الانتقام، أو لتخليص الشخص من الخدمة العسكرية مثلاً⁽¹⁷⁾، أو إجراء عملية جراحية يعلم الطبيب عدم جدواها سلباً، لكنه يقدم على إجرائها بغية استكمال بحث له.

الفرع الرابع: شرط اتباع الأصول العلمية الثابتة في الطب:

عرف الفقهاء الأصول العلمية بأنها: "تلك المبادئ والقواعد الثابتة والمتعارف عليها والمتعارف عليها نظرياً وعملياً بين طائفة أصحاب المهن الطبية، والتي يجب الإلمام بها ولا يمكن التنازل عنها، أو هي مجموعة القواعد النظرية والعلمية المستقرة بين أهل الطب ولم تعد محل نقاش بينهم؛ فهي الحد الأدنى الذي يجب مراعاته في العمل الطبي إلا استثناء كحالة الضرورة"⁽¹⁸⁾، وينبثق هذا الشرط عن الالتزام العام الذي يقع على عاتق الطبيب أثناء مباشرته لعمله الطبي، والمتمثل في ضرورة أن يتوافق عمل الطبيب مع الأصول العلمية الثابتة، مع مراعاة الأدوية المناسبة للحالة الصحية للمريض في ضوء التاريخ الصحي له وأداء هذا العمل على وجه من العناية والدقة والتبصر لتحقيق الشفاء وتحسين حالة المريض⁽¹⁹⁾. حيث نصت المادة الخامسة من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية بأنه "يجب على الطبيب مراعاة ما يلي:

1. توخي الدقة والالتزام بالأصول العلمية الثابتة، المعترف بها من قبل أمانة الصحة، سواء في الكشف أو العلاج أو الجراحة.
2. التعاون مع غيره من الأطباء المتولين علاج المريض، وتقديم ما لديه من معلومات عن حالته، أو الطريقة التي اتبعها في علاجه كلما طلب منه ذلك.
3. تسجيل الحالة الصحية والسوابق المرضية أو الوراثية للمريض

(15) انظر: المادة الرابعة من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية.

(16) د. محمد حسنين منصور، المسؤولية الطبية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2006، ص 67.

(17) د. أكرم نشأت إبراهيم، القواعد العامة في قانون العقوبات المقارن، المكتبة القانونية، الطبعة الأولى، بغداد، 1998، ص 147.

(18) عبدالحميد الشواربي، مسؤولية الأطباء والصيادلة والمستشفيات المدنية والجنائية والتأديبية، الطبعة الأولى، منشأة المعارف، مصر (الإسكندرية)، 1998، ص 199.

(19) د. محمود نجيب حسني، أسباب الإياحة في التشريعات العربية، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية، ص 187، د. محمد عادل عبد الرحمن، أسباب الإياحة في القانون للأطباء، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، عام 1985، ص 315.

4. وصف العلاج كتابة، مع تحديد مقاديره وطريقة استعماله، وتنبيه المريض أو ذويه إلى ذلك، أو إخبار المريض بأي منهاج آخر للعلاج يعد بديلاً متعارفاً عليه، ونصحها بالمنهاج الأرجح في رأيه.
 5. إرشاد من يقوم بفحصهم إلى الوسائل الوقائية من الأمراض التي يخشى إصابتهم بها، وتحذيرهم من عواقب مخالفتها.
 6. إبلاغ المريض بمرضه الخطير المستعصي، إذا اقتضت ذلك مصلحته وسمحت حالته النفسية، وكذلك إخطار ذويه ما لم يمانع المريض أو يحدد من يرغب إخطاره.
 7. بذل الجهد والعناية لتخفيف الأم المريض الميؤوس من شفائه أو حياته.
 8. علاج المضاعفات الناجمة عن التدخل العلاجي أو الجراحي.
- والجدير بالذكر أن القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية وضع العديد من الموانع والمحاذير على الأطباء، وهي كالتالي:
- نصت المادة السادسة من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية بأنه: يحظر على الطبيب ما يلي:
1. استخدام الطب لازهاق روح الإنسان أو الإضرار بجسمه، ما لم يجز القانون ذلك.
 2. معالجة المريض دون رضاه، إلا إذا كانت حالته لا تسمح بالتعبير عن إرادته، أو كان مرضه مهدداً للسلامة العامة أو معدياً، أو قررت لجنة طبية أن رفضه للعلاج يسبب مضاعفات يتعذر أو يصعب معها العلاج.
 3. الامتناع عن علاج المريض، أو الانقطاع عن علاجه، إلا إذا خالف التعليمات أو استعان بطبيب آخر دون موافقة الطبيب المشرف على علاجه، أو المؤسسة العلاجية التي يتم فيها العلاج. وفي جميع الأحوال لا يجوز الامتناع أو الانقطاع إذا كانت حياة المريض أو سلامته معرضتين للخطر.
 4. استعمال الوسائل غير الطبية أو غير المشروعة في معالجة المريض.
 5. وصف أي علاج قبل إجرائه الكشف على المريض وتشخيصه لمرضه، وكذلك وصف علاج لا تتناسب خطورته مع فائدته ولو كان بموافقة المريض.
 6. تحرير تقرير طبي مخالف للحقيقة أو الإدلاء بمعلومات أو شهادة كاذبة مع علمه بذلك. كما نصت المادة السابعة من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية بأنه: "يكون التزام الطبيب في أداء عمله التزاماً ببذل عناية إلا إذا نص القانون على خلاف ذلك"⁽²⁰⁾. كما أنه وفقاً للمادة (11) لا يجوز إخراج المريض من المؤسسة العلاجية إلا إذا كانت حالته الصحية تسمح بذلك، أو كان ذلك بناء على رغبته. كما لا يجوز إنهاء حياة المريض — ولو بناء على طلبه — لتشويه أو لمرض مستعص أو ميؤوس من شفائه وفقاً لما قرره المادة (12)، بقولها "لا يجوز إنهاء حياة المريض — ولو بناء على طلبه — لتشويه أو لمرض مستعص أو ميؤوس من شفائه أو محقق به وفاة أو لآلام شديدة، حتى وإن كانت حياته قائمة على الوسائل الصناعية".

(20) انظر: المادة السادسة والسابعة من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية.

والجدير بالذكر أن الفقه عرّف القتل الرحيم بأنه "إنهاء حياة مريض ميؤوس من شفائه طبياً بفعل إيجابي أو سلبي للحد من آلامه المبرحة، أو غير المحتملة، بناء على طلبه الصريح أو الضمني، أو طلب من ينوب عنه، سواء قام الطبيب بتنفيذ القتل أو شخص آخر"⁽²¹⁾، وعرّفه جانب من الفقه أيضاً بأنه "ذلك الموت المختار كمقابل للموت الطبيعي، وفي التعبير العلمي المعاصر فتعني كلمة "الأوثانازيا" تسهيل موت الشخص المريض الميؤوس من شفائه بناء على طلب ملج منه مقدّم لطبيب المعالج"⁽²²⁾، والقانون المصري أخذ بالموقف المعارض للقتل الرحيم، إذ يعتبر أن أي فعل على إنسان مريض من مرض ميؤوس من شفاؤه أدى إلى التعجيل بحياته يعد قتلًا سواء أكان فعلاً إيجابياً أم امتناعاً عن المعالجة، كالامتناع عن إجراء جراحة، أو إعطاء دواء أدى إلى وفاة هذا الإنسان، وليس لأي إنسان، ولو كان طبيباً أن يعجل بوفاة المريض، وهو ما نصت عليه المادة رقم (9) بقولها: لا يجوز إنهاء حياة المريض أياً كان السبب، ولو بناء على طلبه أو طلب الولي أو الوصي عليه.⁽²³⁾ كما أكدت المادة 13 بأنه "لا يجوز إقضاء أسرار المريض التي يطلع عليها بسبب مزاوله المهنة إلا للجهات القضائية وفقاً للقانون". وقررت المادة 14 بأنه "لا يجوز لغير الطبيب تقرير ثبوت الوفاة، وعلى الطبيب أن يتأكد من ذلك سواء بالكشف الظاهر، أو باستعمال الوسائل العلمية الحديثة المتاحة، أو بالاستعانة بطبيب آخر".

والجدير بالذكر أنه لا يجوز المساس بجسم الإنسان، أو نقل عضو أو جزء منه ما لم يكن ذلك بموافقة خطية، وتكمن أهمية عمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية في أنها تشمل عدة أطراف تتمثل في الشخص السليم الذي سينقل منه العضو، أو جثة المتوفى، والشخص المريض الذي سيزرع له العضو المنقول⁽²⁴⁾، وفي شأن ذلك قررت المادة (15) بأنه "يحظر إجراء التجارب العلمية على جسم الإنسان الحي إلا برضاه، وتفرض تحقيق منفعة مرجوة له، وبمعرفة أطباء مرخص لهم بإجرائها، طبقاً للأسس العلمية المتعارف عليها". كما نصت المادة (16) على أنه: "لا يجوز تركيب الأعضاء الصناعية في الجسم إلا بعد التأكد من ملائمتها للمريض، وعدم إضرارها به وتهيئة جسمه لقبولها. ويكون التزام الطبيب بتركيب الأسنان الصناعية التزاماً بتحقيق نتيجة، وهو ما سوف نتناوله بالتفصيل في المبحث الأخير، كما نصت المادة (17) على أنه "لا يجوز تلقيح المرأة صناعياً، أو زرع الجنين بالرحم، إلا عند الضرورة، وبشرط أن يكون اللقاح في الحالتين من الزوجين وبعد موافقتهم. كما نصت المادة 18 "لا يجوز القيام بأي عمل أو تدخل بقصد الحد من التناسل، ما لم يتفق الزوجان على ذلك، وبما لا يخل بمصلحة المجتمع، أو تقرره لجنة طبية مختصة بمقتضى الضرورة القصوى بالنسبة للمشوهين خلقياً أو المتخلفين عقلياً، أو

(21) لمزيد من التفصيل راجع: د. جمعة أحمد أبو قصيصة، القتل بدافع الشفقة في ميزان الشرع والقوانين الوضعية، مجلة أبحاث، كلية القانون، جامعة سرت، عدد مارس، عام 2008 م، ص 35 وما بعدها، د. هدى حامد شقوش، القتل بدافع الشفقة، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2، 2008م، ص 6.

(22) د. السيد عتيق، القتل بدافع الشفقة، دار النهضة العربية، القاهرة، 2010م، ص 45.

(23) انظر: د. شريف الطباخ، جرائم خطأ الطبيب والتعويض عنها في ضوء الفقه والقضاء، الإسكندرية مصر، دار الفكر الجامعي، 1993، ص 153، وقانون المسؤولية الطبية والصحية الأردني رقم 25 لسنة 2018 أورد في المادة 16 منه أنه "أ- لا يجوز إنهاء حياة متلقي الخدمة أياً كان السبب ولو كان بناء على طلبه أو طلب وليه أو الوصي عليه.

ب- لا يجوز رفع أجهزة الإنعاش عن متلقي الخدمة إلا إذا توقف القلب توقفاً تاماً ونهائياً، أو توقفت جميع وظائف الدماغ توقفاً تاماً ونهائياً، وفقاً للمعايير الطبية الدقيقة، وقرر الأطباء المعالجون بأن هذا التوقف لا رجعة فيه.

(24) لمزيد من التفصيل انظر: د. جمعة أحمد أبو قصيصة، الأسس القانونية لمشروعية عمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية، دراسة تحليلية مقارنة، الوطنية لنشر وتوزيع الكتب والمطبوعات، طرابلس، الطبعة الأولى، عام 2013م .

مراعاة للخطر المحقق من الحمل أو الولادة على حياة المرأة، وقررت المادة (19) بأنه: "لا يجوز إجهاض الحامل أو قتل الجنين إلا إذا اقتضى ذلك إنقاذ حياة الأم. إلا تطبيقاً لحالة الضرورة المنصوص عليها في المادة (72) من قانون العقوبات، وقد أباح المشرع الليبي كغيره من المشرعين الإجهاض في حالة إنقاذ حياة الأم فقط، وتعد هذه الإباحة في ضيق نطاق، وعلى هذا إذا تعارضت حياة الجنين مع حياة الأم، وكان في بقاء الجنين خطر يهدد حياة الأم، ففي هذه الحالة يجوز التضحية بحياة الجنين من أجل حياة الأم، لأن الجنين فرع، والأم هي الأصل، فلا يجوز التضحية بالأصل من أجل الفرع، وإنما التضحية بالفرع من أجل الأصل، وحالة الضرورة في هذه المسألة موضوعية تدخل في إطلاقات محكمة الموضوع، ويستعان في ذلك برأي أهل الخبرة من الأطباء. وجرم قانون العقوبات الليبي الإجهاض كغيره من القوانين المقارنة، في الفصل الثاني من الباب الأول من الكتاب الثالث المتعلق بالجرائم ضد أحاد الناس في المواد من 390-395 (25). والقانون المصري يعاقب على الإجهاض في جميع الأحوال، سواء وقع من الحامل نفسها، أو وقع من شخص آخر، برضاها أو بدون رضاها، فجعل عقوبة الحالة الأولى عقوبة الجثة إذا كان إسقاط وقع من الحامل على نفسها، وشدد العقاب إذا كان الإسقاط وقع من الغير على الحامل إلى عقوبة الجنائية⁽²⁶⁾، وتناول القانون المصري الإجهاض في المواد 260 إلى 264؛ فالمادة 260 تنص على أن: "كل من أسقط عمداً امرأة حبلى بضرب أو نحوه من أنواع الإيذاء، يعاقب بالأشغال الشاقة المؤقتة". والمادة 261 تنص على أن: "كل من أسقط عمداً امرأة حبلى بإعطائها أدوية، أو باستعمال وسائل مؤذية إلى ذلك، أو بدلائلها عليها، سواء أكان برضاها أم لا - يعاقب بالحبس". والمادة 262 تنص على أن: "المرأة التي رضيت بتعاطي الأدوية مع علمها بها، أو رضيت باستعمال الوسائل السالفة ذكرها، أو مكنت غيرها من استعمال تلك الوسائل لها، وتسبب الإسقاط عن ذلك حقيقة - تعاقب بالعقوبة السالفة ذكرها". كما شدد العقاب قانون العقوبات اللبناني الصادر سنة 1943، وقانون العقوبات السوري الصادر سنة 1949 إذا نتج عن الإجهاض الموت نتيجة استعمال وسائل أشد خطراً من الوسائل التي رضيت المرأة، وكذلك إذا كان الضاعل طبيباً، أو صيدلياً، أو ممرضاً، أو قابلة قانونية وحددت المادة 263 عقوبة الطبيب التي تنص على أنه: "إذا كان طبيباً أو جراحاً أو صيدلياً أو قابلة، يحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤقتة"⁽²⁷⁾، ووفقاً للمادة (20): لا يجوز للقابلة وصف أي دواء أو مباشرة توليد الحامل التي تستلزم حالتها تدخلاً طبياً، وقررت المادة (22) بأنه "لا يجوز صرف الدواء إلا بموجب وصفة طبية مكتوبة من طبيب مرخص له، فيما عدا الأدوية المباح صرفها من قبل أمانة الصحة بدون الوصفة المذكورة، ولا يجوز صرف أدوية غير صالحة بطبيعتها، أو خواصها، أو مقاديرها، أو انتهت صلاحيتها، أو مخالفة للوصفة الطبية.

وبتحليل النصوص القانونية السابقة يتضح لنا أن إباحة الأعمال الطبية التي يأتيها الطبيب، تحقيقاً للغرض الذي من أجله شرعت هذه المهنة، يقتضي مراعاة الموانع والمخاطر على الأطباء، وتوافر شروط العمل الطبي كما سبق القول، بحيث لو انعدم أحدها أصبح عمل الطبيب غير مشروع، ومن ثم يسأل عنه جنائياً، ويترتب على ذلك عقوبات جنائية وتأديبية ومدنية، تتمثل الأخيرة في حق المريض في الحصول على تعويض عما لحقه من أضرار وما فاتته من مكاسب سواء كانت مادية أو معنوية.

(25) د. محمد رمضان بارة، القانون الجنائي الليبي، مرجع سابق، ص170.

(26) د. رؤوف عبيد، جرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال في قانون العقوبات المصري، الطبعة الخامسة، القاهرة، 1965، ص 105، د. أسامة قايد، المسؤولية الجنائية للأطباء، مرجع سابق، ص152.

(27) د. أسامة قايد، المسؤولية الجنائية للأطباء، دراسة مقارنة، المرجع السابق، ص 152.

المبحث الثاني: أركان المسؤولية الطبية للطبيب:

المسؤولية الجنائية في معناها العام هي تعبير عن ثبوت نسبة الوضعية الإجرامى للواقعة المادية التي يجرمها القانون إلى شخص معين متهم بها⁽²⁸⁾، وأساس المسؤولية الجنائية هو الخطأ، وجوهرها الإرادة والإدراك، وأركان وأساس المسؤولية الطبية للطبيب تقوم على ركن الخطأ الطبي، والضرر، وعلاقة السببية بين الخطأ والضرر، ومن ثم سوف نتناول هذه الأركان على النحو التالي:

المطلب الأول: ركن الخطأ الطبي:

تعددت الاتجاهات الفقهية في تحديدها لمعنى الخطأ، فالبعض يرى أن الخطأ هو العمل الضار غير المشروع، والبعض الآخر يرى أنه إخلال بالالتزام سابق، ورأي أخير يرى أن الخطأ هو اعتداء على حق يدرك المعتدي فيه جانب الاعتداء، فالخطأ هو تقصير في مسلك الإنسان وانحراف عن سلوك الشخص المعتاد مع الإدراك والتمييز لهذا الانحراف، ويعد الخطأ العنصر الأساسي في المسؤولية التقصيرية، وهو عماد المسؤولية المدنية الناتجة عن فعل الشخص غير المشروع، وأركانها تتمثل في "خطأ، وضرر، وعلاقة سببية"⁽²⁹⁾، وهو ما نصت عليه المادة (166) من القانون المدني الليبي، ويقابلها نص المادة (163) من القانون المدني المصري والتي تنص على أن: "كل خطأ سبب ضرراً للغير يلزم من ارتكبه بالتعويض، ولم يضع المشرع تعريفاً محدداً للخطأ؛ بسبب اختلاف وجهات النظر في معيار الخطأ، فالبعض ينظر إليه في ذاته لا لمرتكبه، في حين تبني البعض اتجاهها شخصياً، وتتناول ركن الخطأ الطبي بعرض صور ودرجات الخطأ الطبي، ومعيار تقدير الخطأ الطبي للطبيب، والطبيعة القانونية لمسؤولية الطبيب، وكيفية إثبات الخطأ الطبي على النحو التالي:

الفرع الأول: صور الخطأ الطبي:

تتمثل صور الخطأ الطبي في الإهمال، والرعونة، وعدم الاحتياط أو قلة الاحترار، وعدم مراعاة القوانين والقرارات واللوائح المنظمة لمهنة الطب، وحددت المادة 63/3 من قانون العقوبات الليبي صور الخطأ بصفة عامة، وتتمثل في "الإهمال، والطيش، وعدم الدراية، ومخالفة القوانين أو اللوائح أو الأوامر أو الأنظمة"، وتتناول هذه الصور على النحو التالي:

أولاً: الإهمال:

ينصرف الإهمال إلى التصرفات السلبية حيث يفتقر الإنسان عن القيام بما يوجبه الحذر والانتباه والحيولة دون وقوع نتيجة ضارة⁽³⁰⁾، والإهمال مرادف لعدم الانتباه، وهو ترك أو عدم اتخاذ الاحتياط الذي تقتضيه الحيطة والحذر، ولو قام به الفاعل لتجنب وقوع الحادث، كصاحب المصنع الذي لا يقوم بتغطية الأجزاء الخطرة من الآلات بأجهزة الوقاية من الخطر، والصيدلي الذي يصرف خطأ دواء ساماً، والطبيب الذي يستعمل آلة

(28) د. عز الدين الديناصورى، وعبد الحميد الشواربي، المسؤولية الجنائية في قانون العقوبات والإجراءات الجنائية، الفنية للتجليد الفني، مصر، الإسكندرية 2002، ص 12.

(29) لمزيد من التفصيل حول الخطأ انظر: د. عبد الرازق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، ج 1، مصادر الالتزام، ط 2، دار النهضة العربية، القاهرة، عام 1964م، ص 777، 967، د. فتحي عبد الرحيم عبد الله، شرح النظرية العامة للالتزام، الكتاب الأول، مصادر الالتزام- منشأة المعارف - الإسكندرية، عام 2001م، ص 435.

(30) د. محمد رمضان بارة، قانون العقوبات الليبي، القسم الخاص، ج 1، جرائم الاعتداء على الأشخاص، 2010م، الشركة الخضراء للطباعة والنشر، عام 2010، ص 116.

الجفت في الولادة دون حيطة وحذر؛ مما نتج عنه إصابة الطفل المولود.⁽³¹⁾، وفي شأن ذلك قضت محكمة النقض بأنه: إذا عرض الحكم لبيان ركن الخطأ المسند إلى المتهم الثاني (طبيب) بقوله: "إنه طلب إلى الممرض والتمرجي أن يقدم له بنجاً موضعياً بنسبة 1% دون أن يضيف هذا المخدر، ودون أن يطلع على الزجاجة التي وضع فيها ليتحقق مما إذا كان هو المخدر الذي يريده أم غيره، ومن أن الكمية التي حقنت بها المجني عليها تروق إلى أكثر من ضعف الكمية المسموح بها، ومن أنه قبل أن يجري عملية جراحية قد تستغرق ساعة فأكثر، دون أن يستعين بطبيب خاص بالمخدر ليتضرغ هو إلى مباشرة العملية، ومن أن الحادث وقع نتيجة مباشرة لإهماله وعدم تحرزه، بأن حقن المجني عليها بمحلول "البوتوكاين" بنسبة 1%، وهي تزيد عشر مرات عن النسبة المسموح بها؛ فتسممت وماتت" - فإن ما أورده الحكم من أدلة على ثبوت خطأ الطاعن من شأنه أن يؤدي إلى ما رتبته عليها - أما ما يقوله المتهم من أن عمله في مستشفى عام قائم على نظام التقسيم والتخصص، يعفيه من أن يستوفى من نوع المخدر وصلاحيته، وأنه مادام ذلك المخدر قد أعد من موظف فنى مختص وأودع غرفة العمليات - فإنه في حل من استعماله دون أي بحث- هذا الدفاع من جانب المتهم هو دفاع موضوعي لا تلتزم المحكمة بالرد عليه، بل إن الرد عليه مستفاد من أدلة الثبوت التي أوردها المحكمة على خطأ المتهم، وأسست عليها إدانته، وهو ما أولته - بحق - على أنه خطأ طبي وتقصير من جانب المتهم لا يقع من طبيب يقظ في نفس الظروف الخارجية، التي أحاطت بالطبيب المسئول، بما يضيف أنه وقد حل محل أخصائي التخدير، فإنه يتحمل التزاماته ومنه الاستيثاق من نوع المخدر"⁽³²⁾.

ثانياً: الطيش:

الطيش هو ارتكاب سلوك على نحو لا يتفق مع ظروف الحالة، ولا يتناسب مع الاحتياط الذي تمليه الخبرة العادية، وتوظيفه لحماية الأفراد يعتبر طيشاً⁽³³⁾، والطيش هو الخطأ الذي لا يقع من شخص متبصر ومدرك للعواقب، كالقيادة بحالة تعرض حياة الأشخاص والأموال للخطر، أو القيادة بسرعة تزيد عن الحد المقرر قانوناً، أو إجراء عملية جراحية بداخل مقلة العين دون إجراء الفحوص اللازمة للتأكد من عدم وجود عدوى ميكروبية تسبب على سطح العين، مما قد يترتب عليه التهاب داخل العين وربما فقد إبصارها، أو أن يقوم الطبيب بعلاج المريض، وهو يعلم أن حالته لا تساعد على التركيز الشديد والقيام بعمله على أكمل وجه، وهكذا نرى أن الطيش هو خطأ في تقدير الخطر الذي يقدم عليه الفاعل⁽³⁴⁾.

ثالثاً: عدم الدراية (الرعونة):

عدم الدراية، هو اضطلاع شخص بعمل تنقصه المعرفة التامة أو القدرة اللازمة للقيام به، فهي تنطوي على جهل الفاعل أو الجاني، أو قصوره في العمل الذي قام به، سواء أكان ذلك العمل الذي قام به مادياً أو أدبياً، والرعونة تعني نقص المهارة أو الجهل وسوء التصرف وعدم الكفاءة والعلم بأصول المهنة، يراد به سوء التقدير⁽³⁵⁾، ويدخل في هذه الطائفة

(31) انظر: المحكمة العليا، جلسة 1974/6/4.

(32) انظر: الطعن رقم 1332 لسنة 28 المكتب الفني رقم 91 بتاريخ 1959-01-27م.

(33) د. محمد رمضان بارة، قانون العقوبات الليبي، القسم الخاص، ج1، جرائم الاعتداء على الأشخاص، المرجع السابق، ص 116.

(34) د. محمد حسنين منصور، المسؤولية الطبية، مرجع سابق، ص 52.

(35) د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات العام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1989، ص 651، د. محمد حسنين منصور، المسؤولية الطبية، المرجع السابق، ص 53، د. محمد رمضان بارة، قانون العقوبات الليبي، القسم الخاص، ج1، جرائم الاعتداء على الأشخاص، المرجع السابق، ص 116، 117.

الأخطاء المهنية التي يرتكبها الأطباء والصيداللة وأصحاب المهن الأخرى، متى كانت ناتجة عن إخلال بقواعد المهنة وتكشف على جهل الفاعل أو قصوره بأصول المهنة، وتطبيقاً لذلك حكم بأن الشخص الذى يتدخل في عملية توليد دون أن يكون مرخصاً له بمزاولة مهنة الطب، ويتسبب في قتل المجنى عليها، يرتكب الجريمتين المنصوص عليهما في المواد 251، 377 من قانون العقوبات⁽³⁶⁾، وفي شأن ذلك قضت محكمة النقض المصرية بأن: الأثار الحيوية الموجودة برأس الجنين، الذى عثر عليه الطبيب الشرعي بالتجويف البطني، تشير إلى أنه وقت إجراء عملية الإجهاض كان الجنين مازال حياً وغير متعفن، كما يقرر المتهم، وأنه يفسر تشخيص المتهم لوفاة الجنين نتيجة لعدم سماعه ضربات قلب الجنين، وأنه في مثل هذه المدة من الحمل التي وصلت إليها المجنى عليها ما كان ينبغي استعمال جفت البويضة لاستخراج الجنين على عدة أجزاء كما قرر المتهم، فضلاً عما ظهر من وجود تمزيق كبير بالرحم، وأن ذلك مضاده أن المتهم قد أخطأ في الطريقة التي اتبعها في إنزال الجنين؛ الأمر الذي أدى إلى حدوث الوفاة نتيجة تمزيق الرحم، وما صحبه من نزيف وصدمه عصبية، وانتهى الطبيب الشرعي في تقريره إلى أن ذلك في رأيه يعد خطأ مهنيًا جسيمًا. وأنه مما يزيد من مسئولية الطبيب المتهم أنه قد فوت على المجنى عليها فرصة علاجها على يد أخصائي، بعد م تحويلها إلى إحدى المستشفيات، ثم خلص الحكم إلى ثبوت الاتهام المسند إلى الطاعن في قوله: ومن حيث أنه يبين مما تقدم أن التهمة الأولى ثابتة في حق المتهم من أقوال الشهود سائلة الذكر، وقد جاءت قاطعة الدلالة على أن المتهم أجرى عملية إجهاض للمجنى عليها أودت بحياتها، ومن أقوال المتهم نفسه، وقد اعترف بإجرائه تلك العملية مستعملاً جفت البويضة، ومن التقرير الطبي الشرعي، وقد ثبت منه أنه ما كان ينبغي للمتهم استعمال ذلك الجفت وهو يدرك أن المجنى عليها في الشهر الخامس الرحمي؛ كما أن استعمال تلك الآلة قد أدى إلى إحداث تمزيق كبير بالرحم، وأن ذلك يعد خطأ مهنيًا جسيمًا من المتهم، ولما كان ذلك، وكانت القاعدة أن الطبيب أو الجراح المرخص له بتعاطي أعمال مهنية لا يسأل عن الجريمة العمدية، وإنما يسأل عن خطئه الجسيم، وكان المتهم قد أخطأ في إجراء تلك العملية خطأً جسيمًا، فأهمل ولم يتبع الأصول الطبية، ولا أدل على جسامته خطئه من تركه رأس الجنين، وقد وجدها الطبيب الشرعي بالتجويف البطني عند تشريح جثة المجنى عليها. ولما كان ذلك قد أدى مباشرة إلى وفاة المجنى عليها فإنه يتعين إدانة المتهم طبقاً للمادة 238 من قانون العقوبات⁽³⁷⁾.

رابعاً: عدم مراعاة القوانين والقرارات واللوائح المنظمة لمهنة الطب:

1- عدم مراعاة القوانين: يعد القانون مصدراً للتجريم والعقاب، وبناء على ذلك لا يجوز تجريم فعل أو امتناع أو تقرير عقوبة لهما إلا بناء على نص صادر من السلطة التشريعية م 1 ع؛ وعلى ذلك فإن انتهاك القوانين المتعلقة بالتجريم والعقاب تشكل خطأ، ويترتب بالتالي المسؤولية الجنائية، وبناء على ذلك فإن مخالفة قانون المسؤولية الطبية رقم 17 لسنة 86 م، أو انتهاك القانون الصحي رقم 106 لسنة 73 م يشكل خطأ يستوجب المساءلة الجنائية.

2- عدم مراعاة اللوائح: يجب أن تضم اللوائح بالمعنى الواسع فهي تشمل اللوائح التي تصدرها السلطة الإدارية، غير أنه يشترط أن تكون اللائحة مشروعة، بمعنى أن تكون قد استوفت الشروط الموضوعية والشكلية لإصدارها، وأهم هذه الشروط أن تكون اللائحة صدرت عن الجهة المختصة بإصداراتها قانوناً، ولا تعرضت للدفع بعدم الشرعية عند تطبيقها، غير أن قبول هذا الدفع لا يترتب عليه بالضرورة الحكم ببراءة المتهم، ذلك أن عدم مراعاة

(36) محكمة زليتين الجزئية، جلسة 1959/6/6 م.

(37) محكمة النقض المصرية، جلسة 1968/1/8، رقم 1920، ق 27.

لائحة غير مشروعة قد يشكل خطأً من نوع آخر هو عدم الانتباه أو عدم الاحتياط⁽³⁸⁾، ويعد الشخص بمجرد مخالفة لائحة من اللوائح في حكم المخطئ إذا وقعت منه حادثه وهو مرتكب لهذه المخالفة، ومخالفة الطبيب للوائح تشكل خطأً، ومن أمثلة ذلك عدم تبليغه عن واقعة الوفاة، أو الولادة، وفقاً لنص المادة 18 / 2 - والمادة (34) من اللائحة التنفيذية للقانون الليبي رقم (36) لسنة 1965 م، في شأن الأحوال المدنية، وتجدر الإشارة إلى أن مخالفة اللوائح معاقب عليها بنص المادة (507) من قانون العقوبات الليبي، التي تنص على أنه "كل من خالف أحكام لوائح البوليس الصادرة من جهات الإدارة العامة أو البلدية أو المحلية يجازى بالعقوبات المقررة في تلك اللوائح، بشرط أن لا تزيد مدة الحبس على أسبوع، والغرامة على عشرة دنائير، فإن كانت العقوبة المقررة في اللائحة زائدة عن هذه الحدود وجب حتماً إنزالها إليها. فإذا كانت اللائحة لا تنص على عقوبة عوقب من يخالفها بغرامة لا تجاوز ديناراً واحداً".

3- عدم مراعاة الأوامر والأنظمة: الأوامر يقصد بها أوامر رجال السلطة والأمن وجهات الإدارة العامة، ويقصد بالأنظمة القواعد الاتفاقية التي مصدرها الأفراد، وتشكل مخالفة الأوامر والأنظمة صورة من صور الخطأ المنصوص عليها بالمادة 3/63 من قانون العقوبات الليبي، ويستوي أن تكون تلك الأوامر شفهية أو مكتوبة ولكنه يشترط أن تكون الأوامر مشروعة، ولا تكتسب هذه الصفة إلا إذا كانت صادرة ممن يملك إصدارها قانوناً⁽³⁹⁾، وعدم مراعاة الأنظمة التي تضعها السلطة الإدارية في حفظ النظام والأمن يرتب المسؤولية الجنائية إذا نتجت عنه نتائج ضاره.

- أما درجات الخطأ الطبي تتمثل في:

1- الخطأ الطبي الجسيم: يتمثل الخطأ الطبي الجسيم في عدم قيام الطبيب ببذل العناية الواجبة عليه بصورة لا تصدر عن أقل الأطباء حرصاً وتبصراً، وكثيراً ما يقع الأطباء فيها أثناء العمليات الجراحية، ويتخذ الخطأ الجسيم في المجال الطبي صوراً عديدة، كاستئصال العضو السليم بدلاً من العضو المريض، أو نزع كلية سليمة بدلاً من المريضة، أو إجراء عملية جراحية على العين السليمة بدلاً من العين المريضة، فهي أخطاء غير مغتفرة؛ لأنها أمور واضحة تظهر له لو قام بمراجعتها قبل التدخل الجراحي، كما يعد الطبيب الذي تخلى بإرادته عن علاج المريض، وتركه يعاني من آلام في اليد على أنه ليست له آثار سلبية، وأدى في النهاية إلى بتر ذراع المريض، أو تخلى الطبيب عن علاج المريض دون سبب؛ مما يؤدي إلى وفاته، فيعد هذا إهمالاً من جانبه، ويمثل خطأً جسيماً يستوجب قيام المسؤولية⁽⁴⁰⁾.

2 الخطأ الطبي اليسير: يقصد بالخطأ الطبي اليسير "الخطأ الذي لا يرتكبه الشخص المعتاد من الناس"⁽⁴¹⁾، وهو الخطأ الذي يرى الطبيب اليقظ الذي وجد في نفس ظروف الطبيب المسئول أنه في الغالب غير محتمل الحدوث، والقضاء المصري لم يفرق بين الخطأ الهين والخطأ الجسيم، إذ قضت محكمة النقض بأن: "الطبيب الذي يخطئ مسئول عن نتيجة خطئه بدون تفريق بين الخطأ الهين والجسيم، ولا بين الفنيين وغيرهم، ويسأل الطبيب عن إهماله سواء أكان خطأً جسيماً أو يسيراً، فلا يتمتع باستثناء خاص". أما اتصال الخطأ بمهنة الطب فيشمل الخطأ العادي والخطأ المهني، نتناول كل منهما على النحو التالي:

(38) انظر: اللائحة التنفيذية للقانون الصحي الصادر بموجب قرار 654 لسنة 1975 م.

(39) د. محمد رمضان بارة، قانون العقوبات الليبي، القسم الخاص، ج 1، جرائم الاعتداء على الأشخاص، المرجع السابق، ص 118.

(40) د. هشام عبد الحميد فرج، الأخطاء الطبية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2007، ص 111.

(41) د. حسام الدين الأحمد، المسؤولية الطبية في الجراحة التجميلية، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، 2011، ص 211.

أ- الخطأ العادي: يعرف الخطأ العادي بأنه ذلك الخطأ الخارج عن مهنة الطب، أو الخطأ الذي لا شأن له بضن الطب في ذاته، أي الذي لا يخضع للخلافات الفنية ولا يتصل بسبب بالأصول العلاجية المعترف بها، ومن أمثلة الخطأ العادي أن يجري طبيب جراح تجربة جراحية وهو سكران، أو يبيد مرتعشة، أو بدون تعقيم الأدوات الجراحية اللازمة قبل إجراء الجراحة⁽⁴²⁾، أو الإهمال في تخدير المريض ونسيان قطع الشاش أو الآلات الجراحية في بطن المريض، أو يصف الطبيب دواء قبل إجراء الكشف الطبي على المريض، أو تحرير تقرير طبي مخالف للحقيقة⁽⁴³⁾.

ب- الخطأ الفني: يقصد بالخطأ الفني (المهني) بوجه عام، هو انحراف شخص ينتمي إلى مهنة معينة عن الأصول التي تحكم هذه المهنة، وتقيد أهلها عند ممارستهم لها، فهو إخلال بواجب خاص مفروض على فئة محددة من الناس ينتسبون إلى مهنة معينة، كالأطباء، والمهندسين، والمحامين، والقضاة، والخطأ الفني (المهني) المقصود به هنا: هو الذي يصدر من الطبيب باعتباره ذا خبرة فنية طبية، ويحدد هذا الخطأ بالرجوع إلى القواعد العلمية والفنية للمهنة، ومخالفة قواعد العلم، أو مخالفة الأصول الفنية التي تلزم القواعد الطبية كل طبيب أن يقوم بمراعاتها، ويرجع الخطأ إلى أمرين هما: الجهل بالقواعد المهنية والأصول العلمية أو تطبيقها تطبيقاً غير سليم، وإلى عدم حسن التقدير في الحالات التي يتبرك فيها مجالاً للتقدير، ومن أمثلة الخطأ الفني: الطبيب الذي يهمل إجراء فحص عادي، وأدى ذلك به للوصول إلى تشخيص خاطئ⁽⁴⁴⁾.

والرأي الغالب في الفقه الليبي⁽⁴⁵⁾، يرى أنه يجب مساءلة الأطباء عن كل خطأ مادي أو فني، جسيماً كان أم يسيراً، وهو ما قرره المادة (23) من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986م بشأن المسؤولية الطبية، التي تقر أنه "تترتب المسؤولية الطبية على كل خطأ مهني ناشئ عن ممارسة نشاط طبي سبب ضرراً للغير، ويعد خطأ مهنياً كل إخلال بالتزام تفرضه التشريعات النافذة أو الأصول العلمية المستقرة للمهنة، كل ذلك مع مراعاة الظروف المحيطة والإمكانات المتاحة، ويعد نشوء الضرر قرينة على ارتكاب الخطأ أو الإخلال بالالتزام، ويثبت رفض المريض للعلاج بإقراره كتابياً أو بالإشهاد عليه. كما قررت المادة 24 بأنه "لا تقوم المسؤولية الطبية إذا كان الضرر ناشئاً عن رفض المريض للعلاج، أو عدم اتباعه التعليمات الطبية برغم نصحه بالقبول، وذلك كله دون الإخلال بحكم البند ب من المادة السادسة من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986م بشأن المسؤولية الطبية".

والجددير بالذكر أن القانون لم يفرق من حيث قيام المسؤولية بين الخطأ الفني والخطأ المادي، ولا يجوز الإعضاء أو التخفيف من المسؤولية الطبية قبل وقوع الضرر، ويقع باطلاً كل اتفاق على ذلك، وكذلك الفقه المصري يقرر مساءلة الأطباء عن كل خطأ مادي أو فني، جسيماً كان أم يسيراً⁽⁴⁶⁾.

- معيار تقدير الخطأ الطبي للطبيب: اختلفت الآراء الفقهية حول تحديد المعيار الإلزامي

- (42) د. رؤوف عبيد، السببية الجنائية بين الفقه والقضاء، القاهرة، دار النهضة العربية، 1984، ص 217.
- (43) مفتاح مصباح بشير الغزالي، المسؤولية الجنائية للأطباء عن التجارب الطبية والعلمية، المكتب الوطني للبحث والتطوير، بنغازي، 2005، ص 312.
- (44) د. عوض محمد، قانون العقوبات، القسم العام، الإسكندرية، دار المطبوعات الجديدة، 1998، ص 247.
- (45) د. موسى مسعود رومحة "رحمة الله عليه"، مسؤولية الطبيب الجنائية الناشئة عن خطأه في العلاج في القانون الليبي والمقارن، بحث ضمن أعمال الندوة الأولى حول المسؤولية الطبية في القانون الليبي لجامعة العرب الطبية، بنغازي، ليبيا، الفترة من 22/ 23/ 1991/5، ص 8.
- (46) د. محمود محمود مصطفى، مسؤولية الأطباء والجراحين الجنائية، عمان، الأردن، دار الإسراء للنشر والتوزيع، 1998، ص 34، د. فوزية عبد الستار، النظرية العامة للخطأ غير العمدي، دار النهضة العربية، 1977، ص 134.

لقياس الخطأ الطبي، وانحصر تحديدهما في معيارين (شخصي، موضوعي)، نتناول كل منهما على النحو التالي:

1- المعيار الشخصي: يقصد به إلزام الطبيب ببذل ما اعتاد على بذله من يقظة وتبصر، وإمكانية تجنب الفعل الضار، وذلك إذا وجد في نفس الظروف التي أحاطت به سواء أكانت ظروفًا خارجية أم ظروفًا داخلية، أي أنه تتم المقارنة بين ما صدر عن الطبيب من خطأ طبي وما اعتاد القيام به في الظروف ذاتها، أي الظروف العادية للعمل. فإذا ثبت أنه كان في استطاعته تجنب الضرر ولم يفعل، وصف سلوكه بالخطأ أو الإهمال، لعدم اتخاذ الحيطة والحذر⁽⁴⁷⁾، وفي شأن ذلك قضت محكمة النقض المصرية بذات المبدأ، حيث قررت بأن "التزام الطبيب ليس التزاماً بتحقيق نتيجة هي شفاء المريض، وإنما التزام ببذل عناية، إلا أن العناية المطلوبة منه تقتضي أن يبذل لمريضه جهوداً صادقة يقظة تتفق في غير الظروف الاستثنائية مع الأصول المستقرة في علم الطب، فيسأل الطبيب عن كل تقصير في مسلكه الطبي الذي يقع من طبيب يقظ في مستواه المهني، وجد في نفس الظروف المحيطة، ويسأل عن جميع أخطائه حتى اليسير منها⁽⁴⁸⁾، وعليه فإن الخطأ الطبي حسب هذا المعيار يجب الأخذ فيه بعين الاعتبار مركز الطبيب العلمي، ومدى تخصصه وخبرته في ممارسة المهنة؛ لأن الخطأ الطبي الذي يكون أساسه الجراح مثلاً من فعله الشخصي يمكن تعريفه بأنه: "تقصير في مسلك الجراح لا يقع من جراح وجد في نفس الظروف الخارجية بالجراح المسؤول". فالأصل أن مسؤولية الجراح لا تثور إلا إذا اعتبر فعله خروجاً عن القواعد الفنية، والأصول العلمية الثابتة في علم الطب، إذا اتسم مسلكه بالجهل أو الإهمال الذي لا يصدر من جراح في مستواه المهني، سواء أكان هذا في مرحلة الإعداد للعملية الجراحية، أو في أثناء إجرائها، أو في العناية اللازمة بعد إجرائها، وعلى الرغم من وضوح هذا المعيار إلا أن هذا الاتجاه واجه النقد، حيث يرى معارضوه أن هذه القاعدة في التقدير لا تحقق العدالة؛ لأن تطبيقه يمكن أن يحاسب من اعتاد اليقظة على أقل هفواته، وعدم مجازات من اعتاد التقصير على تقصيره⁽⁴⁹⁾، كما يؤخذ عليه صعوبة تطبيقه، حيث يقتضي ذلك دراسة شاملة لشخصية الطبيب مرتكب الخطأ، وظروفه الخاصة، وحالته العقلية والاجتماعية والصحية، وكذلك الظروف المتصلة بجنتسه وسنه، كما أن تطبيقه سوف يؤدي بالمسؤولية الجنائية للطبيب إلى اعتماد مجموعة من الاعتبارات الشخصية، ومن ثم عدم قيامها على الأخطاء الطبية⁽⁵⁰⁾.

2- المعيار الموضوعي: يجمع الفقه⁽⁵¹⁾ على أن المعيار الذي يقاس به الخطأ في الالتزام ببذل عناية، هو معيار موضوعي مجرد يتمثل في القياس على سلوك الشخص العادي، والمعيار الموضوعي ينفرد في تقدير الخطأ الطبي بسلوك الطبيب المتوسط الحيطة والانتباه، في نفس الظروف الزمانية والمكانية ويتوافر نفس الوسائل. أي أن مساءلة الطبيب جنائياً عن خطئه الطبي تركز في تقديرها بمراعاة ما أحاط بالطبيب العادي عند مباشرته لعمله الطبي من ظروف، تقاس على أساس عمل طبيب من فئته متوسط الحيطة والحذر. وبذلك فإن تقدير الخطأ الطبي يعتمد على سلوك طبيب نموذجي يكون من أوسط الأطباء خبرة ومعرفة بالمجال الطبي والجراحي. إلا أن هذا المعيار لم يسلم من النقد، على أساس أنه

(47) د. محسن عبد الحميد البيه، خطأ الطبيب الموجب للمسؤولية المدنية، مطبوعات جامعة الكويت، 1993، ص 122.

(48) مجموعة أحكام النقض، 11 فبراير 1973، س 24، رقم 40، ص 180.

(49) د. محسن عبد الحميد البيه، خطأ الطبيب الموجب للمسؤولية المدنية، المرجع السابق، ص 122.

(50) د. عبد الرزاق أحمد السنهوري، الوجيز في النظرية العامة للالتزام، الإسكندرية، منشأة المعارف، 2004،

ص 330 د. محسن عبد الحميد البيه، خطأ الطبيب الموجب للمسؤولية المدنية، المرجع السابق، ص 122.

(51) د. عبد الرزاق أحمد السنهوري، الوجيز في النظرية العامة للالتزام، المرجع السابق، 2004، ص 330،

د. محسن عبد الحميد البيه، خطأ الطبيب الموجب للمسؤولية المدنية، المرجع السابق، 1993، ص 122.

يقوم على فكرة مجردة، باعتبار أن نموذج المقارنة لن يكون إلا شخصاً نموذجياً؛ ولذا تم الرد على ذلك بأن فكرة الرجل العادي، وإن كانت تعبر عن سلوك مجرد لشخصية مجردة، إلا أنها تكتسب مضمونها من فكرة تصرف الأشخاص العاديين في شئونهم الخاصة⁽⁵²⁾.

3. المعيار الراجح: يعد التزام الطبيب من حيث الأصل التزام ببذل عناية، ويتلخص الالتزام بعناية في بذل الجهود الصادقة اليقظة التي تتفق والظروف القائمة والأصول العلمية الثابتة، بهدف تحسين حالة المريض، وأي إخلال بهذا الالتزام يشكل خطأ طبيًا يرتب مسؤولية الطبيب، وإذا كان الأصل في التزام الطبيب وهو بذل عناية⁽⁵³⁾.

والجدير بالذكر أن الاستثناء الذي يرد على هذا الأصل يكون الالتزام فيها التزام الطبيب بتحقيق نتيجة، كما في عمليات نقل الدم والتحليل الطبية وعمل التركيبات الطبية، وكذلك الالتزام بضمان سلامة المريض - وهو ما سوف نتناوله بالدراسة في المبحث الثالث -، وهذا المعيار تتفق معه، إذ يجب على الطبيب من حيث الأصل الالتزام ببذل عناية، تتمثل في بذل الجهود الصادقة اليقظة التي تتفق والظروف القائمة والأصول العلمية الثابتة.

الفرع الثاني: ركن الضرر:

الضرر بوجه عام هو الركن الثاني في المسؤولية المدنية، وبدونه لا تقوم، إذ إنه حتى ولو ثبت الخطأ في جانب الشخص دون وجود ضرر، لا نستطيع مطالبته بالتعويض عن خطئه، وهو وجه الاختلاف بينه وبين الخطأ في مجال المسؤولية الجنائية⁽⁵⁴⁾، والضرر هو الأذى الذي يصيب الإنسان في جسمه أو في ماله، فيلحق به خسارة مالية، وهذا هو الضرر المادي، أما الضرر المعنوي فهو الضرر الذي يصيب الإنسان في إحساسه أو شعوره أو كرامته أو شرفه⁽⁵⁵⁾، ويجب التمييز بين الضرر المستقبل والضرر المحتمل، حيث يشترط توافر عدة شروط في الضرر حتى يمكن الحكم بالتعويض للمضرور عنه⁽⁵⁶⁾.

1- أن يكون الضرر محققاً: وهو الضرر المؤكد الحدوث، سواء أكان حالاً أي وقع فعلاً أو كان مستقبلاً، إذا كان وجوده مؤكداً، وإن تراخى وقوعه إلى زمن لاحق. إلا أنه لا يجوز التعويض عن الضرر المحتمل، وهو الضرر الذي لم يقع ولا يوجد ما يؤكد وقوعه مستقبلاً⁽⁵⁷⁾. فالضرر المحتمل هو ضرر غير محقق، قد يقع وقد لا يقع، فلا يكون التعويض عنه واجباً إلا إذا وقع فعلاً⁽⁵⁸⁾.

2- أن يكون الضرر مباشراً: إن مسؤولية المدين (مرتكب الفعل الضار) عن التعويض تشمل

(52) د. محسن عبد الحميد البيه، خطأ الطبيب الموجب للمسؤولية المدنية، المرجع السابق، ص 124.

(53) د. وفاء حلمي أبو جميل، الخطأ الطبي، دراسة تحليلية فقهية وقضائية في كل من مصر وفرنسا، دار النهضة العربية، القاهرة، 1987، ص 48.

(54) لمزيد من التفصيل راجع: د. سليمان مرقص، المسؤولية المدنية في تقنيات البلاد العربية، القسم الأول، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1971، ص 127.

(55) د. فتحي عبد الرحيم عبد الله، شرح النظرية العامة للالتزام، الكتاب الأول، مصادر الالتزام- مرجع سابق، ص 468.

(56) د. مصباح عبد الله عبد القادر أحواس، أساس وطرق التعويض عن الأضرار البيئية، رسالة دكتوراه، دراسة مقارنة، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، عام 2011 م، ص 32 — 34.

(57) فارس حامد عبد الكريم، الخطأ والضرر والرابطة السببية في المسؤولية عن الفعل الشخصي كأساس لتقدير التعويض — المرجع السابق — ص 8 وما بعدها، منشور على شبكة الإنترنت على الرابط التالي: تاريخ الدخول 2022/11/25 الساعة: 03: 9.

<https://www.mohamah.net/>

(58) د. عادل حمزة شيبه منصور، مسؤولية الشخص الاعتباري التقصيرية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، عام 1994، ص 260 وما بعدها.

الضرر المادي المباشر كله متوقفاً كان أو غير متوقع. ولا مسؤولية عن الضرر غير المباشر في كل الأحوال، ومعيار التمييز بين حالات الضرر المادي هو معيار موضوعي (معيار الشخص المعتاد). فالضرر المباشر المتوقع، هو الضرر الذي يكون نتيجة طبيعية للخطأ. أما الضرر غير المباشر، فهو الضرر الذي لا يكون نتيجة طبيعية مألوفة للخطأ، وهو يعد كذلك إذا كان بإمكان الدائن أو المضرور تجنبه ببذل جهد معقول، وتقدر المحكمة التعويض في جميع الأحوال بقدر ما لحق المتضرر من ضرر، وما فاتته من كسب، بشرط أن يكون هذا نتيجة طبيعية للعمل غير المشروع⁽⁵⁹⁾، فإذا لم يكن هناك ضرر فلا مسؤولية مهما كان الخطأ مؤكداً⁽⁶⁰⁾، ويظهر الضرر في مجال المسؤولية المدنية الطبية في عدة مظاهر تتمثل في عدم قدرة المريض على مزاولته مهنته، أو فقد حريته بحجزه، أو الاعتداء على حقه في تكامل جسمه، أو إقضاء الطبيب لسر مهنته⁽⁶¹⁾، وقضى أنه "متى كان الحكم قد انتهى إلى تبرئة المطعون ضده من جرمي القتل والإصابة الخطأ والتماس العذر له وإسقاط الخطأ عنه نظراً لزحمة العمل، ولأنه لا يوجد بالوحدة الطبية سوى إناء واحد يقر فيه الماء، أو يحضر فيه الطرطير؛ مما أوقعه في الغلط، وإلى أن مات من الأبطال كان في حالة مرضية تكفى وحدها للوفاة إلا أن الحقن عجل بوفاتهم، مما يقطع رابطة السببية بين الخطأ بمرض ثبوت في حقه وبين الموت الذي حدث، وما ذكره الحكم من ذلك سواء في نفيه الخطأ أو في القول بانقطاع رابطة السببية خطأ في القانون، ذلك بأنه ما دام أن المطعون ضده وهو طبيب مزج الدواء بمحلول الطرطير بدلاً من الماء المقطر الذي كان يتعين مزجه، فقد أخطأ سواء أكان قد وقع في هذا الخطأ وحده أم اشترك معه الممرض فيه، وبالتالي وجبت مساءلته في الحالين؛ لأن الخطأ المشترك لا يجب مسؤولية أي من المشاركين فيه؛ ولأن استيثاق الطبيب من كنه الدواء الذي يناوله المريض أو في ما يطلب منه في مقام بذل العناية في شفاؤه، وبالتالي فإن التقاعس عن تحريه والتحرز فيه والاحتياط له إهمال يخالف كل قواعد المهنة وتعاليمها، وعليه أن يتحمل وزره. كما أن التعجيل بالموت مرادف لإحداثه في توافر علاقة السببية واستجاب المسؤولية، ولا يصلح ما استندت إليه المحكمة من إرهاق الطبيب بكثرة العمل مبرراً لإعصائه من العقوبة، وإن صلح ظرفاً لتخفيفها. ومن ثم فإن الحكم المطعون فيه يكون معيباً؛ مما يستوجب نقضه⁽⁶²⁾.

المطلب الثاني: علاقة السببية بين الخطأ والضرر:

تعد علاقة السببية الركن الثالث لقيام المسؤولية التقصيرية، فلا يكفي أن يكون هناك خطأ وضرر، بل يلزم أن يكون الضرر نتيجة حتمية وملازمة للخطأ، ولن تكتمل عناصر المسؤولية التقليدية إلا بتوافر الأركان الثلاثة لقواعد المسؤولية، من خطأ وضرر وعلاقة سببية، ويكون إثبات رابطة السببية في المسؤولية عن الأضرار على عاتق المضرور⁽⁶³⁾، وتوافر علاقة السببية بين الخطأ والضرر يقتضي أن يكون الخطأ متصلاً بالضرر اتصال

(59) فارس حامد عبد الكريم، الخطأ والضرر والرابطة السببية في المسؤولية عن الفعل الشخصي كأساس لتقدير التعويض، المرجع السابق، ص 9 وما بعدها.

(60) حسام عبيس عودة، المسؤولية المدنية عن الأضرار التي يسببها الروبوت، (دراسة تحليلية مقارنة)، كلية الإمام الكاظم، المغرب، عام 2019 م، ص 751.

(61) د. عبد الرشيد مأمون، عقد العلاج بين النظرية والتطبيق، دار النهضة العربية، عام 1986م، ص 123.
(62) انظر: الطعن رقم 0331 لسنة 40 مكتب فني 21 صفحة رقم 626، بتاريخ 20-04-1970، الطعن رقم 31881 لسنة 69 ق.

(63) د. فتحي عبد الرحيم عبد الله، شرح النظرية العامة للالتزام، الكتاب الأول، مصادر الالتزام- مرجع سابق، ص 480، د. عادل جبيري محمد حبيب، المفهوم القانوني لرابطة السببية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، عام 2003 م، ص 241.

السبب، بحيث لا يتصور وقوع بغير قيام هذا الخطأ⁽⁶⁴⁾، ومعيار رابطة السببية يختلف في القانون الجنائي الذي يأخذ بالمفهوم الواسع على عكس القانون المدني، مثال القانون الألماني الذي أخذ قضاؤه الجنائي بنظرية تكافؤ الأسباب، في حين أخذ قضاؤه المدني بنظرية السببية الملائمة. وفي فرنسا اتجه القضاء المدني لتبني نظرية تكافؤ الأسباب، عندما كان اشتراط الخطأ ركنا لقيام المسؤولية المدنية، ونتيجة للتوسع في قرائن الخطأ وظهور ما يعرف بنظرية تحمل التبعية، اتجه القضاء نحو معيار أكثر تضييقاً لرابطة السببية⁽⁶⁵⁾، وبعد ثبوت أركان مسؤولية الطبيب التي تتمثل في الخطأ والضرر وعلاقة السببية، فإن الطبيب يكون مسؤولاً مسؤولية شخصية في ذمته المالية الخاصة عن الأضرار التي يسببها للمريض من جراء أعماله الطبية تجاهه، وتخضع دعوى المسؤولية المدنية للطبيب للأحكام العامة في المسؤولية المدنية، شأنها في ذلك شأن أية دعوى مدنية أخرى، فالأصل في التعويض أن يكون عينياً، أي بالزام المسؤول بإعادة الحال إلى ما كان عليه قبل وقوع الفعل الضار، وعلى القاضي أن يحكم به، بناء على طلب الدائن (المريض)، إذا كان ممكناً ولا يسبب إرهاقاً للمدين ولا يشكل بحريته الشخصية؛ وللمدين ذلك كالإزام الطبيب بعلاج المريض المضرور على نفقته، ونظراً لصعوبة بل لاستحالة الحكم بالتعويض العيني في معظم دعاوى المسؤولية الطبية، فإنه يصار إلى التعويض بمقابل، وبصفة خاصة في صورة نقدية، وتقدير التعويض من إطلاقات قاضي الموضوع بحسب ما يراه مناسباً لجبر الضرر، مادام تقديره قائماً على أسباب سائغة تبررها، ولا يوجد في القانون نص يلزمه معايير معينه في هذا الصدد⁽⁶⁶⁾.

والجدير بالذكر أن جريمة الإهمال الطبي كما سبق القول هي الفعل الذي يصدر من الطبيب تجاه أحد المرضى برعونة أو إهمال أو عدم احترازه أو عدم مراعاة للقوانين أو اللوائح، ويؤدي ذلك الإهمال الطبي إلى جرح بالمريض، أو إحداث عاهة مستديمة أو وفاته، وعليه نجد الطبيب كغيره من البشر مخطئاً أحياناً أو مهملًا مقصراً في بعض الأحيان، ومن ثم تصدى قانون العقوبات لجريمة الإهمال الطبي، حيث نصت المادة 244 من قانون العقوبات المصري، التي تقرر على أن من تسبب خطأ في جرح شخص أو إيدائه بأن كان ذلك ناشئاً عن إهماله أو رعونته أو عدم احترازه أو عدم مراعاته للقوانين والقرارات واللوائح والأنظمة يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنة، وبغرامة لا تتجاوز 200 جنيه، أو بإحدى هاتين العقوبتين، وتكون العقوبة الحبس مدة لا تزيد على سنتين وغرامة لا تتجاوز 300 جنيه أو إحدى هاتين العقوبتين إذا نشأ عن الإصابة عاهة مستديمة أو إذا وقعت الجريمة نتيجة إخلال الجاني إخلالاً جسيماً بما تفرضه عليه أصول وظيفته أو مهنته أو حرفته، أو كان متعاطياً مسكراً أو مخدراً عند ارتكابه الخطأ الذي نجم عنه الحادث، أو نكل وقت الحادث عن مساعدة من وقعت عليه الجريمة أو عن طلب المساعدة له مع تمكنه من ذلك، وتكون العقوبة الحبس إذا نشأ عن الجريمة إصابة أكثر من 3 أشخاص، فإذا توافر ظرف آخر من الظروف الواردة في الفقرة السابقة تكون العقوبة الحبس مدة لا تقل عن سنة ولا تزيد على خمس سنين⁽⁶⁷⁾، وقررت المادة الثالثة والثلاثون من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية باعتبار الخطأ يشكل جنائية بأنه "يعاقب بالسجن كل من قام بعمل أو تدخل بقصد حرمان شخص من التناسل في غير الأحوال المسموح بها،

(64) عادل جبري محمد حبيب، المفهوم القانوني لرابطة السببية، المرجع السابق، ص 241.
- انظر: نقض مدني جلسة 30 / فبراير / 1995، الطعن رقم 7085 لسنة 63 ق، س 46، ص جلسة 10 فبراير 1998، الطعن رقم 11178، سنة 66 ق.

(65) د. عادل جبري محمد حبيب، المفهوم القانوني لرابطة السببية، المرجع السابق، ص 241.
(66) انظر: نقض مدني جلسة 30 / فبراير / 1995، الطعن رقم 7085 لسنة 63 ق، س 46، ص 1285، رقم 251.

(67) انظر: لمادة 244 من قانون العقوبات المصري.

وفقاً لحكم المادة الثامنة عشر من هذا القانون. وتكون العقوبة الحبس والغرامة التي لا تتجاوز مائتي دينار أو بإحدى هاتين العقوبتين، إذا كان الحرمان من التناسل بصفة مؤقتة. كما قررت المادة الرابعة والثلاثون من ذات القانون بأنه "يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على عشرة سنوات كل من يخالف حكم المادة الثانية عشرة من هذا القانون".

وباعتبار الخطأ يشكل جنحة قررت المادة الخامسة والثلاثون من ذات القانون أنه "يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنة، وبغرامة لا تتجاوز ألف دينار، كل من يخالف أحكام المواد الرابعة، والبند (و) من المادة السادسة، والمادة العاشرة والفقرة الثانية من المادة الخامسة عشرة والمادة السابعة عشرة من هذا القانون. كما يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ستة أشهر وبغرامة لا تتجاوز خمسمائة دينار أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من يخالف أحكام المواد الثانية والثالثة والبند (أ)، (ب)، (د)، (ح) من المادة الخامسة والبندين (ج)، (هـ) من المادة السادسة، والمواد: الثالثة عشرة والرابعة عشرة والعشرين والحادية والعشرين والفقرة الثانية من المادة الثانية والعشرين من هذا القانون" وفقاً لنص المادة السادسة والثلاثون من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية⁽⁶⁸⁾.

وباستقراء النصوص القانونية السابقة يلاحظ أن المشرع تتدرج في العقوبة الجنائية على حسب جسامة الخطأ، فتكون عقوبتها الحبس مدة لا تقل عن سنة وبغرامة بوصفها جنحة، وذلك في حالة الأخطاء ويستتبع أخطاء الطبيب البسيطة، وتشدد العقوبة الجنائية في حالة الأخطاء الجسيمة، لتصل إلى السجن مدة لا تزيد على عشرة سنوات، باعتبار الخطأ يشكل جنائية، كما يستتبع خطأ الطبيب جنائياً عقوبات تأديبية، التي تنشأ عن إيذاء المريض أو وفاته بسبب الخطأ الطبي، والعقوبات التأديبية التي يجوز توقيعها على المخالفين طبقاً لأحكام القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية، كما قررتها المادة الثلاثون هي:

1. الإنذار.
2. اللوم.
3. الخصم من المرتب لمدة لا تتجاوز تسعين يوماً في السنة، ولا يجوز أن يجاوز الخصم تنفيذاً لهذه العقوبة ربع المرتب شهرياً، بعد الربع الجائر الحجز عليه أو التنازل عنه قانوناً.
4. الحرمان من العلاوة السنوية.
5. الحرمان من الترقية مدة لا تقل عن سبعة أشهر ولا تتجاوز ثلاث سنوات.
6. الإيقاف عن مزاوله المهنة لمدة لا تتجاوز سنة.
7. خفض الدرجة.
8. العزل من الوظيفة أو الحرمان من مزاوله المهنة⁽⁶⁹⁾.

أما بالنسبة للعقوبات التأديبية التي يجوز توقيعها على المخالفين طبقاً لأحكام القانون الأردني وفقاً للقانون رقم 13 لعام 1972، فقد نصت المادة (45) في الفصل السادس منه على السلطة التأديبية على أن: "كل طبيب يخل بواجباته المهنية خلافاً لأحكام هذا القانون وأي نظام صادر بمقتضاه، أو يرتكب خطأ مهنيًا، أو يتجاوز حقوقه، أو يقصر بالتزاماته وفق الدستور الطبي، أو يرفض التقيد بقرارات المجلس، أو يقدم على عمل يمس شرف المهنة، أو يتصرف في حياته الخاصة تصرفاً يحط من قدرها، يعرض نفسه لإجراءات تأديبية أمام مجلس التأديب". كما حددت المواد من (46-54) من نقابة

(68) انظر: المادة 33، 35، 36 من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية.

(69) انظر: المادة 30 من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية.

الأطباء كيفية تشكيل السلطة التأديبية، والإجراءات المتبعة أمامها، وتحدد هذه النصوص أيضاً العقوبات التي يحكم بها مجلس التأديب، وهي واحدة وأكثر، والواردة في المادة (55) وهي ما يلي:

أ- التنبيه.

ب- التوبيخ.

ج- الغرامة النقدية من (10) إلى (250) دينار تدفع لصندوق النقابة.

د- الحرمان من عضوية المجلس والهيئات المختلفة للنقابة للمدة التي يقررها.

هـ- المنع من الممارسة مؤقتاً لمدة لا تزيد عن سنة.

و- المنع النهائي من ممارسة المهنة، وشطب اسم الطبيب من السجل بعد إدانته من المحاكم المختصة.⁽⁷⁰⁾

وباستقراء النصوص القانونية السابقة يلاحظ أن الجزاء التأديبي يتدرج على حسب جسامة الخطأ، فتكون الجزاءات الإدارية أو العقوبات التأديبية تتراوح ما بين الإنذار واللوم، والخصم من الراتب، والحرمان من العلاوة السنوية والترقية، وذلك في حالة الأخطاء البسيطة، وتشدّد العقوبة التأديبية في حالة الأخطاء الجسيمة لتصل إلى الإيقاف عن مزاوله المهنة لمدة لا تجاوز سنة، وخفض الدرجة، لتصل إلى أقصى العقوبة التأديبية التي تتمثل في العزل من الوظيفة أو الحرمان من مزاوله المهنة، وفي شأن مناط مسؤولية الطبيب الإدارية أقرت المحكمة الإدارية العليا بأنه "من المقرر في قضاء هذه المحكمة أن الأصل في مسؤولية الطبيب، أنها لا تقوم على الالتزام بتحقيق غاية هي شفاء المريض، وإنما على الالتزام ببذل العناية الصادقة في سبيل شفائه، وواجبه في بذل العناية مناطه ما قدمه طبيب يقظ في مستواه المهني علماً ودراية، في مثل الظروف الخارجية التي أحاطت بالطبيب المسئول في أثناء ممارسته لعمله، ملحوظاً في ذلك كله تقاليد المهنة والأصول العلمية الثابتة، فإذا انحرف الطبيب عن أداء هذا الواجب فعندئذ يعد انحرافه خطأ يستوجب مسؤوليته عن الضرر الذي يلحق بالمريض"⁽⁷¹⁾، كما أن القاعدة الواجبة المراعاة في مجال التأديب هي أن للموظف التحرك في حدود السلطة التقديرية المخولة له، فيما يخضع لتقدير الخبراء، دون أن يترتب على ما ينتهي إليه اعتباره مرتكباً لخطأ تأديبي طالما أنه يمارس عمله بحسن نية، متجرداً من سوء القصد والإهمال، أو مخالفة القانون، أو الضرر بالمصلحة العامة لتحقيق مصلحة خاصة له أو لغيره، ذلك أن القول بغير ذلك مؤداه أن يحجم كل مختص عن ممارسة سلطته التقديرية بالمرونة الواجبة، ومن ثم تسود البيروقراطية، وتنمو روح التسلب من ممارسة المسؤولية تجنباً للمساءلة عن كل إجراء يتخذه الموظف في حدود سلطة التقديرية التي تفترض القدرة على التحرك في المجال المتاح له قانوناً⁽⁷²⁾.

المبحث الثالث: التكييف القانوني لمسؤولية الطبيب:

مما لا شك فيه أن الطبيب يُسأل عن كل خطأ مادي أو فني، جسيماً كان أم يسيراً، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هو: ما الطبيعة القانونية لمسؤولية الطبيب؟ وهل مسؤولية الطبيب عقابية ناشئة عن العقد المبرم بين الطبيب والمريض أم هي مسؤولية تقصيرية أساسها تقصير الطبيب في أداء عمله؟ وكيفية إثبات الخطأ الطبي للطبيب؟ وماهي سلطة المحكمة في تقدير عمل الخبراء؟ وإذا كان التزام الطبيب هو بذل عناية هل هناك أعمال

(70) انظر: المواد من 45 — 56 القانون الأردني رقم 13 لعام 1972 م.

(71) الإدارية العليا جلسة 1989/3/16 طعن رقم 572، س 58ق.

(72) انظر: الطعن رقم 1154 لسنة 33 ق- جلسة 1989/2/25 إدارية عليا.

طبية يلتزم بها الطبيب بتحقيق نتيجة؟
نتناول ذلك خلال مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول: الطبيعة القانونية لمسؤولية الطبيب:

المسؤولية في معناها العام هي المؤاخذة والتبعة، والمسؤولية هي الالتزام بتعويض أو اصلاح الضرر الذي يسببه إخلال المدين بالتزامه⁽⁷³⁾، وتكييف المسؤولية الطبية له أهمية كبيرة في الإثبات⁽⁷⁴⁾، ومن ثم ثار جدلاً لدى فقهاء القانون حول تحديد الطبيعة القانونية لمسؤولية الطبيب، والمسؤولية المدنية تقسم إلى مسؤولية عقدية ومسؤولية تقصيرية، والمسؤولية العقدية هي التي تأتي نتيجة الإخلال بالتزام تعاقدي، أما المسؤولية التقصيرية فتقوم على الإخلال بالتزام قانوني، عام هو الالتزام بعدم الإضرار بالغير⁽⁷⁵⁾ ونتناول ذلك على النحو التالي:

الفرع الأول: الطبيعة العقدية للمسؤولية الطبية:

يرى غالبية الفقه الحديث أن المسؤولية الطبية كأصل عام تكون عقدية، ويشترط لقيام المسؤولية العقدية للطبيب توافر الشروط الآتية:⁽⁷⁶⁾

1. قيام الرابطة العقدية، فحتى في حالات الاستعجال يعد الطبيب في حالة إيجاب دائم موجود، فإذا باشر الطبيب العلاج دون أن يسبق ذلك عقد كانت المسؤولية تقصيرية.
2. وجود عقد صحيح مرتب لجميع آثاره، وجب أن يتوافر فيه جميع الأركان، غير مشوب بأي عيب من عيوب الإرادة.
3. أن يكون المتضرر هو المريض شخصياً، ويجب أن يكون الحاصل نتيجة لإخلال بتنفيذ الالتزام العقدي.
4. يجب أن يكون الخطأ المنسوب إلى الطبيب نتيجة لعدم تنفيذ التزام ناشئ عن عقد العلاج.⁽⁷⁷⁾

- موقف القضاء المصري: يذهب القضاء المصري إلى القول إن مسؤولية الطبيب مسؤولية تقصيرية، فقد قضت محكمة النقض المصرية بأنه لا يمكن مساءلة طبيب المستشفى العام إلا على أساس المسؤولية التقصيرية، لأنه لا يمكن القول في هذه الحالة بأن المريض قد اختار الطبيب لعلاج حتى يتعقد عقد بينهما، كما لا يمكن القول بوجود عقد اشتراط لمصلحة المريض بين إدارة المستشفى العام وبين أطبائها؛ لأن علاقة الطبيب الموظف بالجهة الإدارية التي يتبعها هي علاقة تنظيمية وليست تعاقدية، وبذلك لا يكون هناك محل لبحث مسؤولية طبيب المستشفى العام في دائرة المسؤولية لا تعاقدية، وبالنظر لهذا الحكم نجد صراحة أنه يقرر أن مسؤولية الطبيب تقصيرية في فرضه العلاج

(73) د. فتحي عبد الرحيم عبد الله، شرح النظرية العامة للالتزام، الكتاب الأول، مصادر الالتزام- منشأة المعارف الإسكندرية، عام 2001م، ص 392.

(74) سمير عبد السمیع الأودن، مسؤولية الطبيب الجراح وطبيب التخدير ومساعدتهم، مرجع سابق، عام 2004، ص 39.

(75) د. فتحي عبد الرحيم عبد الله، شرح النظرية العامة للالتزام، الكتاب الأول، مصادر الالتزام- مرجع سابق، ص 404.

(76) عبد الرازق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، ج 1، مصادر الالتزام، ط 2- مرجع سابق — ص 821. د. عز الدين الديناصوري، وعبد الحميد الشواربي، المسؤولية الجنائية في قانون العقوبات والإجراءات الجنائية، مرجع سابق، ص 79.

(77) عبد الرازق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، ج 1، مصادر الالتزام، ط 2- المرجع السابق — ص 821. د. عز الدين الديناصوري، وعبد الحميد الشواربي، المسؤولية الجنائية في قانون العقوبات والإجراءات الجنائية، المرجع السابق، ص 79.

عند طبيب عام بمستشفى عام، ثم تنتفي المسؤولية العقدية لعدم تصور وجود عقد بين المريض الذي يتلقى العلاج وبين الطبيب العام. كما ذهبت أحكام القضاء المصري إلى القول بالطبيعة التقصيرية للمسئولية الطبية، فقد قضت محكمة النقض بأن الطبيب مسئول عن تعويض الضرر المترتب على خطئه في المعالجة ومسئوليته هذه تقصيرية بعيدة عن المسؤولية العقدية، فيسأل الطبيب عن كل تقصير في مسلكه الطبي لا يقع من طبيب يقظ في مستواه المهني وجد نفس الظروف الخارجية التي أحاطت بالطبيب المسئول، كما يسأل عن خطئه أياً كانت درجة جسامته⁽⁷⁸⁾.

الفرع الثاني: حالات المسؤولية التقصيرية:

إن القواعد العامة في المسؤولية التقصيرية الأصل العام فيها براءة الذمة وانشغالها يمثل أمراً عارضاً، ومن يدعي خلاف ذلك يقع عليه عبء إثبات ذلك، ونتيجة لتطور فكرة الخطأ وما واجه الفقه والقضاء من تطبيقات عملية باتت من الضروري التوسع في تحديد نطاق ركن الخطأ في حد ذاته، ويتطلب الأمر اللجوء إلى القواعد المكملة والمفسرة، والعرف، والعدالة بحسب طبيعة الالتزام ذاته⁽⁷⁹⁾، والمسؤولية المترتبة عن الأخطاء المرتكبة من الطبيب وتسبب ضرراً للمريض هي مسؤولية تعاقدية إلا أن هناك حالات تكون المسؤولية الطبية فيها مسؤولية تقصيرية، ألا وهي:

1. إذا شكل فعل الطبيب جريمة جنائية.
 2. إذا نجم ضرر للغير بسبب المريض ذاته، فتكون مسؤولية الطبيب أمام هذا الغير مسؤولية تقصيرية، مثال تسبب الطبيب بخطئه في نقل مرض إلى الغير عن طريق العدوى.
 3. تدخل الطبيب بغير دعوة المريض كأن يصاب شخص في الطريق العام ويتدخل من تلقاء نفسه لإسعاف المصاب فإن المسؤولية هنا تكون تقصيرية لعدم وجود عقد.
 4. الطبيب الذي يعمل موظفاً لا يمكن مساءلته إلا على أساس المسؤولية التقصيرية. حيث يعد في مركز تنظيمي أو لائحي، وأنه يخضع تبعاً لذلك للقوانين واللوائح الخاصة بالعاملين بالدولة وفي هذه الحالة.
 5. حالة امتناع الطبيب عن علاج المريض أو إنقاذه بلا مبرر مشروع، مخالفاً بذلك قانون أخلاقيات المهنة التي يرض عليه التدخل السريع لإنقاذ حياته⁽⁸⁰⁾.
- بعد أن تناولنا الطبيعة القانونية لمسؤولية الطبيب سواء أكانت مسؤولية تقصيرية أم عقدية، السؤال الذي يطرح نفسه ما مدى التزام الطبيب في أداء عمله؟ هل المطلوب منه بذل عناية أم تحقيق نتيجة؟ الحقيقة أن التزام الطبيب هو بذل عناية الرجل المعتاد في مثل الظروف التي فيها، إلا أن هناك استثناء على هذا الأصل العام تمثل في الالتزام بتحقيق نتيجة وسلامة المريض، ويشمل هذا الاستثناء الحالات التي زالت عنها فكرة الاحتمال وياتت نتائجها مؤكدة بفضل تطور العلوم الطبية وأساليبها ووسائلها وفي هذه الحالات تتحقق مسؤولية الطبيب بمجرد تخلف النتيجة التي كان من أجلها تدخله الطبي، ونتناول ذلك في المطلب التالي:

(78) نقض مدني. جلسة 21 ديسمبر سنة 1971، الطعن رقم 464، لسنة 36 ق، ص 22، ص 1062.

(79) لمزيد من التفصيل راجع: د. مصباح عبد الله عبد القادر أحواس، أساس وطرق التعويض عن الأضرار البيئية، مرجع سابق، ص 58 وما بعدها.

(80) عبد الحميد الشواربي، مسؤولية الأطباء والصيدالمة والمستشفيات المدنية والجنائية والتأديبية، مرجع سابق، ص 627.

المطلب الثاني: مدى التزام الطبيب في تدخلاته الطبية:

كما سبق القول إن التزام الطبيب من حيث الأصل هو التزام ببذل عناية، إلا أن هناك استثناءات على هذا الأصل العام تتمثل في الالتزام بتحقيق نتيجة وسلامة المريض، أهمها الجراحات التجميلية، نقل الدم، تركيب الأسنان والأعضاء الصناعية، التحاليل الطبية واستعمال الأجهزة والأدوات الطبية، ومن ثم تناول ذلك على النحو التالي:

الفرع الأول: التزام الطبيب ببذل عناية:

وفقاً للقانون الليبي رقم (17) لسنة 1986م، بشأن المسؤولية الطبية فقد وضع التزامات الطبيب في أداء عمله التزاماً ببذل عناية في المواد (7، 8، 9)، بأن يكون التزام الطبيب في أداء عمله التزاماً ببذل عناية، إلا إذا نص القانون على خلاف ذلك كما أنه يجب على المحلل والمشخص والمعالج بالأشعة أو الطاقات الحرارية أو الموجات الكهربائية أو ما في حكمها مراعاة الدقة، وبذل العناية واتخاذ أسباب الوقاية في أداء العمل، وذلك كله طبقاً للأصول العلمية. ويجب استعمال الأدوات والأجهزة الطبية بكل يقظة وانتباه، وفقاً للأصول العلمية وبما لا يضر بالسلامة، والجدير بالذكر أن قواعد المهن الطبية، والقواعد القانونية المدنية سواء أكانت العلاقة بين الطبيب تعاقدية أم غير تعاقدية، لا تفرض على الطبيب التزاماً بشيء المريض، بل تلزمه ببذل قدر من العناية فقط، بحيث تبرأ ذمته بمجرد أن يبذل العناية المطلوبة لو لم تتحقق نتيجة الشفاء⁽⁸¹⁾، وكما سبق القول يعد التزام الطبيب من حيث الأصل التزاماً ببذل عناية، وفقاً للمعيار الراجح في تقدير الخطأ الطبي للطبيب، ويتلخص الالتزام بالعناية في بذل الجهود الصادقة اليقظة التي تتفق والظروف القائمة والأصول العلمية الثابتة، بهدف تحسين حالة المريض، وأي إخلال بهذا الالتزام يشكل خطأ طبياً يرتب مسؤولية الطبيب، والمشرع الليبي بحسب الأصل وكقاعدة عامة جعل التزام الطبيب التزاماً ببذل عناية إلا إذا نص القانون على خلاف ذلك، وإذا كان الأصل في التزام الطبيب هو بذل عناية، والاستثناء الذي يرد على هذا الأصل يكون التزاماً بتحقيق نتيجة كما في عمليات نقل الدم والتحليل الطبية وعمل التركيبات الطبية وكذلك الالتزام بضمان سلامة المريض، وهذا المعيار تتفق معه إذ يجب على الطبيب من حيث الأصل التزاماً ببذل عناية، التي تتمثل في بذل الجهود الصادقة اليقظة التي تتفق والظروف القائمة والأصول العلمية الثابتة، على أن التزام الطبيب ببذل عناية صادقة بانتباه تام ويقظة ضمير تتفق مع الظروف القائمة والأصول العلمية تتحكم فيه عدة عوامل⁽⁸²⁾:

أولاً: القواعد التي تفرضها مهنة الطب ودرجة تقدم العلوم الطبية، فشفاء المريض رهين اعتبارات خارجة عن إرادة الطبيب، كحالة المريض، ودرجة مناعة جسمه، ومدى تفاعله مع العلاج المقدم له، واستحضار المستوى الذي وصل إليه علم الطب في علاج المرض المصاب به.

ثانياً: المستوى المهني للطبيب، فالالتزامات التي يتحملها الطبيب العام ليست هي نفسها التي يتحملها الطبيب الاختصاصي، فهذا الأخير يفترض فيه بذل جهد كبير من العناية؛ ولذلك فالقضاء عادة ما يتشدد بصرامة في تقدير الخطأ المنسوب إليه.

ثالثاً: الظروف الخارجية والداخلية التي يمارس فيها الطبيب عمله، ذلك أن تقدير مدى العناية المبذولة من جانب الطبيب متوقفة على حجم الإمكانيات المتاحة له والأدوات

(81) د. سليمان مرقص، الوافي في شرح القانون المدني، ج 1، ط، مصر الجديدة، عام 1992م، ص 397.
(82) انظر: الطعن رقم 464 لسنة 36 قضائية الصادر بجلسة 1971/12/12 مكتب فني) سنة 22 - قاعدة 179 - صفحة 14062، د. سليمان مرقص، الوافي في شرح القانون المدني، ج 1، ط، مصر الجديدة، عام 1992م، ص 397.

والأجهزة المتوفرة لديه.

رابعاً: أن تكون الجهود التي يبذلها الطبيب متفقة مع الأصول العلمية الطبية الثابتة، فإذا كان الطبيب حراً في اختيار طريقة العلاج، فلا يعقل أن يستعمل وسائل أو أساليب بدائية نبذها العلم وهجرها الطب⁽⁸³⁾.

الفرع الثاني: التزام الطبيب بتحقيق نتيجة:

هناك استثناءات على الأصل العام تتمثل في الالتزام بتحقيق نتيجة وسلامة المريض أهمها الجراحات التجميلية، ونقل الدم، وتركيب الأسنان، والأعضاء الصناعية، والتحليل الطبية، واستعمال الأجهزة والأدوات الطبية، نتناول ذلك على النحو التالي:

أولاً: الجراحة التجميلية:

الجراحة التجميلية التي تتطلب تدخلاً جراحياً بقصد إزالة تشويه في جسم المريض قد يكون ظاهراً أو خفياً، فقد تشدد القضاء مع الطبيب الجراح في هذه العمليات عند وجود خطأ أو إهمال من جانبه، إلا أن القضاء لم يستقر على تحديد نوع التزام الطبيب الجراح في هذه العمليات، وإن كانت هناك بعض القرارات التي ذهبت فيها المحاكم الفرنسية إلى تقريب هذا الالتزام من الالتزامات التي يسأل فيها الطبيب عن تحقيق نتيجة، ففي قضية تتعلق بجراحة تجميلية أذنت فيها محكمة باريس في 11 / 7 / 1972 الطبيب الجراح، على الرغم من بذل الجهود واليقظة اللازمين في هذه العملية: لأنه لم يقدم للمحكمة ما يبرر فشل العملية الجراحية، بعكس ما هو متوقع، وما يحدث في مثل هذا النوع من العمليات الجراحية⁽⁸⁴⁾، والقضاء المصري تشدد مع الطبيب الجراح في العمليات الجراحية، وتطلب منه عناية أكثر في جراحة التجميل، وفي شأن ذلك قضت محكمة النقض المصرية بأنه "يتطلب من الطبيب الجراح عناية أكثر في جراحة التجميل، وإن كان كغيره من الأطباء لا يضمن نجاح العملية التي يجريها، إلا أن العناية المطلوبة منه أكثر منها في أحوال الجراحة الأخرى، اعتباراً بأن جراحة التجميل لا يقصد منها شفاء المريض من علة في جسمه، وإنما إصلاح تشويه لا يعرض حياته لأي خطر. ولاشبات خطأ الطبيب الجراح في الحالات التي يكون فيها التزامه بتحقيق نتيجة، يكفي من المريض إثبات وجود الضرر الذي أصابه من جراء تنفيذ الطبيب للعملية الجراحية، وهذا كاف لعدم تحقق النتيجة المطلوبة، ودون حاجة من جانب المريض لإثبات وجود خطأ من قبل الطبيب الجراح، إذ إن وجود الضرر الذي يصيب المريض في هذه الحالات يكفي لمساءلة الطبيب الجراح، ولا تزول عنه هذه المسؤولية، إلا إذا استطاع أن يرجع ذلك إلى السبب الأجنبي، بأن يثبت أن الضرر الذي تعرض له المريض ناجم عن قوة قاهرة أو خطأ المريض نفسه أو خطأ الغير، ولا يستطيع الطبيب في هذه الحالات أن يثبت أنه بذل العناية المطلوبة لتنفيذ التزامه لكي يعفي نفسه من هذه المسؤولية"⁽⁸⁵⁾.

والجدير بالذكر أن المادة العاشرة من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية، وضعت ضوابط عدة لأجراء العمليات الجراحية، بقولها: "لا يجوز إجراء العمليات الجراحية إلا بمراعاة ما يلي:

1. أن تتم العملية داخل مؤسسة علاجية أو عيادة طبية معدة لذلك.
2. أن تجرى الفحوصات والتحاليل اللازمة، ويتأكد من أن حالة المريض تسمح بإجراء العملية.

(83) د. سليمان مرقص، الوافي في شرح القانون المدني، المرجع السابق، ص 397.

(84) د. محمد حسنين منصور، المسؤولية الطبية، موسوعة القضاء والفقه للدول العربية، 1985م، ص 75.

(85) انظر: جلسة الطعن 1996/7/26م

3. أن تكون الحالة الصحية للمريض تدعو لإجراء العملية، عدا حالة بتر أجزاء أو أعضاء من الجسم.
4. أن تكون هناك موافقة كتابية على إجراء العملية من المريض، أو المسئول عنه قانوناً إذا لم يكن راشداً، أو كانت حالته لا تسمح بالتعبير عن إرادته، وذلك كله ما لم يقرر طبيبان على الأقل أن العملية ضرورية ومستعجلة، وكان الحصول على الموافقة متعذراً.⁽⁸⁶⁾
5. لا يجوز إخراج المريض من المؤسسة العلاجية إلا إذا كانت حالته الصحية تسمح بذلك، أو كان ذلك بناء على رغبته.
- ويحظر إجراء التجارب العلمية على جسم الإنسان الحي إلا برضاه، ولغرض تحقيق منفعة مرجوة له، وبمعرفة أطباء مرخص لهم بإجرائها، طبقاً للأسس العلمية المتعارف عليها.
- ويلتزم الطبيب الجراح تجاه المريض ببذل العناية اللازمة عند إجراء العملية الجراحية له، وتنشأ مسؤوليته إذا استهتر بواجبه، ولم يتخذ الاحتياطات اللازمة قبل إجراء العملية الجراحية وخلالها. ولمعرفة الخطأ يقاس سلوك الطبيب الجراح بسلوك طبيب جراح، من الاختصاص نفسه والمستوى المهني والعلمي ذاته، مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف الخارجية والإمكانات المادية التي توافرت عند إجراء العملية الجراحية. وفي ضوء ذلك يسأل الطبيب الجراح، عن كل تقصير لا يمكن توقعه من طبيب جراح آخر يتمتع بالمؤهلات نفسها، وفي الظروف نفسها التي أحاطت بإجراء العملية الجراحية⁽⁸⁷⁾.
- والجدير بالذكر أن للأخطاء الطبية الجراحية صوراً تختلف عن الأخطاء الطبية في التخصصات الأخرى، وفي ما يلي بعضها⁽⁸⁸⁾:
- أولاً: على الطبيب الجراح أخذ موافقة المريض أو من يمثله قانونياً قبل إجراء العملية الجراحية، ويجب أن تصدر هذه الموافقة بعد شرح حقيقة العملية والنتائج المحتملة لها، وبخلاف ذلك يعد الطبيب مخطئاً، ويكون مسؤولاً عن النتائج الضارة لعملية الجراحية ولو بذل العناية المطلوبة فيها.
- ثانياً: على الطبيب الجراح استخدام الطرق الحديثة في الفحص لمعرفة حالة المريض، ونوع العمل الجراحي قبل إجراء العملية الجراحية، ويكون مسؤولاً إذا أخطأ في التشخيص بسبب عدم استخدام هذه الطرق.
- ثالثاً: على الطبيب الجراح اتخاذ الاحتياطات اللازمة، عند استعمال الأدوات اللازمة في العمليات الجراحية، حيث يكون مسؤولاً إذا أهمل ذلك.
- رابعاً: على الطبيب الجراح إجراء العملية الجراحية للمريض في المستشفى، وليس في العيادات الخاصة، حرصاً على توفير جميع الوسائل اللازمة.
- خامساً: يعد خطأ من جانب الطبيب الجراح إجراء العملية الجراحية، من دون التأكد من

(86) انظر: المادة العاشرة من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية.

(87) د. محمد سامي الشوا، الخطأ الطبي أمام القضاء الجنائي، دراسة مقارنة في القضاءين المصري والفرنسي، دار النهضة العربية، 2003 م، ص 59 وما بعدها. د. محمد أسامة قايد، المسؤولية الجنائية للأطباء، مرجع سابق، ص 302، مفتاح مصباح بشير الغزالي، المسؤولية الجنائية للأطباء عن التجارب الطبية والعلمية، مرجع سابق، ص 378-395.

(88) د. محمد سامي الشوا، الخطأ الطبي أمام القضاء الجنائي، المرجع السابق، ص 103 وما بعدها. د. محمد أسامة قايد، المسؤولية الجنائية للأطباء، المرجع السابق، ص 302.

- د. محمد سامي الشوا، الخطأ الطبي أمام القضاء الجنائي، المرجع السابق، ص 96، عبد الحميد الشواربي، مسؤولية الأطباء والصيدال والمستشفيات المدنية والجنائية والتأديبية، مرجع سابق، ص 95.

سلامة المنضدة، وآلات تثبيت المريض عليها، والذي يمكن أن يؤدي إلى سقوط المريض عنها.

سادساً: يتوجب على الطبيب الجراح اتباع الأصول العلمية المتعارف عليها، واستخدام الطرق الحديثة عند إجراء العملية الجراحية، والابتعاد عن الطرق البدائية في ذلك. سابعاً: على الطبيب الجراح - عند الانتهاء من العملية الجراحية - التأكد من إزالة المواد وقطع الشاش المستعملة، ومن الأخطاء التي تتكرر دائماً ترك بعض هذه المواد أو القطع في جسم المريض؛ مما يؤدي أحياناً إلى وفاته. وغالباً ما يضع الطبيب الجراح المسؤولية في هذا المجال على مساعديه من الممرضات والممرضين، إلا أن ذلك لا يعفيه من هذه المسؤولية.

ثامناً: على الطبيب الجراح الرقابة الطبية بعد التدخل الجراحي، ويقع على عاتقه متابعة التخدير والإنعاش⁽⁸⁹⁾.

ثانياً: نقل الدم:

تعد عمليات نقل الدم من الحالات التي يلتزم فيها الطبيب بتحقيق نتيجة، فإذا احتاج المريض إلى نقل الدم إليه بسبب العملية الجراحية، فيتوجب أن يكون هذا الدم مطابقاً لفصيلة دمه، كما يجب أن يكون خالياً من الأمراض، والتزام الطبيب في هذه الحالة محدد بتقديم دم يتناسب مع فصيلة دم المريض وسليماً من الأمراض، ويكون مخلاً بالتزامه هذا إذا نُقل إلى المريض دماً غير مناسب، كما لو كان يختلف عن فصيلة دمه، كما يكون الطبيب أيضاً مسؤولاً تجاه المريض، لو كان هذا الدم ملوثاً، وفي هذه الأحوال يكون الطبيب مسؤولاً عن الضرر الذي يصيب المريض، وتترتب مسؤولية الطبيب ولو لم يكن هو الذي أجرى تحليل دم المريض للتعرف على فصيلته، بل قام بذلك طبيب آخر، ذلك لأنه ملزم تجاه مريضه بتقديم دم سليم يتفق مع فصيلته، إلا أنه يستطيع أن يتخلص من المسؤولية، إذا استطاع إثبات السبب الأجنبي الذي لا ينسب إليه⁽⁹⁰⁾. وفي شأن ذلك قررت المادة الحادية والعشرون من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية أنه "لا يجوز إرغام شخص على إعطاء كمية من دمه. ولا يتم نقل الدم من المتبرع إلا بمعرفة طبيب مختص، وبعد إجراء الفحص والتحليل، وفقاً للأصول الفنية المتبعة للتأكد من صلاحية الدم وعدم الإضرار بصحة المتبرع. ولا يجوز إعطاء المريض كمية من الدم أو مشتقاته أو بدائله إلا في حالات الضرورة القصوى، وبعد التأكد من ملاءمتها وصلاحيتها وخلوها من أية مسببات للمرض ومطابقتها لفصيلته"، فعمليات نقل الدم تعد من الحالات التي يلتزم فيها الطبيب بتحقيق نتيجة، فإذا احتاج المريض إلى نقل الدم إليه بسبب العملية الجراحية، فيتوجب أن يكون هذا الدم مطابق لفصيلة دمه⁽⁹¹⁾.

ثالثاً: تركيب الأسنان والأعضاء الصناعية:

يعد التزام الطبيب تجاه المريض في تركيب الأعضاء الصناعية التزاماً بتحقيق نتيجة، ومن أمثلة ذلك تركيب الأسنان والأطراف الصناعية، وفي حكم صادر عن محكمة النقض

(89) د. جمعة أحمد أبو قصيصة، الأسس القانونية لمشروعية عمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية، مرجع سابق، ص 95 وما بعدها.

(90) أحمد حسن الحيارى، المسؤولية المدنية للطبيب، المرجع السابق ص 48 وما بعدها. د. محمد عبد الظاهر حسين، مشكلات المسؤولية المدنية في مجال عمليات نقل الدم، المرجع السابق، ص 98. عبد الحميد الشواربي، مسؤولية الأطباء والصيدالّة والمستشفيات المدنية والجنائية والتأديبية، مرجع سابق، ص 86.

(91) أحمد حسن الحيارى، المسؤولية المدنية للطبيب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، عام 2007م، ص 48 وما بعدها. د. محمد عبد الظاهر حسين، مشكلات المسؤولية المدنية في مجال عمليات نقل الدم، دار النهضة العربية، 1995 م، ص 98.

الفرنسية، اعتبرت فيه التزام طبيب الأسنان بتركيب الأسنان الصناعية تجاه المريض التزاماً بتحقيق نتيجة، فيما يتعلق بتصميمها وملائمتها للمريض وخلوها من الأمراض، وعليه في هذه الحالة أن يركب لمريضه الأسنان الصناعية المناسبة له، ويعد مخطأ إذا لم يف بهذا الالتزام. حيث قررت المادة السادسة عشرة من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية أنه "لا يجوز تركيب الأعضاء الصناعية في الجسم إلا بعد التأكد من ملاءمتها للمريض، وعدم إضرارها به وتهيئة جسمه لقبولها. ويكون التزام الطبيب بتركيب الأسنان الصناعية التزاماً بتحقيق نتيجة"، ويخضع طبيب الأسنان لنفس القواعد شأنه في ذلك شأن باقي الأطباء ولا ينزرد إلا بالتزامه بتحقيق نتيجة بخصوص التركيبات الصناعية. أما بخصوص العمل العلاجي ذو الطبيعة الطبية فهو كالطبيب العادي يلتزم ببذل العناية المطلوبة، ولا تقوم مسؤوليته إلا إذا ثبت وجود تقصير من جانبه، ونفس الشيء بالنسبة للجراح وجراحات تجميل الأسنان فهي تخضع للقواعد العامة السابق عرضها، ويسأل طبيب الأسنان عن الآلات والأجهزة التي يستخدمها إذا ما ترتب عليها إضرار بالمريض، فهو يلتزم بسلامة المريض، ويسأل عن الأضرار التي يسببها له عند قيامه بعملية العلاج⁽⁹²⁾.

رابعاً: التحاليل الطبية:

التزام طبيب التحاليل الطبية محله تحقيق نتيجة، ففي جميع الحالات ينحصر نشاطه في أعمال معملية، لا تتضمن حسب الأصول العلمية السليمة أي احتمال، فإنه ملزم بتحقيق النتيجة وتقديم تقرير صحيح مطابق تماماً للحقيقة، ويقع الإخلال به بمجرد ثبوت خطأ فيه، ولا تنتفي مسؤوليته إلا بإثبات السبب الأجنبي، أما التحاليل الدقيقة التي يصعب فيها الكشف عن الحقيقة بالطرق العلمية القائمة، وتترك مجالاً لأن يختلف فيها التفسير، فيقتصر التزام الطبيب فيها على بذل العناية واليقظة الواجبة⁽⁹³⁾.

خامساً: استعمال الأجهزة والأدوات الطبية:

يكون الطبيب الجراح ملزماً بتحقيق نتيجة، إذا استخدم آلات وأجهزة في أثناء إجراء العملية الجراحية، وهذه النتيجة هي عدم حدوث ضرر للمريض عند استخدام الآلات والأجهزة في أثناء إجراء العملية له، إذ يكون مسؤولاً عن الأضرار التي تصيب المريض، إذا كانت بسبب وجود عيب أو عطل في هذه الآلات والأجهزة؛ لأنه يقع على الطبيب الجراح في أثناء إجراء العملية الجراحية للمريض، استعمال آلات وأجهزة صالحة لا تصيب المريض بأضرار، وهناك حالات قضت فيها المحاكم بمسؤولية الطبيب عن الأضرار والوفاة التي حصلت للمريض، بسبب انفجار الأجهزة الطبية، أو نتيجة خروج لهب من المشربط الكهربائي، أو احتراق جلد المريض نتيجة وجود خلل في أجهزة الأشعة. ومن التطبيقات القضائية الأخرى، ما قضى بمسائلة الطبيب عن كسر حقتة الدواء في عضلات المريض، كذلك مسائلة طبيب الأسنان عن تمزق لسان المريض وتلف أغشية فمه بسبب ناتج عن الأجهزة المستخدمة في علاج المريض. إلا أن الطبيب قد يستطيع التخلص من المسؤولية إذا استطاع أن يعزو ذلك إلى السبب الأجنبي⁽⁹⁴⁾، إذ قررت المادة السادسة والعشرون من القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية أنه "يكون مسئولاً بالتزامن عن الأضرار التي تنجم عن استعمال الأدوات والأجهزة الطبية والأدوية كل من أمانة الصحة والجهات الموردة والمصنعة والموزعة والمستعملة".

(92) المستشار عزالدين الدناصوري والدكتور عبد الحميد الشواربي، المرجع السابق، ص 1428. عبد الحميد الشواربي، مسؤولية الأطباء والصيدالنة والمستشفيات المدنية والجنائية والتأديبية، مرجع سابق، ص 90.

(93) المستشار عزالدين الدناصوري والدكتور عبد الحميد الشواربي، المرجع السابق، ص 1435.

(94) د. محمد حسن منصور، المسؤولية الطبية، المرجع السابق، ص 2014.

بعد أن وضعت الطبيعة القانونية لمسؤولية الطبيب سواء أكانت مسؤولية تقصيرية أم عقدية، ومدى التزامه في أداء عمله، السؤال الذي يثار هنا كيفية إثبات الخطأ الطبي للطبيب؟ والسؤال الذي يفرض نفسه أيضاً هو مدى سلطة المحكمة في تقدير عمل الخبراء؟ والإجابة على ذلك في النقطتين التاليتين:

1. كيفية إثبات الخطأ الطبي للطبيب:

يختلف دور القاضي المدني عن دور القاضي الجنائي، خاصة فيما يتعلق بوسائل الإثبات، حيث يتمتع القاضي الجنائي بحرية كاملة في أن يستعين بكافة طرق الإثبات، وذلك للبحث عن الحقيقة والكشف عنها، على عكس الثاني، فهو مقيد في الإثبات بطرق معينة⁽⁹⁵⁾، والأصل أن إثبات الخطأ الطبي جائز بكافة طرق الإثبات، بما فيها الخبرة وشهادة الشهود والقرائن القضائية والكتابية، حيث يقع على عاتق المتضرر إثبات خطأ الطبيب، وهذا ممكن بالاعتماد على كل وسائل الإثبات، ويتحقق القاضي من وجود خطأ طبي أكيد، ارتكبه الطبيب عن رعونة وعدم تبصر، فمن الضروري أن يكون الخطأ ثابتاً ثبوتاً قطعياً أكيداً، وليس مجرد تخمين؛ لذا يجب أن يستند الإثبات إلى وقائع دقيقة، وليس إلى مجرد معطيات يمكن إثبات عكسها. غير أن طرق إثبات الأخطاء الطبية تختلف باختلاف طبيعتها، من حيث كونها أخطاء ذات طابع فني، أو أخطاء متعلقة بالإنسانية الطبية. أما بالنسبة للأخطاء المتعلقة بالإنسانية الطبية فيمكن اعتماد كل وسائل الإثبات القانونية الممكنة لإثباتها، بما في ذلك القرائن وشهادة الشهود، وهناك اختلاف بين نظام الإثبات المدني ونظام الإثبات الجنائي، من حيث دور القاضي في كل من النظامين، وما يتبعه من حيث الأدلة المسموح بها في كل منهما⁽⁹⁶⁾، كما يكون للقاضي الدور الإيجابي في إثبات الأخطاء الطبية، فمنها ما يمكنه اكتشافها وفقاً لثقافته العامة، كالأخطاء العادية للطبيب، كما يلعب دوراً مهماً في إثبات الأخطاء المهنية، وذلك بالرجوع إلى التزامات الطبيب المنصوص عليها في القانون، كما سبق القول، ومحاولة قياس سلوكه مع هذه الالتزامات. أما الأخطاء الطبية ذات الطابع الفني، فإن القاضي يكون ملزماً بالاعتماد على الخبرة، باعتبارها وسيلة الإثبات الوحيدة الناجعة لحل المسائل الفنية المطروحة أمامه، ويبقى دوره منحصراً في الأخذ أو عدم الأخذ بتقرير الخبير⁽⁹⁷⁾، والخبرة باعتبارها أحد وسائل إثبات الخطأ الطبي أمام المحاكم الجنائية، لا يستطيع القاضي بسبب عدم المعرفة الكافية لديه بالمسائل الطبية أن يتصدى مباشرة لمناقشة هذه المسائل، وأن يقدر بنفسه خطأ الطبيب بهذا المجال؛ لذلك على القاضي أن يتوجه إلى المختصين من الخبراء بين أهل الطب من أجل استيضاح الأمر، وبالتالي إلقاء الضوء على سلوك الطبيب المتهم، إن كان يتفق مع سلوك الطبيب الوسط الحريص في مهنته، وهذا يعني أن أهل الخبرة هم الذين سيقدمون وجهة نظرهم، حول مسألة السلوك والحذر الذي كان يجب أن يقدمه الطبيب. وإذا كان الخبير يقوم بمساعدة القاضي باستنباط الخطأ في المجال الطبي، سواء أكان في المسائل التطبيقية أم في الأخلاق الطبية، فالقاضي يستقل في التكليف القانوني للسلوك الفني للطبيب، وهو الذي يقوم بتقدير رأي الخبير، وبالنتيجة الأخذ به أو عدم الأخذ به. إذا كان للمحكمة سلطة تقديرية في نذب الخبير، ولها السلطة في الاستجابة أو رفض الطلب الذي يقدم إليها نذب الخبير، إلا أن حد ذلك أن تكون المسألة المطلوب

(95) د. شعبان محمود محمد الهواري، أدلة الإثبات الجنائي، دار الفكر والقانون، المنصورة، طبعة 2013، ص 122.

(96) د. عبد الرؤوف مهدي، شرح القواعد العامة للإجراءات الجنائية، مرجع سابق، ص 1420.

(97) د. سمير عبد السميع الأودن، مسؤولية الطبيب الجراح وطبيب التخدير ومساعديهم، مرجع سابق، ص 77، د. علي عصام غصن، الخطأ الطبي، مكتبة زين الحقوقية والأدبية، بيروت، عام 2006، ص 160. د. عاطف النقيب، المسؤولية المدنية عن الأخطاء المهنية: الطبيب، المهندس المعماري والمقاول، المحامي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، عام 1992، ص 135.

ندب الخبير من أجلها مسألة فنية بحتة، لا تستطيع المحكمة أن تفصل فيها بنفسها دون الاستعانة بخبير متخصص⁽⁹⁸⁾، وفي شأن ذلك قضت بأن "المحكمة هي الخبير الأعلى في كل ما تستطيع أن تفصل فيه، بنفسها أو بالاستعانة بخبير يخضع رأيه لتقديرها، مادامت المسألة المطروحة ليست فنية بحتة"⁽⁹⁹⁾، وقضى أيضا "بأنه ومتى كان طلب الدفاع لا يتصل بمسألة فنية بحتة، فإن المحكمة لا تكون ملزمة بندب خبير، إذا هي رأت من الأدلة المقدمة في الدعوى، ما يكفل الفصل فيها دون حاجة لندبه"⁽¹⁰⁰⁾، والتزام المحكمة بندب خبير لا يتوقف على طلب الخصوم، بل العبرة دائما هي بطبيعة المسألة المعروضة⁽¹⁰¹⁾.

والجدير بالذكر أنه منذ صدور قانون المسؤولية الطبية الليبي، ثار الجدل القانوني حول مدى التزام المحاكم بوجوب إحالة قضايا المسؤولية الطبية إلى المجلس الطبي، ومدى التزام المحكمة بالأخذ برأي المجلس الطبي، وهذا القانون الذي ساهم في وضعه الأطباء، فحددوا جهة معينه لتحديد مسؤوليتهم هي المجلس الطبي، وهو يتكون من أطباء يتبعون وزارة الصحة في مختلف التخصصات، وقد سار القضاء في تطبيق هذا القانون إلى منهجين، الأول أن المحكمة تأخذ برأي المجلس الطبي دون نقاش، فكان المجلس الطبي أصبح هو المحكمة، ومنهج آخر وهو وجوب العرض وعدم لزوم الأخذ برأي المجلس، وذهبت قليل من المحاكم إلى أن العرض هو سلطة تقديرية للمحكمة، وترتب على ذلك صدور أحكام متناقضة في إجراءاتها، وقد حسم ذلك الخلاف من خلال هذا المبدأ الذي أرسته الدوائر المجتمعة بالمحكمة العليا، والمبدأ الصادر في قانون المسؤولية الطبية نصه: "قررت المحكمة — بدوائرها مجتمعة — العدول عن المبادئ التي تقضي بالزام المحكمة بعرض قضايا المسؤولية الطبية على المجلس الطبي، والالتزام بما يرد في تقريره بشأن مدى قيام المسؤولية الطبية، وإرساء مبدأ مفاضة حق المحكمة في اختيار طريق الإثبات الذي تراه مؤديا إلى ذلك، وهذا الحكم أعاد الأمور إلى نصابها الصحيح فأصبحت الاستعانة بالخبرة من السلطات التقديرية للمحكمة، وفقا للقواعد العامة في قانون المرافعات وقانون الاجراءات الجنائية"⁽¹⁰²⁾.

2. سلطة المحكمة في تقدير عمل الخبراء⁽¹⁰³⁾:

يشترط أن يقدم طلب ندب الخبير للمحكمة قبل إقفال باب المرافعة؛ لأنه لا يعدو أن يكون طلبا من طلبات تحقيق الدعوى، فإن قدم قبل فترة حجز الدعوى للحكم، لم تكن المحكمة ملتزمة بإجابته وبالرد عليه إلا إذا كانت المحكمة لم يسبق لها استيفاء دفاع المتهم شفويا، قبل حجز الدعوى للحكم⁽¹⁰⁴⁾، وفي شأن ذلك قضت محكمة النقض بأنه "من المقرر أن المحكمة متى أمرت بإقفال باب المرافعة في الدعوى وحجزها للحكم، فهي بعد لا تكون ملزمة بإجابة طلب التحقيق الذي يبديه المتهم في مذكرته، التي يقدمها في فترة حجز القضية للحكم أو الرد عليه، سواء أقدم بتصريح أم بغير تصريح،

(98) د. عبد الرؤوف مهدي، شرح القواعد العامة للإجراءات الجنائية، المرجع السابق، ص 1554، 1555.

(99) نقض 17 أبريل 1984 مجموعة أحكام النقض س 55 رقم 101 ص 578.

(100) نقض 13 من يونيو سنة 1961 مجموعة أحكام النقض س 12 ص 671 رقم 131، ولمزيد من التفصيل انظر: في قيمة البصمة الوراثية في الإثبات، بحث الدكتور غنام محمد غنام "دور البصمة الوراثية D.N.A في الإثبات" بحث مقدم إلى مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون، الذي عقد بكلية الشريعة والقانون بجامعة الإمارات العربية المتحدة من 5 — 7 مايو سنة 2002.

(101) نقض 8 أكتوبر 1962 مجموعة أحكام النقض س 13 ص 610 رقم 152.

(102) انظر: المحكمة العليا- (دوائر المحكمة مجتمعة) بجلستها يوم الاثنين 20 صفر 1434 هـ الموافق 2013.12.23م.

(103) د. سمير عبد السميع الأودن، مسئولية الطبيب الجراح وطبيب التخدير ومساعديهم، مرجع سابق، ص 102.

(104) د. عبد الرؤوف مهدي، شرح القواعد العامة للإجراءات الجنائية، المرجع السابق، ص 1549.

مادام هو لم يطلب ذلك بجلسة المحكمة وقبل قفل باب المرافعة في الدعوى. فإن النعي بالتضات المحكمة عن طلب عرض الطلقات المضبوطة على كبير الأطباء الشرعيين، المبدي بالمذكرة المقدمة خلال فترة حجز الدعوى للحكم، التي سبقها استيضاء الدفاع الشطوي يكون غير سديد، ولا يقدر في ذلك أن الدفاع أحال في مرافعته بالجلسة الأخيرة إلى مرافعته بالجلسة السابقة، التي أبدي هذا الطلب في إحداها، ذلك أنه تنازل عنه صراحة في جلسة تالية⁽¹⁰⁵⁾. ومن المقرر أن تقرير الخبير لا يعدو أن يكون دليلاً من أدلة الدعوى، فهو يخضع لتقدير المحكمة، فلها أن تأخذ به إذا اطمانت إليه، ولها أن تطرحه إذا لم تطمئن إليه⁽¹⁰⁶⁾، فالمحكمة هي الخبير الأعلى في كل ما تستطيع هي أن تفصل فيه بنسها، مادامت المسألة المطروحة ليست من المسائل الفنية البحتة، التي لا تستطيع المحكمة بنسها أن تشق طريقها لإبداء الرأي فيها، وذلك استناداً إلى مبدأ حرية الاقتناع الذي نص عليه قانون الإجراءات الجنائية، فتقرير الخبير هو من جملة الأدلة المعروضة على المحكمة، خاضع للمناقشة والتمحيص، وعندما ترفض المحكمة الأخذ بخبرة تتعلق بأمر فني لا تستطيع تقديره بنفسها، فعليها أن تستند في هذا الرفض إلى خبرة فنية تنفي ما جاء في الخبرة الأولى، حتى يتسنى لها أن ترجح إحدى الخبرتين⁽¹⁰⁷⁾، واختيار الطبيب طريقة للعلاج دون أخرى، لا يمكن أن يؤدي إلى مسؤليته عن طريقة العلاج التي اتبعها، ما دامت هذه الطريقة صحيحة علمياً ومتبعة فعلاً في علاج المرضى، ومسؤولية الطبيب عن خطأ العلاج لا تقوم بصفة مطلقة على نوع العلاج الذي يختاره إلا إذا ثبت أنه في اختيار العلاج أظهر جهلاً بأصول العلم والضم الطبي⁽¹⁰⁸⁾، والمحكمة غير مرتبطة في قضائها بما يقرره الخبراء من أطباء وغير أطباء، بل لها تقدير أقوالهم والمفاضلة بين الدليل المستضاد منها وغيره من الأدلة الأخرى، القائمة في الدعوى وترجيح ما ترى ترجيحه منها⁽¹⁰⁹⁾، وقضى أيضاً "للمحكمة أن تأخذ من الأدلة بما تطمئن إليه، وتقرير الخبير إن هو إلا دليل من هذه الأدلة، فلا تثريب على المحكمة إذا هي اطرحت ما ورد في تقرير الخبير ما دامت لم تطمئن إليه للاعتبارات السانغة التي أوردتها في حكمها"⁽¹¹⁰⁾، والأصل أن لمحكمة الموضوع أن تجزم بما لم يجزم به الخبير في تقريره، متى كانت وقائع الدعوى قد أيدت ذلك عندها وأكدها لديها⁽¹¹¹⁾.

والله ولي التوفيق..

(105) نقض 12 فبراير سنة 1978 مجموعة أحكام النقض س 29 ص 150 رقم 26.

(106) د. عبد الرؤوف مهدي، شرح القواعد العامة للإجراءات الجنائية، المرجع السابق، ص 1561.

(107) مصطفى مجدي هرجه، التعليق على قانون العقوبات، طبعة نادي القضاة، 1993، ص 120.

(108) محكمة مصر الابتدائية جلسة 1944/10/3 م.

(109) الطعن رقم 405 لسنة 46 ق، جلسة 1929/3/7

(110) الطعن رقم 660 لسنة 25 ق — جلسة 1955/11/17 مكتب فني 6 صفحة رقم 1301

(111) الطعن رقم 1980 لسنة 36 ق — جلسة 1967/2/13 مكتب فني 18 صفحة رقم 189.

الخاتمة:

بعد أن انتهينا من عرض موضوع البحث يمكننا أن نورد العديد من النتائج التي تم التوصل إليها، ومن ثم نطرح بعض التوصيات على النحو التالي:

- النتائج:

1. الخطأ الطبي هو ذلك النشاط الذي يتفق بكيفيته وظروف مباشرته مع القواعد المقررة في علم الطب، ويتجه في ذاته، أي وفق المجرى العادي للأمور إلى شفاء المريض، والتزام الطبيب نحو المريض هو التزام ببذل عناية، وإن كانت هناك بعض الحالات يكون فيها التزام الطبيب التزاماً بتحقيق نتيجة.
2. الخطأ الطبي الجسيم هو قيام الطبيب ببذل العناية الواجبة عليه بصورة لا تصدر عن أقل الأطباء حرصاً وتبصراً، والخطأ العادي هو الخطأ الخارج عن مهنة الطب، أو الخطأ الذي لا شأن له بضمّن الطب في ذاته، أي الذي لا يخضع للخلافات الفنية، والخطأ الفني بوجه عام هو انحراف شخص ينتمي إلى مهنة معينة عن الأصول التي تحكم هذه المهنة.
3. المعيار الشخصي يقصد به إلزام الطبيب ببذل ما اعتاد على بذله من يقظة وتبصر، والمعيار الموضوعي هو المعيار الذي يقاس به الخطأ في الالتزام ببذل عناية هو معيار موضوعي مجرد يتمثل في القياس على سلوك الشخص العادي.
4. المسؤولية الطبية هي في الأصل مسئولية عقدية، والاستثناء أن تكون تقصيرية.
5. هناك استثناءات على هذا الأصل العام، تتمثل في الالتزام بتحقيق نتيجة وسلامة المريض، أهمها الجراحات التجميلية، نقل الدم، تركيب الأسنان والأعضاء الصناعية، التحاليل الطبية، واستعمال الأجهزة والأدوات الطبية.
6. يسأل الطبيب جنائياً عند تجاوزه الشروط الأساسية لمشروعية العمل الطبي، والجزاء التأديبي يتدرج على حسب جسامة خطأ الطبيب.

- التوصيات:

1. العمل على تحقيق التوازن بين حماية المريض مما قد يقع من الأطباء من أخطاء، وتقديم العناية الطبية للمرضى، مع توفير الحرية اللازمة للأطباء، من أجل قيامهم بواجبهم نحو مرضاهم في جو يمكنهم من أداء عملهم على أكمل وجه، من خلال حصر مسؤولية الطبيب على الأخطاء الطبية الجسيمة، مع ضمان حق المريض في سلامة جسده، وحصوله على الرعاية والعناية الطبية الكافية.
2. استحداث نيابات ومحاكم متخصصة في مجال المسؤولية الطبية.
3. العمل على زيادة الوعي الطبي لخريجي كليات الطب والتأكيد على أهمية وعواقب الخطأ الطبي.
4. العمل على تأهيل خريجي كليات الطب تأهيلاً مهنيّاً عالياً، من خلال الدورات الطبية، والإشراف عليها من قبل أساتذة لهم كثير من الخبرة والدراية؛ لتقليل الأخطاء الطبية مستقبلاً.
5. تطوير قانون المسؤولية الطبية الليبي رقم 7 لسنة 1986 في بعض نصوصه المتعلقة بالتطورات الطبية الحديثة، كتجريم الاستنساخ البشري وتغيير الجنس.
6. تدريس مادة قانون المسؤولية الطبية بكليات القانون، وكليات الطب البشري، والأسنان، والصيدلة، والعلوم الصحية لزيادة وعي الطلاب بخطورة الأخطاء الطبية، وما يترتب عليها من مسؤوليات جنائية، مهنية، وإدارية، ومدنية.

المراجع

أولاً: القرآن الكريم:

ثانياً: كتب الصحاح والسنة:

- صحيح البخاري، كتاب الديات، ج رقم 6878.

- مسلم في صحيحه: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، ج رقم 1676.

ثالثاً: المراجع العامة:

1. د. أحمد شوقي أبو خطوة، القانون الجنائي والطب الحديث، دار النهضة العربية، 1986 م.
2. د. أكرم نشأت إبراهيم، القواعد العامة في قانون العقوبات المقارن، المكتبة القانونية، الطبعة الأولى، بغداد، 1998م.
3. د. أمين مصطفى محمد، قانون العقوبات، القسم العام، دار النهضة العربية، 2009م.
4. د. رؤوف عبيد، مبادئ القسم العام من التشريع العقابي، الطبعة الرابع، دار الفكر العربي، 1979 م.
5. د. رؤوف عبيد، جرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال في قانون العقوبات المصري، الطبعة الخامسة، القاهرة، 1965م.
6. د. رؤوف عبيد، السببية الجنائية بين الفقه والقضاء، القاهرة، دار النهضة العربية، 1984م.
7. د. سليمان مرقص، الوافي في شرح القانون المدني، ج 1، ط، مكتبة مصر الجديدة، عام 1992م.
8. د. شريف الطباخ، جرائم الخطأ الطيب والتعويض عنها في ضوء الفقه والقضاء، الإسكندرية مصر، دار الفكر الجامعي، 1993م.
9. د. شعبان محمود محمد الهواري، أدلة الإثبات الجنائي، دار الفكر والقانون، المنصورة، طبعة 2013م.
10. د. عادل جبري محمد حبيب، المفهوم القانوني لرابطة السببية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، عام 2003 م.
11. د. عبد الرؤوف مهدي، شرح القواعد العامة للإجراءات الجنائية، مطابع روز اليوسف، 2008 م.
12. د. عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، الجزء الأول، دار النهضة العربية، الطبعة 2، عام 1964 م.
13. د. عبد الرزاق أحمد السنهوري، الوجيز في النظرية العامة للالتزام، الإسكندرية، منشأة المعارف، 2004 م.
14. د. عز الدين الديناصوري، وعبد الحميد الشواربي، المسؤولية الجنائية في قانون العقوبات والإجراءات الجنائية، الفنية للتجليد الفني، مصر، الإسكندرية 2002م.
15. د. عوض محمد، قانون العقوبات، القسم العام، الإسكندرية، دار المطبوعات الجديدة، 1998م.
16. د. فتحي عبد الرحيم عبد الله، شرح النظرية العامة للالتزام، الكتاب الأول، مصادر الالتزام، منشأة المعارف، الإسكندرية، عام 2001م.
17. د. فوزية عبد الستار، النظرية العامة للخطأ غير العمدية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1977م.
18. د. مأمون محمد سلامة، شرح قانون العقوبات القسم العام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1984 م.
19. مصطفى مجدي هرجه، التعليق على قانون العقوبات، طبعة نادي القضاة، 1993م.
20. د. محمد ذكي أبو عامر، د. سليمان عبد المنعم، قانون العقوبات الخاص، بيروت، لبنان، منشورات الحلبي الحقوقية، 2006 م.
21. د. محمد رمضان بارة، قانون العقوبات الليبي، القسم الخاص، ج1، جرائم الاعتداء على الأشخاص، 2010م، الشركة الخضراء للطباعة والنشر، عام 2010م.
22. د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات، القسم الخاص، دار النهضة العربية، مصر، 1988م.

رابعاً: المراجع المتخصصة.

1. أحمد حسن الحيارى، المسؤولية المدنية للطبيب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، عام 2007م .
2. د. أسامة قايد، المسؤولية الجنائية للأطباء، "دراسة مقارنة"، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990م.
3. د. إيمان محمد علي الجابري، المسؤولية القانونية عن الأخطاء الطبية، دار الجامعة الجديدة للنشر، مصر، 2011م.
4. د. جمعة أحمد أبو قصيصة، الأسس القانونية لمشروعية عمليات نقل وزراعة الأعضاء البشرية، دراسة تحليلية مقارنة، الوطنية لنشر وتوزيع الكتب والمطبوعات، طرابلس، الطبعة الأولى، عام 2013م.
5. د. حسام الدين الأحمد، المسؤولية الطبية في الجراحة التجميلية، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، 2011م.
6. حسام عبيس عودة، المسؤولية المدنية عن الأضرار التي يسببها الروبوت، "دراسة تحليلية مقارنة"، كلية الإمام الكاظم، المغرب، عام 2019م.
7. د. حميد السعدي، أ. عامر عبيد المشاي، المسؤولية الطبية من الوجهة الجنائية، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، عام 1996م.
8. د. سمير عبد السميح الأودن، مسؤولية الطبيب الجراح وطبيب التخدير ومساعديهم "مدنياً- جنائياً- وادارياً" منشأة المعارف، الإسكندرية، عام 2004م.
9. د. السيد عتيق، القتل بدافع الشفقة، دار النهضة العربية، القاهرة، 2010م.
10. د. عاطف النقيب، المسؤولية المدنية عن الأخطاء المهنية: الطبيب، المهندس المعماري والمقاول، المحامي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، عام 1992م.
11. عبد الحميد الشواربي، مسؤولية الأطباء والصيدالة والمستشفيات المدنية والجنائية والتأديبية، الطبعة الأولى، منشأة المعارف، مصر (الإسكندرية)، عام 1998م.
12. د. عبد الرشيد مأمون، عقد العلاج بين النظرية والتطبيق، دار النهضة العربية، عام 1986م.
13. د. علي عصام غصن، الخطأ الطبي، مكتبة زين الحقوقية والأدبية، بيروت، عام 2006م.
14. د. محسن عبد الحميد البيه، خطأ الطبيب الموجب للمسؤولية المدنية، مطبوعات جامعة الكويت، عام 1993م.
15. د. محمد أسامة عبد الله قايد، المسؤولية الجنائية للأطباء، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، مصر، بدون سنة طبع.
16. د. محمد حسنين منصور، المسؤولية الطبية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2006م
17. د. محمد سامي الشوا، الخطأ الطبي أمام القضاء الجنائي، دراسة مقارنه في القضائين المصري والفرنسي، دار النهضة العربية، 2003م.
18. د. محمد عبد الظاهر حسين، مشكلات المسؤولية المدنية في مجال عمليات نقل الدم، دار النهضة العربية، 1995م.
19. د. محمد عيد الغريب، التجارب الطبية والعلمية وحرمة الكيان الجسدي للإنسان، بدون دار نشر، الطبعة الأولى، 1989م.
20. د. محمود محمود مصطفى، مسؤولية الأطباء والجراحين الجنائية، عمان، الأردن، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عام 1998م.
21. د. محمود نجيب حسني، أسباب الإباحة في التشريعات العربية، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية، عام 1998م.
22. مفتاح مصباح بشير الغزالي، المسؤولية الجنائية للأطباء عن التجارب الطبية والعلمية، المكتب الوطني للبحث والتطوير، بنغازي، عام 2005م.
23. د. منذر الفضل، المسؤولية الطبية "دراسة مقارنة"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، عام 2012م.

24. د. هشام عبد الحميد فرج، الأخطاء الطبية، منشأة المعارف، الإسكندرية عام 2007م.
25. د. هدى حامد قشقوش، القتل بدافع الشفقة، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2، 2008م.
26. د. وفاء حلمي ابو جميل، الخطأ الطبي، دراسة تحليلية فقهية وقضائية في كل من مصر وفرنسا، دار النهضة العربية، القاهرة، عام 1987 م.

خامساً: رسائل الماجستير والدكتوراه:

1. د. عادل حمزة شيبه منصور، مسؤولية الشخص الاعتباري التقصيرية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، عام 1994م.
2. د. محمد عادل عبد الرحمن، أسباب الإباحة في القانون للأطباء، رسالة دكتوراه- جامعة القاهرة، عام 1985.
3. د. مصباح عبد الله عبد القادر أحواس، أساس وطرق التعويض عن الأضرار البيئية، رسالة دكتوراه، دراسة مقارنة، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، عام 2011 م.

سادساً: الدوريات والمؤتمرات:

1. د. جمعة أحمد أبو قصيصة، القتل بدافع الشفقة في ميزان الشرع والقوانين الوضعية، مجلة أبحاث، كلية القانون، جامعة سرت، عدد مارس، عام 2008 م.
2. د. غنام محمد غنام، " دور البصمة الوراثية D.N.A في الإثبات"، بحث مقدم إلى مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون الذي عقد بكلية الشريعة والقانون بجامعة الإمارات العربية المتحدة من 5 - 7 مايو سنة 2002 م.
3. د. موسى مسعود رحومة "رحمة الله عليه"، مسؤولية الطبيب الجنائية الناشئة عن خطأه في العلاج في القانون الليبي والمقارن، بحث ضمن أعمال الندوة الأولى حول المسؤولية الطبية في القانون الليبي لجامعة العرب الطبية، بنغازي، ليبيا، الفترة من 22، 23 / 5 / 1991 م.

سابعاً: القوانين والتشريعات:

1. قانون تنظيم مزاولة المهنة الطبية في سوريا رقم (12) لسنة 1970.
2. قانون الصحة العامة الأردني رقم (21) لسنة 1971.
3. القانون الليبي رقم (17) لسنة 1986 م بشأن المسؤولية الطبية.
4. القانون الليبي رقم (60) الصادر بتاريخ 20 / 5 / 1957 بشأن مزاولة مهنة الطب.
5. القانون المصري رقم (415) لسنة 1954 الصادر بتاريخ 22 / 7 / 1954 بشأن مزاولة مهنة الطب.
6. قانون نقابة الأطباء العراقيين رقم (81) لسنة 1984.
7. اللائحة التنفيذية للقانون الصحي الصادر بموجب قرار 654 لسنة 1975 م.

ثامناً: أحكام المحاكم:

1. أحكام المحكمة العليا.
2. مجموعة أحكام النقض المصرية.
3. المحكمة الإدارية العليا.

تاسعاً: مواقع الإنترنت:

1. فارس حامد عبد الكريم، الخطأ والضرر والرابطة السببية في المسؤولية عن الفعل الشخصي كأساس لتقدير التعويض، منشور على شبكة الإنترنت على الرابط التالي : تاريخ الدخول 2022/11/25 الساعة: 9:03 .

السب والقذف عبر الوسائط الإلكترونية (دراسة مقارنة)

إعداد:

د. حمزة حامد عبد الواحد

رئيس قسم الجنائي - كلية القانون - جامعة طبرق

القبول: 2023/5/15

الاستلام: 2023/4/14

○

○

المستخلص:

نتيجة التطور الهائل في مجال تقنية المعلومات وسرعة الاتصال والتواصل بين الناس، وبالرغم مما يحمله من مزايا جمة؛ إلا أنه لم يقتصر على الاستخدام السليم والمفيد، هذا التطور التقني الكبير إذ لا يمكن اليوم إنكار مساوئ وسائط التواصل الاجتماعي من حيث ارتكاب الجرائم على الأصدء كافة، ومنها جريمة القذف والسب عبر الوسائط الإلكترونية بل وتعد أشهرها، وقد خلقت هذه الوسائط الإلكترونية طبقةً جديدةً من المجرمين يسمى مجرمي المعلومات، وهم غالباً من فئة صغار السن أو الشباب، ونتيجةً لحداثة السن مع وجود هذه التقنية الحديثة خلق جيل مشوه في بعض الأحيان إذ وجب على السلطات الأمنية والشرطية وضع ضوابط وقوانين تحمي هؤلاء الشباب من أنفسهم أولاً، ثم تحمي المجتمع من جرائمهم ثانياً، وهذا ما سنتطرق إليه خلال هذا البحث حيث سنتناول موضوع جريمتي السب والقذف عبر الوسائط الإلكترونية.

الكلمات المفتاحية: فعل - الإسناد - جريمة - الإلكترونية

Summary:

As a result of the tremendous development in the field of information technology and the speed of communication and communication between people, and despite its many advantages; However, it was not limited to the proper and useful use, this great technical development, as today it is not possible to deny the disadvantages of social media in terms of committing crimes at all levels, including the crimes of slander and insult through electronic media, but it is considered the most famous, and these electronic media have left a new spectrum of criminals They are called information criminals, and they are often young or young, and as a result of their young age with the presence of this modern technology, a distorted generation is sometimes created, as the security and police authorities must establish regulations and laws that protect these young people from themselves first, and then protect society from their crimes secondly. This is what we will address during this research, where we will address the topic of the crimes of insult and slander through electronic media.

Keywords: action - attribution - crime - electronic

المقدمة:

حرص القانون على حماية الأفراد سواء من الناحية الجسدية المتمثلة في حق الحياة وعدم المساس بها، ولذلك في تجريم جريمة القتل وإزهاق روح الإنسان، وينسحب القول أيضاً على عدم المساس بجسد الإنسان في تجريم الضرب والإيذاء الجسدي بعقوبات جنائية رادعة.

ونلاحظ أيضاً الحماية التي يقرها القانون الجنائي في عدم المساس بالشرف وذلك في تجريم القذف والسب والتشهير على اعتبار حماية كرامة الإنسان وشرفه والمساس بهما يشكل جريمة يعاقب عليها القانون.

ونتيجة التطور الهائل في مجال تقنية المعلومات وسرعة الاتصال والتواصل بين الناس، وبالرغم مما يجمله من مزايا جمة؛ إلا أنه لم يقتصر على الاستخدام السليم والمفيد، هذا التطور التقني الكبير إذ لا يمكن اليوم إنكار مساوئ وسائل التواصل الاجتماعي من حيث ارتكاب الجرائم على كافة الأصعدة، ومنها جريمة القذف والسب عبر الوسائط الإلكترونية بل وتعد أشهرها، وقد خلفت هذه الوسائط الإلكترونية طيفاً جديداً من المجرمين يسمى مجرمي المعلومات، وهم غالباً من فئة صغار السن أو الشباب، ونتيجة لحدثة السن مع وجود هذه التقنية الحديثة خلق جيل مشوه في بعض الأحيان إذ وجب على السلطات الأمنية والشرطية وضع ضوابط وقوانين تحمي هؤلاء الشباب من أنفسهم أولاً، ثم تحمي المجتمع من جرائمهم ثانياً، وهذا ما سنتطرق إليه خلال هذا البحث حيث سنتناول موضوع جريمتي السب والقذف عبر الوسائط الإلكترونية.

إشكالية البحث:

من أهم إشكاليات هذا البحث هو صعوبة اكتشاف الجاني والقدرة على محو الأدلة وهذا يؤثر العديد من الصعوبات في الجانب... من إثبات الأدلة وموضوع لإسناد الفعل إلى الجاني نفسه أولاً وثبوت هويته ثانياً، وصعوبة تطبيق القوانين التقليدية على مثل هذه الجرائم، مما يزيد إشكالية هذا البحث مدى توافق القانون الليبي والمقارن مع التطور الذي حدث في مجال تقنية المعلومات عبر الوسائط الإلكترونية وجرى تحديث القوانين لمواكبة عصر المعلومات الرقمية لتحقيق العدالة الجنائية وعدم إفلات الجاني من العقاب.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في التعرف على جريمتي القذف والسب عبر الوسائط الإلكترونية وتوضيح الفرق بين جريمتي السب والقذف التقليدية وجريمتي السب والقذف عبر الوسائط الإلكترونية، وتطرق القانون الليبي ومدى مواكبة التطور التقني المعلوماتي في التجريم والعقاب وتوضيح ما يشوبه من قصور.

الدراسات السابقة:

1- دراسة: إسلام عبد الله محمد عباس (2010): بعنوان: «أمن المعلومات على شبكة الانترنت واستخدام طريقة حقن لغة الاستعلام الهيكلية في اختراق قواعد بيانات المواقع الإلكترونية».

هدفت الدراسة إلى إبراز خطورة الهجمات على المواقع في الشبكة العنكبوتية وبخاصة المنفذة بواسطة لغة (SQL)، ومن ضمن ما هدفت إليه الدراسة هو: تصميم برنامج لاختراق المواقع الإلكترونية والتي تعتمد على دوال تصفية البيانات، والوقوف على المخاطر التي تهدد أمن البيانات وكيفية التعامل معها، ومن ثم دراسة الأساليب المستخدمة في عمليات الاختراق والمراحل التي تمر بها، وفي الأخير مناقشة النماذج الأمنية المستخدمة في أمن المعلومات، وقد اتبعت الدراسة المنهج الاستنباطي والتاريخي في الدراسة.

2- دراسة: جواهر علي الأميري (2010)، بعنوان: (جريمة القذف والسب عبر وسائل تقنية المعلومات)

تناول البحث جريمة القذف والسب عبر وسائل تقنية المعلومات وتكمن أهمية البحث في ضرورة الإلمام بالقوانين والأحكام المتعلقة بجريمة القذف والسب وما يستجد من أحكام في هذا الشأن لأنها تعد من الجرائم الأكثر انتشاراً في الوقت الحالي لسهولة ارتكابها وصعوبة اثباتها في كثير من الأحيان.

المطلب الأول: تعريف السب والقذف الإلكتروني.

الفرع الأول: تعريف القذف والسب:

أولاً: تعريف القذف:

جاء في معجم مقاييس اللغة: القاف والذال والفاء: أصل يدل على الرمي والطرح، يُقال: قذف قذفاً إذا رمى به⁽¹⁾.

القذف الرمي بالسهم والحصى والكلام وكل شيء مما يضر ويؤذي، وقذف المحصنة يقذفها رماها بالزنا، فاصل القذف: الرمي، ثم استعمل في السب والرمي بالزنا أو بما معناه حتى غلب عليه⁽²⁾.

وعرف الفقه القذف: القذف الذي الإسناد فيه العقاب قانوناً هو ما يتضمن إسناد فعل يُعد جريمة يقرر لها القانون عقوبة جنائية⁽³⁾.

وعرف البعض القذف بأنه: «هو إسناد واقعة محددة تستوجب العقاب من انتسب إليه أو احتقاره إسناداً علنياً عمدياً⁽⁴⁾».

وتجدر الإشارة إلى أن المشرع الليبي قد عرف القذف في القانون رقم (52) لسنة 1974هـ- 1394م في شأن إقامة حد القذف في المادة الأولى بقولها: «القذف هو رمي بالزنا ونفي النسب بأية وسيلة كانت وفي حضور المُقذف أو غيبته وفي علانية أو بدونها».

وينسحب القول على المشرع المصري في نص المادة (302) عقوبات مصري: «يُعد قذفاً كل من أسند لغيره بواسطة إحدى الطرق المبينة بالمادة (171)».

ثانياً: تعريف السب:

السب لغة: هو الشتم والتهكم في عرض الإنسان بما يعيبه، وهو مصدر سبه يسبه سباً، أي: شتمه، وقد ورد النهي عن السب، في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)⁽⁵⁾.

وكذلك قوله تعالى: (وَمَنْ يَكْسِبْ حَظِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)⁽⁶⁾.

وأيضاً في قوله تعالى في سورة التور الآية 23: (إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)⁽⁷⁾.

(1) أبي الحسن أحمد فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة-ج5، ص68، مادة: قذف.

(2) خالد حسن أحمد لطفي، المسؤولية عن جريمة القذف والسب عبر الوسائط الإلكترونية، دار الفكر الجامعي، ط1، 2020، ص 35.

(3) محمود محمود مصطفى، شرح قانون العقوبات، مطبعة الجامعة، القاهرة، 1984م، ص8.

(4) محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات، ... الخامس، 2016م، دار النهضة العربية، ص614.

(5) سورة الأحزاب، الآية: 58.

(6) سورة النساء، الآية: 112.

(7) سورة النور، الآية: 23.

أولاً: تعريف السب لغوياً: يعرف السب بأنه الشتم سواء بإطلاق اللفظ الصريح الدال عليه أو باستعمال المعارض التي تؤدي إليه⁽⁸⁾، أي إن السب هو إصاق عيب أو تعبير يحط من قدر الشخص خدشاً لسمعته أو إهانة له⁽⁹⁾.

ثانياً: اصطلاحاً: الشتم هو كل كلام قبيح وحينئذ فالقذف والاستخفاف بحقه وإحاق النقص بل؛ كل ذلك داخل في السب⁽¹⁰⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن المشرع الليبي قد عرّف السب في نص المادة (438) من قانون العقوبات بأنه: «كل خدش شرف شخص أو اعتباره في حضوره يعاقب بالحبس لمدة لا تزيد عن ستة أشهر أو بغرامة لا تزيد عن 25 دينار».

وعرّف بعض الفقه السب بأنه: «تعبير عن أي معنى شائن لا ينطوي على تحديد لواقعة معينة»⁽¹¹⁾.

وعرفه أيضاً بأنه: «خدش شرف شخص أو اعتباره عمداً من دون أن يتضمن ذلك إسناد واقعة إليه»⁽¹²⁾.

في حين ذهب رأي آخر إلى القول بأن: «السب هو كل تعبير يحط من قدر الشخص فيخدش شرفه واعتباره من دون إسناد واقعة معينة شائنة إليه»⁽¹³⁾.

وفي تعريف آخر بأنه: «خدش شرف شخص واعتباره عمداً دون أن يتضمن ذلك إسناد واقعة معينة إليه، سواء أسند المتهم إلى المجني عليه عيباً معيناً يخدش شرفه أو اعتباره»⁽¹⁴⁾.

ومن أمثلة ذلك كأن يصفه بالسارق ولص أو نصاب أو مرتشي، أو وصفه بأوصاف عامة خادشة مثلاً أنه من غير أخلاق أو سيء الخلق أو أنه إنسان شرير.

ومن جملة السب أيضاً يقوم الفعل الإجرامي المكون لواقعة السب بالتعابير التي تحط من شأن المسبوب كوصفه ضمناً بالكلب أو الحيوان، ويستوي في هذه العبارات أن تكون صريحة أو ضمنية، كأن يقول المتهم عن المجني عليه أن يده طويلة والمقصود بها أنه سارق أو أنه يعمل على الشمال أي إن رزقه من النصب والحرام، وغيرها من الألفاظ وغيرها من الألفاظ الدالة على الحط من قدر المجني عليه وخدش شرفه.

وتجدر الإشارة إلى أن محكمة النقض المصرية عرفت السب بأنه: «المراد بالسب في أصل اللغة الشتم سواء بإطلاق اللفظ الدال على ذلك، أو باستعمال المعارض التي تومئ إليه، وهو المعنى الملحوظ في اصطلاح القانون الذي عد السب كل إصاق لعيب أو تعبير يحط من قدر الشخص نفسه أو يخدش سمعته عن غيره»⁽¹⁵⁾.

وقد عرف المشرع المصري في المادة (206) من قانون العقوبات السب بأنه: «كل سب لا يشتمل على إسناد واقعة معينة بل يتضمن بأي وجه من الوجوه خدشاً للشرف أو الاعتبار يعاقب عليه في الأحوال المبينة بالمادة (17) بغرامة لا تقل عن ألفي جنية ولا

(8) فوزية عبد الستار، شرح قانون العقوبات الخاص، دار النهضة العربية، 2019، ص 590.

(9) مجدي سعد هلال، جنحة القذف، دراسة علمية للجريمة طبقاً لما استقرت عليه أحكام النقض حتى سنة 2001، منشورات القانونية، 2004، ص 40.

(10) حاشية الدسوقي، للدسوقي، ج 4، ص 309.

(11) محمود نجيب حسني، مرجع سابق، ص 697.

(12) فوزية عبد الستار، مرجع سابق، ص 592.

(13) عمر سعيد رمضان، شرح قانون العقوبات العام، طبعة 2000، ص 385.

(14) محمود نجيب حسين، مرجع سابق، ص 698.

(15) محمد سمير، كتاب جرائم الصحافة والنشر، نادي القضاة، ص 282، طعن رقم 2488 لسنة 66 جلسة

بتاريخ 2004/3/20

تزيد على عشرة آلاف جنية.

ثالثاً: تعريف جريمة القذف والسب عبر شبكة الانترنت:

هي: إسناد علني عمدي لواقعة محددة تستوجب عقاب أو احتقار من أسند إليه⁽¹⁶⁾، وعلى ذلك فإن جريمة القذف عن طريق الانترنت هي جريمة يلزم وصفها طبيعة فعل النشر وهي تبدأ وتنتهي بارتكاب هذا الفعل ومن ثم فهي جريمة وقتية⁽¹⁷⁾.

الفرع الثاني: خصائص الجرائم الإلكترونية:

تتميز الجرائم الإلكترونية بخصائص تختلف إلى حد ما عن الجريمة العادية، ويمكن توضيح خصائص هذه الجرائم الإلكترونية كما يلي⁽¹⁸⁾:

1- جرائم ناعمة ومغرية للمجرمين:

إذا كانت الجريمة بصورتها التقليدية تحتاج في الأغلب إلى مجهود عضلي من نوع ما كجرائم القتل، السرقة، الاغتصاب، فإن الجريمة الإلكترونية على العكس لا تحتاج إلى أدنى مجهود عضلي، بل تعتمد على الدراية الذهنية والتفكير العلمي المدروس القائم على معرفة بتقنيات الحاسب الآلي، ولذا كان الشرط الأساس في المجرم توافر العلم الكافي بكيفية عمل الحاسب الآلي وآلية تشغيله، بالإضافة إلى الإحاطة ببعض البرامج التشغيلية هذا فيما يخص نعومة هذه الجرائم.

2- جرائم عابرة للدولة:

يطلق تعبير «جرائم عابرة للدول أو جرائم غير وطنية على تلك الجرائم التي تقع بين أكثر من دولة، بمعنى أنها لا تعترف بالحدود الجغرافية للدول كجرائم تبييض الاموال، والمخدرات وغيرها.

وفي عصر الحاسب الآلي، ومع انتشار شبكة الاتصالات العالمية (الانترنت)، أمكن ربط أعداد هائلة لا حصر لها من الحواسيب عبر العالم بهذه الشبكة بحيث يغدو أمر التنقل والاتصال فيما بينها أمراً سهلاً، طالما حدد عنوان المراسل إليه، أو أمكن معرفة كلمة السر.

3- سرعة التنفيذ:

من خصائص الجريمة الإلكترونية سرعة التنفيذ، بحيث يمكن تنفيذها خلال جزء من الثانية وبصورة خفية لا يلاحظها المجني عليه، كما أنها تتم في بيئة خاصة هي بيئة المعالجة الآلية للبيانات، وتتميز بخطورتها المتناهية على الأفراد والحكومات والشركات، وهذا يهدد الأمن السياسي والأمن الاقتصادي للدول.⁽¹⁹⁾

4- صعوبة اكتشاف الجريمة:

تتميز الجريمة الإلكترونية بصعوبة اكتشافها، وإذا اكتشفت فإن ذلك يكون بمحض الصدفة عادة، حيث يبدو من الواضح أن عدد الحالات التي تم فيها اكتشاف هذه الجرائم قليلة إذا قورنت بما يتم اكتشافه من الجرائم التقليدية، ويمكن رد الأسباب التي تقف وراء الصعوبة في اكتشاف الجريمة الإلكترونية إلى عدم ترك هذه الجريمة لأي أثر خارجي بصورة مرئية.

5- صعوبة إثبات الجريمة الإلكترونية:

يُعد الإثبات من أهم التحديات التي تواجه الأجهزة الأمنية، ويزداد الإثبات صعوبة

(16) حسنين إبراهيم عبید، الجرائم الدولية، دار النهضة العربية، ط1، 1979، ص153.

(17) مصطفى محمد مصطفى، التحقيق في الجرائم الإلكترونية، ط1، 2009، ص430.

(18) <https://www.sharjah.ac.ae> تاريخ الزيارة 2023/5/5. الساعة 10 صباحاً.

(19) <https://www.ajrsp.com> تاريخ الزيارة 2023/5/5. الساعة 12 ظهراً.

في الجريمة الإلكترونية، حيث إن اكتشاف الجريمة الإلكترونية أمر ليس بالسهل، ولكن حتى في حال اكتشاف وقوع هذه الجريمة والإبلاغ عنها فإن إثباتها أمر يحيط به كثير من الصعاب.

فالجريمة الإلكترونية تتم في بيئة غير تقليدية، حيث تقع خارج إطار الواقع المادي الملموس، لتقوم أركانها في بيئة الحاسوب والانترنت، ما يجعل الأمور تزداد تعقيداً لدى سلطات الأمن وأجهزة التحقيق والملاحقة، ففي هذه البيئة تكون البيانات والمعلومات عبارة عن نبضات إلكترونية غير مرئية تنساب عبر البرامج المعلوماتية، ما يجعل أمر محو الدليل كلياً من قبل الفاعل أمر غير مستحيل.⁽²⁰⁾

المطلب الثاني: الركن المعنوي لجريمتي القذف والسب بالوسائل الإلكترونية.

الركن المعنوي بصفة عامة هو الجانب الذاتي الخاص بالجريمة مباشرة، وهو بمثابة التعبير العميق للصلة ما بين النشاط الذهني الذي يمارسه الفاعل والنشاط المادي الذي أتى به، وعليه لن يكتمل الوجود القانوني للجريمة إلا باقتران ركنها المادي بقرينة المعنوي الذي قوامه الإرادة المجرمة والتي تتجه نحو الفعل الإجرامي، وبالتالي تحقيق النتيجة الإجرامية.

وهذه الإرادة تتخذ صورة القصد الجنائي... وهي التي تتجسد في الجرائم العمدية مثل القتل مع سبق الإصرار والترصد.

ويقصد بالقصد الجنائي تعمد إتيان الفعل المجرم أو تركه مع العلم بأن الشارع يحرم الفعل أو يوجبه.

عناصر القصد الجنائي لجريمتي القذف والسب بالوسائل الإلكترونية⁽²¹⁾:

- العلم.
- الإرادة.

الفرع الأول: العلم:

تفترض جريمتنا القذف والسب بالوسائل الإلكترونية أن تكون الواقعة المسندة إلى المجني عليه قائمة على أنها تستوجب عقابه أو أنها تستوجب احتقاره عند أهل وطنه، أو عند الوسط الذي يعيش فيه⁽²²⁾.

وهذا يدفعنا إلى تناول العلم بواقعة جريمتي القذف والسب بالوسائل الإلكترونية، والعلم بعلائية الأسناد، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: علم الجاني بمعنى العبارات المسندة إلى المجني عليه:

يجب أن يكون الجاني على علم بمعنى العبارات المتضمنة للسب والقذف التي تؤدي إلى خدش شرف المجني عليه واعتباره، ويكون هذا العلم مفترضاً طالما أن العبارات تخدش شرف المجني عليه، ويجب هنا على المتهم أن يثبت عكس ذلك إذ يستطيع المتهم أن ينفي القصد الجنائي إذا أثبت أنه كان يجهل معنى الكلمات التي وجهها إلى المجني عليه متضمنة عبارات السب، أما في حالة أن العبارات كانت لا تخدش شرف أو اعتبار المجني عليه، فيجب على المجني عليه أن يثبت أن المتهم كان يقصد بهذه العبارات النيل من شرفه واعتباره⁽²³⁾.

(20) <https://www.iasj.net> تاريخ الزيارة 2023/5/6. الساعة 11 صباحاً.

(21) محمد حميد المزمومي، مرجع سابق، ص 445.

(22) محمود نجيب حسني، مرجع سابق، ص 566.

(23) خالد موسى التوني، مرجع سابق، ص 439.

ثانياً: علم الجاني بالعلانية:

لا يكفي علم الجاني بجريمته القذف والسب بالوسائل الإلكترونية، بل يجب أن يمتد إلى علم الجاني بأن إسناده لهذه الواقعة يتم بطريق العلانية.

فالعلانية الإسناد هي إرادة الفعل الإجرامي وهي وفقاً للقواعد العامة أحد عناصر القصد الجنائي، فيفترض هذا العنصر أن إرادة المتهم قد اتجهت إلى إسناد واقعة أو لصاق وصف قذف أو سب بوسيلة إلكترونية⁽²⁴⁾.

ومثال على ذلك لو قام شخص بإرسال رسالة إلى آخر عبر تطبيق من تطبيقات وسائل التواصل الاجتماعي مثل واتس أب، وكان ضمن مجموعة من الأفراد أو ما يسمى بالجروب، وكان هذا الشخص من ضمن هذه المجموعة ففي هذه الحالة يسأل الشخص المرسل عن جريمة سب وقذف بالوسائل الإلكترونية، لأنها وقعت بوسيلة إلكترونية هدفها التشهير بالغير والمساس بسمعة الشخص الآخر واعتباره أمام الغير .

ويقع على سلطة الاتهام عبء إثبات العلانية كما يقع عليها عبء إثبات القصد الجنائي. وللقاضي حرية تقدير وجود هذا القصد أو انتهاؤه بناء على ما طرح عليه من وقائع ظروف الدعوى ويجب أن يبين وجود القصد الجنائي أو انتفاؤه وتوضيحه في حكمه⁽²⁵⁾.

وفي حكم لمحكمة النقض فقد قضت: « من المقرر أن استظهار القصد الجنائي في جريمته القذف والسب علناً من اختصاص محكمة الموضوع تستخلصه من وقائع الدعوى وظروفها دون معقب عليها مادام موجب هذه الوقائع والظروف لا يتنافر عقلاً مع هذه الاستنتاج وكان القانون لا يتطلب في جريمة القذف قصداً خاصاً بل يكفي القصد العام الذي يتحقق متى نشر القاذف الأمور المتضمنة للقذف وهو عالم أنها لو كانت صادقة لأوجب عقاب المقذوف أو احتقاره وهذا العلم مفترض إذا كانت العبارات موضوع القذف كما هو الحال في الدعوى شائنة بذاتها ومقنعة ومتى تحقق القصد الجنائي في جرائم القذف والسب فلا محل للخص في مسألة النية أو صحة وقائع القذف إلا في صورة ما يكون الطعن موجهاً إلى موظف أو من في حكمه، ففي هذه الصورة إذا أفلح المتهم في إقناع المحكمة بسلامة نيته في الطعن بأن كان يبغى به الدفاع عن مصلحة عامة، واستطاع مع ذلك أن يثبت حقيقة كل فعل أسنده إلى المجني عليه، فلا عقاب عليه برغم ثبوت سوء القصد، أما إذا تبين أن قصده من الطعن إنما هو مجرد التشهير والتجريح فالعقاب واجب ولو كان في استطاعته أن يثبت حقيقة كل فعل أسنده إلى المجني عليه وإذا كان البين من الحكم المطعون فيه أن الطاعن لم يضلح في إقناع المحكمة بسلامة نيته في الطعن ولم يستطع التدليل على حقيقة الوقائع التي أسندها إلى المجني عليه، فإن معناه في هذا الشأن لا يكون له محل⁽²⁶⁾.

الفرع الثاني: الإرادة:

لا يكفي أن تتجه إرادة الجاني من فعل الإسناد إلى إسناده للجاني وإعلانه (أي علانيته للناس) بل لا بد أن يكون بكامل إرادته وحرية السليمة خالية من أي عيب⁽²⁷⁾.

أولاً: اتجاه إرادة الجاني لإسناد واقعة القذف والسب بالوسائل الإلكترونية:

حتى يتوافر القصد الجنائي لدى الجاني لا بد أن تتجه إرادته إلى إسناد القذف والسب

(24) محمود نجيب حسني، مرجع سابق، ص 566.

(25) محمد محي الدين عوض، العلانية في قانون العقوبات — دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، مطبعة النصر، 1955، ص 493.

(26) الطعن رقم 84686 لسنة 75 جلسة 2012/10/10 س 63.

(27) محمد صبحي نجم، الجرائم الواقعة على الأشخاص، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1994، ص 170.

بالوسائط الإلكترونية على كافة الناس.

ويفترض في هذه الحالة أن يكون الجاني قد وجه عبارات القذف والسب بالوسائط الإلكترونية بإرادته الحرة دون إكراه أو تهديد، واتجهت إرادته إلى المساس بسمعة المجني عليه وشرفه وجعله محل ازدراء بين الناس⁽²⁸⁾.

وينتفي القصد الجنائي في حالتين:

الحالة الأولى: كان الجاني مكرهاً على قول وكتابة هذه العبارات عبر الوسائل الإلكترونية.

الحالة الثانية: إذا كان الجاني قد وجه هذه العبارات إلى المجني عليه بسبب ثورة نفسية ولم يقصد المعنى المستخلص منها⁽²⁹⁾.

ثانياً: اتجاه إرادة الجاني إلى علانية واقعة القذف والسب بالوسائط الإلكترونية:

لا يكفي للإدانة في جريمتي القذف والسب بالوسائط الإلكترونية القذف بعلانية العبارات، بل تطلب توافر «قصد العلانية».

وهذا القصد لا يكفي لثبوته العلم بالعلانية، بل يجب أن تتوافر إرادة العلانية، ولا ينقض هذا القول أن هذه الإدانة تفترض في حال ثبت العلم بالعلانية، بل أنها تفترض إذا ثبتت العلانية ذاتها، ذلك بأن هذا الافتراض مجرد قاعدة إجرائية⁽³⁰⁾.

وفي كل الأحوال فقاضي الموضوع هو الذي يستخلص توافر القصد الجنائي في الوقائع المعروضة أمامه من عدمها⁽³¹⁾.

وأخيراً.. فإذا توافرت عناصر القصد الجنائي يتحقق الركن المعنوي للجريمة مهما كان الباعث في القصد الجنائي، والجريمة تقوم حتى لو كان الباعث على ذلك هو استقزاز المجني عليه واحتقاره.

وفي هذا قضت محكمة النقض المصرية بأنه: «إذا كان المتهم قد شكأ أحد زملائه إلى مجلس إدارة الشركة وكتب على غلاف الشكوى «سري وشخصي» ثم أمام المحكمة تمسك بأنه ما كان يقصد إذاعة ما حوته الشكوى من العبارات التي عدتها المحكمة قذفاً في المشكو بدلالة ما كتبه على غلافها، ولكن المحكمة أدانتته في جريمة القذف علناً دون أن تتحدث عما تمسك به دفاعه، فإنها تكون قد قصرت في بيان الأسباب التي بنت عليها حكمها⁽³²⁾.

فسواء كان الباعث شريفاً أو دنيئاً فإنه لا يؤثر على قيام الجريمة، فمن الممكن أن يكون الباعث على عبارات القذف هو الانتقام من المجني عليه بالنيل من شرفه أو اعتباره أو تنبيهه الناس على عدم صدقه أو أمانته.

المطلب الثالث: موقف القانون المقارن من جريمتي القذف والسب عبر الانترنت.

إن علة التجريم لجريمتي القذف والسب تتمثل في الاعتداء الواقع على شرف المجني عليه واعتباره، بالإضافة إلى ما قد ينطوي عليه من إيلا م لنفسه وأضرار مادية ومعنوية له وما يحتمل أن يفضي إليه من تبال بينه وبين مرتكب السب، لذا سوف نتناول في هذا المطلب بيان موقف كل من المشرع الفرنسي والأمريكي من جريمتي القذف والسب، ثم بعد ذلك لموقف التشريع العراقي، وذلك على مدى ثلاثة فروع.

(28) محمد حميد المرمومي، مرجع سابق، ص 451.

(29) محمود نجيب حسني، مرجع سابق، ص 567.

(30) محمود نجيب حسني، مرجع سابق، ص 568.

(31) خالد موسى التوني، مرجع سابق، ص 477.

(32) نقض 1941/12/1، مجموعة القواعد القانونية، ج 5، رقم 214، ص 519.

الفرع الأول: موقف المشرع الفرنسي والأميركي من جريمتي القذف والسب عبر الانترنت. أولاً: موقف المشرع الفرنسي:

لقد جرم المشرع الفرنسي جرائم القذف والسب العلني بنصوص خاصة في القانون الصادر في (1818/7/29) بشأن حرية الصحافة⁽³³⁾، ووفقاً لنص المادة (29) من القانون المذكور عرف القذف بأنه ((كل إدعاء أو اتهام بضعف يجعل عدوان على سمعة أو اعتبار لشخص ما أو لمجموعة ينسب إليها الفعل))⁽³⁴⁾، هذا وتستوجب المادة (29) السالفة الذكر تقيام جريمتي القذف والسب بتوافر صفة العلانية، وفي حالة تخلف ركن العلانية، فإن السلوك المؤثر الماس بشرف واعتبار الغير لا ينسب عنه التجريم، ولكن ينحصر الأثر المترتب على ذلك في تغير التكييف القانوني من جنحة إلى مخالفة كما هو الحال في مخالفة السب غير العلني الواردة في المادة (9/287) مخالفات أو المادة (1/621) — (2/621) مخالفات من قانون العقوبات الفرنسي⁽³⁵⁾، كما أنه بالرجوع لنص المادة (23) من القانون السالف الذكر، من هذا يتبين لنا أن المشرع الفرنسي أورد وسائل العلانية، إذ نصت المادة المذكورة على العلانية بواسطة الكلام أو الصباح أو التهديد المتلفظ به في أماكن واجتماعات عامة، والكتابات والمطبوعات المباعة أو الموزعة أو المعروضة في الأماكن والاجتماعات العامة أو الملتصقات المعروضة على أنظار العامة، هذا وتقرر المادة (3) في قانون الصحافة الفرنسي والمعدلة بالقانون رقم (1317) والصادر في 1985/12/13 على تحقيق العلانية للأقوال وصور السلوك المختلفة عن طريق وسيلة من وسائل الاتصال الإذاعي المسموع والمرئي، ومن هذا المنطلق نجد أن هذه الصورة هي التي يمكن أن تكون أكثر صور العلانية انطباقاً على شبكة الانترنت إذ تتحقق العلانية فيما لو استخدم الجاني شبكة الانترنت في إذاعة القول أو الصباح أو ترديده، فالبعض يستخدمها من مجموعات تحاورية ورسائل إلكترونية ومواقع ويب كلها أصبحت تعتمد على تقنيات الصوت والصورة⁽³⁶⁾.

ثانياً: موقف المشرع الأميركي:

سار التشريع الفيدرالي الأميركي في مواجهة الجرائم الماسة بالشرف والاعتبار على الاتجاه ذاته الذي سار عليه في مواجهة الجرائم المتعلقة بالاعتداء على الحياة الخاصة، إذ لم ينص صراحة على قوانين لمواجهة تلك الجرائم وذلك على عكس ما سار عليه تشريع الولايات من النص على تلك الجرائم وإقرارها ضمانات قانونية تختلف عما قرره الدستور في مواجهة تلك الجرائم، إذ اتخذ تشريع الولايات موقفاً حازماً من التشريع الفيدرالي في مواجهة جرائم العنف والسب، وذلك بتجريم التهديدات التي تسببها المضايقات على خطوط الاتصال (Online)، وكان ذلك من أجل تعويض النقص التشريعي على المستوى

(33) يعد هذا القانون الأساس الذي تشكل معه النظام القانوني للصحافة الفرنسية، وقد تم العمل به من قبل مشرع الجمهورية الثالثة، ولقد تم تعديله بمقتضى القانون المؤرخ في (1982/7/29)، بشأن هيكلة النظام لقانون الصحافة، ثم أضيفت إليه النصوص الواردة في (1986/8/1) بشأن هيكلة النظام لقانون الصحافة، ثم أضيفت إليه النصوص الواردة في القانون الصادر في (1990/7/3) بشأن العنصرية، وهو القانون المعروف باسم تشريع Loicayssot، وأيضاً عدل بمقتضى قانون تدعيم البراءة رقم (2000/516) الصادر في 2000/6/5، د. خالد ممدوح إبراهيم، فن التحقيق الجنائي في الجرائم الإلكترونية، ط1، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2010، ص 329.

(34) فتحي محمد أنور عزت، الحماية الجنائية الموضوعية الإجرائية، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 2007، ص 192.

(35) أحمد السيد علي عيفي، الأحكام العامة للعلانية في قانون العقوبات، أطروحة دكتوراة، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، 2001، ص 134.

(36) خالد ممدوح إبراهيم، مرجع سبق ذكره.

الفيدرالي(37).

الفرع الثاني: موقف التشريعات العربية من جرمي القذف والسب عبر الانترنت: أولاً: التشريع العراقي:

بالنسبة لموقف المشرع العراقي من جرمي القذف والسب من حيث تأثره بالانترنت، فإنه بالرجوع إلى النصوص العقابية النافذة نلاحظ أن المشرع العراقي قد استخدم عبارات مرنة بشأن وسائل وقوع جرمي القذف والسب، إذ ذكر ذلك في المواد (433-434)، على أنه في حالة وقوع القذف أو السب بطريق النشر في الصحف أو المطبوعات أو بإحدى طرق الإعلام عد ذلك ظرفاً مشدداً، وعليه يمكن القول بشأن عبارة (إحدى طرق الإعلام)، أن يندرج تحتها أي وسيلة أخرى قد يستخدمها الجاني لارتكاب جرميته منها استخدام شبكة الانترنت كوسيلة من الوسائل المحتملة لارتكاب الجريمة، وعليه فإننا نرى من الضروري إعمال نصوص قانون العقوبات العراقي وجعلها واجبة التطبيق أو أية مواد قانونية أخرى مشابهة لها لئلا تواجه أي مشكلة في تطبيقها، وذلك بالاستناد إلى ما يأتي :

أولاً: إن المشرع العراقي قد تطلب لوقوع جرمي القذف والسب غير العلني أن يقع في مواجهة المعني عليه أو عن طريق الهاتف⁽³⁸⁾، وهذا ما نصت عليه المادة (435) من قانون العقوبات العراقي على أنه (إذا وقع القذف أو السب في مواجهة المعني عليه من غير علانية أو في حديث تليفوني معه أو في مكتوب بعث به إليه أو أبلغه ذلك بواسطة أخرى فتكون العقوبة الحبس مدة لا تزيد على ستة أشهر وبغرامة لا تزيد على خمسين ديناراً أو بإحدى هاتين العقوبتين)، من خلال النص المتقدم نستطيع القول بانطباق نص القذف والسب بواسطة الهاتف على الجرائم الواقعة عن طريق الانترنت، كون الانترنت يعتمد في أساسه على الاتصال الهاتفي كما أنه في السابق كان يطلق اسم هاتف على الأجهزة الهاتفية التي تعمل في المنازل، ثم ظهر الهاتف المحمول، ثم تطورت التكنولوجيا وظهر الهاتف المرئي حتى ظهور الانترنت⁽³⁹⁾، هذا من جانب ومن جانب آخر نلاحظ أن المشرع العراقي لم ينص على أن الجريمة بطريق الهاتف تكون بالقول فقط فمن الممكن أن تقع الجريمة بالقول أو بالكتابة أو يبلغه ذلك بواسطة أخرى كما ذكرت ذلك نص المادة (435) من (ق.ع) فعبارة (بواسطة أخرى) التي ذكرتها المادة سائلة الذكر تتيح استخدام الانترنت في ارتكاب هذه الجرائم، مثلاً وقوع جرائم القذف والسب أثناء استخدام غرف الدردشة والتي يستطيع أن يدخلها من يشاء أو عن طريق إرسال رسالة بالبريد الإلكتروني متضمنة ما يعد قذفاً أو سباً.

ثانياً: كما ظهرت التقنيات الحديثة أنه ليس بالضرورة أن تكون جميع الجرائم التي تقع بالهاتف غير علنية⁽⁴⁰⁾، فقد أصبح التليفون وسيلة لنقل الصور والأصوات عن طريق استخدام الكمبيوتر وشبكات الانترنت لعدد غير محدود من الناس لا على المستوى المحلي فقط، ولكن على مستوى العالم، من خلال ما تقدم نرى ضرورة تدخل المشرع العراقي بالنص على مواجهة جرمي القذف والسب صراحة باستخدام الحاسب الآلي وشبكات المعلومات لما يترتب عليها من أضرار كبيرة تضرّ أضعاف ارتكابها باستخدام الحاسب الآلي عن ارتكابها بأي وسيلة أخرى، وذلك كونها ظرفاً مشدداً يستوجب العقوبة سواء في جريمة

(37) أيمن عبد الحفيظ، استراتيجية مكافحة جرائم استخدام الحاسب الآلي، بلا مكان طبع، 2003، ص 127.
(38) ممدوح خليل بحر، الجرائم الواقعة على الأشخاص في قانون العقوبات الإماراتي، ط 1، دار إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، 2009 ص 158 .
(39) شمسان ناجي صالح الخليلي، الجرائم المستخدمة بطرق غير مشروعة لشبكة الانترنت، دار النهضة العربية، القاهرة، 2009، ص 158.
(40) المرجع السابق، ص 159.

القذف أو السب.

ثانياً: التشريع الإماراتي:

نصت المادة 20 من قانون مكافحة جرائم تقنية المعلومات رقم 2012/5 على «مع عدم الإخلال بأحكام جريمة القذف المقررة في الشريعة الإسلامية، يعاقب بالحبس والغرامة التي لا تقل عن مائتين وخمسين ألف درهم ولا تتجاوز خمسمائة ألف درهم أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من سب الغير أو أسند إليه واقعة من شأنها أن تجعله محلاً للعقاب أو الأزداء من قبل الآخرين، وذلك باستخدام شبكة معلوماتية، أو وسيلة تقنية معلومات.

فإذا وقع السب أو القذف في حق موظف عام أو مكلف بخدمة عامة بمناسبة أو بسبب تأدية عمله عد ذلك ظرفاً مشدداً للجريمة».

بمراجعة نص المادة 20 من قانون مكافحة جرائم تقنية المعلومات رقم 2012/5، يتضح لنا الآتي...

● العقوبة الأصيلية:

قرر المشرع الإماراتي لجريمتي القذف والسب بالوسائل الإلكترونية العقوبات الآتية:

1- الحبس:

عرف المشرع الإماراتي الحبس في المادة 69 من قانون اتحادي رقم 3 لسنة 1987 بشأن إصدار قانون العقوبات بأنه: « وضع المحكوم عليه في إحدى المنشآت العقابية المخصصة قانوناً لهذا الغرض وذلك للمدة المحكوم بها. ولا يجوز أن يقل الحد الأدنى للحبس عن شهر ولا أن يزيد حده الأقصى على ثلاث سنوات ما لم ينص القانون على خلاف ذلك».

ويلاحظ أن عقوبة الحبس المنوه عنها بالمادة السابقة جاءت دون تحديد مدة معينة، فإن على المحكمة أن تنطق بالحكم بمدة تقدرها بحيث تقل عن شهر ولا تزيد على ثلاث سنوات⁽⁴¹⁾، وحيث أن عبارة الحبس جاءت مطلقة في نص المادة 20 من قانون مكافحة جرائم تقنية المعلومات فهذا يعني أن المشرع قد ترك للقاضي سلطة تقدير العقوبة المناسبة بحسب ما يراه من ظروف الواقع⁽⁴²⁾.

ووفقاً لنص م 29⁽⁴³⁾ من قانون العقوبات الإماراتي فإن عقوبة الحبس مقررة للجنح دائماً.

2- الغرامة:

عرف المشرع الإماراتي الغرامة في المادة 71 من قانون اتحادي رقم 3 لسنة 1987 بشأن إصدار قانون العقوبات بأنه: « هي إلزام المحكوم عليه أن يدفع للخزينة المبلغ المحكوم به، ولا يجوز أن تقل الغرامة عن ألف درهم ولا أن يزيد حدها الأقصى على مليون درهم في الجنائيات وثلاثمائة ألف درهم في الجنح، وذلك كله ما لم ينص القانون على خلافه.

ووفقاً لسابقه فإن عقوبة هذه الجريمة قد تكون الحبس والغرامة معاً أو تكون

(41) غنام محمد غنام، مرجع سابق، ص 375.

(42) مؤيد محمد علي، شرح قانون العقوبات الاتحادي الإماراتي القسم العام الكتاب الثاني الجزاء الجنائي العقوبة والتدابير الاحترازية، ط1، 2014، ص53.

(43) نص م 29 من ق/ع/إماراتي، الجنحة هي الجريمة المعاقب عليها بعقوبة أو أكثر من العقوبات الآتية: (الحبس، الغرامة التي تزيد على ألف درهم، الدية).

إحدهما، وقد ترك أمر تحديد مدة عقوبة الحبس للقاضي بينما قيد المشرع مقدار عقوبة الغرامة بحد أدنى مائتين وخمسين ألف درهم وحد أعلى خمسمائة ألف درهم.

ثالثاً: التشريع المصري:

جاءت المادة 26 من قانون رقم 2018/175 بشأن مكافحة جرائم تقنية المعلومات لتنص على «يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنتين ولا تجاوز خمس سنوات، وبغرامة لا تقل عن مائة ألف جنية ولا تجاوز ثلاثمائة ألف جنية، أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل من تعمد استعمال برنامج معلوماتي أو تقنية معلوماتية في معالجة معطيات شخصية للغير لربطها بمحتوى مناف لأداب العامة، أو إظهارها بطريقة من شأنها المساس باعتباره أو شرفه».

بمراجعة نص المادة المنوه عنها بعاليه، يتضح لنا الآتي:

● العقوبة الأصلية:

قرر المشرع المصري لجريمته القذف والسب بالوسائل الإلكترونية العقوبات الآتية:
(44)....

المشرع المصري في قانون رقم 2018/175 بشأن مكافحة جرائم تقنية المعلومات عاقب مرتكبي جريمته القذف والسب بالوسائل الإلكترونية بالحبس مدة لا تقل عن سنتين ولا تجاوز خمس سنوات.

عرف المشرع المصري الحبس في المادة 18 من قانون العقوبات بأنه: « عقوبة الحبس هي وضع المحكوم عليه في أحد السجون المركزية أو العمومية المدة المحكوم بها عليه ولا يجوز أن تنقص هذه المدة عن أربع وعشرين ساعة ولا أن تزيد على ثلاث سنين إلا في الأحوال الخصوصية بالمنصوص عليها قانوناً».

يلاحظ أن عقوبة الحبس مقررة للجناح، والجناحة وفقاً لتعريف قانون العقوبات المصري هي « عمل إجرامي أصغر وعادة يعاقب على الجناح بعقوبات أخف من عقوبات الجنايات وأشد من العقوبات على المخالفات الإدارية، وفي كثير من الأحيان يعاقب على الجناح بغرامات مالية، وقد تشمل الجناح جرائم مثل: السرقة البسيطة، الاعتداء البسيط، السلوك غير المنضبط (كالإزعاج أو المشاجرات) ، التخريب البسيط لممتلكات الغير.

رابعاً: التشريع السعودي:

بمراجعة نص البند الخامس من المادة الثالثة من نظام مكافحة الجريمة المعلوماتية السعودي نجد أنها نصت على « يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على سنة وبغرامة لا تزيد على خمسمائة ألف ريال ، أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل شخص يرتكب أياً من الجرائم المعلوماتية الآتية: التشهير بالآخرين، والحاق الضرر بهم، عبر وسائل تقنيات المعلومات المختلفة»

خامساً: التشريع الليبي:

لم ينص التشريع الليبي على جريمة القذف والسب الإلكتروني في القانون الصادر رقم (5) لسنة 2022 بشأن مكافحة الجرائم الإلكترونية بل اكتفى بتعريف الجريمة الإلكترونية والدليل الرقمي ولم يُشر إلى واقعة القذف والسب لا من قريب ولا من بعيد.

(44) أما عقوبة السجن فقد نصت عليها المادة 16 من قانون العقوبات « عقوبة السجن هي وضع المحكوم عليه في أحد السجون العمومية وتشغيله داخل السجن أو خارجه في الأعمال التي تعينها الحكومة المدة المحكوم بها عليه ولا يجوز أن تنقص تلك المدة عن ثلاث سنوات ولا تزيد على خمس عشرة سنة إلا في الأحوال الخصوصية المنصوص عليها قانوناً.

وكان يجدر بالمشرع الليبي أن يحدو حدو المشرع المصري وباقي القوانين المشار إليها بالدراسة بالنص صراحة على واقعة القذف والسب الإلكتروني، وهذا يعد قصوراً يلزم المشرع باستكمالها.

الخاتمة:

مما لا شك فيه أن جريمتي القذف والسب عبر الوسائط الإلكترونية قد انتشرت بشكل كبير في هذا الوقت نظراً للتطور الهائل الذي لحق بوسائل الاتصال الحديثة.

وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من مستخدمي الشبكة العنكبوتية يلجؤون إلى هذه النوعية من الجرائم لاعتقادهم بصعوبة اكتشافهم والإفلات من العقاب .

ومن المعلوم أن الجرائم المعلوماتية تخضع لطرق إثبات مختلفة عن الجرائم التقليدية، ويمكن الاختلاف في وجود أشخاص مؤهلين ومدربين على مثل هذه الجرائم وفك طلاسمها، إذ تعد هذه الجريمة من الجرائم العابرة للحدود إذ قد يقوم شخص ما بسب المجني عليه وقذفه وهو في دولة أخرى، ما يصعب على الأجهزة الأمنية والرقمية الوصول إليه واكتشاف الواقعة وإسنادها للجاني، ويتطلب الكشف عن هذه النوعية من الجرائم تعاون دولي في مجال تقنية المعلومات لتحديد منها ومن أثارها السلبية.

وفي جميع الأحوال نلاحظ أن انتشار مثل هذه الجرائم يرجع إلى عدة أسباب منها: غياب الوازع الديني والأخلاقي، ويرجع بالتالي المستوى العلمي والثقافي للضد داخل المجتمع إذا يتناسب تناسباً عكسياً حيث إنه كلما اقتضت الدولة إلى مستوى تعليمي جيد كلما انتشرت الجرائم بصفة عامة وهذا ينسحب على جريمتي السب والقذف المنصوص عليهما في المواد (439 ، 439) عقوبات ليبي، وقد خرج من الباحث من هذه الدراسة بعدة نتائج وتوصيات هامة جداً وهي على النحو الآتي:

أولاً: النتائج:

1. اتضح من خلال هذا البحث أن أغلب التشريعات العربية يشوبها القصور في تجريم جريمتي السب والقذف عبر وسائط الإلكترونيات وخصوصاً التشريع الليبي.
2. تتميز جريمتا السب والقذف عبر الوسائط الإلكترونية بصعوبة اكتشافها إذ تحتاج إلى فنيين ومتخصصين في مجال تقنية المعلومات، وكذلك سهولة مسح الأدلة من قبل الجاني وبالتالي صعوبة إثباتها.
3. من خلال هذا البحث توصلنا إلى نتيجة مضادة أنه يجب على التشريعات العربية ومنها التشريع الليبي مواكبة التطور التقني والعلمي في مجال التشريع وعدم الاعتماد على النصوص التقليدية سواء في جريمتي السب والقذف عبر الوسائط الإلكترونية أو باقي الوقائع المجرمة في نصوص قانون العقوبات إذ يؤدي ذلك إلى إفلات الجاني من العقاب حال ارتكب الجريمة عبر الوسائط الإلكترونية لوجود قصور تشريعي واضح، وهذا بدوره يعد إخلالاً بمبدأ العدالة الجنائية.

ثانياً: التوصيات:

1. نهييب بالمشرع الليبي إصدار قانون مكافحة الجرائم عبر الوسائط الإلكترونية إذ يعد القانون الليبي قاصراً إلى حد كبير في هذا المجال .
2. تأهيل السلطات المختصة وتدريبها في مجال مكافحة الجرائم عبر الوسائط الإلكترونية وتوفير جميع الوسائل والإمكانيات للكشف عن مثل هذه الجرائم.
3. ضرورة تعديل قانون (52) لسنة 1974 المتضمن السب والقذف عبر الوسائط الإلكترونية وتوافقته مع الشريعة الإسلامية حال تطبيق قانون القصاص والدية المنصوص عليه في القانون سالف الذكر.

4. قصور المواد (438 ، 439) عقوبات لبيبي عن الإلمام بكل وسائل وقوع جريمتي السب والقذف عبر الوسائط الإلكترونية، وعلى المشرع الليبي تلافى هذا القصور.
5. نهيب بالمشرع الليبي إصدار قانون خاص بجريمتي السب والقذف عبر الوسائط الإلكترونية لما تمثله هذه الواقعة من ضرر كبير على أفراد المجتمع وسهولة ارتكابها مع صعوبة إثباتها وكشف الجناة إذ إن هذا القانون سوف يضمن تدريب وتأهيل الجهات القضائية والشرطية للحد منها ومعرفة مرتكبها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم:

1. سورة الأحزاب.
2. سورة النساء.
3. سورة النور.

ثانياً: الكتب والرسائل العلمية:

1. أبي الحسن أحمد فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة-ج5.
2. أحمد السيد علي عفيفي، الأحكام العامة للعلانية في قانون العقوبات، أطروحة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، 2001.
3. أيمن عبد الحفيظ، استراتيجية مكافحة جرائم استخدام الحاسب الآلي، بلا مكان طبع، 2003.
4. حاشية الدسوقي، للدسوقي، ج4.
5. حسنين إبراهيم عبيد، الجرائم الدولية، دار النهضة العربية، ط1، 1979.
6. خالد حسن أحمد لطفي، المسؤولية عن جريمة القذف والسب عبر الوسائط الإلكترونية، دار الفكر الجامعي، ط1، 2020.
7. خالد ممدوح إبراهيم، فن التحقيق الجنائي في الجرائم الإلكترونية، ط1، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2010.
8. خالد موسى التوني، شرح قانون العقوبات الاتحادي لدولة الإمارات المتحدة القسم الخاص، أكاديمية الشرطة، دبي، ط1، 2013.
9. شمسان ناجي صالح الخيلي، الجرائم المستخدمة بطرق غير مشروعة لشبكة الانترنت، دار النهضة العربية، القاهرة، 2009.
10. عمر سعيد رمضان، شرح قانون العقوبات العام، طبعة 2000.
11. فتحي محمد أنور عزت، الحماية الجنائية الموضوعية الإجرائية، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 2007.
12. فوزية عبد الستار، شرح قانون العقوبات الخاص، دار النهضة العربية، 2019.
13. مجدي سعد هلال، جنحة القذف، دراسة علمية للجريمة طبقاً لما استقرت عليه أحكام النقض حتى سنة 2001، منشورات القانونية، 2004.
14. محمد حميد المزمومي، جريمة التشهير عبر وسائل تقنية المعلومات وفقاً لنظام مكافحة الجريمة المعلوماتية السعودي دراسة تحليلية، مجلة الشريعة والقانون، س 29، أكتوبر 2015، كلية القانون، مجلس النشر العلمي.
15. محمد سمير، كتاب جرائم الصحافة والنشر، نادي القضاة، طعن رقم 2488 لسنة 66 ق جلسة بتاريخ 2004/3/20.
16. محمد صبحي نجم، الجرائم الواقعة على الأشخاص، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1994.
17. محمد محي الدين عوض، العلانية في قانون العقوبات - دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، مطبعة النصر، 1955.
18. محمود محمود مصطفى، شرح قانون العقوبات، مطبعة الجامعة، القاهرة، 1984م.
19. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات، ... الخامس، 2016م، دار النهضة العربية.
20. مصطفى محمد مصطفى، التحقيق في الجرائم الإلكترونية، ط1، 2009.
21. ممدوح خليل بحر، الجرائم الواقعة على الأشخاص في قانون العقوبات الإماراتي، ط1، دار إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، 2009.

22. مؤيد محمد علي، شرح قانون العقوبات الاتحادي الإماراتي القسم العام الكتاب الثاني الجزء الجنائي العقوبة والتدابير الاحترازية، ط1، 2014، ص53.

ثالثاً: التشريعات والقوانين:

1. تشريع فرنسي.
2. التشريع الأمريكي.
3. التشريع العراقي.
4. التشريع المصري.
5. التشريع الإماراتي الطعن رقم 84686 لسنة 75 جلسة 2012/10/10 س 63 .
6. نقض 1941/12/1، مجموعة القواعد القانونية، ج5، رقم 214.
7. نص م 29 من ق/ع/إماراتي.

رابعاً: شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)

1. <https://www.sharjah.ac.ae> تاريخ الزيارة 2023/5/5. الساعة 10 صباحاً.
2. <https://www.ajrsp.com> تاريخ الزيارة 2023/5/5. الساعة 12 ظهراً.
3. <https://www.iasj.net> تاريخ الزيارة 2023/5/6. الساعة 11 صباحاً.

كفالة الضمانات القانونية للموظف الدولي

إعداد:

أ. مسعود محمد مسعود أحمد

رئيس قسم القانون - كلية الشريعة والقانون أوباري - الجامعة الأسمرية الإسلامية

القبول: 2023/6/14

الاستلام: 2023/5/1

OO

OO

المستخلص:

يُثير موضوع الضمانات القانونية المكفولة للموظف الدولي أهمية كبرى في وقتنا الحاضر، لما يمثله وضع الموظف الدولي على صعيد العمل بالمنظمات الدولية من أهمية، فهو يمثل عصب العمل بالمنظمة، وشريان الحياة بها، وبالتالي فإن وجود أمن إداري وقضائي يكفل حماية تامة وعدالة منصفة لصالح هؤلاء الموظفين الدوليين كضمان بحسن أداء المنظمة الدولية ككل، فالضمانات القانونية للموظف كلما كانت كافية وفعالة، كلما انعكس ذلك على تسيير المنظمة، ومن ثم نجاحها وتطورها.

وتهدف هذه الدراسة للتطرق إلى الضمانات القانونية للموظف الدولي الإدارية والقضائية، كلما كانت كافية وفعالة، كلما انعكس ذلك على تسيير المنظمة، ومن ثم نجاحها وتطورها.

ويحاول الباحث الإجابة عن إشكالية رئيسية؛ ما هي الضمانات القانونية المكفولة للموظف الدولي؟

الكلمات المفتاحية: الضمانات، القانونية، الموظف، الدولي، المنظمات.

Summary:

The issue of legal guarantees guaranteed to the international employee is of great importance at the present time, because of the importance of the situation of the international employee at the level of work in international organizations, as it represents the backbone of work in the organization and the lifeblood of it, and therefore the presence of administrative and judicial security that guarantees full protection and fair justice for the benefit of these international employees A guarantor of the good performance of the international organization as a whole. The legal guarantees for the employee are sufficient and effective, the more this will be rejected in the organization's management, and then its success and development.

This study aims to address the legal guarantees for the international employee, administrative and judicial, whenever they are sufficient and effective, the more this is rejected in the organization's management, and then its success and development.

The researcher tries to answer a main problem; What are the legal guarantees guaranteed to the international employee unified in all international organizations.

Keywords: guarantees, legal, employee, international, organizations.

المقدمة:

تُمارس المنظمات الدولية سواء الحكومية أو غير الحكومية عملها عن طريق موظفين تختارهم هي حسب معايير واشتراطات معينة، ويمنحهم القانون الدولي الحصانات والامتيازات التي تكفل لهم أداء مهامهم بكفاءة واقتدار، ولا تعفيهم هذه الحصانات والامتيازات من المسؤولية القانونية الدولية عندما يخطئون، أو يتعدون حدود عملهم، أو يترتب على هذا العمل إضرار بالدول والأفراد والمنظمة التي يعملون لحسابها، وهذا ما نص عليه القانون الدولي العام.

إن إحاطة الموظف الدولي بضمانات قانونية للتصدي لانحراف سلطة إدارة المنظمة وتعسفها، أصبح من الأمور المستقر عليها فقها وقضاءً، فهي من المسلمات التي تقتضيها المبادئ القانونية، وتمليها قواعد الانصاف والعدالة، دون الحاجة إلى نصوص قانونية تقررها، فالعدالة الناجزة في بيئة العمل لا يمكن أن تتحقق ما لم يوفر التشريع قدرًا كافيًا من الضمانات القانونية للموظف، لا سيما في المجال التأديبي.

ويشمل الإطار العام للدراسة ما يلي:

أولاً: أهمية هذا الموضوع:

فيما يمثله وضع الموظف الدولي على صعيد العمل بالمنظمات الدولية من أهمية، فهو يمثل عصب العمل بالمنظمة وشريان الحياة بها، وبالتالي فإن وجود أمان إداري وقضائي يكفل حماية تامة وعدالة منصفة لصالح هؤلاء الموظفين الدوليين كضمان بحسن أداء المنظمة الدولية ككل، فالضمانات القانونية للموظف كلما كانت كافية وفعالة، كلما انعكس ذلك على تسيير المنظمة، ومن ثم نجاحها وتطورها.

ثانياً: إشكالية دراسة الموضوع:

في الإجابة عن التساؤلات التالية:

1. من هو الموظف الدولي المشمول بالحماية القانونية التي كفلتها لوائح وأنظمة المنظمات الدولية؟
2. ما هي الضمانات الإدارية المكفولة للموظف الدولي لمواجهة القرارات المخالفة للوائح المنظمات وعقود التشغيل، لا سيما القرارات التأديبية منها؟
3. هل الضمانات القانونية المكفولة للموظف الدولي موحدة في جميع المنظمات الدولية؟

ثالثاً: المنهج العلمي المتبع:

لم يتم الاعتماد على منهج مُحدد في هذه الدراسة، وإنما اختلف باختلاف المسألة محل النظر، ومن ثم فإن هذه الدراسة اعتمدت على مناهج متعددة تمثلت في: المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، والمنهج التطبيقي، والمنهج المقارن.

رابعاً: خطة الدراسة:

سنتقسم البحث إلى مبحثين، نتناول في المبحث الأول: ماهية الموظف الدولي وتطور مفهوم الوظيفة الدولية. وفي المبحث الثاني: ضمانات الدعوى الإدارية التأديبية للموظف الدولي. وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: ماهية الموظف الدولي وتطور مفهوم الوظيفة الدولية:

نتناول في هذا المبحث؛ ظهور ونشأة المنظمات الدولية، ومفهوم الموظف في القانون الدولي العام، وحصانات وامتيازات الموظف الدولي.

المطلب الأول: ظهور ونشأة المنظمات الدولية:

تعدّ المنظمات الدولية وليدة القرن التاسع عشر، بالتزامن مع تبلور فكرة الدول القومية، وتطور مفهوم المصالح والعلاقات الدولية، إذ أنّ تطور هذه العلاقات يقتضي وجود تنظيم لها، وذلك لأنّ حالات الحرب والسلم تتطلب إطاراً مُعيّناً تحل في نطاقه تلك الحالات.

أولاً - تعريف المنظمة الدولية:

توجد عدة تعريفات مُختلفة للمنظمة الدولية، بل قد يتعدى هذا الاختلاف في التعريف إلى فحوى هذا الفرع من فروع القانون الدولي.

فبعض المختصين يرون أنّ دراسة هذا الحقل من حقول التعاون الدولي يجب أن تتم تحت عنوان (التنظيم الدولي)، الذي تضم فحواه هيئات تنشئها مجموعة من الدول بإرادتها واختيارها للإشراف على شأن من شؤونها المشتركة، وتمنحها اختصاصاً ذاتياً تباشره هذه الهيئات في المجتمع الدولي، وفي مواجهة الدول نفسها⁽¹⁾، كما يُضيف البعض صفة الديمومة لأجهزة ما يسمونه (بالمُنْتَظَم الدولي) فيعرفون المُنْتَظَم الدولي بأنه: "هيئة دائمة تشترك فيها بعض الدول رغبة السعي في تنمية مصالحها المشتركة ببذل مجهود قانوني، تتعهد بسببه أن تخضع لبعض القواعد القانونية لتحقيق هذه المصالح".

بل يذهب البعض منهم إلى أبعد من ذلك، فيضع التنظيم الدولي في مواجهة القانون الدولي، ويستنتج من المقارنة أنّ التنظيم الدولي هو مرحلة أعلى من مرحلة القانون الدولي، ويعتبر تطوراً تاريخياً له، إذ أنّ القانون الدولي ظهر كمنظم لعلاقات الحرب بين الدول، ولذا يبيح استخدام القوة، وأنّ الدول تتمتع بسيادة مطلقة في تصرفاتها في القانون الدولي، الشيء الذي لا يقهر التنظيم الدولي المبني على أساس السيادة المُقيّدة، كما أنّ القانون الدولي يعتمد في ديناميكيته على المنافسة لا التعاون المشترك، عكس التنظيم الدولي، أما التنظيم الدولي فهو قانون سلام؛ لا يبيح استخدام القوة، بل ينظم علاقات التعاون بين الدول⁽²⁾.

وعليه يمكن تعريف المنظمة الدولية بأنها: "كيان تنشئه مجموعة من الدول كإطار قانوني لتحقيق أهداف التعاون بينها، تمنحه صفة الشخصية القانونية الدولية، لتمكّنه من القيام بأعبائه، كما تمنحه إرادة مستقلة عن إرادات الدول الأعضاء، وتنشئ له أجهزة دائمة تعمل على أساس قانوني، تتمثل في اتفاقية دولية متعددة الأطراف — ميثاق، دستور — تحدد الجوانب الأساسية لأنشطة هذا الكيان وفق أحكام القانون الدولي المعاصر"⁽³⁾.

ثانياً - أسباب وعناصر نشوء المنظمة الدولية:

يُعزى فريق من الفقهاء ظهور المنظمات الدولية كإحدى أهم العلاقات الدولية المُعاصرة إلى التطور التقني الذي استجد في منتصف القرن التاسع عشر، وخاصة ما استحدثت من وسائل اتصال من تلغراف ونحوه، ومواصلات؛ من قاطرات، وسفن، وطائرات، وغيره، ويستدلون على ذلك بأنّ أوائل المنظمات الدولية لم تنشأ إلا في مجال الاتصالات والمواصلات الدولية بالذات، هذه الحقيقة يعتقد الفريق الآخر أنّها عمومية، ولا توضح بالقدر الكافي ما هو

(1) شهاب (1974م)، مفيد شهاب، المنظمات الدولية، ط2، دار النهضة العربية_ القاهرة/ مصر، ص 37.

(2) حسين (1988م)، مصطفى سلامة حسين، المنظمات الدولية، الدار الجامعية، ص 60.

(3) مصطفى (1998م)، مأمون مصطفى، قانون المنظمات الدولية، ب. د. ن، ص 19.

مطلوب، وي طرح بدلاً لهذا الرأي مقولة أن المسبب الفعلي لظهور ونشأة وتطور المنظمات الدولية هو حتمية التبادل التجاري بين الدول، وتعمق معاملات الاعتماد المتبادل، وترسيخ أبعاد تقسيم العمل دولياً، والراجع أن الرأيين يكملان بعضهما البعض⁽⁴⁾.

إن التطور العلمي والتقني، وكذلك النمو الاقتصادي، والتقدم الاجتماعي، هي في مجملها تكون أعمدة الاعتماد المتبادل بين الدول، وتؤدي إلى تقوية العلاقات المختلفة بينها، الشيء الذي يدعو لضرورة تأطير وتنظيم فروع وأصعدة المعاملات الدولية عن طريق منظمات دولية تقوم بتنفيذ هذا الهدف، وذلك بوضع المبادئ العامة للتعاون الدولي، وتبيان طرق تنميته وتطويره.

ثالثاً - عناصر نشوء المنظمة الدولية:

قبل ظهور أي منظمة دولية تنبني على أرض الواقع عناصر؛ هي في الواقع ارهاصات تشير إلى ضرورة نشوئها، من بينها نذكر:

1. وعي الدول ذات المصلحة والرغبة بتوافق نسبي في المصالح على صعيد محدد ويقدر محدد.
2. الاقتناع التام من قبل تلك الدول بحتمية وفائدة التعاون المشترك في المجال المعني.
3. قدرة تلك الدول على الوصول إلى اتفاق حول أهداف ومبادئ وأطر نشاط المنظمة المنشودة.

إن ظهور تلك الازهاصات والعناصر لا يعتمد فقط ظهور ونشأة المنظمة الدولية، بل يتعداه إلى نجاح نشاطها واستمراريتها في المستقبل، والعكس من ذلك صحيح، فإن غياب المتطلبات المذكورة يعني عقبة كبيرة يصعب تخطيها، حتى وإن اجتمعت كل الأسباب المادية لنشوء المنظمة المبتغاة⁽⁵⁾.

رابعاً - المراحل التاريخية لنشوء المنظمة الدولية:

في البدء اتخذ نمو المنظمات و ظهورها شكلاً بطيئاً يحتوي على تنظيم شؤون دولية ليست بتلك الأهمية والدرجة من الأولوية، لترتبط بمصائر الدول، فكان المنحى هو تنظيم العلاقات في مجال الاتصالات الدولية، وذلك بإنشاء منظمة الاتحاد الدولي للمواصلات السلوكية واللاسلكية، وتكون اتحاد البريد العالمي في ديسمبر 1874 م، أما المرحلة اللاحقة لهذه الخطوة الأولى فقد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بأحداث الحرب العالمية الأولى، وظهور الحتمية الموضوعية لتعاون دولي أوسع لتنظيم العلاقات الدولية المتداخلة، خاصة فيما يخص الشؤون الحربية، وما يتفرع منها من قضايا الأمن وفض المنازعات، وتمخضت هذه المرحلة عن قيام عصبة الأمم في مؤتمر باريس عام 1919 م. أما المرحلة الثالثة في تطور المنظمات فقد أبدت عن نفسها كغيرها من ظواهر القانون الدولي المعاصر بعد الحرب العالمية الثانية، التي كشفت عن قصور المرحلة السابقة، وكان لتجربة التعاون المشترك لصد العدوان النازي أثر كبير في اقناع كثير من الدول بالارتباط بجماعة دولية تهدف لإقرار الأمن والسلم الدوليين، فكانت النتيجة إنشاء الأمم المتحدة في مؤتمر سان فرانسيسكو عام 1945 م⁽⁶⁾.

(4) Chamberlian International Organizations New York 1955, Moraveski V Functions of International Organization — Warsaw 1971 D. P. 41 ands.

(5) مصطفى 1998 م، مرجع سابق، ص 10.

(6) مصطفى 1998 م، المرجع السابق، ص 10.

المطلب الثاني: مفهوم الموظف في القانون الدولي العام:

يتمّ تعيين الموظف الدولي من قبل المنظمة الدولية طبقاً لاحتياجاتها، أو كفاءته بترشيح من دولته، أو بدونه، أما مندوب الدولة فيتمّ تعيينه من قبل حكومته، طبقاً لقوانينها الداخلية.

لذا فالموظف الدولي له من الحصانات ما يضمن استقلاله، وحسن أدائه في مواجهة كل الدول الأعضاء، وغير الأعضاء، بما فيهم دولته الأصل، ودولة المقر، أما مندوب الدولة فحصانته تكون نابعة من دولته الأصل في مواجهة الدول الأخرى.

أولاً - تعريف الموظف الدولي:

عرفت اتفاقية سلامة موظفي الأمم المتحدة والأفراد المرتبطين بها الموظف الدولي بقولها أنهم: "جميع الأشخاص الذين يستخدمهم الأمين العام، سواء كانوا أفراداً في العنصر العسكري، أو عنصر الشرطة، أو العنصر المدني، والموظفون، والخبراء الموفدون في بعثات الأمم المتحدة أو وكالاتها"⁽⁷⁾.

وعرفته محكمة العدل الدولية من خلال رأيها الاستشاري المتعلق بقضية إصلاح الأضرار في عام 1949 م بأنه: "كل موظف بأجر أو بدون أجر يعمل بصفة دائمة أم لا، يعيش بواسطة أحد أجهزة المنظمة لممارسة أو المساعدة في ممارسة أحد وظائف المنظمة، وهو باختصار كل شخص تتصرف المنظمة بواسطته".

ويُعرف الموظف الدولي أيضاً بأنه: "هو الذي يقوم بوظيفة دولية عامة على سبيل الاستمرار والتفرغ، ويستهدف من وراء ذلك صالح المنتظم (المنظمة) وتحت إشرافه، ويخضع في هذا الشأن لنظام قانوني يضعه المنتظم"⁽⁸⁾.

وعرف أيضاً بأنه: "شخص يعمل لحساب منظمة معينة طبقاً لشروط منصوص عليها في عقد يبرمه مع الأخيرة، وفي ميثاقها، أو النظام الأساسي لموظفيها"⁽⁹⁾.

وتوجد الكثير من التعريفات التي تناولت فكرة الموظف الدولي، ولكنها اجتمعت في أنّ الموظف الدولي هو ذلك الشخص الذي تمارس المنظمة الدولية عملها من خلاله، إذ أنّ المنظمة الدولية تمثل مجموعة تابعين لإدارتها يعملون على تنفيذ لإدارتها يعملون على تنفيذ قراراتها والسعي في تحقيق أهدافها.

ثانياً - شروط الموظف الدولي:

تتمثل شروط تعيين الموظف الدولي في الفقرة الأولى من المادة (1) من اتفاقية سلامة موظفي الأمم المتحدة والأفراد المرتبطين بها عام 1995 م، وهي:

1. يجب أن يؤدي الموظف الدولي عمله في خدمة منظمة دولية، أو أي فرع من فروعها، وليس من الموظفين الدوليين من يؤدي عمله لخدمة دولته، أو أي مؤسسة تابعة لها، إذ أنه لا يمكن أن يطلق عليها منظمة دولية.

ولا يمكن أن نطلق مسمى الموظف الدولي على الممثل الدائم للدول لدى المنظمة الدولية، إذ أنه يقوم بعمله لحساب دولته، وليس لحساب المنظمة الدولية، والمصلحة الرئيسية التي يسعى إليها هي مصلحة أن يهدف عمل الموظف إلى خدمة المنظمة الدولية، وليس الدولة التي يحمل جنسيتها، ولا يعني ذلك أنه يشترط لعمل الموظف

(7) المادة 1 من اتفاقية سلامة موظفي الأمم المتحدة 1994م.

(8) الدقاق، حمد سعيد الدقاق، التنظيم الدولي، الدار الجامعية - الإسكندرية/ مصر، ص175.

(9) أبو الوفاء (1986م)، أحمد أبو الوفاء، الوسيط في قانون المنظمات الدولية، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية - القاهرة/ مصر، ص132.

الدولي لدى المنظمة الدولية أن يكون عمله داخل المقر الرئيسي للمنظمة، فقد يمارس وظيفته داخل إقليم دولة معينة، قد تكون دولته أو أي دولة أخرى، وقد يتمثل عمله في التنقل بين الدول.

2. يجب أن يكون عمل الموظف الدولي خاضعاً لإشراف ومتابعة أجهزة المنظمة الدولية التي يعمل بها، وأن ينفذ التعليمات والأوامر التي تصدر له من رؤسائه المباشرين، وذلك وفقاً لما هو منصوص في الميثاق المؤسس للمنظمة، وما تبعه من قرارات ولوائح منظمة.

وكما سبق القول لا يكون موظفاً دولياً من يكون خاضعاً في عمله للقوانين الخاصة بدولته التي يحمل جنسيتها، أو أي دولة أخرى يقوم بعمله باسمها.

3. يجب أن يتفرغ الموظف الدولي لأداء عمله المرتبط بالمنظمة الدولية فقط، وألا يشغله عن ذلك أي عمل آخر، سواء أكان عمل حر، أو مرتبط بتبعيته لدولته.

4. يجب أن يتحدد النظام القانوني للموظف عن طريق قواعد قانونية دولية منصوص عليها في الميثاق المنشئ للمنظمة، أو عن طريق اتفاقيات دولية مثل اتفاقية موظفي الأمم المتحدة والأفراد المرتبطين بها عام 1995 م.

5. يجب أن يكون ولاء الموظف الدولي للمنظمة التي يعمل بها، وأن يكون شغله شاغل تحقيق الأهداف والمكاسب التي تسعى إليها المنظمة الدولية، وأن يسعى من خلال عمله في المنظمة الدولية إلى تحقيق المصلحة الجماعية المشتركة للمجتمع الدولي.

المطلب الثالث: حصانات وامتيازات الموظف الدولي:

يتمتع الموظف الدولي بالحصانات والامتيازات القانونية نابعة من كونه تابع للمنظمة الدولية، والسبب الرئيسي في تمتعه بهذه الحصانات هو أن المصلحة الوظيفية التي تتطلب ذلك، فإن تمتعه بالحصانة والحماية القانونية الدولية يجعله يمارس عمله بكفاءة واقتدار، وحرية واستقلال عن الخضوع لأي مؤثر خارجي قد يمنعه من ممارسة عمله المنوط به.

كما تعد الحصانات والامتيازات بهذه المثابة من النتائج المترتبة على الاعتراف للمنظمة الدولية بالشخصية القانونية الدولية؛ لأنها تعبر عن استقلال المنظمة وموظفيها في مواجهة الدول الأعضاء⁽¹⁰⁾.

أولاً - مصادر حصانات وامتيازات الموظف الدولي:

تستند المنظمات الدولية في منحها الحصانات والامتيازات للموظفين إلى عدة مصادر هي:

1. المواثيق الخاصة بالمنظمات الدولية: تعد مواثيق المنظمات الدولية كالدستور بالنسبة للدول، إذ على أساسه يتم اعتماد الحصانات والامتيازات الخاصة بالموظفين، وقد نصت المادة (2/150) من ميثاق هيئة الأمم المتحدة على أن: "يتمتع المندوبون من أعضاء الأمم المتحدة وموظفو هذه الهيئة بالمزايا والإعفاءات التي يتطلبها استقلالهم في القيام بمهام ووظائفهم المتصلة بالهيئة".

ومن ذلك ما نصت عليه المادة (22) من اتفاقية مزايا وحصانات جامعة الدول العربية بأن: "المزايا والحصانات التي تمنح للموظفين هي لصالح الجامعة".

2. الاتفاقيات الموقعة بين المنظمة والدول: تعد الاتفاقيات الموقعة بين المنظمات الدولية وبين الدول العامة منها والثنائية من مصادر الحصانات والامتيازات التي يتمتع بها

(10) ندا (1986م)، جمال طه اسماعيل ندا، الموظف الدولي - دراسة مقارنة في القانون الدولي الإداري، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة/ مصر، ص 160.

الموظف الدولي، فعندما توقع المنظمة اتفاقية ثنائية أو عامة مع الدول لكي تحمي موظفيها، وتسمح لهم بأن يمارسوا عملهم بدون أي ضغوطات، وأن يشعروا بالأمان والحماية.

ومن هذه الاتفاقيات اتفاقية 1946م الخاصة بامتيازات وحصانات الأمم المتحدة، واتفاقية 1947م الخاصة بامتيازات وحصانات المنظمات المتخصصة⁽¹¹⁾.

3. الاتفاقيات الموقعة مع دول المقر: توقع المنظمات الدولية بشكل عام اتفاقيات مع الدول التي وقع عليها الاختيار بأن يكون بداخلها مقر المنظمة، إذ أن هذه الاتفاقيات تكفل الحماية لمقر المنظمة وللموظفين العاملين وأسرهم المرافقين لهم والمتواجدين بصفة دائمة في مقر المنظمة، ومن هذه الاتفاقيات الاتفاقية الموقعة بين هيئة الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية.

ثانياً - حصانات وامتيازات المنظمات الدولية:

تتمثل الحصانات في عدم خضوعها للتشريعات الوطنية لدول المقر، ذلك أن الخضوع لتشريعات دولة المقر قد يؤدي إلى التأثير على أداء مهماتها كشخصية قانونية دولية ذات إرادة منفصلة عن إرادات الدول الأعضاء، بغض النظر عن وجهة نظر التشريع الوطني للدولة في نشاط المنظمة من حيث تعارضه معها أو اتفاقه.

حيث جاء في الفقرة الثانية من القسم السابع في اتفاقية المقر بين الأمم المتحدة، والخاص بتطبيق قوانين الولايات المتحدة داخل مقر المنظمة، إلا إذا نص على عكس ذلك في نفس الاتفاقية، أو الاتفاقية العامة، وهذا لنص أشير به إلى نصوص القسم الخاص الذي يعطي المنظمة حق إصدار قانونها الداخلي وتطبيقه، حتى وإن تعارض مع القانون المحلي، مع إيراد بعض القيود على هذه السلطات الكبيرة، ومنها:

أ. أن يكون القصد تمكين المنظمة من القيام بمسؤولياتها وتنفيذ أغراضها.

ب. خلق الظروف المواتية لحسن تنفيذ أعمال الأمم المتحدة.

ج. أن يقتصر تطبيق هذه اللوائح على مقر المنظمة.

وتشمل الحصانات والامتيازات الجوانب المالية، والجمركية، وحقوق الانتقال، والاتصال، وحرية النشر، والاجتماع، وغيرها.

الجدير بالذكر أن حصانات وامتيازات المنظمات الدولية تختلف عن الحصانات والامتيازات التي تتمتع بها الهيئات الدبلوماسية للدول، حيث أن الأساس القانوني لحصانات امتيازات بعثات الدول هو القانون العرفي، أما حصانات وامتيازات المنظمات إنما تنبني على الاتفاق.

كما تجدر الإشارة إلى أن حصانات امتيازات الدول تحمل صفة (الوظيفية)، أي أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوظيفة المحددة التي يحددها الميثاق للمنظمة، والتي طبقاً لذلك تؤديها بعثاتها في الدول المضيفة⁽¹²⁾.

كما نشير أيضاً إلى اختلاف حجم الحصانات والامتيازات من منظمة إلى أخرى؛ فمثلاً من الطبيعي أن تختلف حصانات وامتيازات قضاة محكمة العدل الدولية عن حصانات وامتيازات بقية القضاة العاملين في المحاكم الدولية الأخرى.

ثالثاً - حصانات وامتيازات الموظف الدولي:

تتحدث المادة (2/105) من ميثاق الأمم المتحدة عن تمتع موظفي الهيئة العالمية "بالمزايا والاعفاءات التي يتطلبها استقلالهم في القيام بمهام وظائفهم المتصلة بها".

(11) أبو الوفاء 2005م، مرجع سابق، ص 328.

(12) مصطفى 1998م، مرجع سابق، ص 27.

وتنص المادة (23) من اتفاقية مزايا وحصانات الجامعة العربية التي وافق عليها مجلس الجامعة في 9 أبريل 1953 م على أن: "المزايا والحصانات التي تمنح للموظفين هي لصالح الجامعة".

وتضيف المادة أنه: " للأمين العام الحق، بل ويقضيه الواجب رفع الحصانة عن موظفي الأمانة} باستثناء الأمراء المساعدين والموظفين الرئيسيين الذين لا ترفع عنهم الحصانة إلا بموافقة مجلس الجامعة }، في كافة الأحوال التي يرى فيها أن الحصانة تحول دون أخذ العدالة مجراها، وأن رفعها لا يضر بصالح الجامعة".

وتتضمن النصوص بيان هذا الحصانات والامتيازات التي تشبه ما يتمتع به المبعوثون الدبلوماسيون من مزايا، وإن كانت تختلف عنها من حيث جزاء عدم مراعاتها، ذلك أن عدم مراعاة حصانات وامتيازات الموظفين الدبلوماسيين تؤدي إلى المعاملة بالمثل، في حين لا يوجد مثل هذا الجزاء بالنسبة لحصانات وامتيازات الموظف الدولي⁽¹³⁾.

ومن أهم صور حصانات وامتيازات الموظف الدولي الحصانة القضائية الجنائية والمدنية، وحرية الإقامة، والانتقال، وبصفة خاصة عن طريق جوازات مرور، وحرية الاتصال بالمنظمة عن طريق استخدام الشفرة، والبريد الدبلوماسي، والحقية الدبلوماسية، إلى جانب عدد من التسهيلات المالية والاعفاءات الجمركية والضريبية⁽¹⁴⁾.

ولا يتمتع الموظفون الدوليون كافة بكل هذه الحصانات، وإنما تقوم التفرقة بينهم، وفي مدى الحصانات التي يتمتعون بها، على أساس مدى المسؤولية التي تتحملها كل فئة، ومقدار ما تحتاجه كل منها من حصانات وامتيازات لأداء أعمالها.

وتطبيقاً للمعاهدة الخاصة بمزايا وحصانات الأمم المتحدة 13 / 2 / 1946 م. وتلك المتعلقة بمزايا وحصانات الوكالات المتخصصة 21 / 11 / 1947 م. واللوائح المختلفة المتعلقة بهذا الموضوع، يتمتع الموظفون الدوليون في الدرجات القيادية **du carte directorial** بكل ما يتمتع به المبعوث الدبلوماسي من مزايا، أما الموظفون المهنيون **du carte professionnel** فيتمتعون بجزء من الحصانات والامتيازات، وفي الحدود اللازمة لأداء واجبات الوظيفة، أما صغار الموظفين الإداريين فلا يتمتعون بهذه الحصانات والامتيازات.

ومن ناحية أخرى فقد يستثنى الموظفون من رعايا دولة المقر من التمتع ببعض الحصانات والامتيازات.

المبحث الثاني: ضمانات الدعوى الإدارية التأديبية للموظف الدولي:

من المبادئ العامة التي تحكم الوظيفة العامة داخلية كانت أم دولية، مبدأ تقرير حق الموظف في الحماية من تعسف الإدارة العامة، في صورة ضمانات تكفل له حق منازعة قراراتها التأديبية، التي يرى فيها مساس بحقوقه الأساسية، المثبتة بموجب اللوائح الأساسية التي تحكم مركزه القانوني.

كما تتعدد أوجه هذه الحماية بدئاً بالحماية الإدارية الداخلية التي تأخذ شكل الضمانات الإدارية السابقة عن صدور القرار التأديبي، أو اللاحقة له، والتي تتيح له طلب مراجعة قرارات الإدارة التعسفية التي تنطوي على إساءة استعمال السلطة، أو الانحراف بها، فضلاً عن الحماية القضائية.

ففي نطاق الوظيفة العامة الدولية نجد أن نظام الحماية مرتبط ارتباطاً ملازماً

(13) مصطفى 1998م، مرجع سابق، ص159.

(14) الفنيمي (1972م)، محمد طلعت الفنيمي، الأحكام العامة في قانون الأمم- التنظيم الدولي، ب. د. ن، ص 358.

بالوظيفة أكثر من ارتباطه بشخص الموظف، إذ يستهدف توفير الضمانات اللازمة لممارس مستخدمي المنظمة الدولية مهامهم في بيئة آمنة ومستقرة وظيفياً، لتجعلهم في منأى عن أي مزاج سياسي، أو أيديولوجي.

المطلب الأول: الضمانات الإدارية للموظف الدولي:

أولاً - الضمانات الإدارية السابقة لصدور القرار التأديبي:

من الضمانات الأساسية السابقة لصدور القرار التأديبي الواجب مراعاتها ضمن الإجراءات التأديبية، ضرورة إحالة ملف الدعوى التأديبية على لجنة مستقلة، يتقاسم عضويتها ممثلين عن الإرادة وممثلين عن الموظفين، لإبداء الرأي بشأنها، على شرط احترام إجراءات التبليغ والأجال المحددة لها⁽¹⁵⁾، مع احتفاظ الموظف بحقه في الطعن القضائي متى ظهر له أن القرار التأديبي الصادر ضده قد أخل بهذه الضمانات.

كما تقتضي طبيعة بعض القرارات الماسة بالمركز القانوني للموظف، كالتنزيل في الرتبة، أو تحويل إلى منصب آخر، لقصور في الأداء الوظيفي، أو الفصل النهائي من وظيفة، بأن تراعي في هذه الأحوال القواعد الإجرائية المحددة بموجب لائحة شؤون الموظفين.

ومن بين القواعد الإجرائية الواجب مراعاتها أثناء سير الدعوى الإدارية التأديبية؛ ضرورة عرض المسألة على لجنة تأديب، ووجوب إخطار الموظف بالأسباب التي استندت إليها الإدارة في توقيع الجزاء، وإجراء التحقيق اللازم، وتمكين الموظف من الدفاع عن نفسه، وضرورة أن تدرس هيئة التأديب كل المستندات والوثائق المتعلقة بالقضية، فضلاً عن تبليغ الموظف بالقرار التأديبي⁽¹⁶⁾.

ثانياً - الضمانات الإدارية اللاحقة لصدور القرار التأديبي:

إلى جانب أهليته في مباشرة دعاوى الطعن القضائي ضد القرارات التأديبية الصادرة عن إدارة المنظمة الدولية للموظف الدولي، أيضاً الحق في رفع تظلماته الولائية، أقرته كافة لوائح شؤون الموظفين الدوليين. بل قد يعد التظلم المسبق إجراء جوهري يترتب عنه قبول الطعن القضائي من عدمه.

فإذا تعرض الموظف الدولي لإجراء إداري أخل بمركزه القانوني، فالوضع الطبيعي يقتضي وجود جهة إدارية توفر له الحماية الكافية من التصرفات التي تنطوي على إساءة إدارة المنظمة الدولية استعمال سلطتها⁽¹⁷⁾.

إن إقرار لوائح المنظمة الدولية الحق في التظلم أمام سلطة إدارية أعلى على غرار ما هو مقرر في النظم القانونية الداخلية، كما ولا يزال الأسلوب الأكثر شيوعاً في نطاق الوظيفة العامة الدولية، على النحو الذي كان سائداً خلال عصبة الأمم، حيث أتاحت جمعيتها العامة للموظفين إمكانية الطعن على القرارات الإدارية أمام مجلس العصبة.

كما أكدت فيما بعد على ذات الأسلوب اللائحة الداخلية لشؤون موظفي الأمم المتحدة (111.2) من اللائحة الداخلية لموظفي الأمم المتحدة⁽¹⁸⁾، مثلها مثل لائحة شؤون موظفي منظمة العمل الدولية التي أقرت حق موظفي مكتب العمل الدولي في رفع التظلم إلى

(15) صفتو (2009م)، محمد أحمد صفتو، النظام التأديبي للموظفين الدوليين، ط1، ب. د. ن. ص 204.

(16) ندا 1986م، مرجع سابق، ص 293.

(17) Le droit des fonctionnaires internationaux a utiliser tous les moyens de recours internes et juridictionnels qui leur sont reconnus, sans qu'ils ne subissent de consequences defavorables pour leur carriere, constitue une garantie essentielle a laquelle le tribunal accorde la plus grande attention. Jugement n 2139 du 15.07.2002, AIEA, TAOIT.

المدير العام.

أما على المستوى الإقليمي فقد أتاحت لائحة موظفي مجلس أوروبا إمكانية مباشرة التظلم أمام الأمين العام ضد القرارات الفردية أو التنظيمية، على شرط تحقق المصلحة الحاله والمباشرة، ونفس القاعدة اعتمدت بنص لائحة موظفي الأمانة العامة لجامعة الدول العربية.

كما لا يقتصر أسلوب الطعن على التظلم الإداري أمام سلطة التأديب وحدها، بل أوجدت العديد من المنظمات الدولية هيئات إدارية يمكن للموظف اللجوء إليها لرفع تظلمه ضد قرار مس بمركزه القانوني. وتأخذ هذه الهيئات شكل لجان مختلطة تتكون من ممثلين عن الإدارة وآخرين منتخبين عن الموظفين، يسند إليها صلاحية إبداء الرأي حول القرار التأديبي المطعون فيه.

ومن الضمانات الأكثر تأكيداً لمبدأ الحماية الداخلية للموظف الدولي ضرورة رعاية أمنه الوظيفي، وإمكانية إعادة النظر في إجراءات الدعوى التأديبية بناءً على طلب من الموظف، أو من قبل الرئيس الإداري الأعلى، متى تبين أن هناك أدلة أو وقائع يمكن أن يستند عليها لتفعيل إجراءات إعادة النظر في القرار التأديبي، سواء لتعديله أو سحبه⁽¹⁸⁾.

وبالرجوع إلى بعض اللوائح الأساسية لشؤون الموظفين الدوليين، يمكن رصد بعض القواعد الإجرائية المشتركة ذات الصلة بنظم التأديب الإداري المعتمدة من قبل العديد من المنظمات الدولية، منها:

1. أن تشكيل هيئات الطعن والاستئناف ذات الطبيعة المختلطة يتم بمعرفة الرئيس الإداري الأعلى، الذي يعين ممثلين عن الإدارة، في حين يتم انتخاب ممثلين عن الموظفين.
2. أن فحص الطعون لا يتم إلا من قبل اللجنة المشكلة من أعضاء ممن هم في درجة الموظف المحال على لجنة التأديب أو في درجة أعلى منه.
3. أن اللجوء إلى هذه الهيئات يعد إجراء جوهري يتوقف عليه قبول الدعوى القضائية من عدمه. حيث أتاحت بعض النظم الأساسية مجال التسوية القضائية بناءً على اتفاق مسبق بين المنظمة والموظف، دون عرض المسألة على اللجنة الإدارية للطعون.
4. جواز الاتفاق بين إدارة المنظمة والموظف على نشر النزاع مباشرة أمام القضاء، بتخطي إجراء الطعن الإداري المسبق، على أن عدم النص على الحق في الطعن الإداري لا يفسر على أنه إسقاط لحق اللجوء إلى القضاء.
5. أن تتسم إجراءات النظر في الطعون بالطابع الحضورى والعلائية والمواجهة، مع وجوب مراعاة المواعيد والأجال الخاصة بالطعن.
6. ضرورة مراعاة هيئة الطعن لنظامها الإجرائي، بما في ذلك تبليغ أراءها في الأجال المحددة قانوناً.

المطلب الثاني: الضمانات القضائية للموظف الدولي:

أخذت فكرة الضمانات القضائية اهتماماً أكبر عندما عرفت المحاكم الوطنية عن النظر في المنازعات التي تثور بين المنظمة وموظفيها، وذلك بسبب الحصانة القضائية للمنظمة الدولية ذاتها في مواجهة القضاء الوطني لدولة المقر، وهذا الأمر الذي أدى إلى مواجهته من خلال استحداث ما يسمى بالمحاكم الإدارية الدولية للمنظمات الدولية.

(18) مختار (2017م)، إبراهيم براهيم مختار، مسؤولية الموظف الدولي وتطبيقاتها في قضاء المحاكم الإدارية الدولية، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق والعلوم السياسية - جامعة أبوبكر بلقايد، ص 130.

أولاً - نطاق الحماية القضائية للموظف الدولي ومظاهرها:

إن الحماية القضائية ضماناً لا غنى عنها في مواجهة تعسف الإدارة في مجال الخدمة المدنية الدولية، فهي الملاذ الأخير بالنسبة للموظف الدولي عندما يستنفذ كافة الضمانات الأخرى في تحقيق ما يصبو إليه من إلغاء قرارات الإدارة لمخالفته لمبدأ المشروعية.

1. نطاق الحماية القضائية للموظف الدولي: إن تحديد نطاق الحماية القضائية للموظف الدولي تكمن أهميته في تحديد الأشخاص العاملين في المنظمة المشمولين بهذه الحماية، بالإضافة إلى تحديد طبيعة النزاعات التي يمكن أن تكون محل النظر من طرف القضاء الإداري الدولي.

أ. النطاق الشخصي: يتحدد النطاق الشخصي للحماية القضائية في ظل النظام القانوني الإداري الدولي على مستويين، يرتبط الأول بتحديد طائفة الأشخاص العاملين لدى المنظمة الذين يخضعون لاختصاص الجهاز القضائي الإداري الدولي، والمستوى الثاني يتم من خلال تحديد المنظمات التي يمتد إليها اختصاص المحكمة⁽¹⁹⁾.

1- الأفراد الذين يحق لهم اللجوء إلى المحكمة: إن حق اللجوء إلى المحاكم الدولية هو حق حصري لموظفي المنظمة، حتى ولو انتهت علاقتهم الوظيفية بالمنظمة، كما أن هذا الحق يثبت لورثتهم أيضاً، والمحكمة تحدد من هم ورثة الموظف الذين يستحقون معاشه، وتستعين المحكمة في تحديد المستحقين بقواعد القانون الدولي الخاص⁽²⁰⁾.

2- امتداد اختصاص المحاكم الإدارية الدولية يشمل موظفي منظمات دولية أخرى: إن الجهاز القضائي الإداري الدولي يتولى عادة النظر في المنازعات التي تكون المنظمة الدولية المنشئة له طرفاً فيها، ومع ذلك ليس هناك ما يمنع من امتداد اختصاص هذا الجهاز ليشمل منظمات دولية أخرى. ولا يقع هذا الامتداد صحيحاً إلا بموافقة المنظمة التي ترغب في قبول اختصاص الجهاز القضائي، وكذلك المنظمة التي أنشأته، وذلك طبقاً لإجراءات محددة يتكفل بوضعها النظام الأساسي للجهاز⁽²¹⁾.

أ. النطاق الموضوعي: إن الحديث عن النطاق الموضوعي للحماية القضائية للموظف الدولي يقود التطرق إلى الاختصاص الموضوعي للمحاكم الإدارية الدولية.

1- حدود النطاق الموضوعي للحماية القضائية: إن النطاق الموضوعي للحماية القضائية للموظف الدولي يتحدد بالنظر إلى مدى اختصاص المحاكم الإدارية الدولية للتصدي للنزاعات الناجمة عن انتهاك عقود تشغيل الموظفين، أو شروط عملهم، وتبعاً لذلك فإن اختصاص هذه المحاكم يتعقد في حالة وجود مخالفة لقواعد قانونية، أو انتهاك لالتزام قانوني، سواء ورد ذلك في نص تعاقدي، أو نظامي، أو لائحي، ويبدو حتمياً قبل أن تقضي الجهة القضائية باختصاصها في نظر الدعوى أن تتأكد من وجود العقد إذا كان محل الطعن انتهاك أحد الشروط العقدية، أو التعرف على مصدر القاعدة القانونية ومضمونها، إذا كان محل الطعن عدم مراعاة أحد القواعد القانونية التي تحكم الوظيفة الدولية التي تشكل في النهاية الإطار العام لما يسمى (بأوضاع وشروط التشغيل)⁽²²⁾.

2- اتجاه المحاكم الإدارية الدولية نحو توسيع نطاق الحماية الموضوعية لحقوق الموظف الدولي:

(19) أبو بطيخ (2007م)، غسان شاكر محسن أبو بطيخ، تعويض الموظف الدولي عن الضرر الناشئ عن خطأ المنظمة الدولية، منشورات الحلبي الحقوقية - لبنان، ص 38.

(20) Basdevant Suzanne, Les Fonctionnaires Internationaux, Sirey, Paris, 1931, p 451.

(21) زنتاتي (1995م)، عصام زنتاتي، القضاء الدولي الإداري، دار النهضة العربية — القاهرة/ مصر، ص 28.

(22) أبو بطيخ 2007م، مرجع سابق، ص 134

اتجهت المحاكم الإدارية الدولية في كثير من أحكامها إلى الأخذ بالتفسير الواسع لنصوص مواثيق المنظمات الدولية، وأنظمتها الداخلية، ولوائحها الوظيفية، وهو ما جعل اختصاصها يمتد ويتسع لنظر غالبية المنازعات التي تثور بين الجهاز الدولي والموظفين الدوليين⁽²³⁾. وتستند المحاكم الإدارية الدولية لتوسيع اختصاصها إلى الأخذ بنظرية السلطات والاختصاصات الضمنية، وقد لعبت هذه الأخيرة دوراً كبيراً في تطوير المنظمة الدولية ومحاكمها⁽²⁴⁾. وقد انتهجت المحاكم في كثير من أفضيتها سبيل التفسير حسماً للمنازعات المطروحة أمامها، ملتزمة بمنطقية التفسير، وأن يمتد التفسير لفهم روح النص لإظهاره، إضافة إلى أنه يجب أن يكون التفسير في ضوء كافة النصوص، ولا يتم تفسير النص في عزلة عن باقي النصوص الأخرى⁽²⁵⁾.

2. مظاهر الحماية القضائية للموظف الدولي: تتجلى ثمرة الحماية القضائية للموظف الدولي من خلال منح القاضي الإداري سلطات لحماية الموظف، عن طريق بسط رقابته على القرارات الفردية الصادرة عن إدارة المنظمة الدولية والمخالفة للمشروعية، سواء بالإلغاء، أو بالإعادة إلى ذات الإدارة لتصحيح الإجراءات، أو بالتعويض إذا اقتضى الأمر ذلك.

أ. إلغاء قرارات الإدارة المخالفة للمشروعية: القضاء بالإلغاء هو القضاء الذي يقف فيه القاضي على مدى توافر أركان القرار الإداري المطعون فيه من عدمه، وقد عمد القضاء الإداري الدولي إلى إلغاء القرارات الإدارية الدولية التي تصدرها الإدارات بالمخالفة للنظام الأساسي للمنظمة، أو لوائح الموظفين فيها، ويشترط لقبول دعوى الإلغاء أمام القضاء الإداري الدولي أن تكون موجهة ضد قرار إداري⁽²⁶⁾. ولمزيد من التفاصيل نتطرق إلى العيوب التي تطرأ على القرار الإداري الصادر عن إدارة المنظمة الدولية، والتي يستند عليها القاضي للحكم بإلغاء القرار المعيب والغير المشروع.

1- عيب الشكل والإجراءات: عيب الشكل والإجراءات هو عبارة عن عدم التزام الجهة الإدارية بالمنظمة الدولية عند إصدارها للقرار الإداري بالقواعد الشكلية والإجرائية الضرورية التي تتطلبها اللوائح عند إصدار القرارات⁽²⁷⁾، فشكل القرار في ذاته هو الصورة الخارجية التي يفرغ فيها القرار، بحيث يجب أن يُصاغ القرار الإداري في الشكل الذي يقرره قانون المنظمة، وفي حالة عدم النص على ذلك صراحة، يجب أن يصدر القرار الإداري مستلماً قواعد القانون الدولي. ورقابة المحاكم الإدارية لهذا العيب لا تقتصر فحسب على الشكل النهائي للقرار، بل وتمتد أيضاً إلى كل ما يتعلق بمراحل إصداره⁽²⁸⁾، حيث أن الإجراءات الشكلية التي تفرضها النصوص على الإدارة من الضمانات الهامة للموظف الدولي، والأصل أن عدم مراعاة الإجراءات المنصوص عليها يؤدي إلى البطلان للقرار الإداري.

2- عيب السبب: السبب في القرار الإداري؛ هو مجموعة العناصر الواقعية أو القانونية التي تبرر وتسمح لرجل الإدارة اتخاذ القرار، فالسبب عنصر خارجي عن القرار الإداري وسابق عليه، ويطلق عليه الباعث المهم، أي أساس ذلك القرار وسبب وجوده⁽²⁹⁾.

(23) الذاري (2012م)، محمد عبدالرحمن إسماعيل علي الذاري، الحماية القضائية للموظف الدولي، المنظمة العربية للتنمية الإدارية - مصر، ص 401.

(24) السريري (2013م)، فتح الله محمد حسين السريري، المركز القانوني للموظف الدولي، دار الفكر الجامعي - الإسكندرية/ مصر، ص 150.

(25) فوزي (1991م)، صلاح الدين فوزي، النظام القانوني للوظيفة الدولية (دراسة مقارنة)، دار النهضة العربية - القاهرة/ مصر، ص 171.

(26) العربي (2002م)، السيد عبدالحميد محمد العربي، ممارسة الموظف للحريات العامة في القانون الإداري والقانون الدولي، رسالة دكتوراه، جامعة أسيوط - مصر، ص 758.

(27) فوزي 1991م، مرجع سابق، ص 429.

(28) الذاري 2012م، مرجع سابق، ص 374.

(29) البرنجين (1981م)، عبدالوهاب البرنجين، السلطة التقديرية والرقابة القضائية على أعمال الإدارة، رسالة

وقد عرفت المحكمة الإدارية لجامعة الدول العربية السبب، وبينت أهم شروط تحققه بقولها: (حالة واقعية أو قانونية تحمل الإدارة على التدخل بقصد إحداث أثر قانوني هو محل القرار ابتغاء وجه المصلحة العامة الذي هو غاية القرار الإداري، وهذه الحالة الواقعية أو القانونية التي استدعت تدخل الإدارة يجب أن تكون محققه الوجود وقائمة وقت إصدار القرار، بحيث تصدر تلك القرارات قائمة عليها باعتبارها أساساً صادقة ولها قوام في الواقع، وإلا اعتبر القرار معيباً بغيب السبب)⁽³⁰⁾. وأوضحت المحكمة الإدارية لجامعة الدول العربية حدود رقابتها لركن السبب بقولها: (أن هذه الرقابة تجد حدها عند التحقق من وجود هذه الأسباب، وما إذا كانت مطابقة للقانون وتؤدي إلى النتيجة التي انتهت إليها)⁽³¹⁾.

والأصل أن المحاكم الإدارية الدولية تلزم المنظمات الدولية بتسبب قراراتها، وخصوصاً ما يتعلق منها بالقرارات التي تؤثر في المركز القانوني للموظف الدولي، أو في حقوقه المنصوص عليها في عقد التوظيف والأنظمة الأساسية أو الإدارية للموظفين الدوليين⁽³²⁾.

3- عيب الاختصاص: عيب الاختصاص هو أن تصدر سلطة إدارية قراراً دون أن تكون لها صفة اتخاذه قانوناً، ومن ثم يكون عدم الاختصاص هو صدور القرار خلافاً لما يقرره القانون من قواعد الاختصاص، أو هو عدم اتخاذ قرار بواسطة السلطة التي لها صفة في اتخاذه⁽³³⁾.

4- عيب الانحراف في استعمال السلطة: عيب الانحراف بالسلطة هو العيب الذي يتعلق بالغاية والهدف من القرار الإداري، ويتضح هذا العيب عندما يستخدم مصدر القرار سلطته لتحقيق غرض مغاير للغرض الأساسي الذي يجب أن يستهدفه القرار. وقد عرفته المحكمة الإدارية لمنظمة العمل الدولية بأنه: (عيب يشوب الغاية بأن تكون الإدارة أصدرت قرارها بدافع لا يمت للمصلحة العامة)⁽³⁴⁾.

5- عيب المحل (عيب مخالفة القانون): محل القرار الإداري هو موضوعه أو الأثر القانوني المباشر المترتب عليه، ويقصد بغيب المحل أن يخالف محل القرار الإداري إحدى القواعد القانونية، وتستوى في ذلك القواعد المدونة أو غير المدونة المستمدة من العرف أو القضاء، ويطلق على عيب المحل عيب مخالفة القانون بالمعنى الضيق، وذلك لأن أي عيب يشوب القرار الإداري إنما يعتبر مخالفاً للقانون بالمعنى الواسع، إذ أن القانون هو الذي يحدد القواعد التي تحكم شروط صحة القرار الإداري من اختصاص، وشكل، وغاية، وسبب⁽³⁵⁾.

أ. التعويض عن الضرر الناتج عن خطأ المنظمة: يتصف القضاء الإداري الدولي بالقضاء الكامل، لأنه بالإضافة إلى اختصاصه بإلغاء القرارات الإدارية المعيبة فهو يختص أيضاً بالتعويض عن الأضرار التي تلحق الموظفين الدوليين جراء القرارات الصادرة عن المنظمة، أو الأضرار التي تلحق بهم عندما يكون تنفيذ الالتزام الملقى على عاتق الإدارة تجاه موظفيها مستحيلاً أو متعذراً⁽³⁶⁾.

1- حالات التعويض: تشكل حالات الحكم بالتعويض سمة أساسية في القضاء الإداري الدولي.

دكتوراه، جامعة القاهرة - مصر، ص 233.

(30) الدعوى رقم 21 لسنة 48ق، بتاريخ 09/01/2014م.

(31) الدعوى رقم 12 لسنة 49ق، بتاريخ 11/05/2015م.

(32) ابوبيطخ 2007م، مرجع سابق، ص 98.

(33) عبداللطيف (2002م)، محمد محمد عبداللطيف، قانون القضاء الإداري، الكتاب الثاني، دعوى الإنهاء،

دار النهضة العربية - القاهرة/ مصر، ص 216.

(34) سرحان (1990م)، عبدالعزيز سرحان، القانون الدولي الإداري، دار النهضة العربية - القاهرة/ مصر، ص 302.

(35) أبو بطيخ 2007م، مرجع سابق، ص 176.

(36) العربي 2002م، مرجع سابق، ص 776.

إن مخالفة النصوص والالتزامات اللاتحجية أو التعاقدية التي يترتب عنها ضرر للموظف الدولي توجب التعويض، وفي هذا الصدد نصت المادة (1/9/6) من المرفق التاسع من لوائح الموظفين المدنيين بحلف شمال الأطلسي على أنه يجوز للمحكمة الإدارية أن تأمر هيئة حلف شمال الأطلسي بدفع تعويض عن الضرر الناجم عن أي مخالفة يرتكبها رئيس هيئة حلف شمال الأطلسي، كما نصت المادة (2/13) من النظام الأساسي للمحكمة الإدارية لبنك التنمية الأفريقي على أنه: وفي حالة الحكم بإلغاء القرار الإداري لمخالفته القواعد القانونية المعمول بها في المنظمة، يتعين على المحكمة في هذه الحالة الحكم بتعويض للموظف عما لحق به من ضرر جراء هذه المخالفة. كما نصت على ذلك وعلى سبيل المثال المادة (14) من النظام الأساسي للمحكمة الإدارية لصندوق النقد الدولي، والمادة (5/10/ب) من النظام الأساسي لمحكمة الأمم المتحدة للمنازعات، والمادة (2/9) من النظام الأساسي للمحكمة الإدارية لمنظمة الدول الأمريكية. ويشترط لقيام مسؤولية المنظمة الدولية عن قراراتها قيام خطأ من جانبها بأن يكون القرار غير مشروع، وأن يلحق بالموظف ضرر، وأن تقوم علاقة سببية بين الخطأ والضرر، ويجب على المضرور أن يثبت عناصر الضرر المادي والأدبي، فإن انتفى ركن من أركان المسؤولية فإن طلب التعويض لا يكون قائماً على أساس سليم⁽³⁷⁾.

والحكم بالتعويض لا يشترط فيه الاقتران بالحكم بالإلغاء، حيث أن الجهة القضائية تملك سلطة عدم الحكم بإلغاء القرار المطعون فيه، نظراً لأن ما لحق به من عيوب لم يكن سوى مخالفة بسيطة في الإجراءات، وتكتفي هذه الحالة بالقضاء بالتعويض⁽³⁸⁾.

2- تقدير التعويض: يتم تحديد مبلغ التعويض بالاتفاق بين الأطراف المعنية، أو عن طريق اللجوء إلى المحاكم الإدارية الدولية، وللقضاء الإداري الدولي في هذا المجال سلطة واسعة أكثر من سلطة القاضي الوطني، حيث أن هذا الأخير مقيد بما يفرضه القانون الداخلي من حدود لا يمكن تجاوزها، في حين يفترض القانون الإداري الدولي إلى قواعد عامة تتعلق بتقدير التعويض المالي، إذ تتأثر أحكام القضاة الدوليين وقراراتهم بتنوع الضرر الحاصل، الأمر الذي يؤدي بالتالي إلى تنوع المعايير المعتمدة في تقدير التعويض⁽³⁹⁾.

وفي هذا الشأن قضت المحكمة الإدارية لجامعة الدول العربية بأنه: (المحكمة هي التي تقوم بتقدير التعويض المناسب لجبر الأضرار التي أصابت المدعي المترتبة عن الخطأ أو القرار الغير المشروع الذي صدر عن الجهة أو الهيئة المدعي عليها، ويتبغى أن يكون تقدير التعويض مبنياً على تحقيق العدالة لجبر الأضرار دون إفراط أو تفريط، وذلك حتى لا تكون المطالبة بالتعويض مدخلاً لاستنزاف هذه الجهة أو الهيئة، وتحقيقاً للكسب الغير المشروع، أو تكون من ناحية أخرى مجحفة بالمضرور)⁽⁴⁰⁾.

3- أنواع الضرر الموجب للتعويض: إن الضرر الموجب للتعويض قد يكون مادياً، وقد يكون معنوياً، والضرر المادي هو الذي يصيب الشخص في حق أو مصلحة مالية، أما الضرر المعنوي فهو الذي لا يمس مصلحة مالية، بل يصيب الفرد في شرفه، أو سمعته، أو عاطفته، أو مركزه الاجتماعي، وكثيراً ما يتبع الضرر المادي ضرراً معنوياً والعكس.

وإذا كان مسلم به أن الضرر المادي أيًا كان مقداره أو طبيعته يصلح أساساً للتعويض، فإن الضرر المعنوي يشكل مبرراً سليماً للتعويض لا يقل شأنًا عن تعويض الضرر المادي⁽⁴¹⁾.

(37) أبو بطيخ 2007م، مرجع سابق، ص 115.

(38) عائشة (2019م)، غزيل عائشة، الحماية القانونية للموظف الدولي، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق والعلوم

السياسية - جامعة جيلالي ليايس/ سيدي بلعباس، ص 197.

(39) زناتي 1995م، مرجع سابق، ص 83.

(40) الدعوى رقم 8 لسنة 49ق، بتاريخ 2015/05/11م.

(41) أبو بطيخ 2007م، مرجع سابق، ص 111.

واستقر القضاء الإداري الدولي على التعويض عن الضرر الأدبي الذي يلحق بالموظف بسبب قرارات إدارة المنظمة، حتى ولو لم يكن هناك ثمة حكم قضائي قضي بإلغائها، فهي تقضي به حتى ولو لم يتلزم مع أحقيته في تعويض مادي، ويجوز المطالبة بالتعويض الأدبي إذا أثبت الموظف عناصر الضرر الأدبي الذي وقع عليه، وللمحكمة أن تقدر مدى ملائمة هذا التعويض للضرر الواقع عليه⁽⁴²⁾.

ثانياً - إجراءات التقاضي أمام المحاكم الإدارية الدولية:

إن الحماية القضائية للموظف الدولي لا يمكن تحقيقها على أرض الواقع إلا من خلال وسيلة قانونية يستطيع الموظف الدولي من خلالها الوصول بنزاعه إلى القضاء، وهي الدعوى القضائية، ذلك أن إقامة الدعوى أمام المحاكم الإدارية الدولية يكون وفقاً لإطار إجرائي يهدف إلى تنظيم الحماية القضائية للحقوق الموضوعية.

1. شروط رفع الدعوى وإجراءات سيرها أمام المحاكم الإدارية الدولية: إن عملية التقاضي أمام المحاكم الإدارية الدولية تتطلب جملة من الشروط، والإخلال بتلك الشروط القانونية له تبعاته وأثاره على سير عملية التقاضي، كما أن هناك مجموعة من الإجراءات المخصصة لرفع الدعوى أمام المحكمة الإدارية الدولية يتعين على الطاعن احترامها والعمل بها، ومخالفتها قد تتسبب في إبطال الدعوى.

أ. شروط رفع الدعوى أمام المحاكم الإدارية الدولية: إن الدعوى الإدارية في نطاق القضاء الإداري الدولي لا تختلف عن غيرها من الدعاوى الإدارية على مستوى التشريعات الداخلية، بحيث لا بد أن تقوم على شكليات خاصة في بعض نواحيها، فلكي يتسنى للقاضي الإداري التطرق إلى الجانب الموضوعي للدعوى، لا بد له أولاً دراسة هذه الدعوى في شقها الشكلي أولاً؛ وهو ما يعرف بشروط قبول الدعوى، ويقصد بها الشروط الواجب توافرها لقبول نظر الدعوى أمام القضاء، بحيث إذا تخلف واحد أو أكثر من هذه الشروط أصبحت الدعوى المرفوعة غير قابلة للنظر في موضوعها، حتى ولو كان هذا الموضوع يدخل في نطاق اختصاص المحكمة الإدارية الدولية، بل حتى ولو كان القرار الإداري الدولي مشوب بعدم المشروعية في ظاهره⁽⁴³⁾.

وهذه الشروط هي:

1. توجيه الطعن ضد قرار إداري.
2. الصفة والمصلحة.
3. الاختصاص.
4. وجود نزاع حقيقي وفعلي.
5. استنفاد طرق الطعن الداخلي.
6. ارتكاز الطعن على بنود عقد التشغيل والقواعد الحاكمة لأوضاع وشروط العمل.
7. التظلم.

ب. سير الخصومة أمام المحاكم الإدارية الدولية: من الضمانات الأساسية للموظف الدولي في مرحلة التقاضي هو أن يكون على علم بمختلف الإجراءات المتبعة أمام المحاكم الإدارية الدولية، والسلطات الممنوحة لها، حتى يستطيع اتباع الإجراءات السليمة، ولا يخسر دعواه، ومن جهة أخرى حتى يكون ملماً بالضمانات التي من شأنها أن تكفل له قدرًا من الانصاف والعدالة في تحصيل حقوقه؛ كحق الدفاع، وعلائية الجلسات،... إلخ⁽⁴⁴⁾.

(42) العربي 2002م، مرجع سابق، ص 781.

(43) عائشة 2019م، مرجع سابق، ص 208.

(44) عائشة 2019م، مرجع سابق، ص 221.

1- تحضير الدعوى:

1/ رفع الدعوى: يجري العمل في المحاكم الإدارية الدولية على أن تتم إقامة الدعوى بواسطة نموذج مُحدد يحصل عليه الطاعن من سكرتارية المحكمة، ويتم صياغته بإحدى اللغات الرسمية المستخدمة في المنظمة، ويجب أن تنطوي صحيفة الدعوى على عرض للوقائع والأسانيد، ويقدم الطاعن مرفقات بأصول وصور طبق الأصل من المستندات التي يرى أنها تدعم موقفه، وتقدم المرفقات أيضاً بإحدى اللغات الرسمية للمنظمة، كما يجب أن تكون الوثائق مصحوبة بأي ترجمات ضرورية، ويتم تقديم الوثائق في العديد من المنظمات في شكل إلكتروني⁽⁴⁵⁾.

2/ الردود: بعد التأكد من الامتثال للمتطلبات الرسمية لرفع الدعوى يحيل قلم المحكمة نسخة من عريضة الدعوى إلى المدعى عليه⁽⁴⁶⁾.

2- القواعد الإجرائية الخاصة بنظر الدعوى: بعد انتهاء المرحلة الأولى من إجراءات التقاضي تدخل الدعوى في مراحل أخرى، تتلخص أهم خطواتها في: نظر الدعوى، التدخل في الدعوى، ضم الدعوى، مذكرات أصدقاء المحكمة، علانية الجلسات، التمثيل، تقدير وفحص الأدلة، الشهود والخبراء.

2. الطعن في أحكام المحاكم الإدارية الدولية: إنّ نظام الطعن في الأحكام يهدف لضمان سلامة وعدالة الأحكام القضائية، وبث الشعور بالثقة والاطمئنان لدى من صدر الحكم في حقه.

إنّ الأحكام القضائية الصادرة عن المحاكم الإدارية الدولية نهائية، ولا يجوز الطعن فيها لغياب التدرج بين المحاكم الإدارية الدولية، وتعتبر محكمة الأمم المتحدة للاستئناف الاستثناء الوحيد على هذه القاعدة، حيث أنها تعتبر إحدى مخرجات الإصلاح الإداري الذي عرفه نظام العدل الداخلي بالأمم المتحدة.

أ. طرق الطعن العادية: نظراً لما قد يعتري القاضي من أخطاء في تقدير الوقائع، أو إساءة في تطبيق القانون، فإنّ العدالة القانونية تقتضي أن يتم نظر الدعوى على مرحلتين، وأمام محكمتين، محكمة درجة أولى، ومحكمة درجة ثانية، وهذا ما يسمى بمبدأ التقاضي على درجتين.

1- مبدأ عدم قابلية أحكام المحاكم الإدارية الدولية للاستئناف: باستثناء الأحكام الصادرة عن محكمة الأمم المتحدة للمنازعات، فإن معظم أحكام القضاء الإداري الدولي نهائية، ولا يجوز الطعن فيها أمام جهات قضائية أعلى، ولقد تم صياغة هذا المبدأ في التقرير الذي أعدته لجنة المراقبة بعصبة الأمم، بمناسبة إنشاء المحكمة الإدارية للعصبة⁽⁴⁷⁾، ولقد ورد بالتقرير أنه (لا يوجد في النظام الأساسي للمحكمة نصوص تتعلق بمراجعة أحكامها، وذلك لكفالة الطابع النهائي، ولتجنب الإجراءات التي تستهدف إطالة أمد النزاع)⁽⁴⁸⁾.

2- الاستثناء الوارد على مبدأ عدم قابلية أحكام المحاكم الإدارية الدولية للاستئناف: إنّ نظام العدل الداخلي بالأمم المتحدة يكاد ينفرد بخاصية التقاضي على درجتين، فمحكمة الأمم المتحدة للاستئناف تعد بمثابة محكمة درجة ثانية في نظام العدل الرسمي بالأمم المتحدة.

• اختصاص محكمة الأمم المتحدة للاستئناف: تختص محكمة الاستئناف بالنظر والبث في

(45) عائشة 2019م، مرجع سابق، ص 221.

(46) عائشة 2019م، مرجع سابق، ص 222.

(47) عبدالعزيز (2014م). حسام محمد عبدالعزيز، المحاكم الإدارية الدولية، دار الفكر الجامعي - الإسكندرية/ مصر، ص 409.

(48) زنتاتي 1995م، مرجع سابق، ص 196.

- دعاوى الاستئناف التي ترفع بشأن الأحكام والقرارات الآتية:
- أحكام محكمة الأمم المتحدة للمنازعات.
 - القرارات الصادرة عن اللجنة الدائمة العاملة باسم مجلس الصندوق المشترك للمعاشات التقاعدية لموظفي الأمم المتحدة.
 - الأحكام الصادرة في دعاوى أحد أطرافها الوكالات المتخصصة أو منظمات وكيانات أخرى.
- آجال الاستئناف: إن الطعن بالاستئناف أمام محكمة الأمم المتحدة للاستئناف يجب أن يكون وفق الآجال الآتية:
- 06 يوماً من تاريخ استلام الطرف المستأنف للحكم الصادر عن محكمة المنازعات.
 - 90 يوماً من تاريخ استلام الطرف المستأنف قراراً صادراً عن اللجنة الدائمة باسم مجلس الصندوق المشترك للمعاشات التقاعدية لموظفي الأمم المتحدة.
- ب. طرق الطعن غير العادية:
- 1- التماس إعادة النظر: يعد الطعن بطريق التماس إعادة النظر طريق طعن خاص في الأحكام النهائية يرفع إلى نفس المحكمة التي أصدرته إذا توافر سبب من الأسباب التي نص عليها القانون على سبيل الحصر.
- فهذه الطريقة لا تعد استئنافاً للحكم بالمعنى المتعارف عليه في القوانين الوطنية الداخلية، ولكنه نوع من تدارك ما قد يشوب أحكام المحكمة من أخطاء مقصودة أو غير مقصودة، سواء كانت هذه الأخطاء صادرة من المحكمة، أو من أحد أطراف الدعوى.
- 2- تصحيح الحكم: قد يشوب الحكم الصادر عن جهات القضاء الإداري الدولي بعض الأخطاء المادية عند تحرير الحكم، وفي هذه الحالة تلتزم المحكمة التي أصدرت الحكم بناءً على طلب أي طرف من أطراف الدعوى بتصحيح هذه الأخطاء، وبالتالي يهدف طلب التصحيح مجرد تصحيح الأخطاء المادية؛ كخطأ في الكتابة، أو في الحساب الذي يطرأ على نص الحكم.
- فالخطأ المادي يرتبط بوقائع مادية فقط من حيث تقرير وجودها من عدمه، وبهذا المعنى فإن تصحيح الخطأ المادي يمس بطريقة متفاوتة جوهر الحكم، وربما يتطلب الأمر الإقتراب من فحص موضوع الحكم، ولذا فإنه من الطبيعي ألا يتم تقديم طلب التصحيح إلا من أطراف الحكم، كما يحق للجهة القضائية أن تتصدى للتصحيح بمبادرة منها، وتصدر بذلك قراراً من تلقاء نفسها، أو بناءً على طلب أحد الخصوم.
- وقد جرت العادة في إطار المحاكم الإدارية الدولية أن يتم التصحيح بدون مرافعة، ويجري سكرتير الجهة القضائية هذا التصحيح على نسخة الحكم الأصلية، ويوقعها رئيس الجلسة، ويتم إخطار ذوي الشأن⁽⁴⁹⁾.
- 3- تفسير الحكم: إن تفسير الحكم يلقي قبولاً دائماً من الجهة القضائية، حتى في حالة غياب النص، وينبغي أن يستهدف الطلب إيضاح المعنى الحقيقي للحكم، ولا يمس حجج الشئ المقضي به التي يتمتع بها.
- وقد حددت المحكمة الإدارية لمنظمة العمل الدولية المبادئ الأساسية لتفسير الحكم، على أنها تتمثل في تفسير المصطلحات الغامضة في الحكم بحسن نية، مما يعطيها معناها الطبيعي والمعتمد في سياقها، بالإضافة إلى تفسير النصوص الغامضة لصالح الموظف⁽⁵⁰⁾.

(49) زنتاتي 1995م، مرجع سابق، ص 200.

(50) عاشة 2019م، مرجع سابق، ص 250.

كما قضت المحكمة الإدارية لجامعة الدول العربية أن: (الحكم الصادر بالتفسير يعتبر متمماً للحكم الذي يفسره من جميع الوجوه، لا حكماً جديداً، وعلى ذلك يلزم أن يقف عند إيضاح ما أبهم فعلاً، لا ما التبس على ذوي الشأن فهمه، على الرغم من وضوحه، وذلك دون المساس بما قضى به الحكم محل التفسير، والألا كان ذلك إخلالاً بقوة الشيء المقضي فيه، وفي هذا النطاق يتحدد موضوع طلب التفسير فلا يكون له محل إذا تعلق بمنطوق لا غموض فيه، كما أنه لا محل لطلب التفسير إذا استهدف ما قضى به الحكم زيادة أو نقصان، ولو كان قضاؤه خاطئاً، كما أنه لا محل لطلب التفسير إذا استهدف إعادة مناقشة ما فصل فيه هذا الحكم من طلبات موضوعية أياً كان الفصل في هذه الطلبات)⁽⁵¹⁾.

الخاتمة:

إن الاستقرار الوظيفي في المنظمة الدولية لن يتحقق إلا من خلال توفير قدرًا من الضمانات القانونية التي تمكن الموظف الدولي والذي هو عصب المنظمة الدولية من القيام بالمهام المنوطة به في جو من الطمأنينة والاستقرار، الأمر الذي سينعكس بدوره على أداء المنظمة وفعاليتها.

نتائج الدراسة:

1. عدم استقرار الفقه والقضاء الإداري الدولي على تعريف موحد للموظف الدولي، حيث إنهم انقسموا من حيث اشتراط صفة الدوام والاستمرار في الوظيفة وما بين عدم الاعتداد بهذا الشرط تماماً.
2. خضوع الموظف الدولي لنظام قانوني، أي أن له حقوق وامتيازات وعليه واجبات والتزامات، ويلاحظ في هذا الصدد أن الوظيفة الدولية والوظيفة الوطنية متماثلتان، وأن القواعد التي تتناول التنظيم الإداري والوظيفي الدولي مستمدة في الغالب من قواعد القانون الإداري الداخلي.
3. إن مظاهر الحماية القضائية للموظف الدولي تتجلى من خلال منح القاضي الإداري سلطات لحماية الموظف عن طريق بسط رقابته على القرارات الفردية الصادرة عن إدارة المنظمة الدولية والمخالفة للمشروعية، سواء بالإلغاء أو بالإعادة إلى ذات الإدارة لتصحيح الإجراءات، أو بالتعويض في حالات معينة.
4. إن النظام القضائي الدولي الإداري يحتاج إلى مراجعة، فتعدد المحاكم ونظمها يحول دون تطوير الوظيفة الدولية وتفعيلها، ويحول كذلك دون توحيد المعايير الخاصة بالأحكام ومراجعتها وإرساء السوابق القضائية، وخلق قواعد قانونية تساهم في تدعيم وجود قانون موحد للوظيفة الدولية.

(51) الدعوى رقم 27 لسنة 50 ق، بتاريخ: 29 / 11 / 2016م.

قائمة المراجع

أولاً: الكتب:

1. أبو الوفاء (1986م)، أحمد أبو الوفاء، الوسيط في قانون المنظمات الدولية، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية - القاهرة/ مصر.
2. أبو الوفاء (2005م)، أحمد أبو الوفاء، الوسيط في قانون المنظمات الدولية، دار النهضة العربية - القاهرة/ مصر.
3. أبو بطيخ (2007م)، غسان شاكر محسن أبو بطيخ، تعويض الموظف الدولي عن الضرر الناشئ عن خطأ المنظمة الدولية، منشورات الحلبي الحقوقية - لبنان.
4. حسين (1988م)، مصطفى سلامة حسين، المنظمات الدولية، الدار الجامعية.
5. الدقاق، حمد سعيد الدقاق، التنظيم الدولي، الدار الجامعية - الإسكندرية/ مصر.
6. الذاري (2012م)، محمد عبدالرحمن إسماعيل علي الذاري، الحماية القضائية للموظف الدولي، المنظمة العربية للتنمية الإدارية - مصر.
7. زناتي (1995م)، عصام زناتي، القضاء الدولي الإداري، دار النهضة العربية - القاهرة/ مصر.
8. سرحان (1990م)، عبدالعزيز سرحان، القانون الدولي الإداري، دار النهضة العربية - القاهرة/ مصر.
9. السريري (2013م)، فتح الله محمد حسين السريري، المركز القانوني للموظف الدولي، دار الفكر الجامعي - الإسكندرية/ مصر.
10. شهاب (1974م)، مفيد شهاب، المنظمات الدولية، ط2، دار النهضة العربية - القاهرة/ مصر.
11. صفوت (2009م)، محمد أحمد صفوت، النظام التأديبي للموظفين الدوليين، ط1، ب. د. ن.
12. عبدالعزيز (2014م)، حسام محمد عبدالعزيز، المحاكم الإدارية الدولية، دار الفكر الجامعي - الإسكندرية/ مصر.
13. عبداللطيف (2002م)، محمد محمد عبداللطيف، قانون القضاء الإداري، الكتاب الثاني، دعوى الإلغاء، دار النهضة العربية - القاهرة/ مصر.
14. الغنيمي (1972م)، محمد طلعت الغنيمي، الأحكام العامة في قانون الأمم- التنظيم الدولي، ب. د. ن.
15. فوزي (1991م)، صلاح الدين فوزي، النظام القانوني للتوظيف الدولية (دراسة مقارنة)، دار النهضة العربية - القاهرة/ مصر.
16. فوزي (2013م)، صلاح الدين فوزي، الوظيفة العامة والوظيفة العامة الدولية، دار النهضة العربية - القاهرة/ مصر.
17. مصطفى (1998م)، مأمون مصطفى، قانون المنظمات الدولية، ب. د. ن.
18. ندا (1986م)، جمال طه اسماعيل ندا، الموظف الدولي - دراسة مقارنة في القانون الدولي الإداري، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة/ مصر.

ثانياً: الرسائل العلمية:

1. البرنجين (1981م)، عبدالوهاب البرنجين، السلطة التقديرية والرقابة القضائية على أعمال الإدارة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة - مصر.
2. عائشة (2019م)، غزيل عائشة، الحماية القانونية للموظف الدولي، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق والعلوم السياسية - جامعة جيلالي ليابس/ سيدي بلعباس.
3. العربي (2002م)، السيد عبدالحميد محمد العربي، ممارسة الموظف للحريات العامة في القانون الإداري والقانون الدولي، رسالة دكتوراه، جامعة أسيوط - مصر.
4. مختار (2017م)، إبراهيم براهيم مختار، مسؤولية الموظف الدولي وتطبيقاتها في قضاء المحاكم الإدارية الدولية، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق والعلوم السياسية - جامعة أبوبكر بلقايد.

ثالثاً - المراجع الأجنبية:

1. Chamberlian International Organizations New York 1955, Moraveski V Funcions of International Organization - Warsaw 1971 D. P. 41 ands.
2. Basdevant Suzanne, Les Fonctionnaires Internationaux, Sirey, Paris, 1931, p 451.

رابعاً - أحكام المحاكم:

1. حكم المحكمة الإدارية لجامعة الدول العربية، الدعوى رقم 27 لسنة 50 ق، بتاريخ: 29 / 11 / 2016م.
2. حكم المحكمة الإدارية لجامعة الدول العربية، الدعوى رقم 8 لسنة 49ق، بتاريخ 11/05/2015م.
3. حكم المحكمة الإدارية لجامعة الدول العربية، الدعوى رقم 21 لسنة 48ق، بتاريخ 01/09/2014م.
4. حكم المحكمة الإدارية لجامعة الدول العربية، الدعوى رقم 12 لسنة 49ق، بتاريخ 11/05/2015م.

دور السلطة التشريعية والتنفيذية في صنع السياسة العامة

سياق دستوري مقارنة لمعرفة دور السلطين التشريعية والتنفيذية في صنع السياسة العامة للدولة

إعداد

د. مرعية عبدالله موسى العبار

قسم الإدارة العامة- كلية الاقتصاد- جامعة بنغازي

القبول: 2023/6/26

الاستلام: 2023/5/14

○

○

المستخلص:

عملية صنع السياسة العامة هي الركيزة الأساسية للنظام السياسي لتنفيذ سياساته للوصول إلى الأهداف المطلوبة، حيث يقوم النظام السياسي ومن خلال أدواته المتمثلة في السلطات العامة الدستورية التشريعية، والتنفيذية، بعملية صنع السياسة العامة.

ومن هنا فإن هذه الدراسة هي محاولة لفهم السياق الدستوري المقارن لدور كل من السلطة التشريعية والتنفيذية لعملية صنع السياسة العامة، عبر ثلاث مراحل من التاريخ السياسي لليبيا وذلك لتحد أوجه الشبه والاختلاف بين هذه الأدوار للوصول إلى فهم أعمق لمخرجات النظام السياسي بشكل عام.

حيث تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة أجزاء، فقد تناول الجزء الأول إطار المفاهيم لكل من الدستور والسياسة العامة، أما الجزء الثاني تناول الإطار المؤسسي لكل من السلطة التشريعية والتنفيذية، أما الجزء الثالث فقد تناول اختصاصات السلطة التشريعية والتنفيذية، أما الجزء الرابع فقد تناول التحليل النتائج، التي من خلالها تمت الإجابة على تساؤلات الدراسة.

الكلمة المفتاحية: الدستور- السياسة العامة - السلطة التشريعية - السلطة التنفيذية - الإطار المؤسسي.

Abstract:

The process of making public policy is the basic pillar of the political system to implement its policies to reach the required goals, as the political system carries out the process of making public policy through its tools represented in the public, constitutional, legislative and executive authorities..

Hence, this study is an attempt to understand the comparative constitutional context of the role of each of the legislative and executive authorities in the process of making public policy through three stages of the political history of Libya, in order to challenge the similarities and differences between these roles in order to reach a deeper understanding of the outputs of the political system in general.

Where the study was divided into three parts, the first part dealt with the conceptual framework of both the constitution and public policy, as for the second part, it dealt with the institutional framework for each of the legislative and executive branches, as for the third part, it dealt with the powers of the legislative and executive authorities, as for the fourth part, it dealt with the analysis of the results, through which the study questions were answered.

keyword: Constitution - public policy - legislative power - executive power - institutional framework

المقدمة:

السياسة العامة هي النشاط المؤسسي الذي تقوم به الحكومة طبقاً للإمكانات المتاحة، وتختلف درجة اشتراك المؤسسات السياسية في رسم السياسة العامة من نظام إلى آخر، وتعرف السياسة العامة بأنها «الخطوط العريضة المحددة لكيفية تحقيق الأهداف العامة»⁽¹⁾. وفي واقع الأمر فإن السياسة العامة، هي تداخل وتفاعل ثلاثة عناصر أساسية هي: النوايا والأفعال والنتائج، وإذا كانت النوايا تعني: ماذا ستفعل الدولة، فإن الأفعال تجسد السلوك الفعلي للحكومة أو الدولة، وعليه فإن النتائج تعكس كل ما يترتب عن أفعال الدولة أو تأثير سياسات الدولة على المجتمع ككل⁽²⁾، والسياسة العامة بشكل عام هي «تخصيص سلطوي للقيم» كما أنها «منهج عمل هادف يوجه التعامل مع قضايا ومشكلات مجتمعية حيوية. وفي هذا الإطار فإن عملية صنع السياسة العامة تتطلب معرفة دور السلطات العامة التشريعية والتنفيذية، وتحديد اختصاصاتها ووظائفها في الدستور الذي هو أعلى وثيقة في الدولة وأعلى مرتبة من القوانين واللوائح والقرارات التنفيذية، ويجب على السلطات العامة في الدولة أن تحترم هذه القواعد الدستورية، التي من خلالها يتم تحديد دورها في الدستور، حيث إن دستور أي دولة يكون انعكاساً للظواهر السياسية التي تسود مجتمع ما، فالدستور هو محاولة للتعبير عن الواقع السياسي لشعب ما، وضبط نشاطه السياسي بتحويله إلى قواعد وضوابط تحدد بنصوص القانون، ويترتب على ذلك اختلاف دساتير الدول بشكل عام، وتبعاً لاختلاف السمات التاريخية والجغرافية، وطبيعة المشكلات السياسية السائدة، بالإضافة إلى الواقع الاقتصادي والثقافي للدولة، فإن تنظيم السلطات العامة للدولة وتحديد وظائفها واختصاصاتها، فالدستور يتم وفقاً للواقع العملي الذي تمر به الدولة وليس لنظرية عامة أو مبدأ أساسي، وفي هذا السياق فقد مرت ليبيا بمراحل عدة من صياغة الدستور التي اختلف فيها دور كل من السلطة التشريعية والتنفيذية و مما انعكس ذلك على عملية صنع وتنفيذ السياسة العامة، وعليه فإن هذا البحث يسعى إلى تحليل دور السلطة التشريعية والتنفيذية في عملية صنع السياسة العامة للدولة، من خلال إطار تحليلي يقارن بين فترات زمنية من التاريخ السياسي لليبيا، من الفترة إلى 1969 ومن الفترة 1969 إلى الفترة م2010 ومن الفترة 2010 إلى الفترة 2014 وهي فترة الاعلان الدستوري.

مشكلة البحث:

مر التاريخ السياسي لليبيا بعدة فترات مختلفة، تمثلت في فترة الحكم الملكي ومرحلة حكم القذافي، والمرحلة الانتقالية، وفي كل مرحلة من المراحل اختلفت فيها نواتج عملية صنع السياسة العامة للدولة، حيث ارتبطت عملية صنع السياسة العامة بدور السلطات التشريعية والتنفيذية وفقاً للسياق الدستوري لكل فترة، ومن خلال ذلك فإن هذا البحث يحاول الإجابة على التساؤلات التالية:

- 1- هل يؤثر اختلاف السياق الدستوري للسلطات العامة التشريعية والتنفيذية عبر فترات زمنية مختلفة على عملية صنع السياسة العامة؟
- 2- هل توجد علاقة بين وظيفة السلطة التشريعية والتنفيذية في الماضي بعملية صنع السياسة العامة في الحاضر وفقاً للسياق الدستوري؟

(1) عامر الكبيسي، السياسات العامة مدخل لتطوير أداء الحكومات، (القاهرة: منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2008) ص3.

(2) مصطفى عبد الله خشم، موسوعة علم السياسة: مصطلحات مختارة، ط2، (مصراتة: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 2004)، ص283.

3- ما تأثير عدم وجود دستور موحد على عملية صنع السياسة العامة في ليبيا بشكل عام؟

منهجية البحث:

سوف يستخدم في هذا البحث المنهج المقارن لتحديد أوجه الشبه والاختلاف في السياق الدستوري لكل من السلطة التشريعية التنفيذية، وفقا للمراحل المختلفة التي تم تحديدها، مرتكزا على التحليل الكيفي الذي يركز على مدخل السياسة العامة.

مصادر البيانات:

يركز هذا البحث على تحليل دور السلطة التشريعية والتنفيذية في صنع السياسات العامة من خلال المصادر الأصلية والثانوية وتحليل النصوص القانونية ذات السياق الدستوري، وذلك لتقديم إجابات على أسئلة البحث.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يسعى إلى توضيح دور السلطات التشريعية والتنفيذية وأهميتها في رسم السياسات العامة، من خلال التركيز على السياق الدستوري لهذه السلطات خلال فترات زمنية مختلفة من التاريخ السياسي للدولة الليبية.

الحدود الزمنية:

تنطلق هذه الدراسة من خلال تتبعها لمراحل صياغة دستور الدولة الليبية مقسما إلى ثلاث مراحل هي (1951-1969 / 1969-2010 / 2011-2014) أي نهاية مرحلة الإعلان الدستوري.

الحدود المكانية:

الحدود المكانية للدارسة، هو دراسة السياق الدستوري لسلطات الدولة، ودرها في رسم السياسة العامة.

محتويات البحث:

الجزء الأول: - إطار مفاهيم الدراسة

أولا: مفهوم الدستور.

ثانيا: السياسة العامة: تعريف إجرائي.

الجزء الثاني: -الإطار الدستوري للسلطة التشريعية والتنفيذية.

أولا: - الإطار الدستوري للسلطة التشريعية.

ثانيا: الإطار الدستوري للسلطة التنفيذية.

الجزء الثالث: اختصاصات السلطة التشريعية والتنفيذية

أولا: اختصاصات السلطة التشريعية.

ثانيا: اختصاصات السلطة التنفيذية.

رابعا: النتائج والخاتمة.

الجزء الأول: إطار مفاهيم الدستور والسياسة العامة:

أولاً: مفهوم الدستور:

العلاقة بين الحاكم والمحكوم لا بد من وضعها في إطار قانوني ينظمها، فالسلطة الحاكمة لا بد أن تعمل في مؤسسات لها اختصاصات تكون مدونة في صورة قوانين عادية، أو ميثاق أو إعلان أو وثيقة خاصة، يطلق عليها الدستور، حيث إن القانون الدستوري «هو القواعد المنظمة التي تنظم شكل الدولة ومؤسساتها»، ويعرف أيضاً «بأنه القانون الذي ينظم السلطات العامة الدستورية في الدولة فيما بينها، وفي علاقتها بالمواطنين»⁽³⁾. تعددت تعريفات القانون الدستوري بحسب آراء كثير من العلماء، فمنهم من يظن أن قواعد الدستور هي «تعين أمر الحكم في جماعة سياسية في وقت معين»، حيث يرون إن الدولة أسبق في الوجود من الدستور⁽⁴⁾، والرد على أن الدولة إذا كانت أسبق في الوجود على الدستور، فإن الحكومة هي الأخرى تأخذ هذا الوضع، لأن الحكومة ركن من أركان الدولة والاجماع الحاصل بين الفقهاء الآن أن قواعد القانون الدستوري تتعلق بشأن كل ما يخص الحكم في الدولة، فهي تقييم المؤسسات الحاكمة وتبين اختصاصاتها، والعلاقة بين السلطات، وترسم معالم وملامح النظام السياسي ككل⁽⁵⁾، وفي نفس السياق فقد اتجه بعض العلماء لتقديم تعريفات للدستور من اتجاهين، الاتجاه الأول عرف الدستور من حيث الموضوع و كذلك عرف الدستور من حيث الشكل، حيث أشار الدستور من حيث الموضوع بأنه «هو الذي يحدد السلطة السياسية ومؤسساتها التي تمارس السلطة من خلالها وتحدد الفلسفة العامة للدولة، بمعنى رؤية الناس في الدولة لمفاهيم تتعلق بالحقوق وحقوق المواطنين»، وتم تقسيم الدستور وفق لموضوعه إلى:

نظام السلطات فالدستور هنا من موضوعاته « تحديد وتكوين عمل كل سلطة من السلطات الثلاث في الدولة»، حيث إن الدستور يحدد طرق اختيار المسؤولين، كذلك طرق انتخاب البرلمان وطريقة تعيين أعضاء السلطة التنفيذية، أيضا يحدد شكل السلطة التنفيذية هل هي واحدة في يد رئيس الدولة أو يتقاسمها مع مجلس الوزراء، أيضا - فيما يتعلق بعمل السلطات فإن الدستور يهتم بالطريقة التي تجتمع فيها السلطات لممارسة السلطة والعمل سواء في مجلس الوزراء أو البرلمان،

كما يحدد الدستور المدة الزمنية للبرلمان⁽⁶⁾. ومن المواضيع التي يهتم بها الدستور تحديد صلاحيات كل من السلطة التشريعية والتنفيذية، كذلك تحديد الطريقة التي يقوم بها البرلمان إصدار التشريعات ومناقشتها ومراقبتها تطبيقها، أيضا - يحدد اختصاصات السلطة التنفيذية ودورها في إعداد القوانين، وفي السياق ذاته يحدد الدستور العلاقة بين مؤسسات الدولة، بمعنى يحدد ما إذا كان النظام برلمانيا أو رئاسيا، أيضا - يحدد العلاقات العلاقة بين السلطات الدستورية التشريعية والتنفيذية من جهة، والسلطة القضائية من جهة أخرى، كما يحدد درجة مركزية أو عدم مركزية السلطة، أما تعريف الدستور من حيث الشكل، فقد ركز هذا الاتجاه على وجود نوعين من القوانين هما: القانون العرفي الذي يتكون مع الوقت بطريقة تلقائية»، والقانون المكتوب» الذي يتم كتابته عن طريق المشرع⁽⁷⁾. ويمكن الإشارة إلى أمثلة الدستور العرفي الذي كان موجودا في نهاية القرن

(3) عبدالقادر اقدورة، القانون الدستوري، كلية القانون: جامعة بنغازي، (منشورات دار الكتب الوطنية 2009)، ص 127.

(4) رمزي طه الشاعر، النظم السياسية والقانون الدستوري، (القاهرة: منشورات دار النهضة العربية، 2004)، ص 67.

(5) رمضان محمد، النظرية العامة للقانون الدستوري، (القاهرة: منشورات دار النهضة العربية، 2009)، ص 99.

(6) عبد القادر اقدورة، مرجع سابق، ص 128.

(7) المرجع السابق، ص 134.

الثامن عشر، ومن ذلك التاريخ حلت محله الكثير من الدساتير المكتوبة في جميع أنحاء العالم، باستثناء بريطانيا، ومن أهم هذه الدساتير دستور فرنسا في ظل النظام القديم، حيث كان دستورها شبه عرفي، وما كان يسمى بالقوانين الأساسية للملكة». وهو شبه دستور «لسبب لأنه من جهة هذه القوانين لا تتعلق بالمواطنين، أيضا - هناك الدستور الإنجليزي «فهو دستور عرفي، ولكن فيه جزء مكتوب، فأغلب الدستور المؤسساتي هو دستور عرفي.»

ونلاحظ مما سبق أن الدستور يلعب دورا كبيرا في تحديد اختصاصات السلطة التشريعية والتنفيذية، ووفقا لذلك، فإن هذا البحث يركز على معرفة الدور الذي تقوم به هذه السلطات في صنع السياسة العامة للدولة، من خلال سياق دستوري مقارن.

ثانياً: السياسة العامة: تعريف إجرائي:

تعتبر دراسة السياسة العامة إحدى الاتجاهات الحديثة في دراسة النظم السياسية والسياسة المقارنة، فهي تكشف عن النظام السياسي، وهو في حالة حركة، وتركز على مخرجات العملية السياسية، كما أن دراسة السياسة العامة من الناحية العملية، تزيد من الارتباط بالمجتمع ومشاكله⁽⁸⁾، فالسياسة العامة؛ هي حقل مهني وأكاديمي متخصص يستند إلى المنهجية والمعرفة العلمية المستمدة من علوم اجتماعية وطبيعية متكاملة، تدور مجالاتها وموضوعاتها حول قضايا مجتمعية عامة، وللسياسة العامة وجهان؛ أحدهما علمي أكاديمي يشكل الأساس الفكري والنظري والعملي، والأخر عملي وتطبيقي يشكل الترجمة الواقعية للقضايا والأهداف التي تتناولها السياسة العامة للدولة⁽⁹⁾، ولأهمية حقل السياسة العامة، فإنه سوف يتم التركيز في هذا الجزء على مفهوم السياسة العامة، ونظرياتها وأهدافها، وقد حاول المهتمون من علماء السياسة، والإدارة العامة والاجتماع من خلال توجهاتهم، أن يربطوا مفهوم السياسة العامة بقضايا الشؤون المجتمعية العامة ومجالاتها التي تتمثل في الحاجات والمطالب والقضايا والمشكلات، وعلى الرغم من تعدد التعريفات المستخدمة لتعريف السياسة العامة، إلا أن هذا التعدد لا يعكس اختلافاً في المضمون الداخلي لمفهوم السياسة العامة بشكل كبير، بقدر ما يعكس اختلافاً في

توجهات علماء السياسة والباحثين للوصول إلى فهم شامل لدراسة السياسات العامة.⁽¹⁰⁾ كما أن السياسة العامة؛ هي النشاط المؤسسي الذي تقوم به الحكومة طبقاً للإمكانيات المتاحة، وتختلف درجة اشتراك المؤسسات السياسية في رسم السياسة العامة من نظام إلى آخر، وعرفها البعض بأنها «الخطوط العريضة المحددة لكيفية تحقيق الأهداف العامة»⁽¹¹⁾، فالسياسة العامة تجسد، في واقع الأمر، تداخل وتفاعل ثلاثة عناصر أساسية هي: النوايا والأفعال والنتائج، وإذا كانت النوايا تعني: ماذا ستفعل الدولة؟ فإن الأفعال تجسد السلوك الفعلي للحكومة أو الدولة، وعليه فإن النتائج تعكس كل ما يترتب عن أفعال الدولة أو تأثير سياسات الدولة على المجتمع ككل⁽¹²⁾.

إن الإلمام بالخلفية السياسية، لا يغنينا بطبيعة الحال عن الإلمام بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والنفسية ذات العلاقة بالسياسة العامة، على اعتبار

(8) نجوى إبراهيم محمود، مفهوم السياسة العامة، مؤسسة الأهرام، مجلة الديمقراطية، العدد الاول، يناير (2001)، ص.12.

(9) نائل عبد الحافظ العواملة، تحليل السياسات العامة، تطبيقات من الأردن والخليج(عمان)، منشورات جامعة الاردن، 1999، ص 20.

(10) المرجع السابق، ص.112.

(11) عامر الكبيسي، السياسات العامة مدخل لتطوير أداء الحكومات، (القاهرة: منشورات المنظمة العربية للتنمية لإدارية، 2008)ص.3.

(12) مصطفى عبدالله خشيم، موسوعة علم السياسة: مصطلحات مختارة، ط2، (مصراتة: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 2004)، ص.283.

أن السياسة العامة لا تعكس فقط الظروف البيئية السياسية، ولكنها تجسد أيضاً تأثير الظروف البيئية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والنفسية⁽¹³⁾، وتعرف السياسة العامة بشكل عام بأنها «تخصيص سلطوي للقيم»، كما أنها «منهج عمل هادف يوجه التعامل مع قضايا ومشكلات مجتمعية حيوية»⁽¹⁴⁾..

من خلال التعريفات السابقة، يتضح أن السياسة العامة هي ما تقوم به الحكومة من وظائف عملية للأهداف المحددة وفقاً للإمكانيات المتاحة للنظام السياسي، وتصنف الدراسات الخاصة بالسياسة العامة اتجاهات علماء السياسة في تعريفهم للسياسة العامة إلى ثلاثة اتجاهات كالتالي

الاتجاه الأول: السياسة العامة كنظام متداخل:

يمثل مفهوم (النظام) وحدة كلية مؤلفة من مجموعة أجزاء فرعية أو أنظم فرعية، تشكل فيما بينها عند (ديفيد أستون) مجموعة مدخلات النظام ومخرجاته، وفي هذا السياق فإنه ينظر إلى السياسة العامة «كنتيجة متحصلة في حياة المجتمع من منطلق تفاعلها الصحيح مع البيئة الشاملة»⁽¹⁵⁾، كما أن السياسة العامة هي محصلة تفاعل ما بين الأطراف المؤسسية والمتطلبات والمعايير المؤثرة بنظام السياسة العامة⁽¹⁶⁾، ويُنظر للسياسة العامة أيضاً من خلال قدرة النظام على الاستجابة لضغوط البيئة المحيطة المتمثلة في المدخلات التي يتلقاها النظام السياسي، ويقوم بمعالجتها داخل الجهاز الحكومي، وأشار علماء السياسة، إلى أن السياسات العامة ما هي إلا تعبير عن ما تنوى الحكومة القيام به استجابة لمطالب النظام الاجتماعي التي يحولها إلى النظام السياسي، بصفة عامة يلاحظ أن التعاريف السابقة للسياسة العامة تشير إلى أن السياسة العامة هو وسيلة لتحقيق أهداف النظام السياسي وغاياته، من خلال تحديد العلاقة ما بين مدخلات النظام ومخرجاته.

الاتجاه الثاني: السياسة العامة كعملية:

وفقاً لهذا الاتجاه، يرى مؤيدو هذا الاتجاه أن السياسة العامة عملية تتأثر بالبيئة المحيطة، وتكون بالتالي نتيجة تفاعل عديد العوامل من خلال نظام ما يعرف بالنتائج، وكذلك التغذية العكسية، وفي هذا الخصوص يرى بسيوني إبراهيم «السياسة العامة بأنها أفكار خاصة من قبل السلطات الحكومية لتصبح هذه المقترحات سياسة عامة»⁽¹⁷⁾، ويرى بعض الباحثين أنه يمكن التعامل مع السياسة العامة كعملية أو متغير مستقل، وفي هذه الحالة يتم الفصل بين الإدارة والسياسة على اعتبار أن منظمات الإدارة العامة أو تساهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في المراحل المختلفة لعملية السياسة العامة⁽¹⁸⁾، وترى الباحثة أن السياسة العامة كعملية، ماهي إلا معالجة النظام للمدخلات من خلال سياسيات الحكومة التي تحولت إلى مخرجات في شكل أهداف.

(13) المرجع السابق، ص 284 .

(14) نائل عبد الحافظ العواملة، تحليل السياسات العامة، مرجع سابق، ص 20.

(15) نائل العواملة، تحليل السياسات العامة مرجع السابق، ص 75.

(16) أماني مسعود، السياسات العامة، « تطور المفهوم واقترابات الدراسة »، مجلة السياسة العامة، العدد (3) 2007، ص 5.

(17) دراسات وأبحاث في العلوم السياسية، شبكة طلبة جامعة الجزائر، net.etudiantdz.www

ص 5، تاريخ الدخول 2013/8/24.

(18) مصطفى عبد الله خشيم، مناهج وأساليب البحث السياسي، الطبعة الأولى (بنغازي: دار الكتب الوطنية الطبعة الأولى، 2002)، ص 97.

الاتجاه الثالث: السياسة العامة كتعبير عن أفعال حكومية:

توصف الحكومة عامة بالبنية التنظيمية، حيث تمثل بالأجهزة والمؤسسات التي تقوم بتنفيذ الأهداف المطلوبة في صورة خطط ومقترحات، وقد عرف (هنري توني) السياسة العامة وفقاً لهذا الاتجاه بأنها «تلك الوسائل المعتمدة من خلال الحكومة في سبيل إحداث تغيرات معينة داخل النظام الاجتماعي للدولة»، وأشار بعض العلماء السياسيين إلى أن السياسة العامة ما هي إلا تعبير عن الأداء الحكومي وتنفيذ المطالب، لذلك عرفت بأنها «برنامج عمل هادف يوجه ويرشد المتعاملين مع مشكلة تثير الاهتمام»⁽¹⁹⁾، وعرفها جيمس أندرسون بأنها «العلاقة بين الوحدة الحكومية وبيئتها»⁽²⁰⁾، وبشكل عام؛ فإن السياسة العامة، طبقاً لهذا الاتجاه، ماهي إلا الأفعال الحكومية تصنع السياسة العامة للدولة، وفي هذا السياق فإن هذا البحث يركز على دور كل من السلطة التشريعية والتنفيذية في صنع السياسة العامة للدولة من خلال سياق دستوري مقارن لبيان الاطار المؤسسي من جهة، ومن جهة أخرى يتم توضيح اختصاصات كل منهما، وذلك للوصول إلى الإجابة على التساؤلات المطروحة.

الجزء الثاني: الإطار الدستوري للسلطة التشريعية والتنفيذية:

أولاً: الإطار الدستوري للسلطة التشريعية

1- الفترة (1951-1969):

من خلال تحليل مواد الدستور الليبي الصادر في (1951) وتحديدًا في فصل السلطات العامة، أشارت المادة (41) بأن السلطة التشريعية يتولاها الملك مع مجلس الأمة، ويصدر الملك القوانين بعد أن يقرها مجلس الأمة على الوجه المبين في الدستور، وفي الفصل السابع من هذا الدستور أشار إلى مجلس الأمة حيث أقرت المادة (93) منه إلى أن مجلس الأمة يتكون من مجلس الشيوخ، ومجلس النواب، وجاءت المادة (94) لتبين ما يتألف منه مجلس الشيوخ، حيث أشارت إلى أن مجلس الشيوخ يتكون من أربعة وعشرين عضواً يعينهم الملك، وجاءت المادة (96) لتحديد الشروط المقررة في قانون الانتخاب، والتي تمثلت بأن يكون ليبي الجنسية، ولا يقل سنه يوم التعيين عن أربعين عاماً، أما المادة (97) أقرت بأن الملك يعين رئيس مجلس الشيوخ وينتخب المجلس وكيلين. أما المادة (98) فقد أشارت إلى أن مدة العضوية في مجلس الشيوخ ثماني سنوات، وجاءت المادة (99) لتشير إلى أن مجلس الشيوخ يجتمع عندما يجتمع مجلس النواب وتوفق جلساته معه، أما مجلس النواب فقد جاءت كل من المادة (100)، (101)، (103) لتحديد معايير انتخاب مجلس النواب والشروط الواجب توافرها في النائب، والتي أهمها: أن يكون أتم سنة الثلاثون من عمره في التقويم الميلادي، وأن يكون من أعضاء البيت المال، كما جاءت المواد (104)، (105)، (106) لتوضح آلية العمل الانتخاب ومدة مجلس النواب، والتي لا تتجاوز الأربع سنوات، وفي السياق ذاته ووفقاً للدستور الليبي المعدل سنة 1963 وفي باب السلطات العامة وفقاً للمادة (41) منه فإن السلطة التشريعية يتولاها الملك بالاشتراك مع مجلس الأمة، ويصدر الملك القوانين بعد أن يقرها مجلس الأمة على الوجه المبين في هذا الدستور.

2- الفترة (1969-2010):

يمكن تقسيم هذه الفترة إلى فترتين جزئيتين هما: مرحلة الإعلان الدستوري المؤقت

(19) دراسات وأبحاث في العلوم السياسية، شبكة طلبة جامعة الجزائر، www.net.etudiantdz مرجع سابق، ص 4.

(20) جيمس أندرسون، صنع السياسات العامة، ترجمة عامر الكبيسي، (عمان: دار الميسرة للنشر والتوزيع، 2002)، ص 14.

1969، حيث أشارت المادة (18) إلى أن مجلس قيادة الثورة في الجمهورية الليبية هو أعلى سلطة ويباشر أعمال السيادة العليا ووضع السياسة العامة للدولة نيابة عن الشعب، وهو بذلك يتخذ كافة التدابير اللازمة التي يراها ضرورية ومناسبة أما الفترة 1969_2010، فقد تضمنها صدور وثيقة إعلان سلطة الشعب، وهي أساس النظام السياسي في ليبيا، وأن الشعب يمارس سلطته عن طريق المؤتمرات الشعبية، وهو الذي يصدر القوانين، كما تضمنت هذه الفترة صدور الوثيقة الخضراء لحقوق الإنسان والتي كانت بمثابة الدستور، وبالإشارة إلى المبادئ التي جاءت بها الوثيقة الخضراء، هناك إشارة إلى أن أبناء المجتمع الجماهيري يحتكمون إلى شريعة مقدسة ذات أحكام ثابتة لا تخضع للتغيير أو التدبير وهي الدين والعرف.

3- الفترة (2011-2014) الإعلان الدستوري المؤقت للمرحلة الانتقالية:

ووفقاً للإعلان الدستوري المؤقت الصادر في عام 2011 فقد جاءت المادة (17) منه لتشير إلى أن المجلس الانتقالي المؤقت هو أعلى سلطة في الدولة الليبية، ويباشر أعمال السيادة العليا بما في ذلك التشريع، ووضع السياسة العامة للدولة، وهو الممثل الشرعي الوحيد للدولة، كما جاءت المادة (18) لتوضح الهيكلية الأساسية التي يتكون منها المجلس الوطني الانتقالي حيث يتكون من ممثلين عن المجالس المحلية، ويراعى في تحديد ممثلي كل مجلس محلي الكثافة السكانية والمعيار الجغرافي للمدينة، وينتخب المجلس الانتقالي رئيساً له ونائبا أول وثان.

ثانياً: الإطار الدستوري لسلطة التنفيذية:

1- الفترة (1951-1969):

وفقاً لدستور (1951) فقد جاءت المواد (78) إلى (85) لتوضح آلية اختيار الوزراء بشكل عام، والتي ركزت على أن يكون ليبي الجنسية، ويجوز له أن يجمع ما بين الوزارة وعضوية مجلس الأمة، أيضاً - يقوم مجلس الوزراء بإدارة جميع شؤون الدولة والخارجية، كم أشارت المواد (78) إلى (90) إلى منح مجلس النواب الثقة للحكومة، وآلية الرفض والاستقالة، وجاءت المادة (91) لتحديد مرتبات رئيس الوزراء بالقانون، أيضاً. أقرت المادة (92) بضرورة تحديد مسؤوليات مجلس الوزراء بالقانون.

2- الفترة من (1969-2010):

وفقاً للإعلان الدستوري الصادر عن مجلس قيادة الثورة 1969 فقد جاءت المواد (19) إلى (20) للإشارة إلى أن مجلس قيادة الثورة يقوم بتعيين مجلس الوزراء من رئيس الوزراء ووزراء، ويجوز له تعيين نواب لرئيس الوزراء، كما يحق لمجلس قيادة الثورة أن يقبل رئيس الوزراء والوزراء، كما أقرت هذه المواد بتولي مجلس الوزراء بتنفيذ السياسة العامة للدولة وفقاً لما يخططه مجلس قيادة الثورة، كذلك يقوم مجلس الوزراء بدراسة وإعداد كافة المشروعات كذلك إصدار الميزانية العامة للدولة بالقانون، كما تضمنت هذه الفترة بروز المؤتمر الشعب العام والذي تنبثق عنه (اللجنة الشعبية العامة) والتي تعبير بمثابة السلطة التنفيذية، حيث تتكون من أمين اللجنة الشعبية العامة، والأمناء للأمانات الفرعية، وتسندهم مهام تنفيذ السياسة العامة للدولة، حيث تقدم هذه اللجنة تقريرها السنوي عن أعمالها في جلسات المؤتمر الشعب العام في جلساته السنوية.

3- الفترة (2011-2014):

وفقاً للإعلان الدستوري الصادر عن المجلس الانتقالي، فقد أشارت المادة (24) إلى أن المجلس الانتقالي يقوم بتعيين مكتباً تنفيذياً أو حكومة مؤقتة، تتكون من رئيس وعدد من الأعضاء لتسيير القطاعات المختلفة في البلاد خلال المرحلة الانتقالية، وللمجلس الانتقالي الحق في إقالة رئيس المجلس التنفيذي أو الحكومة المؤقتة، أو أي من أعضائه،

على أن يصدر القرار أغلبية ثلثي أعضاء المجلس، كما جاءت المادة (26) من الإعلان الدستوري لتشير إلى أن تنفيذ السياسة العامة للدولة يتم وفقاً لما يرسمه المجلس الانتقالي، حيث يتولى المجلس إصدار اللوائح التنفيذية للقوانين الصادرة، ويتولى المكتب التنفيذي أو الحكومة المؤقتة تقديم مشروعات القوانين التي تعرض على المجلس الوطني للنظر فيها واتخاذ ما يراه مناسباً بشأنها.

وفى ضوء ما تقدم تشير الباحثة ومن خلال تحليل بعض المواد للنصوص القانونية موضع الدراسة، بوجود إطار دستوري لكل من السلطة التشريعية التنفيذية، وإن اختلف هذا الإطار من فترة إلى أخرى تبعاً للظروف السياسية للدولة الليبية، وقد انعكس ذلك الاختلاف على دور السلطات الدستورية (التشريعية- والتنفيذية) في صنع السياسة العامة للدولة.

الجزء الثالث: اختصاصات السلطة التنفيذية والتشريعية:

أولاً: اختصاصات السلطة التشريعية:

1-الفترة 1951-1969:

وفقاً للمادة (41) من الدستور الليبي السلطة التشريعية يتولاها الملك بالاشتراك مع مجلس الأمة، ويصدر الملك القوانين بعد أن يقرها مجلس الأمة (مجلس النواب، ومجلس الشيوخ) على الوجه المبين في الدستور، أما المواد (120)، (121) فقد أكدت على أن كل مشروع قانون يتم رفضه من مجلس الأمة لا يجوز تقديمه ثانية في الدورة ذاتها، ويصدق الملك على القوانين خلال ثلاثين يوماً من إبلاغها إليه، وخلال هذه المدة يطلب من مجلس الأمة إعادة النظر في هذه القوانين، وعلى المجلس في هذه الحالة إعادة البحث فيها من جديد، وعند الموافقة عليها من قبل ثلثي أعضاء مجلس الأمة يتم التصديق عليها من قبل الملك.

2-الفترة 1969-2010:

وفقاً للإعلان الصادر عن مجلس قيادة الثورة في 1969 فقد أشارت المادة (18) منه إلى أن مجلس قيادة الثورة هو أعلى سلطة في الجمهورية الليبية، ويباشر أعمال السيادة العليا والتشريع، ووضع السياسة العامة للدولة نيابة عن الشعب، وأنه بهذه الصفة أن تتخذ كافة التدابير التي يراها ضرورية لحماية الثورة والنظام القائم فيها، وفي السياق ذاته فقد جاء إعلان قيام سلطة الشعب في 2 مارس 1977، حيث أقر بأن القرآن الكريم هو شريعة المجتمع، وأن السلطة الشعبية المباشرة هي أساس النظام السياسي في ليبيا، ولا سلطة لسواه، ويمارس الشعب سلطته عن طريق المؤتمرات الشعبية، ويحد القانون نظام عملها.

3-الفترة من 2010-2014:

ووفقاً للمادة (18) من الإعلان الدستوري الصادر في 2011، يعتبر المجلس الانتقالي هو أعلى سلطة في الدولة الليبية، ويباشر أعمال السيادة العليا بما في ذلك التشريع، ويستمد شرعيته من ثورة السابع عشر من فبراير، وهو المؤتمن على ضمان الوحدة الوطنية وسلامة المواطنين، والمصادقة على المعاهدات الدولية، وبناء أسس الدولة المدينة الدستورية الديمقراطية.

وبناء على هذا السياق ومن خلال التحليل للاختصاص التشريعي، يمكن استنتاج وجود إطاراً تشريعياً يعكس السلطة التشريعية، وإن اختلف هذا الإطار من فترة زمنية إلى أخرى، ووفقاً للفترة الزمنية محل المقارنة، والتي تم سردها لتوضيح أهمية الدور الذي تقوم به السلطة التشريعية في صنع السياسة العامة للدولة.

ثانيا: اختصاصات السلطة التنفيذية:-**1-الفترة من 1951-1969:**

أشارت المادة (78) من الدستور المعدل في 1961 إلى أن الملك يقوم بتعيين رئيس الوزراء، ويتألف مجلس الوزراء من رئيس الوزراء والوزراء الذين يوافق الملك على تعيينهم بناءً على ما يعرضه عليه رئيس الوزراء، كما أشارت المادة (85) ، إلى أن توقيعات الملك في شؤون الدولة يجب لنفاذها أن يوقع عليها رئيس الوزراء والوزراء المختصون، ويعين رئيس الوزراء ويعضى من منصبه بأمر ملكي، كما أكدت المادة (86) ، أن الوزراء مسؤولون تجاه مجلس النواب مسؤولة مشتركة عن السياسة العامة للدولة.

2-الفترة من 1969-2010:

انقسمت هذه المرحلة إلى فترتين، وكل مرحلة اختلف فيها الإطار المؤسسي للسلطة التنفيذية، ففي الفترة 1969-1977 مجلس قيادة الثورة هو المسؤول عن تعيين مجلس الوزراء وفقا للمواد (19)-(22) من إعلان مجلس قيادة الثورة، والذي يتكون من رئيس الوزراء ووزراء ويجوز له تعيين نائب لرئيس الوزراء بدون وزارة، ومن مهام مجلس الوزراء السياسة العامة للدولة ووفقا لما يرسمه مجلس قيادة الثورة، كما يقوم مجلس الوزراء بإعداد كافة المشروعات، كذلك يقوم بإصدار الميزانية العامة للدولة، أما الفترة من 1977-2010 ووفقا لإعلان قيام سلطة الشعب، فإن المؤتمر الشعبي العام يقوم باختيار اللجنة الشعبية العامة «والتي هي أعلى سلطة تنفيذية في ليبيا، وأمانة اللجنة تماثل مجلس الوزراء، وأمينها يناظر رئيس الوزراء، وتتكون اللجنة الشعبية العامة: من أمناء اللجان الشعبية، ومن أمناء اللجان الشعبية للمؤتمرات الأساسية، وأمناء اللجان الشعبية العامة للقطاعات، ويقوم المؤتمر الشعبي العام باختيار أمين اللجنة الشعبية «رئيس الوزراء» والأمناء المساعدين للجنة الشعبية» الوزراء»، وتتمثل اختصاصات اللجنة الشعبية العامة في تنفيذ القوانين والقرارات الصادرة عن المؤتمرات الشعبية العامة الأساسية التي تمت صياغتها في المؤتمر الشعبي العام، كذلك اقتراح مشروع الميزانية السنوية، ومشروع ميزانية التحول وإحالتها الى مجلس التخطيط العام، أيضا متابعة أعمال اللجان الشعبية للقطاعات والشعبيات، ومن اختصاصاتها تشجيع الاستثمارات الأجنبية في الداخل والخارج، أيضا. وضع الضوابط المتعلقة بالإيصاد للعمل أو الدراسة.

3-الفترة من 2011-2014:

جاءت المادة (26) من الإعلان الدستوري بأن تنفذ السياسة العامة للدولة وفقا لما يرسمه المجلس الانتقالي، كما يتولى المجلس الانتقالي إصدار اللوائح التنفيذية للقوانين الصادرة، ويتولى المكتب التنفيذي أو الحكومة المؤقتة تقديم مشروعات القوانين التي تعرض على المجلس الوطني للنظر فيها واتخاذ ما يراه مناسبا بشأنها. وفي سياق ما تقدم من سرد لا اختصاصات السلطة التنفيذية، يتضح وجود اختلاف في الوظائف التي تقوم بها السلطة التنفيذية تبعا للفترة الزمنية، نتيجة لاختلاف الإطار المؤسسي لكل منها.

الجزء الرابع: التحليل والنتائج:

من خلال المقارنات في السياق الدستوري لكل من السلطة التشريعية والتنفيذية وفقا للمراحل التاريخية التي تناولتها الدراسة، وللوصول إلى فهم أعمق لتحديد أوجه الشبه والاختلاف بين عملية صنع السياسة العامة لكل مرحلة من المراحل، فقد تم الأخذ بعدد من المعايير التي قد تكون كافية لتحقيق المنهج المقارن وفقا لما تتطلبه أسئلة الدراسة، وتتمثل هذه المعايير (الإطار المؤسسي والدستوري لكل سلطة وفقا للمرحلة التاريخية - دور السلطات الدستورية في عملية صنع السياسة العامة- مدى المسألة العامة لهذه السلطات) وفيما يلي جدول يوضح أهم المعايير المستخدمة في هذه الدراسة مقارنة بكل فترة زمنية.

المعايير 1969-1951	الفترات الزمنية المستخدمة في الدراسة		
	1977-1969	2010-1977	2014-2010
1- الإطار المؤسسي للسلطتين التشريعية - والتنفيذية	4	1	2
2-عملية صنع السياسة العامة	4	2	3
المسألة العامة للسلطة التنفيذية	4	1	2
المؤشر	0	2(جيد)	3(جيد جدا)

أسئلة الدراسة تمثلت في:

- 1- هل يؤثر اختلاف السياق الدستوري لكل من السلطة التشريعية والتنفيذية على عملية صنع السياسة العامة؟
 - 2- ما تأثير عدم وجود سياق دستوري موحد على عملية صنع السياسة العامة؟
 - 3- هل يوجد علاقة بين الاخلاف في السياق الدستوري للسلطات وبين عملية صنع السياسة العامة؟
- من خلال تحليل بيانات الجدول السابق يمكن الاجابة على تساؤلات الدراسة كما يلي:

1- الإطار المؤسسي:

في الفترة 1969-1951 وفقا لبيانات الجدول فقد كان الإطار المؤسسي «ممتاز»، وذلك من خلال وجود مؤسسة تشريعية ممثلة في مجلس الأمة (مجلس النواب - ومجلس الشيوخ) تقوم بمهام تشريعية وفقا لما يحده الدستور، أيضا وجود مؤسسة تنفيذية تتمثل في تعيين مجلس وزراء ووزراء وفقا للمادة (42) والمادة (61) من الدستور المعدل، أما الفترة الزمنية من 1969-1977 الإطار المؤسسي لم يكن موجودا (ضعيف)، وإنما كان مجلس قيادة الثورة هو بمثابة المشرع كما كان يخطط السياسة العامة للدولة، وهو الذي يقوم اختيار مجلس الوزراء والوزراء، وفي السياق ذاته وخلال الفترة الزمنية 1977-2010 فقد تشكل إطارا مؤسسيا (جيادا) تمثل في المؤتمر الشعبي العام الذي يصدق على التشريعات النافذة من المؤتمرات الشعبية الضمنية وينظر فيها. أما السلطة التنفيذية فتناظرها اللجنة الشعبية العامة ولجانها الضمنية التي تعمل على تنفيذ قرارات المؤتمرات الشعبية التي تعكس عملية صنع السياسة العامة للدول، وفي الاطار ذاته وخلال المرحلة الانتقالية من 2011-2014 فإن الإطار المؤسسي (جيد جدا) حيث أصدر المجلس

الانتقالي بصفته أعلى سلطة في البلاد إعلانا دستوريا تضمن مجموعة من التشريعات التي أصبحت نافذة في تلك الفترة بحكم الظروف الانتقالية التي مرت بها ليبيا، كما تمثلت السلطة التنفيذية بوجود مجلس تنفيذي يكون من رنس ومجموعة وزراء، حيث يقوم هذا المجلس بإدارة شؤون البلاد خلال المرحلة الانتقالية وفقا لما ينص عليه الإعلان الدستوري.

2. عملية صنع السياسة العامة:

وفقا لبيانات الجدول ومن خلال التحليل الوصفي لهذه البيانات، فقد كانت عملية صنع السياسة العامة في الفترة 1951-1969 (ممتازة) ، ونتيجة لوجود إطار مؤسسي متكامل لكل من السلطة التشريعية والتنفيذية، فقد انعكس ذلك على تحسن عملية صنع السياسة العامة من خلال وجود قاعدة تشريعية قوية نافذة في كل المجالات الخدمية التي تهم المواطن، وفي نفس السياق وخلال الفترة الزمنية 1969_1977 أصبحت عملية صنع السياسة العامة (جيدة) ، لكنها لم تكن واضحة الملامح لعدم وجود إطار تشريعي، حيث كان مجلس قيادة الثورة هو الجهة التي تصدر التشريعات، أما السلطة التنفيذية فهي منتخبة من مجلس قيادة الدولة لتسير أمور الدولة وفقا لما يخطط لها مجلس الثورة، أما الفترة الزمنية 2011-2014 ، فقد عملية صنع السياسة العامة (جيدة) نتيجة للظروف الانتقالية التي مرت بها ليبيا، حيث تم إصدار بعض التشريعات من قبيل المجلس الانتقالي، والتي تخص المرحلة الانتقالية، كما تولى المجلس التنفيذي والذي هو بمثابة السلطة التنفيذية بتسير أمور الدولة في كافة المجالات الخدمية التي تهم المواطن في تلك المرحلة.

3. المسألة العامة:

تمثلت الفترة الزمنية 1951-1969 بدرجة عالية من المسألة العامة، ومن خلال ما اشارت إليه مواد الدستور الليبي الصادر في 1951، حيث تناولت المواد (88)(89) (90) منها أحكاما واضحة للمسألة العامة⁽²¹⁾، أما الفترة 1969-1977 فقد كانت المسألة (ضعيفة) لعدم وجود إطار مؤسسي واضح لكل من السلطة التشريعية والتنفيذية، حيث كان مجلس قيادة الثورة بمثابة المشرع وهو الذي يعين رئيس الوزراء والوزراء، وفي السياق ذاته لم تختلف نسبة المسألة العامة خلال الفترة 1977-2010، حيث اقتصر الأمر على مسألة السلطة التنفيذية من قبل أمانة المؤتمر الشعبي الذي قد يأخذ قرارات الإقالة بشأنها في بعض الأحيان وفي الشأن ذاته، وخلال الفترة 2011-2014 كانت المسألة (جيدة) وبالرغم من وجود ديوان المحاسبة، وجهاز الرقابة الإدارية والتي كانت تصدر تقارير عن الفساد الإداري والمالي، لكنها لم تكن إلا مجرد تقارير ورقية لم ترقى إلى مستوى تنفيذ المسألة العامة.

واستكمالا لما سبق وعند الإجابة عن تساؤلات الدراسة نجد أن:

- 1- قد أثر الاختلاف في السياق الدستوري بشكل كبير على عملية صنع السياسة العامة للدولة ووفقا لما تم تحليله من خلال المعايير المستخدمة.
- 2- عدم وجود دستور موحد للدولة، قد نتج عنه تتذبذب في صنع السياسات العامة.
- 3- توجد علاقة ما بين الاختلاف في الإطار المؤسسي للسلطتين التشريعية والتنفيذية، وبين عملية رسم السياسة العامة، وذلك ناتج لعدم ثبوت الهياكل الإدارية داخل مؤسسات الدولة.

(21) انظر لمواد الدستور الليبي 1951.

قائمة المراجع

أولاً: الوثائق:

1. الدستور الليبي 1951.
2. الدستور المعدل 1963.
3. الإعلان الدستوري 1969.
4. إعلان قيام سلطة الشعب 1977.
5. الوثيقة الخضراء لحقوق الإنسان.
6. الإعلان الدستوري الصادر عن المجلس الانتقالي 2011.

ثانياً: الكتب:

1. اندرسون، جيمس. صنع السياسات العامة. عامر الكبيسي، عمان: دار الميسرة للنشر والتوزيع، 2002.
2. الكبيسي، عامر. السياسات العامة مدخل لتطوير أداء الحكومات. القاهرة: منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2008.
3. أبو قعود، غازي. «وظيفة محلل السياسة العامة في الأردن: دراسة وصفية تقويمية» في تحليل السياسات العامة في الوطن العربي. تحرير سلوى شعراوي، 2004.
4. أقدورة، عبد القادر. القانون الدستوري. بنغازي: منشورات دار الكتب الوطنية، 2009.
5. الفهداوي، فهمي خليفة. السياسة العامة منظور ككلى في البيئة والتحليل. عمان: دار الميسرة للنشر والتوزيع، 2001.
6. العواملة، نائل عبد الحفيظ. تحليل السياسات العامة: تطبيقات من الأردن والخليج. عمان: منشورات جامعة الأردن، 1999.
7. خشيم، مصطفى عبد الله. موسوعة علم السياسة: مصطلحات مختارة. مصراته: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 2004.
8. طه، رمزي. النظم السياسية والقانون الدستوري. القاهرة: منشورات دار النهضة العربية، 2004.
9. محمد، رمضان. النظرية العامة للقانون الدستوري. القاهرة: منشورات دار النهضة العربية، 2009.

ثالثاً: الدوريات:

1. مسعود، أماني. «تطور المفهوم اقتراحات الدراسة». السياسة العامة 3 (2007).
2. محمود، نجوى إبراهيم. «مفهوم السياسة العامة». الأهرام، (2001).

رابعاً: شبكة المعلومات الدولية

1. دراسات وأبحاث في العلوم السياسية شبكة طلبة الجزائر، www.etudiantdz.nez.

معوقات الاندماج الاجتماعي في الجنوب الليبي (دراسة ميدانية)

إعداد

د. يوسف محمد أبو القاسم الصبيد
أستاذ مساعد - رئيس قسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية
كلية الآداب - جامعة سبها

القبول: 2023/6/28

الاستلام: 2023/5/18

○○

○○

المستخلص:

تعرض المجتمع الليبي في الآونة الأخيرة - ولايزال يتعرض - إلى هزات عنيفة، كادت أن تعصف بهذا المجتمع وتدمره، الأمر الذي انعكس على الأقاليم المكونة له، ولعل من أهمها الجنوب الليبي، الذي عاش ولايزال يعيش ظروفًا استثنائية أثرت على طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية فيه، من هذا المنطلق يكمن الهدف الرئيس في التعرف على معوقات الاندماج الاجتماعي في الجنوب الليبي، من خلال التعرف على مدى وجود وعي مجتمعي بالظروف المحيطة بالأسرة والمجتمع، وعلى مدى وجود معوقات تختص بأفراد الدراسة (ذاتية - اجتماعية - اقتصادية - سياسية)، ومدى وجود فروق وتباين تعزى لمتغيرات: (النوع، والمستوى التعليمي، ومحل الإقامة)، اعتمدت الدراسة على (عينة كرات الثلج)، بلغ إجمالي أفراد العينة (368) مضردة، موزعة على مناطق الجنوب الليبي، توصلت الدراسة لجملة من النتائج، من أهمها:

- الاستبعاد الاجتماعي من الأسباب المباشرة في تقسيم المجتمعات، حيث يعمل في تضاد تام مع عملية الاندماج الاجتماعي التي تؤسس عليها المجتمعات، وأن مفهوم الدولة مفهوم ناقص في ظل عوامل التهميش والإقصاء والتحايل السياسي على مبادئ الديمقراطية.
 - تبين ارتفاع مستوى إيجابية الاندماج الاجتماعي لأفراد مجتمع الدراسة من خلال استبصار ذاتهم.
 - وجود فروق لصالح الإناث حول أبعاد المقياس، فيما يتعلق بمعوقات الاندماج الاجتماعي، على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.
 - اتضح وجود اختلاف وعدم تجانس بين المجموعات، وبالتالي وجود تباين ذي دلالة إحصائية يعزى لمتغير المستوى التعليمي الثانوي والجامعي.
- الكلمات المفتاحية: المعوقات - الاندماج الاجتماعي - الجنوب الليبي.

Abstract:

Libyan society has recently been exposed and is still exposed to violent tremors that almost ravaged and destroyed this society, which was reflected in the regions that make it up, perhaps the most important of which is the south of Libya, which lived and is still living exceptional circumstances that affected the nature of social, economic, political and cultural life in it, from this point of view lies the main goal to identify the obstacles to social integration in southern Libya, by identifying the extent to which there is community awareness of the

circumstances surrounding the family and society, and the extent of the existence of Obstacles related to the members of the study (subjective - social - economic - political), and the extent of the existence of differences and variations attributed to variables (gender, educational level and place of residence), the study relied on (snowball sample) The total members of the sample (368) single, distributed over the regions of southern Libya, the study reached a number of results, the most important of which are:

-Social exclusion is one of the direct causes of the division of societies, as it works in complete contradiction with the process of social integration on which societies are based, and that the concept of the state is an incomplete concept in light of the factors of marginalization, exclusion and political circumvention of the principles of democracy.

-It was found that the high level of positivity of the social integration of the members of the study population through self-insight.

-The existence of differences in favor of females on the dimensions of the scale with regard to obstacles to social integration at the social, economic and political levels.

-It was found that there is a difference and heterogeneity between the groups, and therefore there are statistically significant differences attributable to the variable of secondary and university educational level.

Key words: Obstacles - social integration - southern Libya.

استهلال:

تعرض النسيج الاجتماعي الليبي لهزات عنيفة على اعتبار أن التفكك والتصدع قد أصابه في فترات متلاحقة، الأمر الذي يدعو إلى وجوب تحقيق آلية (للاندماج الاجتماعي)، بهدف حل الأزمة الليبية المستعصية، "إن الاندماج الاجتماعي وسيلة فاعلة في زيادة الترابط بين مكونات المجتمع، ويكون ذلك من خلال إيجاد وسيلة انسجام، وإقامة سلطة مركزية تنظيمية تكون قادرة على بسط النفوذ وتطبيق القانون في ربوع الدولة، بالإضافة إلى الموازنة بين النخب والجماهير"⁽¹⁾.

ويوصف الاندماج الاجتماعي بأنه من الموضوعات السيدة والحاضرة في الفكر السوسيولوجي المعاصر، فهو من الركائز الأساسية التي يركز عليها المجتمع، بمعنى أنه لا يخلو مجتمع ما من وجود جماعات تفتقر لعملية الاندماج في المجتمع الذي تعيش فيه، في كل الأحوال فإن فهم مسألة الاندماج الاجتماعي يكون في إطار "جدلية العلاقة" بين المجتمع والدولة، وإن غيابها لا يرجع إلى ضعف القدرات الفردية، بل هو حصاد بيئة اجتماعية، إذا فهو قضية استبعاد، على هذا الأساس ميز العالم "ماكس فيبر" بين الاندماج والاستبعاد، إذ يرى "أن الاستبعاد أحد أشكال الانفلاق الاجتماعي، فهو يرى أن الانفلاق الاستبعادي هو محاولة جماعة معينة السيطرة على مركز معين على حساب جماعة أخرى، بالتالي فإن الاندماج هو وسيلة لتبيان واقع (الإقصاء الاجتماعي)، التي تسود بعض المجتمعات نتيجة ظروف حياتية خلال فترة زمنية معينة"⁽²⁾.

إن تحقيق الاندماج مرهون بمشاركة جميع المؤسسات، من خلال إضفاء الطابع المؤسسي على الحقوق الاجتماعية، والحرص على إقامة دولة القانون والعدالة، فهو مفهوم ينسجم مع فكرة بناء الأمة أو (الدولة — الأمة) بمؤسساتها المختلفة، التي تعد أداة البناء التكاملي⁽³⁾.

الإشكالية:

تواجه المجتمعات التي مرت بثورات عنيفة صعوبات جمة في بناء وإدارة وتنظيم الدولة واستقرارها، خاصة على الصعيد السياسي (الإدارة السياسية)، الذي بدوره ينعكس بصورة سلبية على كافة الأصعدة الاجتماعية والثقافية والأكثر خطورة الصعيد الاقتصادي، حيث تظهر على السطح معوقات كثيرة تسهم في إعاقة بناء الدولة وإدارة وتنظيم أركانها. ومما لا شك فيه أن الاندماج الاجتماعي من العوامل المساعدة، بل الأساسية في انتشار الدول الواقعة في الأزمات إلى بر الأمان، هذا في حال عدم وجود معوقات تحول دون تحقيق الأهداف المرجوة.

يشير الاندماج الاجتماعي إلى معنى التفاعلات المتداخلة والمتراصة، بين الأجزاء المكونة للبناء الاجتماعي، باليات وأساليب إدارية وتنظيمية متنوعة، ولما كان البناء الاجتماعي أو المجتمع يتكون من مجموعة من الأفراد والجماعات، فإن الاندماج السليم يكون قائماً على التفاعل والتناغم، من خلال تقاسم مشترك في العادات والقيم والمعايير المحددة في البناء الذي تنطوي تحت ظله.

(1) يوسف محمد أبو القاسم الصيد، أنموذج الاتفاقيات والمصالحات الوطنية في الجزائر، جنوب إفريقيا، أيرلندا الشمالية، وإمكانية التطبيق في ليبيا دراسة تحليلية"، دراسة قدمت إلى المؤتمر الأول للجمعية الليبية لعلم الاجتماع حول: النسيج الاجتماعي الليبي: المخاطر والتحديات، الأكاديمية الليبية، جنزور، طرابلس ليبيا 2019، ص ص (21-22).

(2) أحمد محمد الزغبى، التوجيه والإرشاد النفسي، دار الفكر، دمشق، 2008، ص (56).

(3) فوشان عبد القادر، العلوي أحمد، الاندماج الاجتماعي المفهوم — الأبعاد المؤشرات، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، ص (31).

إن الهدف الأساسي للاندماج الاجتماعي، هو الانتقال من مرحلة الصراع والخلاف إلى حالة قبول الآخرين والتعايش معهم والمصالحة بينهم، على هذا الأساس فإن أخطر وأشد هذه الصراعات، وأكثرها خطورة على أمن وسلامة المجتمعات، صعوبة تحقيق اندماج سلمي واستقرار اجتماعي مبني على التسامح والمحبة، بعيداً عن الاستبعاد والتهميش السياسي والاقتصادي.

في المجتمعات المندمجة والمستقرة، يتصرف الإنسان كونه جزءاً لا يتجزأ من المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه، وهو ما يعرف بالاندماج (الإيجابي)، الذي يساهم في بناء المجتمع على أسس حقيقية خالية من العيوب، بخلاف الحال في الاندماج (السلبي)، الذي يعكس الواقع المتردي على كافة الأصعدة.

إن تحقيق الاندماج الاجتماعي، لا يتأتى إلا من خلال بيئة سياسية تتمتع بقدر عال من العدالة والمساواة، ومشاركة اجتماعية وثقافية على درجة من الوعي بالحقوق والواجبات، فهي التي تحترم الإنسان، وتقدره للعيش بجميع شروط الإنسانية والأدامية.

لقد تعرض المجتمع الليبي في الأونة الأخيرة ولايزال، يتعرض إلى هزات، عنيفة كادت أن تعصف بهذا المجتمع وتدمره، الأمر الذي انعكس على الأقاليم المكونة له، ولعل من أهمها الجنوب الليبي، الذي عاش ولايزال يعيش ظروف استثنائية، أثرت على طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية فيه. في هذا السياق عانى الجنوب الليبي لفترات طويلة ويلات التهميش والاستبعاد والإقصاء، على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومازال إلى الآن، وما من شك أن هذا التهميش انعكس على سكان الجنوب بصفة خاصة، إذ انتشرت الجريمة والانفلات الأمني، والتباعد الفكري، والهجرة غير الشرعية بصورة علنية، وانهيار البنية التحتية، ضف إلى ذلك المظاهر السلبية على مستوى الدولة الليبية، كالفساد الإداري، والاقتصادي، والصراع السياسي، والتخريب، والغش، والرشوة، وسرقة المال العام والخاص، والصراعات القبلية والمناطقية. إن بروز هذه المشاكل يشكل أمثلة واقعية على الذاتية والفردانية، وتقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، وهي مؤشر خطير على انقسام شخصية الفرد عن البيئة التي يعيش فيها، والسبب في ذلك يُعزى إلى فشل الاستقرار السياسي للدولة وضعف إدارتها التنظيمية، وما من شك أن هذه السلبيات تسهم في إضعاف (روح الولاء والإيثار للدولة والتضحية)، التي من شأنها أن تضعف روح المشاركة والبناء، وهو ما يطلق عليه (الاندماج السلبي، أو المعدوم لأفراده)، ولتفاذي المزيد من التهلكة في نسج المجتمع الليبي، يقتضي الأمر دراسة المعوقات المساهمة في إعاقة تحقيق اندماج اجتماعي قائم على مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان، والمحبة، والتسامح، والأمن، والمواطنة، من خلال ذلك تبرز مشكلة الدراسة الراهنة في تساؤل رئيس، وهو: ما معوقات الاندماج الاجتماعي في الجنوب الليبي؟ وهل يعد الاستبعاد الاجتماعي- والتهميش السياسي- والانفلات الأمني- والوضع الاقتصادي — عوامل معيقة للاندماج الاجتماعي لدى عينة الدراسة؟

أهداف الدراسة:

يتمثل الهدف العام للدراسة في التعرف على معوقات الاندماج الاجتماعي، داخل البناء الاجتماعي في الجنوب الليبي نموذجاً واقعياً، ويندرج تحت هذا الهدف الأهداف الفرعية الآتية:

1. التعرف على مدى وجود وعي مجتمعي بالظروف المحيطة بالأسرة والمجتمع.
2. التعرف على مدى وجود معوقات تختص بأفراد الدراسة: (ذاتية - أو اجتماعية - أو اقتصادية - أو سياسية)؟
3. ما مدى وجود فروق ذات دلالة إحصائية، في معوقات الاندماج الاجتماعي في الجنوب

الليبي، تعزى لمتغير (النوع)؟

4. التعرف على التباين بين معوقات الاندماج الاجتماعي، تعزى إلى متغير المستوى التعليمي ومحل الإقامة؟

5. إمكانية طرح سياسة تنظيمية مبنية على رؤية تسهم في تجاوز السياسة الحالية، من خلال وضع أسس ومبادئ، للوصول لتحقيق اندماج مشترك قائم على مبدأ العدالة الاجتماعية؟

أهمية الدراسة:

إن السلوك الإنساني (الإيجابي) على مستوى الأفراد والجماعات، يقود في الأحوال كلها إلى تحقيق درجة من عالية من التناسق والتناغم الاجتماعي، وهذا بطبيعة الحال يتوقف على مبادئ عدة، من أهمها: (العدالة في الحقوق والواجبات، والقضاء على الاستبعاد والتمييز)، والعكس في حال الافتقار لتلك المبادئ. وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من خلال دراسة الوضع الاجتماعي للجنوب الليبي الراهن، المتأثر بالظروف السياسية التي أخذت تعصف بأمن وسلامة المجتمع، الناتج عن الصراعات التي تنشأ بين الأفراد والجماعات، لأسباب ومصالح شخصية ضيقة، أو لمحاولة الحصول على مكاسب قد لا تكون مشروعة، أو لتبوء مكانات غير مستحقة، الأمر الذي ينعكس سلباً على تحقيق اندماج اجتماعي ناجح.

مفاهيم الدراسات:

المعوقات: يقصد بها "إجراءات إدارية وسياسية واقتصادية، يكتنفها الغموض، وتحول دون تحقيق الأهداف بكفاءة وفعالية، ويمكن النظر إليها على أنها المسبب للضجور بين مستوى الإنجاز المتوقع والإنجاز الفعلي، أو على أنها الانحراف في الأداء عن المعيار المحدد مسبقاً"⁽⁴⁾. ويقصد بها كذلك "السياسات الإدارية والسياسية والاقتصادية المؤدية لإعاقة الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي على مستوى البناء الاجتماعي"⁽⁵⁾.

المعوقات إجرائياً: يقصد بها العقبات الذاتية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التي تؤدي إلى عدم تحقيق اندماج اجتماعي في الجنوب الليبي، مع بقية الأقاليم المكونة للدولة الليبية، ويكون قائماً على مبدأ العدالة الاجتماعية والمشاركة الجماعية.

الاندماج الاجتماعي:

إن الاندماج هو خلاصة الجهود المبذولة لضمان تكافؤ الفرص للجميع، بعيداً عن اختلاف خلفياتهم الثقافية، من أجل التوافق السليم في الحياة، وبالتالي فهي عملية متعددة الأبعاد، تهدف إلى تهيئة الظروف والمشاركة الفعالة لجميع أفراد المجتمع في جميع نواحي الحياة، إذ إنه يشكل عملية ديناميكية لتعزيز العلاقات الإيجابية بين الأفراد، بهدف تحقيق شامل للتنمية الاجتماعية والاقتصادية، واحترام النوع، والتعدد، والتسامح، وعدم التمييز، واللجوء إلى العنف والمساواة في الفرص والحياة المشتركة⁽⁶⁾.

إن الإحساس بالإنسانية يرتبط عموماً بالاتصال بالآخرين، فهناك حاجة لهم وحاجاتهم له، وذلك لتعزيز استمرار الوجود، فالإنسان يقوم بالأدوار في جماعة، وبالتالي هناك أدوار مهمة في تكوين الجماعات وبقائها عن طريق التفاعل بين أفرادها وبين الجماعات المختلفة،

(4) على محمد درويش، تطبيقات الحكومة الإلكترونية، دراسة ميدانية على إدارة الجنسية والإقامة بدبي، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2005، ص (7).

(5) جون هيلز وآخرون، الاستبعاد الاجتماعي، محاولة للفهم، ترجمة: محمد الجوهري، عالم المعرفة، العدد 344، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2007، ص (8).

(6) كمال دسوقي، علم النفس ودراسة التوافق، مكتبة علم النفس الاجتماعي، 1974، ص (73).

وفي ذلك يرى ماسلوا (maslow) أن الحاجات لا تتحقق إلا من خلال الاتصال بالآخرين، فالإنسان يحتاج إلى رعاية كما يحتاج لتعاون مع الجميع؛ لتحقيق الأهداف للصالح العام والخاص.⁽⁷⁾ ويرتبط الاندماج الاجتماعي بالمصطلحات المتناقضة معه، وهو (الإقصاء أو الاستبعاد)، الذي يعرف بأنه حالة يعيشها أو تعيشها الأفراد والجماعات خارج نطاق العملية السياسية أو الاقتصادية أو غيرها، وعلى صعيد الأفراد يكون وضعهم في حال (اغتراب)، فهم الذين لا ينتمون إلى ثقافة المجتمع أو الأقليات التي تعيش منفصلة داخل حدود المجتمع الواحد، أو الإقصاء الطبقي بين طبقات المجتمع، على هذا الأساس يمكن استيعاب مفهوم الاندماج الاجتماعي الذي يشير إلى عملية دمج وتضمين جميع الفئات والجماعات من كافة النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، بهدف تحسين الأوضاع القائمة، وإبعاد التفرقة والتمييز، مع كون مسئولية الاندماج تقع على عاتق المجتمع والضرر⁽⁸⁾.

كما يرتبط مفهوم الاندماج إيجابياً بمعان عديدة، أهمها "التماسك، والالتفاف، والتداخل والتعاقد"، فهو يشير إلى الأساليب والعمليات التي من شأنها أن تنقل الأشخاص من حالات العزلة والوحدة والندية والقطيعة إلى حالة من التعايش مع الآخرين والتعاون والتوافق والتكامل.⁽⁹⁾

الاندماج نظرياً:

يدل الاندماج على معان عديدة تشير إلى معنى الانصهار، وهي المناقضة للعزلة والصراع والانقسام والتناقض، ويدل مفهوم الاندماج أيضاً على الحرية واكتساب السيادة، وهو ما يحيل بالضرورة إلى حرية الأفراد والجماعات في الانتماء بعيداً عن الاندماج القسري والتسلط، فهو مرتبط بالسيادة برفض جميع أشكال التهميش والإقصاء⁽¹⁰⁾.

من الناحية الاجتماعية، يعني الاندماج "الضرورة التكنولوجية" التي تسهم في تهيئة وتمكين أحد أفراد المجتمع أو مجموعة من المجتمع، من التقارب والتلاحم حتى تتحول إلى مجموعة أكبر وأوسع، ويكون ذلك من خلال تقمص أو تبني ضم الأنظمة الاجتماعية، على ذلك يستوجب لتحقيق الاندماج الاجتماعي توافر شرطين أساسيين، هما:

- (1) إرادة الإنسان، وسعيه الشخصي للاندماج والتكيف من خلال التعبير الطوعي عن الاندماجية.
- (2) القدرة والإمكانات الاندماجية للمجتمع من خلال احترام تباين واختلاف الأشخاص وتمييزهم.⁽¹¹⁾

(أبعاد الاندماج الاجتماعي):

يتصف الاندماج الاجتماعي بأنه التنظيم التكاملي والبنائي للنسق الاجتماعي، وله أبعاد عديدة، من أهمها:

(1) التضامن: ينظر للمجتمع من خلال "وجود جوهر القيم المشتركة" للمجتمع الأخلاقي" و من خلال استيعاب الأفراد والسماح لهم بالتعبير عن رغباتهم وانتمائهم وعضويتهم، من

(7) نادر جميل حمد، صورة الذات وعلاقتها بالتفاعل الاجتماعي، دار الكتب والوثائق، مكتبة اليمامة للطباعة والنشر، بغداد 2014، ص (10-11).

(8) صايل الخطابية، نادر بني نصر، المجتمع الأردني، ط2، المكتبة الوطنية، الأردن، ص (15).

(9) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص (561).

(10) هاديا عادل كاتبي، الاندماج الاجتماعي لدى عينة من متعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها في الجامعة الأردنية، مجلد 34، عدد3، 2015، ص (316).

(11) أمحمد المالكي، جدلية الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، بيروت، لبنان 2014، ص (663).

خلال المشاركة الفعالة، ويظهر الاستبعاد من خلال (التمزق في الروابط الاجتماعية، انهيار النسيج الاجتماعي، انهيار القيم، الاحترام، القيم الجمعية).

(2) التخصص: ينظر هذا النموذج للمجتمع من خلال النظام، منظم لأفراده الحاملين للحقوق والواجبات، ومن لديهم الإمكانيات والقدرات، وبناء مجتمع قائم على تقسيم العمل والتبادل في كافة المجالات- الاستبعاد في هذا النموذج يعكس الاختيارات الطوعية، والاهتمام، والعلاقات التعاقدية، والتشوهات، والفساد، والتعصب، العجز.

(3) الاحتكار: ينظر هذا النموذج إلى المجتمعات المتنازعة والمتصارعة، من خلال الجماعات المختلفة والمتباينة في قوتها وسيطرتها على مقدرات المجتمعات ومواردها، بالتالي تسعى تلك الجماعات إلى حماية مصالحها وتمييزاتها وممتلكاتها من الآخرين، ويمثل الاندماج عكس ذلك من خلال خلق الحواجز أو الضوابط الاجتماعية التي تحد من قدرة الآخرين "الغرباء" من الوصول إلى الجماعة المتحكمة أو المسيطرة⁽¹²⁾.

معوقات الاندماج الاجتماعي:

يواجه الاندماج الاجتماعي معوقات عديدة، تحول دون الوصول إلى تحقيق أعلى درجات الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، على مستوى البناء الاجتماعي ككل، وعلى هذا الأساس فإن بناء دولة حديثة أمر غير وارد، في ظل الظروف الراهنة، ولعل من أهم المعوقات تأثيرا ما يلي:

الاستبعاد:

يمكن القول إن الاستبعاد هو نقيض الاندماج أو الاستيعاب، وهو كاشف لطبيعة البنية الاجتماعية في أي مجتمع، فالاستبعاد ليس أمراً شخصياً، ولا راجعاً إلى تدني القدرات فقط، بقدر ما هو حصاد بنية اجتماعية معينة واتجاهات محددة، ومؤشر على أداء هذه البنية لوظائفها، كذلك ليس موقفاً سياسياً فقط ولا طبقياً، إنما هو مركب من كل ذلك، إذا فهو ليس مرتبطاً بالفقراء وحدهم أو الأغنياء أو السياسيين أو الشعب لوحدهم، إنما هو مشكلة الجميع على السواء، بالتالي فإن الحل هو التقليل من ذلك الاستبعاد بهدف تحقيق جملة من الخصال النافعة التي تظهر المواطنة والوطنية الحقيقية، ويُعد الاستبعاد صورة من عدم الاعتراف بالحقوق الأساسية، وفي حالة مغايرة وهو الاعتراف، فيعد الاستبعاد صورة من صور العجز عن الوصول للمنظومة السياسية والقانونية، اللازمة لجعل هذه الحقوق واقعا حياً⁽¹³⁾.

مؤشرات الاستبعاد:

(1) الاستبعاد الاجتماعي: يشير هذا المفهوم إلى حدوث خلل في البناء الاجتماعي للمجتمع، من خلال انعدام التكافؤ بين أفراد الجماعة الواحدة والمجتمع الواحد، الأمر الذي ينعكس سلبياً على فرص حياتهم وتحقيق ذاتهم، مثل: (الإنتاج والاستهلاك، والتعليم، والصحة، والعمل السياسي، والحصول على الخدمات الأساسية التي يحتاجها الإنسان)⁽¹⁴⁾، وهذا ما يطلق عليه إنعدام المساواة (Equality Social)، حيث يعد هذا المبدأ (المساواة) من أهم المبادئ التي تأخذها السياسات الوطنية بعين الاعتبار، وتتسابق الأنظمة السياسية على تحقيقها، وذلك من خلال إصدار قوانين، يفترض أنها تعمل على تهيئة الظروف المناسبة، لتحقيق هذا

(12) محمد يوسف بن مفرح، الاستبعاد الاجتماعي في الأردن، دراسة سيولوجية لمجالات الاستبعاد في قرية المخبية الفوقا، لواء بني كنانة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، 2013، ص (11).

(13) جون هيلز وآخرون، الاستبعاد الاجتماعي، محاولة للفهم، مرجع سبق ذكره، ص (8).

(14) هناء محمد الجوهري، علم الاجتماع الحضري، دار المسرة، عمان، 2009، ص (32).

المبدأ في مختلف المجالات، وعلى كل المستويات، وتوجد ثلاثة أنماط رئيسة من المساواة، هي:

(أ) المساواة في الفرص، وهي إتاحة المساواة في الالتحاق بالمؤسسات والمراكز الاجتماعية، بين الجماعات الاجتماعية، مثل الحق في التعلم والصحة.

(ب) المساواة في الوضع الاجتماعي، وتعني المساواة في الأحوال المعيشية للجماعات الاجتماعية مثل: المساواة في الدخل، وعلّة هذا الأساس أنه من الصعب الوصول إلى أقصى درجة للمساواة في الفرص، دون أن تعني بالمساواة في الوضع الاجتماعي.

(ج) المساواة في النتيجة أو الناتج، وتعني تطبيق سياسات أو عمليات مختلفة على الجماعات الاجتماعية المختلفة، لتحويل مظاهر انعدام المساواة في البداية إلى مظاهر مساواة في النهاية، فالتمييز الإيجابي لصالح النساء أو السود أو المدينة الفقيرة، في التعليم أو الاختيار لشغل الوظائف، يقصد بها تعويضهم عن عدم المساواة في الوضع الاجتماعي، وإلا فإن تحقيق المساواة في الفرص يصبح أمراً لا معنى له⁽¹⁵⁾.

وما من شك في أن القانون الليبي يوجد به مجموعة من النصوص، التي ترتبط بتحقيق المساواة في المجالات السياسية والاقتصادية والأنشطة الاجتماعية والمساواة بين الجنسين، والحصول على الحقوق، كالتعليم والصحة والثروة، إلا أن هناك عوامل كثيرة تتدخل وتحوّل دون تحقيق مبدأ المساواة، ويعزى بعضها إلى الجذور التاريخية، وطبيعة العلاقات الاجتماعية⁽¹⁶⁾، ومن أهم العوامل الداعمة للاندماج الاجتماعي، (التعليم) من خلال المستويات التعليمية، والانخراط في الأعمال ذات القيمة الاقتصادية، فالأفراد المتعلمون هم أكثر تحملاً وتكيفاً مع المتغيرات الاجتماعية الجديدة، حيث توجد علاقة سببية بين الاستبعاد الاجتماعي والفشل التعليمي، فمن خلال ذلك يواجه الأفراد صعوبات ومعوقات عديدة، أهمها: نقص المعارف والمهارات، فالتعليم عامل أساس في تطوير التنشئة الاجتماعية نحو المواطنة والولاء والانتماء، وبالتالي الاندماج الاجتماعي، وتمكين الأفراد من تحقيق ذاتهم⁽¹⁷⁾.

إن ضعف الخدمات التعليمية في المدارس والجامعات الحكومية على مستوى المجالات والنواحي الأكاديمية، يؤثر على العملية التربوية من خلال انخفاض المستوى التعليمي⁽¹⁸⁾، من هذا المنطلق يمكن القول إن الاستبعاد الاجتماعي من الأسباب المباشرة في تقسيم المجتمعات، وظهور مؤشرات وملامح الانقسام، حيث يعمل في تضاد تام مع عملية الاندماج الاجتماعي التي تؤسس عليها المجتمعات، حتى إن مفهوم الدولة يعد ناقصاً بوجوده⁽¹⁹⁾.

(2) الاستبعاد السياسي: تسهم المشاركة السياسية القائمة على مبدأ (المواطنة) الصحيحة في قيادة الأفراد والجماعات إلى المشاركة الفاعلة والطوعية في مجال الحياة السياسية، إن انغماس أفراد المجتمع في العمل السياسي على كافة المستويات، يكون رهين تحقيق الطموحات والأمال والمصالح الجمعية، بخلاف ذلك قد يشكك الأفراد في السلطة السياسية، ويعدونها أداة لتحقيق مصالح ضيقة خاصة بهم، إذا ابتعدت عن تلبية حاجاتهم ورغباتهم

(15) ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، ط1، ترجمة عادل مختار الهواري، سعد عبد العزيز مصلوح، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 1994، ص (229-230).

(16) مصطفى عمر التير، الأوضاع المعيشية لذوي الدخل المحدود في المجتمع الليبي، دراسة أمبريقية، ط1، دار ممداد للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، 2013، ص (9).

(17) محمد يوسف بن مفرج، الاستبعاد الاجتماعي في الأردن، مرجع سبق ذكره، ص (20).

(18) سلوى عبد الحميد الخطيب، نظرة في علم الاجتماع المعاصر، ط1، مطبعة النيل، القاهرة، 2002، ص (187).

(19) هادي أحمد الدّنب، محمود عبد العليم سليمان، مخاطر الاستبعاد الاجتماعي على الدولة والمجتمع: تحليل سوسيولوجي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، العدد (13-14) ديسمبر 2015، ص (56).

كمواطنين⁽²⁰⁾، وترتبط مشاركة أفراد المجتمع في العملية السياسية بقضية المواطنة، فهي الثقافة التي تدفع الأفراد والجماعات للانغماس في العمل السياسي والإقدام عليه.

أهمية الاندماج الاجتماعي في تنظيم وإدارة المجتمع:

تكمن أهمية الاندماج الاجتماعي في ضرورة إدراجه ضمن مبادرات التنمية المستدامة، على اعتبار أنه آلية تضمن حماية حقوق الإنسان ومبادئ المساواة والإنصاف، وتعالج التفاوت المبني على التوزيع غير المتساوي للثروة، ونقصان فرص الحراك الاجتماعي، ومحاربة الآثار المرتبطة بالتهميش والاستبعاد⁽²¹⁾، إن الاندماج هو عملية ديناميكية منظمة يشارك فيها جميع الأعضاء في حوار لتحقيق التوازن والحفاظ على العلاقات الاجتماعية السليمة، وبالتالي فهو وعي إنساني من خلال السلوك، لا يقتصر على جيل معين أو شعب أو فئة أو أفراد، فهو سبيل للإنسان، يهدف إلى خلق بدائل للواقع الإنساني، خاصة في مرحلة مرور المجتمعات (بالأزمات)، بما يضمن له الاستمرارية والديمومة والبقاء، فهو وضع ديناميكي في حركة دائمة ومستمرة، فهذه الخاصية تتيح للبشر وضع استراتيجيات للبقاء، وإعادة البناء، الأمر الذي يساهم في توفير فرص التغلب على الأزمات على كافة الأصعدة، بمعنى خلق سياسة اندماجية صريحة للبقاء والنهوض⁽²²⁾، وعلى ذلك تتحدد شروط الاندماج الاجتماعي في الآتي:

1. مجتمع آمن مستقر عادل، من خلال إصلاح ظروف التفكك الاجتماعي، والإقصاء الاجتماعي، والتفتت الاجتماعي، الاستقطاب والطائفية القبلية.
2. علاقات تعايش اجتماعية سليمة، تشمل التعاون والتماسك⁽²³⁾.
3. النظم والآليات الديمقراطية المرتبطة بالحقوق والواجبات في إطار المواطنة.
4. حقوق الإنسان بصورة أكثر شفافية.

المقاربة النظرية في تنظيم وبناء وإدارة الدولة:

أولاً: نظرية عبد الرحمن بن خلدون "العصبية":

يرى ابن خلدون أن العصبية مرتبطة بالنسب والقرابة، فيقول: إن "صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل، ومن صلتهما النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام، أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة، فإن القريب يجد بنفسه غضاضة في ظلم قريبه، أو العداة عليه، ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك نزعة طبيعية مذ كانوا"⁽²⁴⁾.

ويشير إلى أن قيام الدولة مرهون بقوة العصبية، وتنهار وتسقط بضادها، على أن المصالح المشتركة الجمعية في حاجة إلى الكفاح والصراع من أجل ظروف أفضل للاندماج والعيش. إن بروز مصالح شخصية متناقضة تسهم في إضعاف العصبية، "الاندماج" الذي كان السند الرئيس في قوة الدولة، فتسقط وتنهار ويزول حكامها، وهكذا كلما كانت القوى

(20) حسين علوان، إشكالية بناء ثقافة المشاركة في الوطن العربي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2009، ص (17-18).

(21) على عبدالرازق جليبي، الاندماج والمواطنة: جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة الأمة في الوطن العربي، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت- لبنان، 2014، ص (263).

(22) محمد بالرشاد، التضامن الإنساني في الأزمات والبدائل الضرورية للبقاء، شبكة المعلومات الدولية: <https://tafahom.mara.gov.om/storage/al-tafahom/ar/2020/069/pdf/09.pdf>

(23) سامح العبيدي، شروط الاندماج الاجتماعي (2020-9-20)، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية: <https://sotor.com>

(24) عبدالرحمن بن خلدون، المقدمة، (د-ت) دار الجيل، بيروت، لبنان، ص (14-142).

المحركة للعصبية هي "المصلحة المشتركة"، كانت متماسكة متضامنة وقوية وصامدة، أما إذا تحولت تلك المصلحة إلى مصالح شخصية، وطفلت مصالح هذا على تلك، فإن التضامن الذي كان بالأمس ينقلب إلى فرقة ونزاع، فيطفئ الأنا الشخصي على الأنا العصبي وتفسد العصبية، إن رابطة العصبية ليست رابطة بين فرد وآخر، بل هي الرابطة الأولى بين الفرد والجماعة أو المجموعة، إذ ينصهر الفرد في العصبية عندما يتعرض للخطر، كما أن العصبية نفسها تتقمص الفرد عندما يصاب بأذى أو يلحقه مكروه ما.⁽²⁵⁾ بالتالي يكون الواحد للجميع أو الجميع للواحد.⁽²⁶⁾ لقد أبرز ابن خلدون أهمية العصبية في قيام الدولة وتحللها، حيث أصبحت عنده "رابطة اجتماعية سيكولوجية وشعورية ولا شعورية معا، تربط أفراد الجماعة الواحدة"⁽²⁷⁾، ولما كانت العصبية هي المبدأ الأوحد والأنجع لنشوء الدولة في نظره، فيرى بعض الباحثين أن اهتمام ابن خلدون بالعصبية ناشئ عن مشاهدة المجتمعات المركبة، وهي تضمحل وتندهور، حيث جرفت معها كل المؤسسات القائمة فيها، بخلاف الحال في المجتمعات البدوية التي احتفظت بوحدها وتضامنها واندماجها في مواجهة الأخطار والضغوطات⁽²⁸⁾.

المسلمات النظرية المستخلصة في تنظيم وبناء وإدارة الدولة لنظرية عبد الرحمن بن خلدون:

1. تقود النزعة الطبيعية في البشر إلى (الاتحاد والقوة) بين أفراد القبيلة الواحدة أو العائلة الواحدة، والسبب في ذلك يعزى لدفعهم جميعا إلى التعاضد والتناصر والتلاحم، بمعنى تعاون وتضامن على تحقيق الأهداف من أجل البقاء.

2. ضعاف النسب، لا يوجد بينهم تلك الألفة والتعاضد، حيث إنهم كلما تعرضوا للشر أو الحرب، حاول كل واحد منهم النجاة بنفسه.

تسهم العصبية في بناء الدولة والملك، وهي الغاية المطلقة للعصبية، كذلك فهي تسهم من جهة أخرى في عرقلة بناء الدولة إذا كانت متعددة ومتخالفة، إذ يقول ابن خلدون في ذلك: "إن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة"⁽²⁹⁾.

ثانياً: نظرية دور كايم عن تقسيم العمل الاجتماعي في تنظيم إدارة الدولة وبنائها:

قسّم دور كايم المجتمعات إلى قسمين، هما: النموذج المتمايز الحديث، الذي يسميه دور كايم بالتضامن العضوي، فهو يتكون من نسق من الأعضاء والوظائف المتشابهة، بحيث يقدم كل فرد فيه دورا محددا، والنموذج الآخر غير متمايز، أو متمايز بشكل ضعيف، فهو يتقدم ويتأسس على تكرار عناصر متشابهة ومتجانسة تقوم بالفعل نفسه، ويطلق عليه (المجتمع الأني).

ويرى دور كايم أن أهم مدخل لتناول أشكال (التضامن) الناتجة عن تقسيم العمل الاجتماعي، هو "نسق القواعد القانونية" التي يعتمدها المجتمع، يهدف تنظيم وإدارة سلوك الأفراد داخل الجماعات والمجتمعات التي ينتمون إليها، وعلى ذلك يميز دور كايم بين نوعين

(25) محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون: العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، بيروت، لبنان، 1994، ص (177).

(26) محمد بالراشد التضامن الإنساني في الأزمان والبدائل الضرورية للبقاء، شبكة المعلومات الدولية: <https://tafahom.mara.gov.om/storage/al-tafahom/ar/2020/069/pdf/09.pdf>

(27) محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مرجع سبق ذكره، ص (168).

(28) رياض عزيز هادي، مفهوم الدولة وتنبؤاتها عند ابن خلدون، مجلة العلم السياسية، العدد (37)، العراق، ص (89).

(29) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، مرجع سبق ذكره، ص (163).

من أشكال العقاب، يرتبط كل منهما بمجتمع معين، بحيث يكون العقاب قمعياً في المجتمع غير المتميز، لضمان سيادة الوعي، ويكون العقاب تقويماً في المجتمع المتميز، على أنه يسعى للحد من الخسارة الناتجة عن تجاوز القاعدة الاجتماعية، أو إصلاح القرار. إن أهم وأخطر ما يواجه المجتمع الحديث، من حيث إنه مجتمع متميز بنيوي ووظيفياً،⁽³⁰⁾ هو غياب التوافق والتضامن (الاندماج)، التي يعتبرها دوركايم ضرورية، وهو عصب الحياة الاجتماعية، ولا يمكن أن يكون المجتمع موجوداً بدونها، والقصد من ذلك أن دوركايم أشار إلى أن آليات (الاندماج الاجتماعي) وسيلة لتجاوز حالة الفوضى، التي يمكن أن تنتج عن الخطابات الاجتماعية والمرجعيات الثقافية، التي يتشكل منها المجتمع الحديث، وهي لا تخرج عن قضيتين اثنتين هما: "التربية والدين"، إذ يتأهل الفرد بالأولى اجتماعياً، ويحقق الاندماج بالثانية.⁽³¹⁾

ويمكن اختصار التصور الآلي والعضوي للتضامن عند دوركايم في الجدول الآتي:⁽³¹⁾

جدول رقم (1)

النسق القانوني	الوعي الجماعي	الروابط بين الأفراد	الأسس	الوظائف	
قانون قمع العقوبة على الأخطاء والجرائم	وجود قوي محكوم بالضغوط والمجموعات الاجتماعية	تشابه الأفراد ووظائفهم	تجانس القيم والمعتقدات، طقوس متعددة	الاندماج الاجتماعي	تضامن آلي "مجتمعات بدائية"
قانون تقويمي أو تعاوني	ضعيف في تراجع	التميز بين الأفراد والتكامل بين الوظائف	تنوع قيم ومعتقدات متميزة الاعتماد المتبادل تأثير لتقييم العمل	الاندماج الاجتماعي	تضامن عضوي "المجتمعات الحديثة"
الهدف هو إصلاح الأخطاء أو تشجيع تعاون الأفراد	تأويل أوسع للضرورات الاجتماعية	تعدد الروابط الاجتماعية والتباين في شدتها بحسب الأفراد			

يمكن القول إن فكرة دوركايم الأساسية تفيد أن بناء الدولة في الأساس يقوم على القوى التي تربط الناس ببعضهم، فعندما يضعف التماسك الاجتماعي تمرض الدولة وتتفكك؛ لذا علينا أن نجد العلاج الصحيح لاستعادة ذلك التماسك الاجتماعي الحيوي، فالسوسيولوجيا عند دوركايم هي علم ذلك التماسك، فهي أساسه، وكيف يضعف، وكيف يمكن تقويته، وقد اعتقد (دوركايم) أن فرنسا في زمنه كانت مجتمعا ضعيف التماسك،

(30) زكريا الإبراهيمي، إميل دوركايم والتأسيس السوسيولوجي للحداثة، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤمنون

بلا حدود www.mominoun.com

(31) محمد بالراشد، التضامن الإنساني في الأزمات والبدائل الضرورية للبقاء، شبكة المعلومات الدولية:

<https://tafahom.mara.gov.om/storage/al-tafahom/ar/2020/069/pdf/09.pdf>

أي إنها كانت مجتمعاً مريضاً⁽³²⁾

الدراسات السابقة:

خضع موضوع الاندماج الاجتماعي للدراسة والتحليل في مجالات عديدة، أهمها الاندماج الذاتي والاقتصادي والتعليمي والسياسي، ونشير في هذا الجزء لعدد من تلك الدراسات:

- دراسة (سوسن السلطاني)⁽³³⁾ (2019): عن الاندماج الاجتماعي وعلاقته باستبصار الذات لدى عينة من الموظفين، هدفت الدراسة إلى التعرف على الاندماج الاجتماعي، من خلال مؤشرات (نفسية وسلوكية، هي الانتماء والتضحية واستبصار الذات، من خلال فهم الآخرين، والقدرة على إدارة المواقف في الحياة، بلغ حجم عينة الدراسة (200) موظف وموظفة، تبين أن الإناث أكثر اندماجا من الذكور على مستوى المؤشرات الثلاثة، أيضا وجود علاقة ارتباطية بين الاندماج واستبصار الذات لدى الموظفين جميعا.
- دراسة (أحمد عبد الموجود)⁽³⁴⁾ (2017): هدفت الدراسة إلى التعرف على ملامح غياب الوعي السياسي، وانعكاساتها على توجهات الشباب نحو الاحتجاجات الإلكترونية، دراسة على عينة من الشباب بمحافظة أسيوط بجمهورية مصر، من خلال (أزمة الاندماج والهوية والمشاركة السياسية)، بلغ حجم العينة (300) مفردة باستخدام العينة العشوائية البسيطة، تبين من النتائج أن الارتباك السياسي في البلاد ناتج عن غياب الوعي السياسي، وانخراط الشباب في المظاهرات السلبية للاحتجاجات الإلكترونية، وبالتالي غياب للاندماج والهوية والمشاركة السياسية الفاعلة.
- دراسة (دروش فاطمة فضيلة)⁽³⁵⁾: هدفت الدراسة للتعرف على معوقات الاندماج الاجتماعي لدى فئة الشباب الجزائري، وذلك من خلال تحليل سيسونقدي لمؤشرات الاندماج الاجتماعي، من خلال ارتفاع نسبة (الانتحار والهجرة غير الشرعية وارتفاع حالات الاستياء وعدم الرضا، وتوالي الاحتجاجات وارتفاع موجات الرفض)، اقتضت الدراسة أن تمرّد الشباب الجزائري له أسباب كثيرة، أهمها (فشل النظام الاجتماعي المؤسسي المتمثل في الأسرة والمدرسة، وفشل الخطاب السياسي والإعلامي، في إنتاج أليه قائمة على الشرعية التاريخية والقيم الوطنية، ومن نتائج الدراسة ضرورة إدماج الشباب في المجتمع، من خلال تهيئة الظروف الاقتصادية والاجتماعية لهم، والتخطيط السليم للمشاريع الاجتماعية، من خلال إشراك المتخصصين الاجتماعيين.

تقيب على الدراسات السابقة:

تناولت الدراسة الحالية بعض المتغيرات والمؤشرات الخاصة بالاندماج الاجتماعي المطروحة في الدراسات السابقة، حيث أشارت دراسة (سوسن السلطاني) إلى مؤشرات استبصار الذات والانتماء والتضحية، في حين أشارت دراسة (أحمد عبدالموجود) لمؤشرات أزمة الاندماج والهوية والمشاركة السياسية، تتوافق أيضا مع دراسة (دروش فاطمة فضيلة) في تناول قضية فشل أنظمة البناء الاجتماعي في المجتمع الجزائري في تحقيق اندماج

(32) غنارسكيريك ولنز غيلجي - تاريخ الفكر الغربي.. من اليونان القديمة إلى القرن العشرين - ترجمة: د. حيدر حاج إسماعيل - مركز دراسات الوحدة العربية - الطبعة الأولى، بيروت، نيسان (أبريل) 2012، ص (820-821).

(33) سوسن عبد علي كاظم السلطاني، الاندماج الاجتماعي وعلاقته باستبصار الذات لدى الموظفين، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد (47) أبريل 2019 مصر، ص (137).

(34) أحمد كمال عبد الموجود، ملامح غياب الوعي السياسي، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد (47) أبريل 2019 مصر، ص (231).

(35) دروش فاطمة فضيلة، معوقات الاندماج الاجتماعي لدى فئة الشباب التائب، قراءة سوسيونقدي لرواية الورد، المجلة الجزائرية للدراسات السوسولوجية، العدد (6) يونيو 2018، ص (65-77).

اجتماعي، وهو ما يتوافق مع مؤشرات الدراسة الحالية المرتبطة بالمعوقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية القائمة على الاستبعاد والتمييز والإقصاء، كعامل أساسي لضعف الاندماج الاجتماعي، على هذا الأساس يمكن القول إن هذه الدراسات ساهمت بصورة جيدة في دعم الدراسة الحالية بمؤشرات هامة حول الاندماج الاجتماعي ومعيقاته.

الإجراءات المنهجية للدراسة:

أولاً: منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على دراسة الظاهرة الاجتماعية لمعوقات الاندماج الاجتماعي في الجنوب الليبي، عليه تعد هذه الدراسة دراسة (وصفية تحليلية)، تهدف إلى جمع ووصف الحقائق وتفسيرها لاستخلاص نتائجها.

ثانياً: حدود ومجالات الدراسة:

المجال المكاني (الجنوب الليبي)، المجال البشري (الليبيون في الجنوب)، المجال الزمني (1/2023).

ثالثاً: العينة وأسلوب اختيارها:

تتمثل خطوات اختيار العينة في الآتي:

- نوع العينة: استخدم الباحث أسلوب العينات غير الاحتمالية (غير العشوائية)، (عينة كرات الثلج)، ويستخدم هذا النوع من العينات في حالة عدم وجود إطار لعينة الدراسة.
- وحدة العينة: الليبيون (ذكور وإناث) (في الجنوب الليبي).
- حجم العينة: بلغ حجم عينة الدراسة (368) مفردة على مستوى الجنوب الليبي.
- إطار العينة: الليبيون في الجنوب.

ثالثاً: أداة جمع البيانات الخاصة بالدراسة:

اعتمدت الدراسة الراهنة على استبيان إلكتروني، يحتوي بيانات عن المبحوث والظاهرة محل الدراسة، ومقياس الأبعاد: (الذاتية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية) لمعوقات الاندماج الاجتماعي عند الليبيين في الجنوب.

- صدق أداة الدراسة: عرض مقياس الدراسة على مجموعة من المحكمين من ذوي الاختصاص، والبالغ عددهم (4)، إذ أكد الجميع على صدق الأداة.
- ثبات أداة الدراسة: تحقق الباحث من ثبات أداة الدراسة، من خلال استخدام معادلة (ألفا كرونباخ) للمقياس، بلغ معدل الثبات الكلي (0.73)، حيث يُعدّ معدلاً جيداً لإجراء الدراسة الميدانية.

رابعاً: فروض الدراسة:

تفترض الدراسة أن ضعف الاندماج الاجتماعي في الجنوب الليبي، يعزى لأسباب ذاتية، واجتماعية، وثقافية، واقتصادية، وسياسية، ويندرج تحت هذا الفرض الرئيس الفروض الفرعية الآتية:

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في معوقات الاندماج الاجتماعي في الجنوب الليبي تعزى لمتغير (النوع).
- يوجد تباين في معوقات الاندماج الاجتماعي في الجنوب الليبي يعزى لمتغير (المستوى التعليمي ومحل الإقامة).

خامساً: الأساليب الإحصائية المستخدمة:

اعتمدت الدراسة على الأساليب الإحصائية الوصفية المتمثلة في: (النسب المئوية، والمتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، واختبار t) لعينتين مستقلتين (**Independent-Samples** -)، والتباين الأحادي، حيث تمت معالجة البيانات باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS).

أولاً: الخصائص الديموغرافية والاجتماعية:

من خلال اتباع أسلوب عينة (كرات الثلج)، ولما كان الاستبيان الإلكتروني من الوسائل الحديثة في الاستعمال، خاصة في المجتمع الليبي، وتحديدًا بالمنطقة الجنوبية منه، وجدت الدراسة أن هناك تجاوباً مرضياً من أفراد العينة على كافة المستويات في قبول المشاركة في هذه الدراسة، سواء على مستوى المتغيرات النوعية أو العمرية، أو المرتبطة بالمستوى التعليمي والمهنة، فهي متغيرات مستقلة تسهم وتساعد في التعرف، ولو بنسبة بسيطة، عن مستوى الاندماج الاجتماعي في الجنوب الليبي، وبالتالي التعرف على المعوقات المؤدية إلى إعاقة الاندماج الاجتماعي فيه.

جدول رقم (2) يوضح متغير النوع لعينة الدراسة

النوع	العدد	%
ذكور	185	50.3
إناث	183	49.7
المجموع	368	100

يتبين من البيانات الواردة في الجدول أعلاه ارتفاع نسبة الذكور عن الإناث في هذه الدراسة، إذ بلغت نسبة الذكور 50.3%، في حين بلغت نسبة الإناث 49.7%، هذه النتيجة تفيد إقبال الذكور والإناث على المشاركة، وإبداء الرأي في مثل هذه الدراسات، وهذا يُعد من العوامل الإيجابية في ارتفاع نسبة الوعي في الجنوب الليبي من خلال المشاركة الفاعلة في مثل هذه الدراسات.

جدول رقم (3) يوضح متغير العمر لعينة الدراسة

العمر	العدد	%
27-18	83	22.5
37-28	106	28.8
47-38	95	25.8
57-48	58	15.7
+58	26	7.0
المجموع	368	100

تفيد المعطيات الخاصة بمتغير العمر، أن أعلى نسبة تركزت في الفئة 37-28، بنسبة 28.9%، تليها الفئة العمرية 47-38، بنسبة 25.8%، تليها الفئة العمرية 27-18، بنسبة 22.5%، ثم الفئة العمرية 57-48 بنسبة 15.7%، وأخيراً الفئة العمرية من 58 — فما فوق بنسبة 7.0%، وتوصف عينة الدراسة بأنها عينة (فتية) شاهدة على الواقع المعاصر وما يدور فيه من أحداث اجتماعية واقتصادية وسياسية.

جدول رقم (4) يوضح متغير المستوى التعليمي لعينة الدراسة

المستوي التعليمي	العدد	%
ثانوي	55	14.9
جامعي	211	57.3
ماجستير	66	17.9
دكتوراه	36	9.7
المجموع	368	100

اتضح من مراحل المستوى التعليمي لأفراد العينة، أن أعلى نسبة عند فئة المستوى التعليمي جامعي، إذ بلغت نسبتها %57.3، تليها فئة الماجستير بنسبة %17.9، ثم المستوى التعليمي الثانوي بنسبة %14.9، ثم المستوى التعليمي الدكتوراه بنسبة %9.7، وتفيد المعطيات أن عينة الدراسة نالت قسطاً من التعليم على المستويات العليا، الأمر الذي ينعكس ايجابياً على التعرف على أهم المؤشرات المرتبطة بالاندماج الاجتماعي ومواقفه.

جدول رقم (5) يوضح متغير المهنة لعينة الدراسة

المهنة	العدد	%
طالب	71	18.3
موظف	113	30.7
معلم في مراحل التعليم	36	9.4
أستاذ جامعي	84	22.8
عسكري	16	4.3
أعمال حرة	48	13.0
المجموع	368	100

وبلغت أعلى نسبة للمهنة عند مهنة الموظفين بنسبة %30.7، تليها مهنة الأستاذ الجامعي بنسبة %22.8، تليها مهنة الطالب بنسبة %18.3، ثم مهنة الأعمال الحرة بنسبة %13.

جدول رقم (6) يوضح متغير محل الإقامة لعينة الدراسة

محل الإقامة	العدد	%
سيها	159	43.2
الشاطئ	50	13.6
أوباري	51	13.9
غات	26	7.1
مرزق	43	11.7
الشرقية	39	10.6
المجموع	368	100

فيما يتعلق بمكان الإقامة، اتضح أن غالبية أفراد العينة من مدينة سبها بنسبة %43.2، تليها أوباري بنسبة %13.9، ثم الشاطئ بنسبة %13.6، ثم مرزق بنسبة %11.7، تليها الشرقية بنسبة %10.6، ثم غات بنسبة %7.1، وحسبنا الإشارة إلى أن مكان الإقامة يُعد من المتغيرات ذات الأهمية القصوى في التعرف على مستوى الاندماج الاجتماعي في المجتمعات المعاصرة، وذلك من حيث مدى توافر الإمكانيات اللازمة أو المشجعة على وجود اندماج حقيقي لدى الأفراد من عدمه.

يستنتج من عرض البيانات العامة لخصائص العينة، أن هناك إقبالا جيدا على المشاركة في هذه الدراسة على مستوى النوع والعمر، والمستويات التعليمية والمهنة، ومحل الإقامة، وهذا يدل على ارتفاع نسبة الوعي في المشاركة في مثل هذه الدراسات، ومدى أهميتها العلمية، ووجب الإشارة إلى نقطة جوهرية، وهي تباين أعداد أفراد العينة حسب مكان الإقامة، حيث نالت مدينة سبها النصيب الأكبر، تليها أوباري، ثم الشاطئ، وهذا وضع طبيعي، على اعتبار أن هذه المناطق من أكثر المناطق ارتفاعا في الكثافة سكانية في الجنوب الليبي، كذلك أن المستويات التعليمية العليا والمتوسطة وسيلة حية للتعرف عن قرب، فيما يتعلق بالمعوقات التي تعيق الاندماج الاجتماعي الحقيقي في الجنوب الليبي.

ثانياً: مؤشرات الاندماج الاجتماعي:

السؤال الأول: ما مدى وجود وعي مجتمعي اجتماعي وثقافي وسياسي لدى عينة الدراسة في الجنوب الليبي؟

جدول رقم (7) الوعي الاجتماعي والثقافي والسياسي

الاتجاه		نعم		لا	
العدد	%	العدد	%	العدد	%
225	37.1	143	23.6		
223	36.8	145	23.9		
153	25.2	215	35.5		
344	56.8	24	4.0		
147	24.3	221	36.5		
290	47.9	78	12.9		
300	81.5	68	18.4		

سعت الدراسة إلى محاولة التعرف على مدى وجود وعي مجتمعي لدى أفراد العينة حول بعض القضايا الرئيسية، كونها جزءاً من حياة المجتمع الليبي، واتضح أن لدى عينة الدراسة وعي جيد بما يدور في البيئة الليبية، سواء على المستوى الاجتماعي أو الثقافي أو السياسي للمؤشرات المطروحة، وبالنظر للجدول أعلاه اتضح أن أعلى نسبة عند الفقرة رقم (4) عند فئة الأشخاص الذين أجابوا بنعم، بنسبة (56.8)، بخصوص أن الوضع السياسي يتجه نحو تحقيق المصالح الشخصية الخاصة وإهمال الصالح العام، تليها الفقرة الثانية رقم (2) حول وجود تفاعل وتجاوز لدى عينة الدراسة في الأمور السياسية والاجتماعية والقضايا المصاحبة لها، بنسبة (36.8)، الذين أجابوا بنعم، تليها الفقرة رقم (6)، حول تأكيد على دور التنشئة الاجتماعية في تنمية حب الوطن والعمل من أجله بنسبة "47.9"، تليها الفقرة الأولى التي تفيد أن أفراد العينة على دراية كاملة بما يحيط بهم

من أحداث وتطورات على كافة الأصعدة، بنسبة "37.1%". هذه المعطيات تفيد بارتضاع درجة الوعي المجتمعي لدى أفراد العينة في الجنوب الليبي، والإلمام بالأحداث التي ترتبط بالحياة اليومية، تختلف هذه النتيجة مع دراسة أحمد عبد الموجود التي تشير بأن الارتباك السياسي ناتج عن غياب الوعي المجتمعي بالظروف الساسية، الذي يقود لعدم المشاركة السياسية الفاعلة والانخراط في المظاهرات السلبية وضعف الهوية.

السؤال الثاني: ما مدى وجود معوقات ذاتية (استبصار الذات) لدى عينة الدراسة تحول دون تحقيق الاندماج الاجتماعي في الجنوب الليبي؟

جدول رقم (8) المعوقات الذاتية للإنتماء الاجتماعي

الترتيب	الانحراف المعياري	المتوسط	غير موافق بشده	غير موافق	محايد	أوافق	أوافق بشده	الاتجاه
2	0.86	4.3	0.7	1.5	7.3	19.0	32.3	لدي الرغبة الكاملة في تقديم الخدمات التي تسهم في بناء الوطن
1	0.77	4.3	0.2	1.0	7.8	22.1	29.7	أسعى للمساهمة في الأعمال الخيرية والتطوعية والانضمام إليها
5	1.2	2.9	9.6	12.9	18.3	10.4	9.1	أحرض الآخرين على التمرد ضد الأوضاع القائمة
3	1.0	3.5	2.5	8.6	14.4	26.2	9.1	أشعر بالانتماء الكامل للدولة ومؤسساتها
4	1.1	2.2		27.4	6.6	6.6	3.5	لا يوجد شيء يستحق التضحية في هذه البلاد
6	1.3	2.9	8.6	16.3	13.7	10.9	11.2	أرفض القبلية والتعددية الثقافية وأدعو للقضاء عليها
		3.3						المتوسط الكلي

من خلال البيانات الواردة في الجدول أعلاه، تبين أن المتوسط العام للمعوقات الذاتية للانتماء الاجتماعي بلغت "3.3"، وهذا يشير إلى أنه لا توجد معوقات ذاتية لدى أفراد العينة فيما يتعلق بقضية الانتماء الاجتماعي، حيث كانت الفقرة رقم (2) في هذا البعد أكثر إيجابية، من حيث سعي أفراد العينة بكل جدية وحماس في سبيل الانخراط والمساهمة في الأعمال الخيرية والتطوعية بمتوسط بلغ "4.3"، وانحراف معياري "0.77"، تليها في الإطار الإيجابي الفقرة الأولى "1" بمتوسط قدره "4.3" وانحراف معياري "0.86" بخصوص وجود رغبة وطنية صادقة وكاملة في المساهمة في تقديم الخدمات التي تسهم في بناء الوطن، تليها الفقرة رقم "4" من حيث الشعور بالانتماء الكامل للدولة ومؤسساتها بمتوسط قدره "3.5" وانحراف معياري "1.0".

يأتي بعد ذلك بعض الاتجاهات السلبية بمتوسط أقل، من حيث التحريض ضد الدولة وسياستها، والتراكيب الاجتماعية والقبلية المكونة للبناء الاجتماعي فيها.

ساهمت الثورات في كثير من البلدان والبلدان العربية، على وجه الخصوص (الربيع العربي)، في حدوث شرخ في استقرار تلك البلدان، ومظالم لا حصر لها لحقت بالأفراد والجماعات، ورغم ذلك لا يزال يوجد هناك أناس قادرين على تقديم المساعدة والتضحية من أجل الآخرين، وهذا ما يعرف باستبصار الذات، إن استبصار الذات نفسياً وإنسانياً يحرك في الإنسان الرغبة في تقديم المساعدة دون انتظار مردود مادي، وهذا ما يطلق عليه (الاندماج الاجتماعي الإيجابي) الذي يتضمن مبادئ الإيثار والانتماء والتضحية.

حسبنا الإشارة هنا إلى أن ارتفاع مستوى الإيجابية (يعني: إيجابية الاندماج الاجتماعي) لأفراد مجتمع الدراسة، من خلال استبصار ذاتهم، راجع بالدرجة الأولى إلى أساليب التنشئة الدينية والاجتماعية الداعية لحب الوطن، والوفاء له والتضحية من أجله، ويعزى ذلك للترابط والتماسك الأسري والعشائري، بعيداً عن بعض السلبيات الناتجة عن التركيب الثقافي المتعدد. إن إيجابية الإنسان لخدمة أهله ووطنه مرهون في الأحوال كلها بالمردود المعنوي والمادي المقدم من الدولة وسياساتها نحوه، تتفق هذه النتيجة مع دراسة درويش فاطمة فضيلة التي أشارت إلى أن تحقيق اندماج اجتماعي سليم يعتمد على مدى تهيئة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى التخطيط السليم للمشاريع الاجتماعية.

جدول رقم (9) المعوقات الاجتماعية للاندماج الاجتماعي

الترتيب	الانحراف المعياري	المتوسط	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	أوافق	بشدة أوافق	الاتجاه
2	0.98	1.6	35.3	18.0	2.8	2.6	2.0	المواطن في الجنوب الليبي نال جميع الخدمات الإنسانية
1	0.96	1.8	27,6	22.8	6.4	2.1	1.8	يتصف الوضع في الجنوب الليبي بالعدالة الاجتماعية على كافة المستويات
2	0.98	1.7	30.7	20.3	4.8	3.6	1.3	يتمتع الجنوب الليبي بقدر كاف من الأمن والأمان الاجتماعي
3	1.0	4.3	1.3	5.4	00		35.8	يتعرض الجنوب إلى التهميش والإقصاء الاجتماعي على كافة المستويات
4	1.1	1.8	33.2	16.5	3.0	4.3	3.3	تتساوى الأقاليم الليبية الثلاثة في ميزان العدالة والحقوق
		2.7						

من خلال المعطيات الواردة في الجدول أعلاه، يتضح أن المتوسط العام للمعوقات الاجتماعية للاندماج الاجتماعي بلغ "2.7"، فقد أشار أفراد العينة في إجاباتهم حول هذا البعد من المقياس، أنها على درجة عالية من السلبية، وعدم الرضا بالوضع الاجتماعي الراهن في الجنوب الليبي (سلبية الاندماج الاجتماعي)، الأمر الذي يشير إلى حالة من (الاغتراب)، إضافة إلى ارتفاع الوعي بدرجة الإقصاء والتهميش الذي يعانيه

الجنوب الليبي من تبعيات الاستراتيجية السياسية للدولة الليبية اتجاه أقاليمها، في إطار ذلك جاءت الفقرة رقم (2) بدرجة سلبية عالية ومتوسط منخفض بلغ "1.8" حول رفض تمتع الجنوب الليبي بالعدالة الاجتماعية على كافة المستويات، تليها الفقرتان رقم (1) ، (3) على التوالي حول الاعتراض عن حصول الجنوب الليبي على جميع الخدمات الإنسانية والصحية، بالإضافة إلى الاعتراض الآخر حول تمتع الجنوب الليبي بقدر كاف من الأمن والأمان، تليها الفقرة رقم (4) حول التأكيد المطلق على تعرض الجنوب الليبي لعوامل الإقصاء والتهميش على كافة المجالات الاجتماعية خاصة، يستنتج من هذه المؤشر وجود معوقات اجتماعية لاحصر لها تعوق وجود اندماج اجتماعي (إيجابي) للقائمين في هذا الأقليم، ويعزى ذلك من وجهة نظر أفراد العينة إلى السياسة الاجتماعية العقيمة في بناء الدولة الليبية القائمة على إقصاء روح العدالة، واحترام الحقوق، ضف إلى ذلك انهيار أمن الدولة الذي ينعكس بدوره على الرفاه الاجتماعي للسكان، وهذا لن يتحقق إلا بوجود قيادة سياسية رشيدة، تنظر لهذا الأقليم نظرة وطنية، تؤمن بأن استقرار الدولة الليبية لن يكون إلا باستقرار الجنوب.

فيما يتعلق بسياسة الإقصاء والتهميش الاجتماعي للجنوب طابع غالب للحكومات المتعاقبة، وسياسة الدولة عموماً، ضف إلى ذلك دق ناقوس الخطر إلى احتمالية نشأة ما يعرف (بالميدراية)، وتحول ليبيا إلى أقاليم مبعثرة ومشتتة، الأمر الذي يفتح الباب أمام ترك فجوة وفراغ للانفصاليين، عموماً تتصف إيجابية الاندماج الاجتماعي في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية بما يقدمه لأفراده، ومدى الاهتمام بهم ورعايتهم، من خلال توفير كافة الإمكانيات، بهدف تحقيق حياة كريمة من جهة، وضمان الولاء له من جهة أخرى. إن وضع الجنوب الليبي في ظل الأوضاع الراهنة، وخاصة عدم استقرار الوضع السياسي للدولة، يشهد أوضاعاً صعبة، فعلى الرغم من كونه مصدرراً رئيساً (للنفظ)، والإنتاج لبعض المحاصيل الزراعية، إلا أن ذلك لم يشفع له أن يكون إقليماً نموذجياً، حيث لا تتوفر فيه مقومات التخطيط الحضري العصري، أو مؤشرات التنمية الريفية أو الحضرية، ضف إلى ذلك انعدام الاستقرار الأمني بفعل ظاهرة الهجرة والجريمة.

جدول رقم (10) المعوقات الاقتصادية للاندماج الاجتماعي

الترتيب	المعيار الانحراف	المتوسط	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة	الاتجاه
5	1.4	2.4	21.6	16.6	7.8	6.1	9.2	المساواة والعدالة الاقتصادية مبدأ الحكومات الليبية المتعاقبة
3	1.0	1.8	28.9	20.1	4.5	5.0	2.3	دخل الفرد الليبي جيد ويتماشي مع متطلبات الأزمة الاقتصادية الراهنة
4	1.1	1.8	28.5	23.8	0.3	4.8	3.3	تسعى الحكومات الليبية لإعادة إعمار الجنوب
2	0.9	4.4	2.0	1.3	3.6	15.2	38.3	يتعرض الجنوب لاستنزاف مقدراته الاقتصادية بسبب سوء الإدارة الاقتصادية
1	0.3	4.7	0.3	0.7	1.0	10.1	48.7	الوضع الاقتصادي الراهن وضع سيئ بسبب الفساد المالي
		2.2						

تشير المعطيات الواردة في الجدول أعلاه، إلى أن المتوسط العام بلغ "2.2" الخاص بالمعوقات الاقتصادية للاندماج الاجتماعي لعينة الدراسة، وجاء هذا البعد بدرجة سلبية عالية من الضجر وعدم القبول من أفراد العينة حوله، إذ تشير غالبية المتوسطات بوجود ضعف اندماج اقتصادي لدى أفراد العينة، وتفيد البيانات أن أكثر سلبيات ضعف الاندماج الاقتصادي في الفقرة رقم (5)، حيث أكد أفراد العينة بدرجة عالية على وجود فساد إداري ومالي ساهم في زيادة الوضع الاقتصادي سوءاً، الأمر الذي انعكس على الحياة الاقتصادية للمواطن في ظل التهميش السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فقد بلغ متوسط هذه الفقرة من المقياس "4.7"، تليها الفقرة رقم (4) التي تشير بتعرض الجنوب الليبي لعملية استنزاف لمقدراته وإمكانياته الاقتصادية، بمتوسط قدره "4.4"، تليها الفقرة رقم (3) التي يعترض فيها أفراد العينة على دخل الفرد الليبي مقارنة بالظروف الاقتصادية الراهنة، يستنتج من هذا المؤشر بروز مظاهر الفساد الإداري العائق لقيام الدولة الليبية، والمتمثل في بزوغ ظاهرة (الفساد) إدارياً واقتصادياً وسياسياً، ولعل من أهم مظاهر الفساد نهب مقدرات وثروات البلاد وهدارها، حيث تعاني البلاد عامة من انهيار البنية التحتية، بسبب عدم وجود مشاريع اقتصادية واستثمارات نشطة تنعش الاقتصاد الليبي، الأمر الذي ينعكس على أفرادهم. إن الحرمان الصريح للجنوب الليبي وسكانه من مقدراته الاقتصادية من (نפט وغاز ومياه) مع عدم وجود عائد اقتصادي أكبر دليل ثابت على الفساد السياسي والاقتصادي السائد في الدولة ككل.

من جهة أخرى يعد دخل الفرد من أهم المؤشرات التي تعكس مدى وجود اندماج اجتماعي إيجابي في المجتمعات المتحضرة والمتطورة، التي تنتهج سياسات أكثر نجاحاً واحتراماً لمواطنيها، بالنظر لدخل الفرد الليبي نجده لا يزال في مستويات متدنية عبر

مراحل تاريخية متعاقبة، ضف إلى ذلك الأزمة الاقتصادية العالمية، وبالنظر للأماكنات الجيدة المتوفرة لدى الدولة الليبية، وإمكانات الجنوب الليبي على وجه الخصوص، يثير ذلك تساؤلات عديدة وغامضة حول الأسباب الكامنة وراء ذلك التدني الرهيب.

يمكن القول إن النوايا غير الحسنة لها تأثير معنوي جسيم على استقرار الدولة وبنائها، على هذا الأساس حسبنا الإشارة إلى أن إدراك أبناء الجنوب للضاد المستشري في أركان الأروقة السياسية يندرج بمرور ظاهرة (الاغتراب) لديهم، ويتجلى ذلك في إدراكهم أن القادة السياسيين لا تتوفر لديهم الرغبة الصادقة في إعمار الجنوب، وإعادة تأهيل البنى التحتية، إنما هو مصدر (رزق ونهب)، والدليل على ذلك الواقع المعاش لهم في ظل وجود أزمات خانقة، لعل أهمها: أزمة الوقود والغاز، وارتفاع الأسعار، والبنية التحتية المتهاكلة المتمثلة في (الطرق والمواصلات)، وما يرتبط بها من مشاق في السفر سواء للعلاج أو الحج أو الزيارات الاجتماعية للأقاليم الأخرى للدولة، حيث يتكبد أبناء الجنوب مشاق أقل ما توصف بأنها مشاق متعلقة لزيادة أزمة الدولة من جهات غير مسؤولة، تسهم في انعدام وجود اندماج حقيقي يسهم في الارتقاء بالدولة الليبية.

جدول رقم (11) المعوقات السياسية للاندماج الاجتماعي

الترتيب	المعياري الإحصائي	المتوسط	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة	الاتجاه
5	1.3	2.8	9.2	21.5	10.6	8.3	11.2	أرفض المشاركة السياسية بجميع أشكالها
4	1.2	2.4	14.9	22.1	10.4	7.4	5.1	الدولة الليبية جادة في توزيع الحقوق
3	1.1	2.2	15.5	25.1	10.6	6.4	3.1	مبادئ الديمقراطية الجديدة تسير بخطى ثابتة نحو النجاح في ليبيا
1	0.8	4.2	1.2	4.1	5.0	19.5	31.0	استبعاد وتهميش الجنوب الطابع العام على الوضع السياسي الليبي
1	0.8	4.2	1.0	2.1	5.3	22.9	29.4	السيطرة والتفرد بالسلطة وضع الجنوب في دائرة مغلقة
2	1.0	4.0	2.3	4.0	8.6	20.5	25.4	العنصرية والتفرقة سمة العمل السياسي في ليبيا
		2.2						

تشير المعطيات الواردة في الجدول أعلاه، إلى أن المتوسط العام بلغ "2.2" الخاص بالمعوقات السياسية للاندماج الاجتماعي لعينة الدراسة، جاء هذا البعد بدرجة سلبية عالية من الرفض وعدم القبول، خاصة فيما يتعلق بسياسة الدولة في الشؤون السياسية، حيث تبين أن الفقرتين (4-5) بدرجة عالية من الموافقة بشدة حول وجود استبعاد وتهميش لجنوب الليبي، ضف إلى ذلك أن السبب الرئيس في ذلك يُعزى إلى المركزية والسيطرة

والتفرد بالسلطة، الأمر الذي ساهم في قوقعة الجنوب في دائرة مغلقة، بلغ متوسط هاتين الفترتين (4.2)، تليهما الفقرة السادسة التي تشير لوجود (مبدأ العنصرية) بنسبة موافقة شديدة، بلغ متوسطها (4.0)، كما تبين ضعف تطبيق مبادئ الديمقراطية بدرجة عالية بعدم الموافقة بمتوسط قدره (1.1)، يستنتج من هذا المؤشر أن المعوقات السياسية للاندماج الاجتماعي من أهم المعوقات بروزاً وتأثيراً على الصعيد المحلي، ويتضح ذلك جلياً في حجم الفساد السياسي، والتحليل على القانون، في سبيل إنجاز أهداف خاصة، حيث شهدت ليبيا صراعاً دامياً على السلطة والمراكز السياسية ليس خدمة للبلاد وأهلها، بل لخدمة مصالح ضيقة.

إن وجود نظام فيدرالي رشيد من العوامل المساهمة في بناء الدولة الحديثة، هذا المؤشر من المحتمل ظهوره على الساحة الليبية مستقبلاً في ظل استمرار مظاهر الخداع السياسي، الذي تتبعه بعض الحكومات في سبيل التفرد بالسلطة، وممارسة مبدأ التفرد العنصرية والمناطقية، من جهة أخرى إن بروز شعارات الديمقراطية المزيضة التي أقل ما توصف بأنها آليات للفساد السياسي على المستوى المحلي والعالمي، صُف إلى ذلك عدم شرعية الأجسام السياسية عبر المراحل السابقة، رسالة واضحة على بروز مبدأ التفرد بالسلطة والتمسك بها، وهذا من المؤشرات الخطيرة على فشل العملية السياسية، وانعكاساتها السلبية على وجود اندماج اجتماعي لسكان، ومدى ولائهم للدولة في المستقبل القريب.

ثانياً: تحليل العلاقة بين المتغيرات:

يختص هذا الجزء من الدراسة بتحليل العلاقة بين المتغيرات، من خلال استخدام بعض الأساليب الإحصائية لتحقيق الأهداف الموضوعية لذلك، حيث استخدم الباحث (اختبار t.set) لإيجاد الفروق بين معوقات الاندماج الاجتماعي في الجنوب الليبي، تعزى لمتغير النوع، واختبار التباين الأحادي للتعرف على مدى وجود فروق أو تباين بين المجموعات تعزى لمتغير (المستوى التعليمي ومحل الإقامة).

السؤال الأول: ما مدى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في معوقات الاندماج الاجتماعي في الجنوب الليبي تعزى لمتغير (النوع)؟

جدول رقم (12) اختبار (T) لعينتين مستقلتين

النوع	حجم العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	الخطأ المعياري
البعد ذكور	185	3.00	.33	.02
إناث	183	3.09	.36	.02

الأبعاد	مقياس ليفين		T	درجة الحرية	احتمال القيمتين
	F	مستوى الدلالة			
الأبعاد	2.145	.144	2.57	366	.010
			2.57	362.313	.010

من خلال استخدام اختبار (T) لعينتين مستقلتين تبين أنه توجد فروق بين الذكور والإناث، حول أبعاد مقياس معوقات الاندماج الاجتماعي، حيث بلغت قيمة (T) (2.57)، وهي ذات دلالة إحصائية على مستوى أقل من (0.05)، إذ بلغت القيمة الاحتمالية للفروق (0.010) وهي أصغر من (0.05)، هذه النتيجة تشير إلى أن الفروق لصالح الإناث حول أبعاد المقياس فيما يتعلق بمعوقات الاندماج الاجتماعي على الصعيد الاجتماعي

والاقتصادي والسياسي، تتفق هذه النتيجة مع دراسة سوسن السلطاني، التي بينت أن الإناث أكثر اندماجا من الذكور حول مؤشرات الاندماج الاجتماعي واستبصار الذات.

السؤال الثاني:

أ. التعرف على التباين في معوقات الاندماج الاجتماعي تعزى لمتغير المستوى التعليمي

مقياس ليفين	درجة الحرية 1	درجة الحرية 2	مستوى الدلالة
	3	364	.004

مستوى الدلالة	ف	درجة الحرية	داخل المجموعات
.00	7.286	3	2.553
		364	42.525
		367	45.079

من خلال المعطيات الإحصائية باستخدام التباين الأحادي، اتضح أنه يوجد اختلاف وعدم تجانس بين المجموعات، بالتالي وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير المستوى التعليمي لأفراد العينة، من خلال الآتي:

1. يوجد تباين حول معوقات الاندماج الاجتماعي بالجنوب الليبي بين المستوى التعليمي (الثانوي والماجستير والدكتوراه) بينت النتائج أن الفروق لصالح المستوى التعليمي الثانوي بمتوسط قدره (3.19) مع حاملي درجة الماجستير، وبلغ (3.14) مع حاملي درجة الدكتوراه.

2. يوجد تباين حول معوقات الاندماج الاجتماعي بالجنوب الليبي بين المستوى التعليمي (الجامعي والماجستير) بينت النتائج أن الفروق لصالح المستوى التعليمي الجامعي بمتوسط قدره (3.07) مع حاملي درجة الماجستير، هذا يفيد أن أفراد العينة من حاملي المستوى التعليمي (الثانوي والجامعي) أكثر تأكيداً للمعوقات المطروحة حول الاندماج الاجتماعي في المجتمع الليبي (الجنوب).

ب. التعرف على التباين في معوقات الاندماج الاجتماعي تعزى لمتغير محل الإقامة

مقياس ليفين	درجة الحرية 1	درجة الحرية 2	مستوى الدلالة
	5	362	.730

من خلال المعطيات الإحصائية باستخدام التباين الأحادي، اتضح أنه لا يوجد اختلاف وعدم تجانس بين المجموعات، بالتالي عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير محل الإقامة لأفراد العينة، وتبدو هذه النتيجة منطقية إلى حد ما، على اعتبار أن مناطق الجنوب الليبي على السواء تعاني ويلات التهميش والإقصاء، ناهيك عن الظروف الاقتصادية والأمنية للإقليم ككل، ومما أشك فيه أن انعدام ظواهر الدولة الحديثة والخدمات التي تعكس الظروف الملائمة للعيش الكريم تفتقرها مدن وقرى الجنوب الليبي، بالتالي يتأثر مستوى الاندماج الاجتماعي في تلك المناطق، وينحدر بشكل كبير جدا بفضل تلك الظروف.

السياسة الإدارية والتنظيمية المقترحة للاندماج الاجتماعي في المجتمع الليبي:

يُعد الاندماج الاجتماعي مقياساً صريحاً للبناء الاجتماعي المستقر، من حيث مدى قيام هذا البناء بالوظائف الأساسية، وذلك من خلال الآليات والسياسات القائمة فيه، وما يحويه من إطار شامل لمفاهيم المواطنة والمشاركة والتعاون والإيثار والتضحية، وجميع التفاعلات الاجتماعية.

ولبدء مسيرة التنمية الصحيحة يتوجب على السياسات الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات غير المستقرة الحرص على الاهتمام بقضايا مهمة تسهم في إنشاء اندماج اجتماعي سليم، تتمثل تلك القضايا في التفاعلات الاجتماعية القائمة على مبدأ (المشاركة والتعاون، ونبذ التهميش والاستبعاد) بمعنى المشاركة الفاعلة في جميع مكونات النشاط المجتمعي.⁽³⁶⁾ (راضية أبو زيان: 2018: 175).

إن الدولة الليبية اليوم أمام تحديات صعبة، الأمر الذي يلزمها العمل بسياسات تنظيمية وإدارية أكثر عقلانية وذكاء، ولها في تجارب بعض البلدان الأكثر تقدماً دليل حي في ذلك، مثل دولة ماليزيا ودولة سنغافورة وروندا، إذ نجحت تلك البلدان وغيرها في تحقيق درجات عالية من الاستقرار المجتمعي والسياسي في الدولة.

إن تحقيق التكامل الاجتماعي الشامل، معنى بتحقيق السياسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فعلى صعيد السياسات الاقتصادية مثلاً، يجب أن تسعى الدولة الليبية إلى الاستفادة الكاملة من مواردها الطبيعية والبشرية في أقاليمها الثلاثة، وانتهاج سياسة التعبئة الاقتصادية، وذلك بهدف جعل المواطن الليبي مواطناً منتجاً وليس مستهلكاً. كذلك السعي الدائم إلى احترام آدميته ومكانته الإنسانية والوطنية من خلال التوزيع العادل للموارد والثروات التي تزخر بها البلاد دون إقصاء أو إبعاد، والاهتمام بالهيكيلية البنائية للبلاد المتمثلة في البنية التحتية ودعم الاستثمار الاقتصادي.

على الدولة الليبية تبني سياسات لم تشمل من خلال الحرص على مصالحة وطنية شاملة بين أجزاء هذا التراب الوطني كافة، وكذلك السعي للمحافظة على علاقات التراب وعلاقة المصاهرة والجيرة، وغرس القيم الاجتماعية النبيلة وانتهاج سياسة الدمج الاجتماعية باحترام مكونات هذا المجتمع، وجعل المواطن يحس بأنه إنسان آدمي له حقوق وعليه واجبات، لا إقصاء ولا تهجير ولا قبيلية، الكل يعيش إخوة تحت مظلة القانون والعدالة الاجتماعية.

وعلى صعيد الظروف السياسية فالأمر عسير وغاية في الأهمية من خلال السرعة في إيجاد قاعدة دستورية وقانونية تكلف الحق، وتمنع الأذى، وتحمي الوطن والمواطن، فالكل له حقوق وعليه واجبات ملزم بتأديتها، والسعي الدؤوب لتنفيذ الانتخابات بهدف تحقيق الاستقرار السياسي، والخروج بالبلاد إلى بر الأمان من خلال إشراف المواطن في تقرير مصيره وحقه في اختيار من يحكمه ويدير شؤونه الخاصة والعامة، وبما يفضل له تحقيق غاياته وأهدافه والعيش بأمان على أرضه.

حسبنا الإشارة إلى أن الاندماج يركز بالدرجة الأولى على تكيف الأفراد مع العادات المحلية والعلاقات الاجتماعية والممارسات اليومية، وتقاس عادة من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية واللغة والزواج، بمعنى ارتفاع نسبة التجانس الاجتماعي في البناء العام، من هذا المنطلق يمكن القول إن مفهوم "المجتمع للجميع" يجب أن يكون مدعماً بآليات مناسبة تسمح للجميع بالمشاركة في عملية صنع القرار، التي تؤثر في حياتهم وتوجه مستقبلهم، والسؤال المطروح هاهنا هو (ما نوع تلك السياسات التنظيمية والإدارية والآليات الواجب توافرها؟ وما

(36) راضية أبو زيان، الاندماج الاجتماعي للشباب في المجتمع العربي، الآليات والمتطلبات، المجلة العربية للدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة، (مجلد4- عدد 7)، الجزائر، 2018، ص (175).

أهمية الاندماج الاجتماعي لعملية بناء السلام وفض النزاعات أو الحنول دون وقوعها؟

يمكن القول إن من أهم آليات النجاح لتحقيق مفهوم المجتمع للجميع، يتوجب اتباع آلية الاقتصاد الشامل في ظل توفر إمكانيات جيدة، فهي بدون شك مدخل النجاح لتحقيق مبدأ الاستقرار على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على مستوى الدولة، وهنا وجب التنوية مرة أخرى لضرورة الاستفادة من التجارب الدولية التي حققت درجة عالية من مبدأ (التكافل والتكامل الاجتماعي)، ولعل من أهم تلك الدول (سنغافورة — وماليزيا — وروندا).

إن الاستفادة من تلك التجارب لا تعني التجرد من القيم الرصينة، والثقافة المحافظة، وهي في كل الأحوال لا تعني التقليد والمحاكاة بقدر ماهي نهج للخروج من المأزق السياسي الجسيم.

إن الواقع الطبيعي للدولة الليبية يدل على أن ليبيا من الدول الغنية بالموارد، ولعل أهمها (النظف) الذي يعد سلاحا ذا حدين (إيجابي، وسلبى) وفقا للسياسة المتبعة من الهيئة السياسة صاحبة القرار.

إن تحقيق النجاح يحتاج تعبئة كل الموارد المتاحة في نطاق (سياسة اقتصادية منتجة)، تسعى لتحقيق اندماج اجتماعي شامل، وبطبيعة الحال هذا لن يتأتى إلا من خلال السعي الدؤوب والحازم لإيجاد شروط مهمة، أهمها:

1. تحقيق مبدأ المواطنة العادلة من خلال التوزيع العادل للثروة بين مكونات الدولة بالتساوي دون إقصاء أو تهميش.
2. الحرص على اتباع سياسة رفع الجودة المحلية، لتصبح ذات جودة إنتاجية وليست مستهلكة.

3. تحقيق مبدأ الوحدة الوطنية من خلال شعارات (عدالة سياسية) للجميع.

هذه الآليات بدون شك نهج صحيح لتحقيق الاندماج الاجتماعي أفقياً، بين مكونات المجتمع الليبي عموماً (وحدة النسيج الاجتماعي)، واندماج آخر عمودياً بين المجتمع والنظام السياسي (وحدة وطنية واحدة)، كل ذلك في سبيل تحقيق مبدأ الوطنية بالولاء في كل الأحوال إلى الدولة ومؤسساتها.

النتائج العامة للدراسة ومناقشتها:

توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، هي:

أولاً: النتائج الوصفية:

1. الاستبعاد الاجتماعي من الأسباب المباشرة في تقسيم المجتمعات، إذ يعمل في تضاد تام مع عملية الاندماج الاجتماعي التي تؤسس عليها المجتمعات.
2. إن مفهوم الدولة مفهوم ناقص في ظل عوامل التهميش والإقصاء والتحليل السياسي على مبادئ الديمقراطية.
3. اتضح ارتفاع نسبة الذكور عن الإناث، إذ بلغت نسبة الذكور %50.3، في حين بلغت نسبة الإناث %49.7.
4. تبين أن أعلى نسبة لمتغير العمر تركزت في الفئة 28-37، بنسبة %28.9، تليها الفئة العمرية 38-47، بنسبة %25.8، تليها الفئة العمرية 18-27، بنسبة %22.5، ثم الفئة العمرية 48-57 بنسبة %15.7.
5. إن أعلى نسبة لمتغير المستوى التعليمي عند فئة جامعي، إذ بلغت نسبتها %57.3،

- تليها فئة الماجستير بنسبة %17.9، ثم المستوى التعليمي الثانوي بنسبة %14.9، ثم المستوى التعليمي الدكتوراه بنسبة %9.7.
6. أعلى نسبة للمهنة عند مهنة الموظفين بنسبة %30.7، تليها مهنة الأستاذ الجامعي بنسبة %22.8، تليها مهنة الطالب بنسبة %18.3، ثم مهنة الأعمال الحرة بنسبة %13.
7. اتضح أن غالبية أفراد العينة من مدينة سبها بنسبة %43.2، تليها أوباري بنسبة %13.9، ثم الشاطئ بنسبة %13.6، ثم مرزق بنسبة %11.7، تليها الشرقية بنسبة %10.6، ثم غات بنسبة %7.1.
8. اتضح ارتفاع درجة الوعي المجتمعي لدى أفراد العينة في الجنوب الليبي والإمام بالأحداث التي ترتبط بالحياة اليومية.
9. تبين ارتفاع مستوى إيجابية الاندماج الاجتماعي لأفراد مجتمع الدراسة من خلال استبصار ذاتهم.
10. تبين أن المتوسط العام للمعوقات الذاتية للاندماج الاجتماعي بلغت "3.3"، وهذا يشير إلى أنه لا توجد معوقات ذاتية لدى أفراد العينة فيما يتعلق بقضية الاندماج الاجتماعي
11. اتضح أن المتوسط العام للمعوقات الاجتماعية للاندماج الاجتماعي بلغ "2.7"، فقد أشار أفراد العينة في إجاباتهم حول هذا البعد من المقياس، أنها على درجة عالية من السلبية وعدم الرضا بالوضع الاجتماعي الراهن في الجنوب الليبي (سلبية الاندماج الاجتماعي).
12. تبين وجود معوقات اجتماعية لا حصر لها تعوق وجود اندماج اجتماعي (إيجابي) للقائمين في هذا الأقليم، ويُعزى ذلك من وجهة نظر أفراد العينة إلى السياسة الاجتماعية العقيمة للدولة الليبية.
13. بروز سياسة الإقصاء والتهميش الاجتماعي للجنوب الليبي سياسة مباشرة للدولة الليبية.
14. اتضح أن المتوسط العام بلغ "2.2" الخاص بالمعوقات الاقتصادية للاندماج الاجتماعي لعينة الدراسة، وجاء هذا البعد بدرجة سلبية عالية من الضجر وعدم القبول من أفراد العينة حوله، إذ تشير غالبية المتوسطات بوجود ضعف اندماج اقتصادي لدى أفراد العينة.
15. بلغ المتوسط العام "2.2" الخاص بالمعوقات السياسية للاندماج الاجتماعي لعينة الدراسة، إذ جاء هذا البعد بدرجة سلبية عالية من الرفض وعدم القبول، خاصة فيما يتعلق بسياسة الدولة في الشؤون السياسية.
- أشارت النتائج الوصفية للدراسة الراهنة إلى أن مفهوم الدولة بالجميع وللجميع، يصطدم بمعوقات شتى، أهمها (الاستبعاد والإقصاء والتهميش والتحايل على السلطة والتحكم في اتخاذ القرار)، ويشمل ذلك كل الأبعاد المكونة للبناء الاجتماعي الليبي، من الإيجابيات الواردة ارتفاع درجة الوعي المجتمعي لأفراد العينة بقضايا المجتمع والأحداث الدائرة فيه، من جهة أخرى يتضح أن إيجابية أفراد العينة حول مكونات وأبعاد الاندماج الاجتماعي تعكس حقيقة مفاها أن معوقات الاندماج الاجتماعي تتحدد في الأبعاد السياسية والإدارة التنظيمية للدولة وسياساتها، الأمر الذي يعكس حقيقة ثابتة، وهي أن نجاح وتطور الأمم يعتمد بالدرجة الأولى على اتباع سياسة تنظيمية وإدارية على درجة عالية من المثالية والعدالة الاجتماعية بين مكونات المجتمع.

تانياً: نتائج تحليل العلاقة بين المتغيرات:

1. تبين أنه توجد فروق بين الذكور والإناث حول أبعاد مقياس معوقات الاندماج الاجتماعي، إذ بلغت قيمة (2.57) (T)، وهي ذات دلالة إحصائية على مستوى أقل من (0.05)، إذ بلغت القيمة الاحتمالية للفروق (0.010)، وهي أصغر من (0.05)، هذه النتيجة تشير إلى أن الفروق لصالح الإناث حول أبعاد المقياس، فيما يتعلق بمعوقات الاندماج الاجتماعي على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.
 2. اتضح أنه يوجد اختلاف وعدم تجانس بين المجموعات، بالتالي وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير المستوى التعليمي لأفراد العينة، من خلال الآتي:
 3. يوجد تباين حول معوقات الاندماج الاجتماعي بالجنوب الليبي، بين المستوى التعليمي (الثانوي والماجستير والدكتوراه) بينت النتائج أن الفروق لصالح المستوى التعليمي الثانوي بمتوسط قدره (3.19) مع حاملي درجة الماجستير وبلغ (3.14) مع حاملي درجة الدكتوراه
 4. يوجد تباين حول معوقات الاندماج الاجتماعي بالجنوب الليبي بين المستوى التعليمي (الجامعي والماجستير)، بينت النتائج أن الفروق لصالح المستوى التعليمي الجامعي بمتوسط قدره (3.07) مع حاملي درجة الماجستير.
- ارتكزت الدراسة الراهنة على فرضيات بحثية بغية الوصول إلى درجة من المنطقية العلمية، إذ بينت نتائج تحليل العلاقة بين المتغيرات أن الفروق المعنوية لمتغير النوع تشير إلى أن الإناث أعلى من الذكور، حول أبعاد مقياس معوقات الاندماج الاجتماعي (الذاتية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية)، بمعنى أن الإناث في مجتمع الدراسة يرتفع مستوى ضعف الاندماج لديهن أكثر من الذكور، على اعتبار أن هناك عيوباً ومعوقات تعيق وجود اندماج ناجح، من جهة أخرى بينت النتائج المتعلقة بمتغير المستوى التعليمي لأفراد العينة أن هناك تبايناً بين المستويات التعليمية المختلفة، حول معوقات الاندماج الاجتماعي، إذ تبين أن أصحاب المستويات التعليمية بالمرحلة الثانوية أكثر الفئات التي تشير بوجود معوقات للاندماج الاجتماعي في مجتمع الدراسة، من خلال أبعاد المقياس مقارنة بحاملي درجة الماجستير والدكتوراه، كما بينت النتائج أن حاملي درجة المستوى التعليمي الجامعي أعلى من المستوى التعليمي لحاملي درجة الماجستير حول أبعاد المقياس.

الخاتمة:

تسعى الدول القابضة في أزمات سياسية واجتماعية واقتصادية إلى الوصول إلى حالة من الاستقرار على كافة الأصعدة، غير أن ذلك الاستقرار قد يصطدم بمعوقات كثيرة، من أهمها معوقات الاندماج الاجتماعي، في هذا الشأن تعرض المجتمع الليبي في الأونة الأخيرة إلى هزات عنيفة كادت أن تعصف بنسيجه الاجتماعي وتدمره، ويعزى ذلك لضعف الاستقرار السياسي الذي انعكس على البناء الاجتماعي ككل، تتناول الدراسة معوقات الاندماج الاجتماعي في الجنوب الليبي، أحد الأقاليم الليبية المتأثرة بالأوضاع والظروف السياسية الراهنة على كافة الأصعدة، هدفت الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، منها: (التعرف على مدى وجود وعي مجتمعي بالظروف المحيطة بالأسرة والمجتمع، وأبرز معوقات الاندماج الاجتماعي: (ذاتية — أو اجتماعية — أو سياسية — أو اقتصادية)، ومدى وجود فروق وتباين يعزى لمتغيرات (النوع، والمستوى التعليمي، ومحل الإقامة)، استندت الدراسة على نظريات علمية في إدارة وتنظيم الدولة، أهمها: (نظرية العصبية للعلامة عبدالرحمن بن خلدون)، و(نظرية تقسيم العمل الاجتماعي لدوركايم)، بلغ حجم عينة الدراسة (368) مفردة، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، أهمها: (الاستبعاد الاجتماعي من الأسباب المباشرة في تقسيم المجتمعات، ارتفاع درجة الوعي المجتمعي

لدى أفراد العينة في الجنوب الليبي، والإلمام بالأحداث التي ترتبط بالحياة اليومية، وجود معوقات اجتماعية لاحتصانها تعوق وجود اندماج اجتماعي (إيجابي) للقاطنين في هذا الأقليم، ويعزى ذلك من وجهة نظر أفراد العينة إلى السياسة الاجتماعية العقيمة للدولة الليبية. وتوجد فروق بين الذكور والإناث حول أبعاد مقياس معوقات الاندماج الاجتماعي، إذ بلغت قيمة (2.57) (T)، وهي ذات دلالة إحصائية على مستوى أقل من (0.05)، إذ بلغت القيمة الاحتمالية للفروق (0.010)، وهي أصغر من (0.05)، هذه النتيجة تشير إلى أن الفروق لصالح الإناث حول أبعاد المقياس، يوجد تباين حول معوقات الاندماج الاجتماعي بالجنوب الليبي بين المستوى التعليمي (الثانوي، والماجستير، والدكتوراه)، بينت النتائج أن الفروق لصالح المستوى التعليمي الثانوي، يوجد تباين حول معوقات الاندماج الاجتماعي بالجنوب الليبي بين المستوى التعليمي (الجامعي والماجستير)، بينت النتائج أن الفروق لصالح المستوى التعليمي الجامعي، بمتوسط قدره (3.07) مع حامل درجة الماجستير.

التوصيات: تقترح الدراسة جملة من التوصيات أهمها:

- أ. سرعة إجراء الانتخابات العامة للدولة الليبية للخروج من الحلقة المفرغة.
- ب. اعتماد دستور للبلاد، بما يكفل حق المواطنة والعدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للموارد.
- ج. إجراء دراسات عن الاندماج الاجتماعي على مستوى الدولة الليبية؛ بغية التعرف على معيقاته واقتراح الحلول له.

المراجع

الكتب:

1. أحمد محمد الزغبى، التوجيه والإرشاد النفسي، دار الفكر، دمشق، 2008.
2. حسين علوان، إشكالية بناء ثقافة المشاركة في الوطن العربي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2009.
3. سلوى عبد الحميد الخطيب، نظرة في علم الاجتماع المعاصر، ط1، مطبعة النيل، القاهرة، 2002.
4. صابيل الخطابية، نادر بني نصر، المجتمع الأردني، ط2، المكتبة الوطنية، الأردن.
5. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الجيل، بيروت.
6. على عبدالرازق جلبى، الاندماج والمواطنة، جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة فى الوطن العربي، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت- لبنان، 2014.
7. غنارسكيريك ونلز غيلجي، تاريخ الفكر الغربي.. من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، ترجمة: د. حيدر حاج إسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، نيسان (أبريل) 2012.
8. فوشان عبدالقادر، العلاوي أحمد، الاندماج الاجتماعي المفهوم: الأبعاد المؤشرات، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية.
9. كمال دسوقي، علم النفس ودراسة التوافق، مكتبة علم النفس الاجتماعي، 1974.
10. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008.
11. محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، بيروت، لبنان، 1994.
12. مصطفى عمر التير، الأوضاع المعيشية لذوي الدخل المحدود في المجتمع الليبي: دراسة أميريكية، ط1، دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، 2013.
13. ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، ط1، ترجمة: عادل مختار الهوارى، سعد عبد العزيز مصلوح، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 1994.
14. نادر جميل حمد، صورة الذات وعلاقتها بالتفاعل الاجتماعي، دار الكتب والوثائق، مكتبة اليمامة للطباعة والنشر، بغداد 2014.
15. هناء محمد الجوهري، علم الاجتماع الحضري، دار المسرة، عمان، 2009.

الدوريات:

1. أحمد كمال عبد الموجود، ملامح عياب الوعي السياسي، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد (47) أبريل 2019 مصر.
2. أحمد المالكى، جدلية الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة فى الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، بيروت، لبنان 2014.
3. جون هيلز وآخرون، الاستبعاد الاجتماعي، محاولة للفهم، ترجمة: محمد الجوهري، عالم المعرفة، العدد 344، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 2007.
4. دروش فاطمة فضيلة، محوقات الاندماج الاجتماعي لدى فئة الشباب التائب، قراءة سوسيونقدي لرواية الوم، المجلة الجزائرية للدراسات السوسولوجية، العدد (6) يونيو 2018.
5. راضية أبو زيان، الاندماج الاجتماعي للشباب فى المجتمع العربي: الآليات والمتطلبات، المجلة العربية للدراسات الأنتربولوجية المعاصرة، (مجلد4- عدد 7)، الجزائر، 2018.
6. رياض عزيز هادي، مفهوم الدولة ونشوؤها عند ابن خلدون، مجلة العلوم السياسية، العدد 37، العراق.
7. سوسن عبد علي كاظم السلطاني، الاندماج الاجتماعي وعلاقته باستبصار الذات لدى الموظفين، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد (47) أبريل 2019 مصر.

8. هاديا عادل كاتبي، الاندماج الاجتماعي لدى عينة من متعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها في الجامعة الأردنية، مجلد 34، عدد 3، 2015.
9. هدى أحمد الدئب، محمود عبد العليم سليمان، مخاطر الاستبعاد الاجتماعي على الدولة والمجتمع، تحليل سوسيولوجي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، العدد (14-13) ديسمبر 2015.
10. يوسف محمد أبو القاسم الصيد، "أنموذج الاتفاقيات والمصالحات الوطنية في الجزائر، جنوب إفريقيا، أيرلندا الشمالية، وإمكانية التطبيق في ليبيا: دراسة تحليلية"، دراسة قدمت إلى المؤتمر الأول للجمعية الليبية لعلم الاجتماع حول النسيج الاجتماعي الليبي، المخاطر والتحديات، الأكاديمية الليبية، جنزور، طرابلس ليبيا 2019.

الرسائل العلمية:

1. محمد يوسف بن مفرج، الاستبعاد الاجتماعي في الأردن، دراسة سوسيولوجية لمجالات الاستبعاد في قرية المخيبة الفوقا، لواء بني كنانة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، 2013.
2. علي محمد درويش، تطبيقات الحكومة الإلكترونية: دراسة ميدانية على إدارة الجنسية والإقامة بدبي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2005.

شبكة المعلومات الدولية:

1. زكريا الإبراهيمي، إميل دوركايم والتأسيس السوسيولوجي للحداثة، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤمنون بلا حدود com.mominoun.www
2. سامح العبيدي، شروط الاندماج الاجتماعي (20-9-2020)، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية: <https://sotor.com>
3. محمد بالراشد، التضامن الإنساني في الأزمات والبدائل الضرورية للبقاء، شبكة المعلومات الدولية pdf/09.pdf/069/https://tafahom.mara.gov.om/storage/al-tafahom/ar/2020

الهواتف الذكية ودورها في التحصيل العلمي لدى الطلاب

دراسة ميدانية على عينة من طلاب التعليم الثانوي

إعداد:

د. عبد الفتاح بالعيد هودج حفالش

قسم علم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة طبرق

القبول: 20/6/2023

الاستلام: 2023/5/12

○

○

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة للتعرف على الدور الذي تلعبه الهواتف الذكية في التحصيل العلمي لطلاب مرحلة التعليم الثانوي، حيث قام الباحث بتحديد عناصر الدراسة المتمثلة في الأهمية والأهداف وتطرق إلى بعض الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع الدراسة.

تناول الباحث التساؤلات التي ستقدم بيانات واضحة عن الأهداف التي تم اعتمادها في الإطار المنهجي للدراسة، وذلك لمعرفة مدى استثمار طلاب التعليم الثانوي لهذه التقنية الحديثة في عملية التحصيل العلمي، كما اعتمد الباحث على المنهج الوصفي لعينة قوامها (80) طالباً وطالبة من مرحلة التعليم الثانوي؛ وذلك لقدرة طلاب هذه المرحلة على الفهم والإدراك ووعيهم بنسبة تفوق طلاب المراحل الأساسية، وتم استخدام استمارة الاستبيان كأداة لجمع المعلومات والبيانات وصولاً إلى النتائج التي ستقدم معلومات تفيد في كيفية استخدام الطلاب لهذه التقنية، ومدى الاستفادة منها وأهم الانعكاسات المترتبة عنها.

الكلمات المفتاحية: (الاستخدامات - الاستجابات - تلاميذ الثانوي - الهاتف الذكي)

Abstract:

Smartphones and their role in students' academic achievement

A Field study on secondary school students

This study aims to identify the role that smart phones play in the educational achievement of secondary school students.

The researcher addressed the questions that will provide clear data on the objectives that were adopted in the methodological framework of the study, in order to find out the extent to which secondary education students invest this modern technology in the process of academic achievement. The researcher also relied on the descriptive approach for a sample of (80) male and female students. from the secondary level; This is due to the ability of students of this stage to understand and comprehend, and their awareness is higher than that of students in the basic stages. The questionnaire was used as a tool for collecting information and data in order to reach the results that will provide useful information on how students use this technology, the extent to which they benefit from it, and the most important implications of it.

Keywords: (answers - secondary students - smart phone)

مقدمة:

لقد أحدثت التغيرات التكنولوجية الحديثة والمتسارعة المكتشفة في أواخر العقد الأخير من القرن العشرين وأوائل القرن الحادي العشرين أثرا كبيرا على كافة المجالات الحياتية، لا سيما التعليم والتعلم في جميع مراحل الدراسة، حيث لوحظ الدور البارز للتطور التكنولوجي في قيادة الأمم نحو عصر المعرفة، واستخدام التقدم التكنولوجي في خدمة التعليم والتعلم. وأضحى الإنسان اليوم يعيش في عصر يتميز بالمعلوماتية والتكنولوجيا، فأصبح هذا العصر يعرف بعصر تكنولوجيا المعلومات، وهذا كله يعود الفضل فيه للثورة المعرفية المعلوماتية التي لم يسبق لها مثيل عبر عصور الإنسانية.

ونجد أن من أهم سمات هذا العصر سيطرة التكنولوجيا على مختلف المجالات متمثلة في تكنولوجيا المعلومات والإنترنت وأجهزة الحاسب الآلي، هذا وقد غيرت الطريقة التي يعمل بها العالم من أنظمة متطورة إلى أنظمة أكثر تطوراً وإنجازاً، فأصبح هذا العالم قريباً من بعضه البعض، لتصبح تسميته قرية عالمية صغيرة، ومن أهم المجالات التي أصبحت تواجه هذا العصر هو ظهور التكنولوجيا في مجال التعليم، فمن أهم التحديات التي تواجه التعليم في مجتمع المعلوماتية القدرة على معرفة طرق جديدة وحديثة للتعليم، لا سيما التعليم الثانوي.

لقد واكبت التكنولوجيا الحديثة العديد من مجالات الحياة وعُرفت العديد من التقنيات المتعددة، حيث نجد هذه التقنيات والأجهزة في العديد من المراحل لتصل إلى ما هو عليه اليوم من تطور مروراً بالاتصالات السلكية، حيث كانت أغلب الأجهزة تعمل بالكابلات والأسلاك الكهربائية منها الهواتف الثابتة، ثم تطورت هذه التكنولوجيا لتصبح لا سلكية لتسمى بالهواتف المحمولة وأطلق عليها ثورة الاتصالات اللاسلكية، ومن ثم ظهور أجهزة الهواتف الذكية وانتشار استخدامها بمرور الأيام في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية كافة وغيرها.

لقد دل ذلك على ما توفره من تطبيقات وخدمات كثيرة لم توفرها أجهزة المحمول التقليدية، ذلك جعل الإنسان على تواصل دائم مع غيره في أي وقت ومكان، ورغم ما ينتج عنها من استخدامات سلبية أو إيجابية لهذه التقنية من قبل مستخدميها إلا أنها تظل موضع دهشة لدى البعض ممن لم يقوموا بتجربتها. انتشر استخدام هذه الأجهزة الذكية في مجالات البحث العلمي وكذلك التحصيل العلمي لطلاب المدارس بالتعليم الثانوي، وتعد عاملاً مهماً ومساعداً للحصول على المعلومات التي يحتاجها الطلاب بكل بساطة ويسر، وكذلك نجد سرعة في أداء المهام الدراسية، كتصفح الإنترنت والبريد الإلكتروني الخاص أو التواصل، ودخول الشبكات الاجتماعية، فضلاً عن تحميل الكتب والملفات، والبرامج، والمقاطع التي تلبى أغلب احتياجاتهم الدراسية والمعرفية، وذلك بفضل احتوائها على أهم وأشهر نظم التشغيل، وتنوع تطبيقاتها وبرامجها المتعددة.

ولا نجد غرابه بأن طلاب التعليم الثانوي وباعتبارهم شريحة مهمة يقبلون بشدة على الهواتف الذكية لأغراض عديدة منها البحث لأجل التحصيل العلمي في كافة المواد الدراسية ومتابعة مناهجهم العلمية، وهذا ما تسعى إليه هذه الدراسة للتعريف بدور الهواتف الذكية في التحصيل العلمي لدى طلاب التعليم الثانوي في مدينة طبرق، وكذا معرفة انعكاسات استخدام تلك الهواتف عليهم.

إجراءات الدراسة المنهجية:

أ. مشكلة الدراسة:

أحدثت التكنولوجيا المعلوماتية الحديثة العديد من التغيرات في نمط حياة الإنسان، ولعل من أهم هذه التغيرات دخول تقنيات جديدة لعالمنا المعاصر، ومن هذه التقنيات الهواتف الذكية التي أضحت تقوم بالعديد من المهام في مجالات الحياة الواسعة، حيث غيرت طريقة عيش البشرية جمعاء، وكذلك كل ما يتعلق بالأعمال البشرية في شتى مجالات حياتهم اليومية، لقد باتت المعلومة تصل إلى الجميع دون استثناء، وكذلك دون مشقة بعد ظهور خدمات توفرها بأقل جهد ووقت، وفي أي مكان تسمى بخدمات الإنترنت أو ما يطلق عليه عالم الإنترنت، هذا العالم الذي سهل للباحث التصفح والاطلاع على العالم عبر شبكات وخدمات تتصل بها أجهزة الهواتف الذكية لتتعدد أدوارها في الأونة الأخيرة لا سيما في المجال التعليمي والتحصيل الدراسي لدى طلاب التعليم الثانوي، بل ازداد الطلب عليها لما توفره من تطبيقات وبرمجيات أكثر دقة وتعقيداً.

ولكن بالرغم مما أتاحتها الهواتف الذكية من سهولة وسرعة في عملية التحصيل العلمي للطلاب؛ إلا أن هناك البعض يواجهون صعوبة في استخدامها وعدم معرفتهم بآليات تطبيق برامجها، ويعزى المتخصصون ذلك لعدم الدراية بكيفية استخدام التطبيقات التي أضحت تتطور يوماً بعد يوم، أو عدم المعرفة بوجود خدمات تتيح مصادر معلومات أو البحث عنها.

ومن هنا كان لا بد من الوقوف عند الدور الذي تلعبه الهواتف الذكية في حياة طلاب مرحلة التعليم الثانوي بطرق بشكل مكثف؛ باعتبارها وسيلة تتيح الحصول على المعلومات العلمية وكيفية تطبيقها، وكذلك تساعدهم في عملية التحصيل الدراسي. ولمعرفة أسباب وكيفية هذا الاستخدام قمنا بطرح الإشكالية التالية: ما دور الهواتف الذكية في عملية التحصيل العلمي لطلاب مرحلة التعليم الثانوي؟

ب. أهمية الدراسة:

تنطلق أهمية الدراسة من أهمية التطور التكنولوجي للهواتف الذكية ودورها الذي باتت تلعبه في سائر أنماط حياتنا اليومية، وأعمالنا لا سيما العملية التعليمية والتحصيل العلمي ونخص منها هنا فئة الطلاب بمدارس التعليم الثانوي كونهم يستخدمون تقنية الهواتف الذكية في التحصيل العلمي.

فضلاً عن جدة وحداثة الموضوع نسعى إلى البحث عن الدافع إلى تبني هذه التقنية الحديثة، وكذا الإنجازات التي تحققت باستخدام الهواتف الذكية في عملية التحصيل العلمي لدى طلاب مرحلة التعليم الثانوي.

ج. أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

1. معرفة إلى أي حد يعتمد طلاب التعليم الثانوي على الهواتف الذكية.
2. التعرف على الدوافع الكامنة وراء استخدام الهواتف الذكية لدى طلاب التعليم الثانوي.
3. الوقوف على الإشباع التي يحققها استخدام طلاب التعليم الثانوي للهواتف الذكية في عملية التحصيل العلمي.
4. التعرف على الآثار المترتبة عن استخدام الهواتف الذكية على طلاب التعليم الثانوي في التحصيل العلمي.

د. أسباب اختيار الموضوع:

أسباب ذاتية:

1. السبب الأول والأساسي أن هذا الموضوع لم يدرس بطريقة مكثفة.
2. ازدياد الإقبال على استخدام الهواتف الذكية — آخر الإصدارات- من قبل الطلاب بالمدارس.
3. الرغبة في معرفة أسباب أنتشار الهواتف الذكية بين طلاب المدارس.

أسباب موضوعية :

1. موضوع الهواتف الذكية جديد لم يحظ بالكثير من الدراسات والأبحاث مقارنةً بالوسائل الإعلامية الأخرى، حيث تعتبر هذه هي الدراسة الأولى التي أجريت حول دور الهواتف الذكية ومدى استخدامها من قبل طلاب مدارس المرحلة الثانوية بمدينة طبرق.
2. ارتباط الموضوع بتخصص علم الاجتماع وتكنولوجيا الإعلام والمعلومات الحديثة.
3. انتشار الهواتف الذكية بشكل لافت، لاسيما بين أوساط الطلاب في مرحلة التعليم الثانوي.

هـ. تساؤلات الدراسة:

1. ما مدى استخدام طلاب التعليم الثانوي للهواتف الذكية؟
2. ما الدوافع الكامنة وراء استخدام الهواتف الذكية لدى طلاب التعليم الثانوي؟
3. ما الإشباع التي تحققت من استخدام طلاب التعليم الثانوي للهواتف الذكية في عملية التحصيل العلمي؟
4. ما هي الآثار المترتبة على استخدام الهواتف الذكية على طلاب التعليم الثانوي في التحصيل العلمي؟

و. منهج الدراسة والعينة:

تم اعتماد الدراسة الوصفية؛ لوصف واقع استخدام طلاب التعليم الثانوي بالمدارس للهواتف الذكية في التحصيل العلمي والمعرفي، كما تم اعتماد المنهج المسحي الميداني في الدراسة الميدانية والذي تقتضيه طبيعة الدراسة لمعرفة كيفية استخدام طلاب مدارس التعليم الثانوي للهواتف الذكية في التحصيل العلمي، بالاعتماد على الاستبانة كأداة لجمع البيانات حيث تم توزيعها على مجموعة من طلاب بعض مدارس التعليم الثانوي بمدينة طبرق وهي: (مدرسة أم المؤمنين، مدرسة طبرق الثانوية، مدرسة الشعلة، مدرسة الفاروق) حيث تم اختيار عينة قوامها (80) طالبا وطالبة، كما تم اختيار عدد (20) طالبا من كل مدرسة من المدارس الأربع.

ز. أدوات جمع البيانات:

تم تصميم استبانة لجمع المعلومات المتعلقة بالعينة المبحوثة من طلاب مدارس التعليم الثانوي بمدينة طبرق حول الهواتف الذكية ودورها في عملية التحصيل العلمي وفقا لأهداف وأسئلة الدراسة، وتكونت الأسئلة من متغيرات وهي:

أ. متغيرات مستقلة متمثلة في البيانات الشخصية.

ب. متغيرات تابعة وتقاس من خلال المحاور الرئيسية التالية:

1. ما مدى استخدام طلاب التعليم الثانوي للهواتف الذكية؟
2. ما الدوافع الكامنة وراء استخدام الهواتف الذكية لدى طلاب التعليم الثانوي؟

3. ما الاشباكات التي تحققت من استخدام طلاب التعليم الثانوي للهواتف الذكية في عملية التحصيل العلمي؟
4. ما الآثار المترتبة على استخدام الهواتف الذكية على طلاب التعليم الثانوي في التحصيل العلمي؟
- وتقاس هذه المحاور من خلال استبانة تم إعدادها للغرض المطلوب.

ح- مجالات الدراسة:

- المجال المكاني: ونعني به تحديد المكان أو المنطقة التي جرت بها الدراسة الميدانية المتمثل في بعض مدارس الثانوية بمدينة طبرق وهي:
 - أ- مدرسة أم المؤمنين للبنات.
 - ب- مدرسة طبرق للتعليم الأساسي والثانوي.
 - ج- مدرسة الشعلة للبنات.
 - د- مدرسة الفاروق للبنين.
- المجال البشري: ويتمثل في عينة من طلبة المدارس الثانوية بمدينة طبرق، والتي بلغ عددها (80) طالبا وطالبة، موزعين بشكل متساوٍ على أربع مدارس، وتم اختيار عدد (20) من كل مدرسة ذكورا وإناثا.
- المجال الزمني: وهو المتمثل في الزمن المستغرق الذي أقيمت فيه الدراسة، حيث طبقت هذه الدراسة في الفترة من 2023/4/1 إلى 2023/5/15.

ط- مفاهيم ومصطلحات الدراسة:

تعريف الهواتف الذكية:

اصطلاحاً: بأنه الهاتف الذي يوفر مزايا تصفح الإنترنت ومزامنة البريد الإلكتروني، وفتح ملفات الأوفيس، ويحتوي على لوحة مفاتيح كاملة⁽¹⁾.

وتعرف أيضاً: الهواتف الذكية هي وسيلة تعليمية تستخدم في الكثير من المدارس والجامعات لمساعدة الطلاب على متابعة مساقاتهم الأكاديمية، ومتابعة واجباتهم العلمية، ومواعيد محاضراتهم ودروسهم، ومتابعة درجاتهم الامتحانية، وكذلك المتابعات الإدارية المختلفة من قرارات وتعليمات أكاديمية في مختلف الكليات والأقسام، مما يوفر على الطالب وأعضاء هيئة التدريس الجهد والوقت والعناء، ويسهل عملية التواصل التقني بين جميع أطراف العملية التعليمية⁽²⁾.

إجرائياً: هو الجهاز الذي يحمله طلاب التعليم الثانوي بطبرق ويستخدمه الطلاب للاتصال بالآخرين وتبادل المعلومات ويتفاعلون عبره بالشبكة الاتصالية اللاسلكية والتي تجمع بين خصائص الهواتف المحمولة التقليدية وبين التكنولوجيا الحديثة المتمثلة في الحواسيب وأنظمتها المشغلة التي تتيح للطلاب الاتصال عبر شبكة الإنترنت.

تعريف التحصيل العلمي:

اصطلاحاً: هي البيانات التي يتم الحصول عليها لتحقيق هدف معين لاستعمال محدد، والتي يتلافها الطلاب، حيث يمكن تداولها وتسجيلها ونشرها وتوزيعها في صورة رسمية أو

(1) شرحبيلي محمد عطية: الفوائد التربوية من استخدام الهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر في العملية التعليمية، موقع ويب، منشور بتاريخ 2019/12/5م.

(2) عبدالرازق محمد الدليمي: الإعلام والعولمة، مكتبة الرائد، عمان، الأردن، 2006، ص 6.

غير رسمية وفي أي شكل⁽³⁾.

إجرائياً: هو الوصول أو الحصول على المعلومات والمعرفة التي تبين مدى حصيلة الطلاب الدراسية في مادة معينة أو مناهجهم المقررة عليهم في مرحلة تعليمهم، وكذا معرفة مستوى الطلاب التعليمي والتحصيلي، وفي ظل التطورات الظاهرة يمكن للطلاب أن يحصل أو يصل إلى المعرفة أو المعلومات أو البيانات باستخدام الهواتف الذكية المتوفرة على شبكة الانترنت.

تعريف التعليم الثانوي:

وهي المرحلة التعليمية الأخيرة أو ما قبل الجامعة في المدارس والتي تبدأ من عمر 15 سنة حتى عمر الـ 17 سنة؛ وقصدنا في دراستنا المراحل الأخيرة من التعليم المدرسي الواقعة بين المرحلتين الخامسة عشرة و السابعة عشرة ولسنة العمرية بين 15-17 سنة كعينة مستهدفة للدراسة.

قـ. الدراسات السابقة:

1- دراسة أحمد يوسف الشامي، أمال خالد حميد (2021) بعنوان⁽⁴⁾: واقع استخدام تطبيقات الهواتف الذكية في العملية التعليمية التعليمية من وجهة نظر طلبة الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بغزة: حيث هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على واقع استخدام تطبيقات الهواتف الذكية في العملية التعليمية التعليمية من وجهة نظر طلبة الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بغزة، وقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة، وتكون مجتمع الدراسة من طلبة الدراسات العليا في كليات (التربية-الأدب-الاقتصاد-العلوم) البالغ عددهم (703) طالباً وطالبة للعام الدراسي (2020/2021 م)، وتم اختيار عينة عشوائية مكونة من (105) طالباً وطالبة، ولتحقيق أهداف الدراسة قام الباحثان بتصميم استبانة كأداة لجمع البيانات من أفراد عينة الدراسة، وتكونت من (30) فقرة موزعة على ثلاثة مجالات، هي درجة استخدام طلبة الدراسات العليا تطبيقات الهواتف الذكية، ومتطلبات استخدام تطبيقات الهواتف الذكية، والصعوبات التي يواجهها طلبة الدراسات العليا عند استخدام تطبيقات الهواتف الذكية.

وتوصلت الدراسة إلى أن الدرجة الكلية لمتوسطات واقع استخدام تطبيقات الهواتف الذكية في العملية التعليمية التعليمية من وجهة نظر طلبة الدراسات العليا كانت موافقة متوسطة، عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في متوسطات وجهات نظر طلبة الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بغزة نحو واقع استخدام تطبيقات الهواتف الذكية في العملية التعليمية التعليمية تعزى للمتغيرات (النوع الاجتماعي، المرحلة الدراسية، الفئة العمرية، الكلية).

وكانت أهم التوصيات تطوير البرامج التعليمية التي توظف تطبيقات الهواتف الذكية، وعقد دورات حول طرق استخدامها.

2- دراسة نور محمد الطباخي (2020) بعنوان⁽⁵⁾: درجة توظيف الهواتف الذكية في إدارة العملية التعليمية في المدارس الأردنية. هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على درجة توظيف تطبيقات الهواتف الذكية في إدارة العملية التعليمية في المدارس الأردنية، وتم

(3) محمد فتحي عبدالهادي: مقدمة في علم المعلومات، دار الثقافة العلمية، الاسكندرية، 2008م، ص13.

(4) أحمد يوسف الشامي، أمال خالد حميد: واقع استخدام تطبيقات الهواتف الذكية في العملية التعليمية التعليمية من وجهة نظر طلبة الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بغزة، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، الجامعة الإسلامية غزة، المجلد 29، العدد 4 (يوليو/تموز 2021).

(5) نور محمد الطباخي: درجة توظيف تطبيقات الهواتف الذكية في إدارة العملية التعليمية في المدارس الأردنية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن، رسالة ماجستير، منشورة، 2020.

استخدام المنهج الوصفي المسحي، وتكونت عينة الدراسة من (366) معلماً ومعلمة، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية، من المدارس الأردنية للوائي القويسمة وقصبة عمان في محافظة العاصمة عمان، ولتحقيق أهداف الدراسة تم تصميم استمارة استبيان، تضمنت (43) فقرة موزعة على أربعة مجالات، مجال تطبيقات الهواتف الذكية لإدارة العملية التدريسية، ومجال تطبيقات الهواتف الذكية لإدارة العملية التقييمية، ومجال تطبيقات الهواتف الذكية لإدارة شؤون الطلبة، ومجال تطبيقات الهواتف الذكية لإدارة شؤون العاملين.

وتوصلت الدراسة لعدة نتائج منها: إن درجة توظيف تطبيقات الهواتف الذكية في إدارة العملية التعليمية كانت متوسطة، كما أظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائية بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة تعزى لمتغير الجنس، كما أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير التخصص الأكاديمي، ولصالح التخصص الإنساني، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير السلطة المشرفة، ولصالح القطاع الخاص. وأوصت الدراسة برفع كفايات مديري المدارس حول آليات الاستفادة من الهواتف الذكية وتطبيقاتها؛ لتوظيفها في إدارة العملية التعليمية في مدارسهم.

3- دراسة فرال ناجي مصطفى (2017) بعنوان⁽⁶⁾: درجة استخدام الهواتف الذكية في العملية التعليمية " دراسة ميدانية من وجهة نظر طلبة تكنولوجيا التعليم في الجامعات الأردنية الخاصة: حيث هدفت هذه الدراسة إلى قياس درجة استخدام الهواتف الذكية في العملية التعليمية: دراسة ميدانية من وجهة نظر طلبة تكنولوجيا التعليم في الجامعات الأردنية الخاصة، ولتحقيق هدف الدراسة تم تطوير أداة استبانة تتعلق بدرجة استخدام الهواتف الذكية في العملية التعليمية تتكون من (20) فقرة، حيث تم استخدام المنهج الوصفي المسحي في الدراسة، من خلال توزيع الاستبيانات على جميع أفراد مجتمع الدراسة من طلبة تكنولوجيا التعليم بالجامعات الأردنية الخاصة ومسحهم خلال العام الدراسي 2017/2016، وبلغ إجمالي الاستبيانات المكتملة (100) استبانة.

وتوصلت الدراسة لعدة نتائج منها أن درجة استخدام طلبة تكنولوجيا التعليم بالجامعات الأردنية الخاصة للهواتف الذكية في التعليم كانت متوسطة، وأظهرت أيضاً عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) في درجة استخدام الهواتف الذكية في العملية التعليمية من وجهة نظر طلبة تكنولوجيا التعليم في الجامعات الأردنية الخاصة تعزى لمتغيرات الدراسة الثلاثة: الجنس، والجامعة، والمرحلة الدراسية.

وأوصت الدراسة بعقد دورات خاصة لكل من الطلبة والمدرسين لتوظيف واستخدام كافة الأدوات المتاحة فيه للعملية التعليمية.

4- دراسة أمل الزبيدي (2014) بعنوان⁽⁷⁾: "إدمان الإنترنت وعلاقته بالتواصل الاجتماعي والتحصيل الدراسي لدى طلبة جامعة نزوى": وكان من أهداف تلك الدراسة رصد العلاقة بين إدمان الإنترنت وكل من التواصل الاجتماعي والتحصيل الدراسي، لدى طلبة جامعة نزوى، وتكونت العينة من 412 طالباً وطالبة، وأظهرت نتائجها بلوغ عدد مدمني استخدام شبكة الإنترنت 40 مفردة، بنسبة %9.7 من أفراد عينة الدراسة، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية لمقياس إدمان الإنترنت تعزى لمتغير النوع الاجتماعي، والمستوى الدراسي وكذلك وجود علاقة عكسية ذات دلالة إحصائية بين إدمان الإنترنت والتواصل الاجتماعي، ووجود علاقة ضعيفة ذات دلالة إحصائية بين ذلك

(6) فريال ناجي مصطفى: درجة استخدام الهواتف الذكية في العملية التعليمية "دراسة ميدانية من وجهة نظر طلبة تكنولوجيا التعليم في الجامعات الأردنية الخاصة، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، 2017م.

(7) أمل ناصر الزبيدي: إدمان الإنترنت وعلاقته بالتواصل الاجتماعي والتحصيل الدراسي لدى طلبة جامعة نزوى، عمان، جامعة نزوى، كلية العلوم والآداب، رسالة ماجستير، غير منشورة، 2014م.

الإدمان والتحصيل الدراسي.

5- دراسة أرين كاربنسكي (Aren Karbnsky) (2010) بعنوان (8): "اثر استخدام موقع فيس بوك على التحصيل الدراسي لدى طلبة الجامعات" وطبقت تلك الدراسة على (219) طالبا جامعيًا، وتوصلت الدراسة لعدة نتائج ومنها أن الدرجات التي يحصل عليها طلاب الجامعات المدمنون للإنترنت وتصفح موقع "فيس بوك" كبرى الشبكات الاجتماعية على الإنترنت أدنى بكثير من تلك التي يحصل عليها نظراؤهم الذين لا يستخدمون هذا الموقع.

أنه كلما ازداد الوقت الذي يمضيه الطالب الجامعي في تصفح هذا الموقع تدنت درجاته في الامتحانات، ومن يقضون وقتاً أطول على الإنترنت يخصصون وقتاً أقصر للدراسة، مشيراً إلى أن لكل جيل اهتماماته، وأن هذا الموقع يتيح للمستخدم "الدرشة" وحل الأحاجي، وابداء رأيه في كثير من الأمور، والبحث عن أصدقاء جدد أو قدامى. وبينت النتائج أيضاً أن 79% من الطلاب الجامعيين الذين شملتهم الدراسة أقروا بأن إدماهم لموقع الفيس بوك أثر سلبياً على تحصيلهم الدراسي.

تقيب عن الدراسات السابقة: تعد الدراسات السابقة التي تم تناولها في هذه الدراسة أنها تناولت متغيرات الدراسة من زوايا مختلفة، وقد اتفقت الدراسات العملية التعليمية الحالية مع معظم الدراسات من حيث اتباع المنهج الوصفي للدراسة.

كما اختلفت بعض الدراسات في أدوات جمع البيانات، حيث اعتمدت بعض الدراسات على المقابلة، وكذلك اختلفت عينة الدراسة من دراسة لأخرى، وكذلك نوعية العينة ففي بعض الدراسات السابقة تم اختيار العينة العشوائية للدراسة، أما عينة هذه الدراسة فهي عينة قصدية.

ومن خلال العرض البسيط تزداد أهمية الدراسة الحالية؛ كونها تهدف إلى تقديم تصور بسيط عن واقع استخدام الهواتف الذكية في مرحلة التعليم الثانوي واستخدام الهواتف الذكية في التعليم ومعرفة مدى دورها في الاستفادة للطلبة وحاجتهم الحقيقية إلى الهاتف في عملية التعلم.

وفي المجمل فقد استتادت الدراسة الحالية من مجمل الدراسات السابقة في جوانب عدة منها تشكيل وبلورة الدراسة وأهدافها، وكذلك مشكلة الدراسة، ومدى أهميتها، واختيار منهج الدراسة، وتحديد طرق المعالجة الإحصائية للدراسة، وربط نتائج الدراسات السابقة بالدراسة الحالية، وهذا بما يحقق الترابط في مجالات البحث العلمي.

حاجات طلاب المرحلة الثانوية:

قد يظن البعض أن من أهم حاجات الطلاب هي الإرشاد والتوجيه وكيفية تعامله مع معلميه، ولكن هناك احتياجات أخرى عدة، ولعل أول ما يتبادر للذهن عند ذكر الحاجات والمطالب اسم إبراهيم ماسلو 1945 Abraham Maslow صاحب نظرية الترتيب الهرمي للحاجات، والذي يستقي منه غالبية الباحثين أفكارهم حين يناقشون الحاجات والمطالب الإنسانية.

ونجد أن نظرية "ماسلو" للحاجات الإنسانية يرتبها ترتيباً هرمياً تصاعدياً، يبدأ من الحاجات الفسيولوجية عند القاعدة ثم الحاجة للأمن، ثم الحاجة للحب والانتماء، ثم الحاجة إلى التقبل وتقدير الذات، وأخيراً حاجة تحقيق الذات، التي تتربع على قمة الهرم ثم أضاف حاجتين في كتاباته الأخيرة فوق الحاجة لتحقيق الذات هما - على

(8) Aren, Karbiniski, " Face book and the technology revolution", N,Y Spectrum publications , 2010.

التوالي - الحاجة للمعرفة والحاجة لتذوق الجمال⁽⁹⁾.

إن التركيز على الطلاب عنصر مهم، فهو العنصر الأساسي في العملية التعليمية، حيث نجد أن الحياة المدرسية داخل المدرسة الثانوية يجب ألا ينصب اهتمامها على ما في الكتب، بل يجب أن يمتد إلى أشكال سلوك الطلاب، وأن تهتم بإعداد الطالب للحياة في بيئة اجتماعية غنية، ينمي فيها سلوكه ومفاهيمه عن طريق التفاعل الشخصي بدلاً من تلقيه المعارف والمعلومات فقط.

ومن أهم الحاجات الأساسية لطلاب المرحلة الثانوية فيما يأتي:

1. الحاجات الجسمية: إن الحاجة إلى تكوين جسم صحيح ولياقة جسمية صحيحة، تعتبر من الاحتياجات الجسمية الضرورية، التي يجب إشباعها بهدف الحفاظ على وجود المرء وحيويته، وهذه الحاجات تختلف بطبيعتها عن الحاجات الأخرى؛ إذ تبدو أعراضها جسمية بدرجة كبيرة، وهي أكثر فاعلية للضرد وما يصل إليه الضرد من إشباع لهذه الحاجات في لحظة ما سرعان ما يستهلك وتتناقص تدريجياً، ومن ثم تتطلب إشباعاً دورياً متجدداً، تتوقف فتراته على نوع الحاجة. وتتمثل هذه الحاجات في الحاجة إلى الطعام والماء والجنس والأمومة.

2. الحاجة إلى تحقيق الذات: هو حاجة الضرد للتعبير عن ذاته بصورة مباشرة أو غير مباشرة للوصول إلى أقصى ما يمكن تحقيقه من إمكانيات وقدرات بقصد إشباع الحاجات الأساسية، وتتضمن الحاجة إلى اهتمام الجنس الآخر، والحاجة إلى التوافق الجنسي الضروري.

3. الحاجة إلى الحرية واللعب: تعتبر الحرية من أهم مستلزمات الحياة حيث تمنح الثقة بالنفس، واحترام الشخصية، وكذلك تنمي الشعور الذي ينم عن السرور والفرح، حيث يشعر الطالب في مرحلة الثانوية بالحاجة إلى الحرية في التعبير عن قواه واستعداداته وميوله، عن طريق الحركة واللعب، والكلام، والتقليد، والتمثيل، والموسيقى؛ لذلك يجب مراعاة هذه الحاجة في المنهج المدرسي.

4. الحاجة إلى التوجيه والقيادة: هناك بعض الصفات المشتركة بين الزعامة والقيادة الناجحة كالصفات الشخصية مثل "الصبر والشخصية القوية والصحة النفسية والذكاء"، فالحرية وحدها دون فهم وتوجيه عامل مدمر وهدام، فالطالب في هذه المرحلة يمكن أن يترك شأنه يعبر بحريته كما يشاء في مجتمع له عاداته اختيار الاتجاه السليم؛ ولذلك فإن التوجيه المتزن الذي يشبع هذه الحاجة من الأمور المهمة الضرورية في هذه المرحلة العمرية⁽¹⁰⁾.

5. المسكن الصالح: والمقصود به المسكن الذي يأوي ويعيش فيه الأبناء، ويحميهم، ويوفر لهم الأمن والأمان، ويضمن لهم الهدوء والخصوصية بعيداً عن الحياة خارج الأسرة.

6. الحاجة للرعاية والصحة: لا بد من تلبية حاجات الناس الصحية من خلال رعاية شاملة إرشادية وحمائية ووقائية وعلاجية وتأهيلية وملطفة طوال فترة الحياة؛ فالرعاية الصحية مطلوبة منذ التكوين في رحم الأم، وتستمر بعد الولادة. وتتنوع هذه الحاجات الصحية وفق مراحل العمر المختلفة.

7. الحاجة إلى الملابس: في البدء نجد أن الحاجة للملبس أرتبطت بالحاجة إلى الوقاية من الأحوال الجوية كالبرد والحر، ثم تطور الأمر لنجد بأن الحاجة للملبس الداخلي أم الخارجية الصيفية أم الشتوية أو الأقطان والحريير أو الأصواف وأوقات ارتدائها في المكان

(9) عبدالله بن أحمد الغامدي: تردد المراهقين على مقاهي الإنترنت وعلاقته ببعض المشكلات النفسية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية التربية، رسالة ماجستير غير منشورة، 2009، ص 17.

(10) يامن محمد بوهان: الشباب والإنترنت، عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2014، ص 67.

المناسب، أصبحت نوعاً من الأساسيات الملزمة، بل وتعدت ذلك لتصبح من أهم مظاهر الحياة الخارجية.

8. الحاجة إلى الرفقة: من الحاجات الاجتماعية والنفسية التي يحتاج إليها المرافق هي الحاجة إلى الرفقة، فالإنسان اجتماعي بطبعه، والتعارف والتألف بين الناس أمر فطري مركز في النفس البشرية، والرفقة مطلب لا يستغنى عنه الإنسان، خصوصاً في مرحلة المراهقة، التي يمضي فيها المراهق كثيراً من وقته في تبادل الآراء والمشاعر، والأمال، ويحاول بلورة الأفكار مع رفاقه الذين يشاركونه في التحولات الجسدية والنفسية والاجتماعية والعقلية.

9. الحاجة إلى العمل وتحمل المسؤولية: ترتبط المسؤولية بالمشقة والتعب والصعوبات لا شك في ذلك، لكن التعود على تحمل المسؤوليات يمكن أن تتحول إلى عادة مكتسبة، ونظراً لنمو قدرات المراهق وطاقاته ونتيجة لوقت الفراغ الممتد عنده على المربين أن يهيئوا الظروف المناسبة لأن يتحمل المراهق جزءاً من المسؤولية ليشبع ذلك إحساساً برجولته ودوره في الحياة⁽¹¹⁾.

الحاجات التي تشبعها الهواتف الذكية للطلاب:

1. الحاجات المعرفية: إن الحاجات المعرفية هي تلك الحاجات التي تكسب الإنسان المعرفة بكل ما يحيط به، وهي الحاجات المرتبطة بتقوية المعلومات والمعرفة وفهم البيئة، وتوفر الهواتف الذكية الامكانيات اللازمة لتلبية حاجات الشباب في هذا الصدد، بإيصالهم إلى المواقع الأكاديمية، ومواقع تحميل الكتب الإلكترونية، إضافة إلى مواقع طبية وإعلامية وإلى خدمات التسوق والتجارة⁽¹²⁾.

2. حاجات عاطفية: يعتبر إشباع الحاجات العاطفية من الأركان المهمة للتوافق والانسجام، فنجد أن الهواتف الذكية تضم مئات من المواقع لمختلف أنواع النشاط الترفيهي، للمستخدم الراغب في قضاء وقت ممتع، يشبع فيه حاجاته المعرفية والعاطفية عن طريق التصفح واكتشاف عوالم جديدة⁽¹³⁾.

3. حاجات شخصية: إن احتياجات الشخص هي الدافع وراء عمله بطريقة معينة، ومن أمثلة الحاجات الشخصية التي تلبيها الهواتف الذكية، فرص العمل والمواقع التي توجه المستخدم إلى كيفية الحفاظ على صحته، وذلك عن طريق استخدام الهواتف الذكية وبرامجها المختلفة.

4. حاجات اجتماعية: وهي الحاجات الناشئة عن احتكاك الفرد بأقرانه في المجتمع، مثل الحاجة إلى التقدير، والاحترام، والحاجة إلى المشاركة الحسية، فنجد أن الهواتف الذكية تتيح لمستخدميها سهولة الاتصال بأخرين من مختلف أنحاء العالم، من خلال البريد الإلكتروني أو برامج الحوار⁽¹⁴⁾.

5. حاجات هروبية: وهي الحاجات المرتبطة برغبة الفرد في الهروب، وإزالة التوتر، والرغبة في تغيير المسار، ومن منطلق الحاجات المختلفة التي يحتاج الإنسان إلى إشباعها، وهنا

(11) سندس الشبراوي رزق: الأبعاد الاجتماعية والمدرسية لظاهرة العنف الطلابي في المدارس الحكومية، المنصورة، جامعة المنصورة، كلية التربية، رسالة ماجستير، غير منشورة، 2006، ص ص 68-74.

(12) ناجية مصطفى صالح عمارة: تأثير استخدام الإنترنت على الشباب الجامعي، المنصورة، جامعة المنصورة، كلية الآداب، رسالة ماجستير، غير منشورة، 2013م، ص 98.

(13) باسم حوامدة، سليمان قزاقرة: وسائل الاعلام والطفولة، عمان، دار جرير للنشر والتوزيع، ط2، 2006م، ص65.

(14) سامية زكي يوسف احمد: شبكة الإنترنت وآثارها على الشباب المصري دراسة سوسولوجية، القاهرة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، رسالة ماجستير غير منشورة، 2008، ص 16.

يستطيع المستخدم القيام بهذه من خلال آلاف المواقع التي تحتوي على التسلية والترفيه والألعاب، التي يهرب فيها بمضرده أو مع غيره من الواقع إلى عالم افتراضي⁽¹⁵⁾.

إجراءات الدراسة الميدانية:

لقد قمنا باستخدام أسلوب العينة في الدراسة واخترنا عينة قصدية وذلك بسبب تجانس مجتمع البحث ومعرفتهم، وتم حصر جميع مضردات مجتمع الدراسة، ثم وزعنا الاستبانة على التلاميذ من الذكور والإناث عينة الدراسة وبلغ عدد الاستبانات الموزعة (80) استبانة، وتم تزييفها وتحليلها وإيجاد العلاقات والارتباطات بين المتغيرات، اعتماداً على برنامج (SPSS) الإحصائي والمتخصص في تحليل بيانات العلوم الاجتماعية.

جدول رقم (1) يوضح توزيع أفراد العينة حسب النوع

نوع المتغير	المتغير	العدد	النسبة %	الترتيب
النوع	ذكر	40	50	-
	أنثى	40	50	-
المجموع		80	100	-

يتضح من الجدول رقم واحد والذي يبين توزيع أفراد العينة حسب النوع، حيث جاءت العينة متساوية بين الطلاب ذكورا وإناثا، وذلك بواقع نسبة مئوية 50% لكل نوع.

جدول رقم (2) يوضح توزيع أفراد العينة حسب النوع حول مدى استخدام الطلاب للهواتف الذكية؟

رقم	التصنيف	الاستجابة / ن = 80	
		التكرار	النسبة %
1	أقل من ساعة	6	7.5
2	من ساعة إلى أقل من ساعتين	10	12.5
3	من ساعتين إلى أقل من ثلاث ساعات	19	23.75
4	من ثلاث ساعات إلى أقل من أربع ساعات	36	45
5	من أربع ساعات فأكثر	9	11.25
	المجموع	80	100%

بالنظر إلى بيانات الجدول رقم (2)، والخاص بمعرفة مدى استخدام طلاب التعليم الثانوي للهواتف الذكية، جاءت الفقرة رقم (4) والخاصة مدة استخدام الهواتف الذكية من (من ثلاث ساعات إلى أقل من أربع ساعات) بمجموع تكرارات بلغ (36)، وبنسبة مئوية بلغت (45) وذلك في الترتيب الأول، بينما جاءت الفقرة رقم (1) والخاصة بالمدة من (أقل من ساعة)، بمجموع تكرارات بلغ (6)، وبنسبة مئوية بلغت (7.5) وذلك في الترتيب الأخير.

ومن البيانات نجد أن استخدام الطلاب للهواتف الذكية لأكثر من ثلاث ساعات يوميا يوحى بأنهم لا يعيرون للوقت الذي يمضونه في استخدامها أي أهمية؛ وقد يرجع ذلك إلى ما يجدونه من متعة في التحاور مع الأصدقاء أو الأقارب، وينتج عن ذلك إهمال الواجبات

(15) أشرف سعد نخلة: أطفالنا والإنترنت، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي، 2011، ص 54.

المنبوطة بالطالب، سواء أكانت تلك الواجبات تتعلق بالواجبات المدرسية ومراجعة الدروس، أم فقد جزء من الوقت الذي من المفترض أن يقضيه بين أفراد أسرته.

جدول رقم (3) يوضح توزيع أفراد العينة حسب الدوافع الكامنة وراء استخدام الهواتف الذكية لدى طلاب التعليم الثانوي

رقم	نص الفقرة	الاستجابة / ن = 80							
		لا		إلى حد ما		نعم		تكرار	نعم
		%		%		%			
1	شغل أوقات الفراغ	10	8	15	12	75	60	80	80
2	التسلية والترفيه والمرح	8.75	7	11.25	9	80	64	80	80
3	من أجل اللعب بالألعاب الإلكترونية	11.25	9	20	16	68.75	55	80	80
4	محاكاة وتقليد الآخرين	33.75	27	16.25	13	50	40	80	80
5	حب استطلاع التكنولوجيا	2.5	2	8.75	7	88.75	71	80	80
6	التواصل مع الأقارب والأصدقاء	20	16	37.5	30	42.5	34	80	80
7	لأغراض تعليمية	23.75	19	32.5	26	43.75	35	80	80
8	تكوين صداقات مع الجنس الآخر	38.75	31	27.5	22	33.75	27	80	80
9	تحميل الدروس	36.25	29	15	12	48.75	39	80	80
10	التعبير عن رأيي بحرية	8	15	25	20	56.25	45	80	80
	الاتجاه العام للمحور								نعم

بالنظر إلى بيانات الجدول رقم (3)، والخاص بمعرفة الدوافع الكامنة وراء استخدام الهواتف الذكية لدى طلاب التعليم الثانوي، جاءت الفقرة رقم (5) والخاصة (حب استطلاع التكنولوجيا) بمجموع أوزان بلغ (299)، وبمتوسط مرجح بلغ (2.9)، وبتجاه عام (موافق)، وذلك في الترتيب الأول، بينما جاءت الفقرة رقم (8) والخاصة بأنه (تكوين صداقات مع الجنس الآخر)، بمجموع أوزان بلغ (156)، وبمتوسط مرجح بلغ (1.9)، وبتجاه عام (موافق).

ويتبين من هذه الإحصائيات وجود دوافع عديدة لاستخدام الطلاب الهواتف الذكية، حيث تشير النتائج إلى أن معظم الطلاب يستخدمون الهواتف الذكية بدافع حب استطلاع التكنولوجيا؛ ويرجع ذلك إلى أن الطالب يبحث في عالم التكنولوجيا لتعلم كل ما هو جديد، حيث يلجأ إلى عالم الهواتف الذكية، لأنه لدى الطالب في هذه المرحلة العمرية حب الاستكشاف خاصة في عالم التكنولوجيا بما فيها الهواتف الذكية، كونه يجدها مسرحة للمتعة الكبيرة التي ربما لا يجدها في عالمه الواقعي.

جدول رقم (4) يوضح توزيع أفراد العينة حسب الإشباع التي تحققت من استخدام طلاب التعليم الثانوي للهواتف الذكية في عملية التحصيل العلمي

رقم الفقرة	نص الفقرة	الاستجابة / ن = 80										
		لا		إلى حد ما		نعم		نص الفقرة	رقم الفقرة			
		تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%					
1	الوصول للمراجع والمصادر العلمية	0	0	36.25	29	63.75	51	8	نعم	2.6	211	80
2	التواصل مع أساتذتي	1.25	1	28.75	23	70	56	7	نعم	2.6	215	80
3	متابعة كل ما يستجد بالمدرسة	12.5	10	11.25	9	76.25	61	6	نعم	2.6	211	80
4	الرغبة في تطوير الذات	5	4	33.75	27	61.25	49	9	نعم	2.5	205	80
5	اكتساب قدر كبير من الثقافة	5	4	10	8	85	68	4	نعم	2.8	224	80
6	تكوين مجموعات مع زملاء الدراسة	2.5	2	7.5	6	90	72	3	نعم	2.8	230	80
7	سهولة الحصول على المعلومات المتعلقة بالدروس	0	0	7.5	6	92.5	74	1	نعم	2.9	234	80
8	التعرف على التكاليف الدراسية	2.5	2	6.25	5	91.25	73	2	نعم	2.9	231	80
9	جعل التعليم أكثر متعة	1.25	1	17.5	14	81.25	65	5	نعم	2.8	244	80
	الاتجاه العام للمحور								نعم			

بالنظر إلى بيانات الجدول رقم (4)، والخاص بمعرفة الإشباع التي تحققت من استخدام طلاب التعليم الثانوي للهواتف الذكية في عملية التحصيل العلمي، جاءت الفقرة رقم (7) والخاصة (سهولة الحصول على المعلومات المتعلقة بالدروس) بمجموع أوزان بلغ (234)، وبمتوسط مرجح بلغ (2.9)، وباتجاه عام (موافق)، وذلك في الترتيب الأول، بينما جاءت الفقرة رقم (4) والخاصة بأنه (الرغبة في تطوير الذات)، بمجموع أوزان بلغ (205)، وبمتوسط مرجح بلغ (2.5)، وباتجاه عام (موافق).

وبناء على ذلك نلاحظ أن استخدام الهواتف الذكية يحقق إشباعاً في التعليم والبحث العلمي كونها توفر المعلومات والمعارف في مجالات المعرفة الإنسانية كافة بوجه عام والدروس المدرسية بوجه خاص، إذ يمكن التعرف عليها واستخدامها بسهولة ويسر. ولذلك تعد الهواتف الذكية من التقنيات التي يمكن استخدامها في التعليم، إذ توفر الفرص للمعلمين والمربين والطلاب للاطلاع على ما تحويه من كم هائل من المعارف والمعلومات في شتى المجالات.

وبذلك يمكن القول بأن الهواتف الذكية وسيلة مثيرة وفعالة في التعلم؛ لسهولة وسرعتها، إضافة لقلة التكاليف وسرعة الحصول على المعلومات، وعدم التقيد بساعات دراسية معينة، ومناسبتها لكافة فئات المجتمع. ويمكنها أيضاً تعديل الطرق القديمة واستحداث طرق حديثة شائعة للتدريس والتعليم، وتطوير مهارات الدارسين الفكرية والإبداعية بمنأى عن التلقين، وبذلك تقوم الهواتف الذكية بوظائف عدة للطلاب

الدارسين.

جدول رقم (5) يوضح توزيع أفراد العينة حسب الآثار المترتبة على استخدام الهواتف الذكية على طلاب التعليم الثانوي في التحصيل العلمي

رقم	نص الفقرة	الاستجابة / ن = 80										
		لا		إلى حد ما		نعم		مجموع تكرار	مجموع الأوزان	المتوسط المرجح	الاتجاه العام	الترتيب
		%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار					
1	ضيق وقت مراجعة الدروس	2.5	2	7.5	6	90	72	80	230	2.8	نعم	1
2	تراجع المستوى الدراسي	2.5	2	8.75	7	88.75	71	80	299	2.9	نعم	2
3	يشقت الانتباه أثناء الحصة	1.25	1	17.5	14	81.25	65	80	244	2.8	نعم	3
4	قلة المشاركة في الأنشطة المدرسية	35	28	27.5	22	37.5	30	80	162	2.3	نعم	6
5	يؤدي إلى الرسوب	20	16	37.5	30	42.5	34	80	178	2.2	نعم	5
6	الرغبة في التناجر مع الطلاب	52.5	42	16.25	13	31.25	25	80	143	1.7	نعم	7
7	التمرد على المعلمين	60	48	22.5	18	17.5	14	80	126	1.6	نعم	8
8	ضعف النظر	1.25	3	17.5	12	81.25	65	80	222	2.8	نعم	3
9	قلة ساعات النوم مما يؤدي إلى ضعف التركيز		27	16.25	13	50	40	80	173	2.2	نعم	4
	الاتجاه العام للمحور										نعم	

بالنظر إلى بيانات الجدول رقم (5)، والخاص بمعرفة الآثار المترتبة على استخدام الهواتف الذكية على طلاب التعليم الثانوي في التحصيل العلمي، جاءت الفقرة رقم (1) والخاصة (ضيق وقت مراجعة الدروس) بمجموع أوزان بلغ (230)، وبمتوسط مرجح بلغ (2.8)، وباتجاه عام (موافق)، وذلك في الترتيب الأول، في حين جاءت الفقرة رقم (14) والخاصة بـ (التمرد على المعلمين)، بمجموع أوزان بلغ (126)، وبمتوسط مرجح بلغ (1.6)، وباتجاه عام (موافق).

يتضح من الجداول السابقة أن أشهر الآثار للهواتف الذكية على الجوانب التعليمية، ضيق وقت مراجعة الدروس، وتراجع المستوى الدراسي لدى عينة الدراسة، و ضعف النظر هذه أكثر الآثار السلبية للهواتف الذكية على الصحة لدى عينة الدراسة، وبما أن عدداً كبيراً من أفراد مجتمع الدراسة -ونسبتهم %90- يرون أن استخدام الهواتف الذكية يكون على حساب مراجعة الدروس، فقد اتفقت هذه النتيجة مع نتائج دراسة أرين كارينسكي 2010، التي أظهرت أن من يقضون وقتاً أطول في استخدام التكنولوجيا يخصصون وقتاً أقصر للدراسة، ومن ثم تقل مشاركتهم أثناء الدروس، بما ينعكس سلباً على تحصيلهم الدراسي.

جدول رقم (6) يوضح توزيع أفراد العينة حسب المقترحات اللازمة للحد من الآثار السلبية لاستخدام الهواتف الذكية

رقم	نص الفقرة	الاستجابة / ن = 80									
		لا		إلى حد ما		نعم		مجموع الأوزان	مجموع المتوسط المرجح	الاتجاه العام	الترتيب
		%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار				
1	التوعية بسلبيات وإيجابيات الهواتف الذكية	86.25	7	8.75	7	5	4	225	2.8	نعم	3
2	الاهتمام ودعم الأنشطة الطلابية	88.75	9	11.25	9	0	0	231	2.9	نعم	2
3	إعطاء محاضرات في الإذاعة المحلية حول مخاطر الهواتف الذكية	76.25	15	18.75	15	5	4	217	2.7	نعم	7
4	شغل أوقات فراغ الطلاب من خلال تنمية هواياتهم	92.5	6	7.5	6	0	0	234	2.9	نعم	1
5	تكثيف الإعلان بالمدرسة حول مخاطر الهواتف الذكية	80	10	12.5	10	7.5	6	218	2.7	نعم	5
6	عقد لقاءات مع أولياء الأمور لتبصيرهم بمخاطر الهواتف الذكية	77.5	15	18.75	15	3.75	3	219	2.7	نعم	6
7	العمل على شغل وقت الطلاب بعمل مفيد لهم	83.75	13	16.25	13	0	0	227	2.8	نعم	4
										نعم	
										الاتجاه العام للمحور	

بالنظر إلى بيانات الجدول رقم (6) الخاص بمعرفة المقترحات اللازمة للحد من الآثار السلبية لاستخدام الهواتف الذكية على طلاب التعليم الثانوي في التحصيل العلمي، جاءت الفقرة رقم (4) والخاصة (شغل أوقات فراغ الطلاب من خلال تنمية هواياتهم) بمجموع أوزان بلغ (234)، وبمتوسط مرجح بلغ (2.9)، وباتجاه عام (موافق)، وذلك في الترتيب الأول، بينما جاءت الفقرة رقم (3) والخاصة بأنه (إعطاء محاضرات في الإذاعة المحلية حول مخاطر الهواتف الذكية)، بمجموع أوزان بلغ (217)، وبمتوسط مرجح بلغ (2.7)، وباتجاه عام (موافق).

ومن البيانات الواردة في الجدول لا بد من اتخاذ عدة خطوات تقلل من مخاطر استخدام الهواتف الذكية كإدخال شبكة الإنترنت للمدرسة، مع توفير أحدث برامج نظم تشغيل للشبكات، وتوفير متصفحات الإنترنت. ووضع برامج تدريبية تتضمن تدريب الطلاب على استخدام الحاسوب، وعقد الندوات واستقطاب المتخصصين في هذا المجال لنقل خبراتهم للطلاب، وتخصيص بعض الحصص لتوضيح أهمية الهواتف الذكية وخطورتها، إضافة إلى تنظيم النشاطات الطلابية غير الصفية مع الجهات ذات العلاقة بتقنية المعلومات لكيفية الاستخدام الأمثل لها، مع إقامة ورش للعمل ولقاءات حول ذلك.

نتائج الدراسة:

- فيما يتعلق بمعرفة مدى استخدام الطلاب للهواتف الذكية لدى طلاب التعليم الثانوي، كانت أعلى نسبة في مدة استخدام الهواتف الذكية هي (من ثلاث ساعات إلى أقل من أربع ساعات) بمجموع تكرارات بلغ (36)، ونسبة مئوية بلغت (45)، بينما كانت أقل مدة استخداما (أقل من ساعة)، بمجموع تكرارات بلغ (6)، ونسبة مئوية بلغت (7.5) وذلك في الترتيب الأخير.
- بالنسبة للدوافع الكامنة وراء استخدام الهواتف الذكية لدى طلاب التعليم الثانوي جاء حُبّ استطلاع التكنولوجيا لدى الطلاب في المرتبة الأولى بمجموع تكرارات بلغ (71) طالبا ونسبة %88.75، بينما جاءت (تكوين صداقات مع الجنس الآخر)، بمجموع تكرارات (27) طالبا ما نسبتهم (33.75) هي آخر اهتمامات مجتمع الدراسة.
- فيما يتعلق بالإشباع التي تحققت من استخدام طلاب التعليم الثانوي للهواتف الذكية في عملية التحصيل العلمي كانت (سهولة الحصول على المعلومات المتعلقة بالدروس) في المرتبة الأولى بمجموع تكرارات (74) ونسبة (92.5)، بينما جاءت (الرغبة في تطوير الذات)، في آخر الإشباع التي تحققت للطلاب.
- وفيما يخص الآثار المترتبة عن استخدام الهواتف الذكية على طلاب التعليم الثانوي في التحصيل العلمي، جاءت (ضياع وقت مراجعة الدروس) بمجموع تكرارات (72) ونسبة (90) من مجتمع البحث، في الترتيب الأول، بينما جاءت الفقرة الخاصة (التمرد على المعلمين) في المرتبة الأخيرة بمجموع تكرارات (14) طالبا.
- بالنظر إلى الآثار المترتبة على استخدام الهواتف الذكية على طلاب التعليم الثانوي في التحصيل العلمي، جاءت الفقرة الخاصة (شغل أوقات فراغ الطلاب من خلال تنمية هواياتهم) بمجموع تكرارات بلغت (74) ونسبتهم (92%) في الترتيب الأول، بينما جاءت الفقرة الخاصة (بإعطاء محاضرات في الإذاعة المحلية حول مخاطر الهواتف الذكية)، في المرتبة الأخيرة.

التوصيات:

- توجيه الطلاب إلى ضرورة الالتزام والتقييد بالاستخدام الأمثل للأجهزة الذكية.
- توعية الطلاب بالجانب السلبي لاستخدام الأجهزة الذكية عن طريق وسائل الإعلام المختلفة: المرئية المسموعة.
- نشر الوعي لدى الطلاب بضرورة الاستفادة من الأجهزة الذكية بشكل إيجابي عن طريق المحاضرات والمنشورات.
- دراسة احتياجات الطلاب وأولوياتها فيما يتعلق باستخدام الأجهزة الذكية.
- القيام بالدراسات المتعلقة بالآثار السلبية للهواتف الذكية للوقوف على أهم المعالجات ووضع الحلول والآليات المناسبة.

المراجع

1. أحمد يوسف الشامي، آمال خالد حميد: واقع استخدام تطبيقات الهواتف الذكية في العملية التعليمية التعليمية من وجهة نظر طلبة الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بغزة، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، الجامعة الإسلامية غزة، المجلد 29، العدد 4 (يوليو/تموز 2021).
2. أشرف سعد نخلة: أطفالنا والأنترنترنت، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي، 2011م.
3. أمل ناصر الزبيدي: إدمان الإنترنت وعلاقته بالتواصل الاجتماعي والتحصيل الدراسي لدى طلبة جامعة نزوى، عمان، جامعة نزوي، كلية العلوم والآداب، رسالة ماجستير، غير منشورة، 2014م.
4. باسم حوامدة، سليمان قزاقزة: وسائل الاعلام والطفولة، عمان، دار جرير للنشر والتوزيع، ط2، 2006م.
5. سامية زكي يوسف أحمد: شبكة الإنترنت وآثارها على الشباب المصري دراسة سوسيولوجية، القاهرة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، رسالة ماجستير غير منشورة، 2008م.
6. سندس الشبراوي رزق: الأبعاد الاجتماعية والمدرسية لظاهرة العنف الطلابي في المدارس الحكومية، المنصورة، جامعة المنصورة، كلية التربية، رسالة ماجستير، غير منشورة، 2006م.
7. شرحبيلي محمد عطية: الفوائد التربوية من استخدام الهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر في العملية التعليمية، موقع ويب، منشور بتاريخ 2019/12/5م.
8. عبدالرازق محمد الدليمي: الإعلام والعولمة، مكتبة الرائد، عمان، الأردن، 2006م.
9. عبدالله بن أحمد الغامدي: تردد المراهقين على مقاهي الإنترنت وعلاقته ببعض المشكلات النفسية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية التربية، رسالة ماجستير غير منشورة، 2009م.
10. فريال ناجي مصطفى: درجة استخدام الهواتف الذكية في العملية التعليمية "دراسة ميدانية من وجهة نظر طلبة تكنولوجيا التعليم في الجامعات الأردنية الخاصة، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، 2017م.
11. محمد فتحي عبد الهادي: مقدمة في علم المعلومات، دار الثقافة العلمية، الاسكندرية، 2008م.
12. ناجية مصطفى صالح عمارة: تأثير استخدام الإنترنت على الشباب الجامعي، المنصورة، جامعة المنصورة، كلية الآداب، رسالة ماجستير، غير منشورة، 2013م.
13. نور محمد الطباخي: درجة توظيف تطبيقات الهواتف الذكية في إدارة العملية التعليمية في المدارس الأردنية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن، رسالة ماجستير، منشورة، 2020م.
14. يامن محمد بودهان: الشباب والأنترنترنت، عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2014م.
15. Aren, Karbiniski,» Face book and the technology revolution», N,Y Spectrum publications , 2010.

واقع التربية والتعليم من خلال كتب النوازل

قضايا المعلم والمتعلم نموذجا

إعداد:

د. محمد الدرداري

دكتوراه في الفقه والأصول

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين - جهة طنجة تطوان الحسيمة/ المغرب

القبول: 2023/6/14

الاستلام: 2023/5/5

OO

OO

المستخلص:

تعالج هذه الورقة موضوع واقع التربية والتعليم من خلال كتب النوازل، وقد جاءت في: مقدمة، ومدخل، ومبحثين.

أما المقدمة: فاستعرضت فيها جانبا من الأهمية التي تحظى بها كتب النوازل، مع التأكيد على إمكانية الاستفادة منها في كل المجالات، ومنها مجال التربية والتعليم.

وأما المدخل: فأفردته للتعريف بمصطلحات الدراسة وهي: التربية، والتعليم، والنوازل. وفي المبحث الأول: توقفت مع نوازل المعلمين التي تبرز مؤهلاتهم العلمية والأخلاقية والمنهجية، والصفات التي يجب أن تتوافر فيهم.

أما المبحث الثاني: فخصصته لذكر أحوال المتعلمين، وبعض حقوقهم من خلال كتب النوازل.

الكلمات المفتاحية: التربية، التعليم، النوازل، المدرسة، المعلم، المتعلم.

Abstract:

This paper discusses the reality of education through the lens of "Nawazil" books. The paper consists of an introduction, a section on terminology, and two sections on the qualifications of teachers and the rights of students according to "Nawazil" jurisprudence.

In the introduction, the paper highlights the importance of "Nawazil" books and their potential use in various fields, including education. The terminology section defines the key terms of the study, including education, teaching, and "Nawazil."

The first section focuses on the qualifications of teachers as outlined in "Nawazil" books, including their scientific, ethical, and methodological qualifications, and the necessary qualities they should possess.

The second section discusses the rights of students and their conditions according to "Nawazil" jurisprudence.

Keywords: Education, teaching, Nawazil, school, teacher, student.

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد؛
تزخر كتب النوازل بمادة علمية في غاية الأهمية والتنوع، فهي لا تقتصر على بيان الأحكام الشرعية لما يعرض للناس وينزل بهم من وقائع وأحداث – وإن كانت هذه هي غايتها الأساسية – بل إنها بالإضافة إلى ذلك تقدم لنا توصيفا دقيقا لأحوال الناس، وعاداتهم، وأعرافهم، وطبائعهم المختلفة.

فالنظر في هذا النوع من الكتب لا يعد م الإفادة منها، وذلك من جهتين، الأولى: فيما يقدمه أهل الفتوى من أجوبة فقهية تخص شؤون الناس، وأحوالهم العامة والخاصة، وهنا يستوي الفقيه والعامي؛ إذ كل منهما يتعرف حكم النازلة المسؤول عنها، غير أن الفقيه يزيد عليه بمعرفة مناهج الاستنباط، وطرق التنزيل، فيفيد منها عند النظر والاجتهاد، والثانية ما تحمله أسئلة المستفتين من وصف دقيق لأوضاع المجتمع في فترات زمنية مختلفة، ولا يخفى ما في ذلك من الإشارات المهمة، التي تضيد الباحث في دراسة العديد من الظواهر الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والتربوية، وغيرها، هذه الإشارات وإن لم تكن هي المقصودة بالأساس، فهي تحمل في طياتها صورة عن حركية الواقع والمجتمع، وهي صورة أكثر نزاهة وصدقية مما تحويه المدونات التاريخية.

ولما كان موضوع هذه الدراسة له صلة بقضية من القضايا الاجتماعية، وهي قضية التربية والتعليم؛ كان حريا بي النظر إليها من الجهتين معا: أجوبة الفقهاء، وأسئلة المستفتين. والجهتان معا تدلان على أن قضايا التربية والتعليم نالت حظوة وحضورا في الذهن الفقهي خصوصا، وفي الذاكرة المجتمعية على وجه العموم.

إن النظر في قضايا التربية والتعليم، وتعميق البحث فيها، صار أمرا ملحا وضروريا، وهي مسؤولية يتقاسمها الجميع دون استثناء، ويبقى حملها الأثقل على أهل هذا الشأن من الخبراء والباحثين، فهم أهل الاختصاص الذين يهتدى بهم، ويترسم طريقهم، أما غيرهم من أهل السياسة والتدبير فتبع لهم، وإنما يقاس عملهم ويحكم عليه بتعقبهم لهم، وتقانيهم في إنفاذ خططهم.

ولما كنت أعد نفسي واحداً من هؤلاء الباحثين، فقد غالبت نفسي، وحملتها على تجشم عناء هذا البحث، رجاء الإسهام – ولو بالقليل – في نهضتنا التعليمية، وقد أشرت أن أنطلق في هذه الدراسة من تراثنا الفقهي النوازلي؛ لما اشتمل عليه من مادة تربوية وتعليمية في غاية الأهمية، وقد اخترت لها عنوان: "واقع التربية والتعليم من خلال كتب النوازل: قضايا المعلم والمتعلم نموذجا"، وهي دراسة ساكتفي فيها بالإشارة إلى بعض القضايا التربوية والتعليمية، أدل من خلالها على حيوية الفقه الإسلامي، وأن الفقهاء كان لهم إسهام وافر في قضايا التربية والتعليم، وهي مناسبة لرصد سبق المسلمين في هذا المضمار، ولجسم روح الهزيمة التي سرت في نفوس بعضهم، حتى صار يخيل إليهم أن تراثنا الإسلامي ليس فيه نظريات أو مذاهب تربوية، وأن الحل الوحيد لتحقيق نهضة تعليمية رائدة هو توريد الحلول الجاهزة.

إن هذه الدراسة - بالإضافة إلى ما مر - تسعى إلى لفت الانتباه إلى هذا الجانب المشرق من تراثنا الإسلامي، وبيان أهميته في بلورة رؤى إصلاحية مستمدة من خصوصية الذات الإسلامية، بعيدا عن مشاعر الهزيمة والانبهار.

مدخل مفاهيمي:

تضمن عنوان هذه الدراسة ثلاثة مفاهيم أساسية، وهي: التربية، والتعليم، والنوازل.

وقد جرت عادة الباحثين قبل الخوض في صميم بحثهم أن يعرفوا أولا بمفرداتها، وسيرا على نهج هؤلاء، فإنني سأخصص هذا المدخل للتعريف بهذه المفردات، وهي كالآتي:

أولاً: التربية: التربية لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: "ربا الشيء يربو وربوا ورباء: زاد ونما. وأربيته: نميته"⁽¹⁾. وبهذا المعنى ورد قوله تعالى: «وَيُرِي الصِّدْقَاتِ»⁽²⁾. أي: ينميتها ويزيدها. وفي الاصطلاح فإن التربية قد عُرِّفت بتعريفات كثيرة، حصلها أنها عملية منظمة، تروم تهذيب الإنسان، وتقويم سلوكه، وتنمية قدراته العقلية والجسمية والخلقية والروحية؛ حتى يصير قادرا على فهم ذاته، وواقعه، والمحيط الذي يعيش فيه.

ثانياً: التعليم: وهو من المفردات الملازمة لكلمة التربية، فلا تكاد تذكر إلا مقترنة بها، والتعليم في اللغة: مصدر، وهي من: علم يعلم تعليماً. جاء في القاموس المحيط: "وَعَلَّمَهُ الْعِلْمَ تَعْلِيمًا... وَأَعْلَمَهُ إِيَّاهُ فَعَلَّمَهُ"⁽³⁾. ومنه قوله تعالى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»⁽⁴⁾.

والتعليم في الاصطلاح عرّفه الأستاذ محمد الدريج بأنه: "نشاط تواصل يهدف إلى إثارة التعلم، وتحفيز وتسهيل حصوله، إنه مجموعة الأفعال التواصلية، والقرارات التي يتم اللجوء إليها بشكل قصدي ومنظم، أي: يتم استغلالها وتوظيفها، بكيفية مقصودة من طرف الشخص (أو مجموعة من الأشخاص) الذي يتدخل كوسيط في إطار موقف تربوي تعليمي"⁽⁵⁾. وعرّفه رشدي أحمد طعيمة بأنه: "عملية إعادة بناء الخبرة التي يكتسب المتعلم بواسطتها المعرفة والمهارات والاتجاهات والقيم. ويعبارة أخرى إنه مجموع الأساليب التي يتم بواسطتها تنظيم عناصر البيئة المحيطة بالمتعلم، بمثل ما تتسع له كلمة البيئة من معان من أجل اكتسابه خبرات تربوية معينة"⁽⁶⁾.

وعليه فالتعليم هو عملية منظمة يقوم بها المعلم، وتهدف إلى نقل ما عنده من المعارف، والمعلومات، والخبرات، والتجارب إلى المتعلمين، من خلال مواقف تعليمية مخططة ومدروسة.

ثالثاً: النوازل. النوازل لغة: جمع نازلة، ومعناها: الشدة والداهية والمصيبة فضي اللسان: النازلة: الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس⁽⁷⁾. وفي الاصطلاح هي تلك المسائل والقضايا الدينية والدنيوية التي تحدث للمسلم ويريد أن يعرف حكم الله فيها بسؤال العلماء⁽⁸⁾. وعرّفها الحسن العبادي بأنها: "الحوادث والوقائع اليومية التي تنزل بالناس، فيتجهون إلى الفقهاء للبحث عن الحلول الشرعية لها"⁽⁹⁾.

وعليه فالنازلة هي المسألة الطارئة التي تحل بالمكلفين، فتعرض في شكل سؤال على أهل الشأن من العلماء لمعرفة الحكم الشرعي المناسب لها.

(1) لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، مادة (ربا)، دار صادر — بيروت، ط/ الثالثة - 1414 هـ (304/14).

(2) (البقرة: 276).

(3) القاموس المحيط، أبو طاهر مجد الدين الفيروز آبادي، مادة (علم)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان ط/8، 1426 هـ (ص: 1140).

(4) (البقرة: 31).

(5) مدخل إلى علم التدريس، محمد الدريج، قصر الكتاب، المغرب ط/1، 2000م (ص: 13).

(6) تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: مناهجه وأساليبه، رشدي أحمد طعيمة، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، مصر، ط/1، 1989م. (ص: 45).

(7) لسان العرب، مادة: (نزل) (659 / 11).

(8) نظرات في النوازل الفقهية، محمد حجي، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط/1، 1999م. ص: 11. بتصرف يسير.

(9) فقه النوازل في سوس قضايا وأعلام، الحسن العبادي، منشورات كلية الشريعة بأكادير، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط/1، 1999م. ص: 53.

بعد هذا المدخل المفاهيمي، لنا أن نتساءل عن مكونات، أو عناصر العملية التعليمية التعليمية؟ وهل كان للفقهاء أي اهتمام بها؟ وهل بمقدورنا استثمار جهودهم في بناء نظرية تربوية شاملة ومتكاملة؟ وهل كتب الفتاوى والنوازل تسعفنا في ذلك؟

إن العملية التعليمية التعليمية تنبني على ثلاثة عناصر أساسية، هي: المعلم، والمتعلم، والمحتوى العلمي أو الدراسي، ومن شروط نجاح العملية التعليمية التعليمية التفتد المستمر لهذه العناصر، وإيلاؤها الرعاية والاهتمام اللازمين، فالمعلم كي يضطلع بمهامه، ويقوم بها على أكمل وجه؛ لا بد من مراعاة ظروفه الاجتماعية والمادية والنفسية، وتأهيله بشكل متين ومستمر، حتى يساير المستجدات، ويجاري كل مبتكر في الميدان التربوي والتعليمي.

أما المتعلم باعتباره مستفيداً من عملية التعلم، فلا بد من تحفيز دافعية التعلم لديه، ودفعه بشتى السبل إلى الارتباط بالمدرسة، كونها فضاء تعليمياً يتيح له الانفتاح على عوالم معرفية مختلفة، وتفجير طاقاته المعرفية والإبداعية بعيداً عن العزلة والانطواء.

أما العنصر الثالث فهو المحتوى الدراسي، وهو المحتويات المضمونة التي يتألف منها البرنامج الدراسي الخاص بكل مادة دراسية، ولا بد أن تكون هذه المحتويات مراعية لعدد من الشروط، منها: التدرج، والواقعية، والمواءمة، والانفتاح.

تلك هي مكونات العملية التعليمية التعليمية، والتي من خلالها تصير عملية التعلم ذات وجود فعلي ومكتملة الأركان، ولكي تثمر أهدافها المرجوة لا بد أن تقوم بين عناصرها علاقات تفاعلية، بحيث تفضي إلى بناء نظام تربوي متكامل، وقادر على إعداد جيل مبدع، ومؤهل لمواكبة الركب العلمي والحضاري، ومستعد للانطلاق بكل ثقة نحو المستقبل.

إن جل من يتصدر اليوم للحديث عن قضايا التربية والتعليم لا يكاد يخرج عن ما كتبه أعلام الفكر التربوي الغربي، فمعظم هؤلاء يرددون ما هو مدون في كتب جان جاك روسو، وجون ديوي، وهاربارت وليام سينسر وغيرهم، حتى ليخيل إلى البعض أن المسلمين عبر تاريخهم الطويل لم يكن لديهم أي اهتمام بالفكر التربوي، وهذا غير صحيح، فالمكتبة الإسلامية خاصة بالكتب والمؤلفات التي ضمنها أصحابها الكثير من القواعد والأسس، التي تنبني عليها النظرية التربوية الإسلامية، ومن هؤلاء: ابن خلدون، وابن سينا، والغزالي، والفارابي وغيرهم.

كما تنوعت أيضاً المدارس والمشارب التي تناولت قضايا التربية والتعليم، فهناك المدرسة الفقهية، والمدرسة العلمية، والمدرسة الروحية (الصوفية) والمدرسة السلطانية، وغيرها، ولكل مدرسة خصائص تتفرد بها، وإن كانت جميعها تنفق في أنها تتناول قضايا التربية والتعليم من مرجعية الوحي والرسالة.

إن هذه الدراسة تأتي لتبين جانباً من جهود فقهاء المسلمين في إثراء الحقل التربوي، وهي جهود تنم عن ثقافة موسوعية لدى هؤلاء، وسعة أفق جعلتهم يتعاطون بإيجابية مع قضايا المجتمع المختلفة - بما فيها قضايا التربية والتعليم - وقد ارتأيت أن أقصر مادتها على الفتاوى الفقهية بالغرب الإسلامي؛ لما تتسم به من العلمية، والواقعية، والتنوع، والضبط.

المبحث الأول: المعلم: مؤهلاته، وما يجب أن يتوافر فيه من صفات:

من القضايا التي تُبحث في الأدبيات التربوية الحديثة ما يتعلق بالمعلم، وبيان صفاته ومؤهلاته، وليس ذلك من قبيل الترف، أو البحث الزائد، فالمعلم هو الركن الأساس الذي تنبني عليه عملية التعلم، ومن المسلمات في هذا المجال أن الشخص الذي يتصدر للتعليم، لا بد أن تتوافر فيه جملة من الصفات، وقد أورد الفقهاء في فتاويهم بعضاً منها، ومن ذلك:

1- الكفاءة العلمية: فلا بد أن يكون المعلم مُلمًا بمجال تخصصه، محيطًا بدقائقه، وذلك يقتضي التحقق من حاله، واختباره المرة تلو المرة، فلا يتصدر للتعليم إلا من شهد له بالكفاءة والأهلية. فقد سئل الإمام محمد بن يوسف السنوسي عن المعلم الذي لا يعرف الإظهار، والإدغام، والإهمال، والإعجام، والتفخيم، والترقيق، وغير ذلك من أحكام القرآن، فأجاب: "بأنه لا يجوز إقراؤه، إن لم يُحکم مخارج الحروف، وأن جميع ما يأخذه سحت؛ إذ كل من أعطي شيئاً على ظن حالة فيه، وفيه خلافاً، فجميع ما يأخذه سحت"⁽¹⁰⁾.

ومثلها نازلة سئل عنها الإمام الشاطبي، بخصوص امرأة من البادية تعلم القرآن للبنات والنساء. فجاء جوابه بأن هذا فعل حسن منها، لكنه اشترط أن تكون على علم بما تعلمه لهن. يقول رحمه الله في جوابه: "لكن ذلك كله بشرط أن تكون هذه المرأة عارفة بالقرآن كيف تقرأه وتقرئه، وتؤديه كما أمر الله، من غير لحن ولا تحريف ولا تبديل، فإن كانت لا تقرأه ولا تؤديه إلا على اللحن والتغيير والتبديل؛ فلا يحل لها أن تقرأه كذلك، ولا أن تعلمه أحداً"⁽¹¹⁾.

ومن تصدر للتعليم ممن ليس أهلاً، أو ممن ترك البحث والنظر حتى ضعف حاله، فالواجب الحجر عليه ممن ولي أمر الناس، وهو ما أشار إليه الشاطبي في الفتوى السابقة، حينما قال: "فإن كانت لا تقرأه ولا تؤديه إلا على اللحن والتغيير والتبديل... فلا يحل لمن علم بذلك أن يسكت عليه، بل ينكر ذلك عليها، ويجب على أهل القرية منعها من ذلك"⁽¹²⁾.

وسدًا للباب أمام المتطولين، وضبطاً لهذا المجال من أن يلجئه من ليسوا من أهله، فإن الأنظمة التربوية الحديثة اليوم أضحت تشترط في من يترشح لهذه الوظيفة أن يحوز شهادات تثبت أهليته العلمية، وقدرته على تعليم الطلاب، كما تخضعه أيضاً لاختبارات للتحقق من مدى استعداده للقيام بهذه الوظيفة.

2- الأخلاق المهنية للمعلم: وكما يُطلب في المعلم الكفاءة العلمية، فيطلب فيه أيضاً التحلي بالأخلاق المهنية التي تجعله محبوباً إلى الطلاب، قريباً منهم، مألوفاً لديهم، ومن ذلك:

- **العدل بين المتعلمين:** فالواجب عليه العدل فيما بينهم، يقول ابن الحاج القاسي المالكي: "ويكون الصبيان عنده بمنزلة واحدة، لا يشرف بعضهم على بعض، فابن الفقير وابن صاحب الدنيا على حد واحد في التربية والتعليم"⁽¹³⁾. ويقول محمد بن سحنون: "إذا قوطع المعلم على الأجرة فلم يعدل بينهم - أي الصبيان - كتب من الظلمة"⁽¹⁴⁾. فليس للمعلم أن يميل إلى فئة ويهمل أخرى، فإن ذلك من الظلم المحرم الذي يورث الإحـن، ويزرع الأحقاد والضغائن بين المتعلمين.
- **اللين والرفق وطلاقة الوجه:** ففي المعيار نازلة أفتى فيها الإمام القاسبي، وهي تبين ما ينبغي أن يتحلى به المعلم. يقول رحمه الله: "وينبغي أن يكون المعلم مهيباً لا في عنف، لا يكون عبوساً مغضباً، ولا مبسوطاً مرفقاً بالصبيان دون لين"⁽¹⁵⁾. وفي

(10) النوازل (نوازل العلمي)، أبو الحسن علي بن عيسى العلمي. تحقيق المجلس العلمي / فاس. منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية/ المغرب، 1986م (2: 267).

(11) فتاوى الإمام الشاطبي، تحقيق محمد أبو الأضفان. مكتبة العبيكان - الرياض - ط4، 2001م (ص: 165) (12) نفسه.

(13) المدخل لابن الحاج، أبو عبد الله محمد (ابن الحاج)، دار التراث - القاهرة - دون طبعة ولا تاريخ (309/2).

(14) آداب المعلمين، محمد بن سحنون، مراجعة وتعليق محمد العروسي المطوي، مكتبة الفقه الإسلامي تونس، دون طبعة، 1972م. (ص: 85).

(15) المعيار المغربي، أبو العباس أحمد الوشريسسي، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، دار الغرب الإسلامي - بيروت / لبنان - دون طبعة، 1981م (250 /8).

رسالته في أحوال المعلمين والمتعلمين يقول: "فهو - أي المعلم - يسوسهم في كل ذلك بما ينفعهم، ولا يخرجهم ذلك من حسن رفقهم بهم، ولا من رحمته إياهم، فإنما هو عوض من آباؤهم، فكونه عبوساً أبداً من الضأضة الممقوتة..."⁽¹⁶⁾. وهذه الصفات قل أن توجد في المعلم ويكون مستثقلاً أو منبوذاً.

• التفرغ للتدريس: لأنه أدعى لبراءة الذمة، ومن شغل نفسه بغيره (أي بالتدريس) مما يُستغنى عنه عادة فإنه يكون عرضة للتقصير المفضي إلى ضياع الحقوق. وسداً لذريعة الفساد التي تلحق الطلاب بسبب غياب المعلمين أفتى القاضي أبو عثمان سعيد العقباني بأن المعلم لا يجوز له أن يجعل غيره في موضعه. ففي المعيار: "وسئل عن المعلم يريد أن يجعل غيره في موضعه... فأجاب: ليس له أن يجعل غيره في موضعه"⁽¹⁷⁾.

وفي النوازل الكبرى للوزاني مسألة شبيهة بهذه، وتتعلق بمن ولي التدريس ببلدين متباعدين، ونقل فيها فتوى ابن السبكي بعدم الجواز، يقول فيها: "والذي يظهر أن هذا لا يجوز، وأكل الأموال فيه أكل بالباطل، وغيبية عن واحدة ليحضر أخرى ليس بعذر، فما ظنك بمن يغيب بالكلية"⁽¹⁸⁾. وابن السبكي بهذه الفتوى كأنه يعيش بيننا اليوم، وكم سمعنا بل وشاهدنا معلمين ينصرفون عن واجبهم في المدارس الحكومية، ويتركون تلاميذهم يهيمون في الأزقة والساحات، وينتظرون على أبواب المدارس، ويتوجهون إلى المدارس الخصوصية يبيعون فيها ضمانهم ببعض الفتات.

3- الكفاءة المنهجية: وتشمل قدرة المعلم على تدبير عملية التعلم في شقها المنهجي المتعلق باستراتيجيات التدريس وأساليبه المتنوعة، فالمدرس الكفاء هو الذي يتبنى أساليب تعليمية فعالة، تتيح للمتعلم إشباع حاجاته المعرفية، وتحصيل الحد الأقصى من الكفايات.

وعلى كل حال فإن كتب النوازل فيها ما يدل على تشبع الفقهاء بهذا المسلك، أكتفي بالإشارة إلى بعض الأمثلة، ومنها:

• تقديم الأولى فالأولى من العلوم: فالعلم إذا طلب كله دفعة واحدة لم يحصل منه شيء، فيلزم أخذه على مراحل، وعلى المعلم مراعاة حال الطالب، ومقدار تحصيله القبلي في أي علم من العلوم ليبنى عليه غيره، ويسعى في تحصيل ما بقي منه، وهذا المسلك نجده واضحاً في فقه الإمام الشاطبي، فقد سئل رحمه الله تعالى عن ما يقدم على غيره من العلوم فأجاب: "إن كل علم اقتضى الوقت والحال بالنسبة إلى طلب الشرع تقديمه فهو المقدم، وما اقتضى تأخيره فهو المؤخر، وتفصيل هذه الجملة لا يخفى على ذي معرفة بمراتب العلوم في نظر الشارع. نعم ما يخاف اندراسه وذهابه فلا بد من القيام به لئلا تفتت المنفعة به عند الحاجة إليه"⁽¹⁹⁾.

وقد نعى الإمام الشاطبي على فئة من المتصدرين للتعليم والفتوى عرض المسائل العلمية العويصة على من ليسوا من أهلها، فيقول: "ويتصور ذلك فيمن يتبجح بذكر المسائل العلمية لمن ليس من أهلها، أو ذكر كبار المسائل لمن لا يحتمل عقله إلا صغارها، على ضد التربية المشروعة، فمثل هذا يوقع في المصائب، ومن أجلها قال على رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يفهمون أحببون أن يكذب الله ورسوله؟ وقد يصير ذلك فتنة على

(16) الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، أبو الحسن علي القابسي، تحقيق: أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1986 (ص: 128).

(17) نفسه (8/ 238).

(18) النوازل الجديدة الكبرى، أبو عيسى سيدي المهدي الوزاني، صححه الأستاذ عمر بن عباد، منشورات وزارة الوفاق والشؤون الإسلامية - المغرب - 1996م (1/ 448).

(19) فتاوى الإمام الشاطبي (ص: 167).

بعض السامعين"⁽²⁰⁾. وقد علق مشهور بن حسن آل سلمان على كلام الإمام الشاطبي بقوله: "تلقين كبار المسائل لمن لا يحتملها عقله كانت إحدى الآفات التي نزلت بأسلوب التعليم في معاهدنا، فقتلت أوقاتنا نفيسة في غير سبيل الله، وعطلت قرائح كانت أحق بأن تسقى بتعليم سانخ فتوتني أكلها كل حين، وعلاج هذه العلة أن يعلم الأستاذ أن تمييز مراتب التلاميذ في الفهم وترشيحهم بمبادئ العلوم على حسب استعدادهم أعظم ثوابا في الدار الباقية، وأدعى لإجلال التلاميذ أنفسهم وإخلاصهم له من مضاجعتهم بالخوض في مسائل لا تسعها مداركهم"⁽²¹⁾.

وهذه المشكلة لم تعد اليوم مطروحة كما السابق، فغالب محاضن التربية اليوم هي تحت إشراف الدول والحكومات، التي تعطي أهمية بالغة للبرامج والمناهج الدراسية التي يتولى وضعها خبراء في المجال، فتأتي في الغالب وفق تدرج علمي لا يترك مجالاً أمام المعلم ليتصرف فيها بالحدف أو الزيادة والنقصان، بل تكون وظيفته الأساس تصريفها وفق ما هو مسطر في مذكرات ووثائق خاصة.

● **تفريد التعليم:** وهو أحد طرق التعليم الحديثة التي تعد التلميذ محور العملية التعليمية التعليمية، ومن مرتكزات هذه الطريقة مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين. إن أغلب النظريات التربوية اليوم ترى أن التعلم يتم عبر ايقاعات متعددة، فهو يختلف من شخص لآخر، وليس للمعلم أن يحمل الجميع على نسق واحد في التعلم، بل يلزمه التنوع في الصيغ والطرائق؛ لأن قدرات المتعلمين متفاوتة، وذكاءاتهم مختلفة.

لقد أولت أجوبة الفقهاء موضوع الفروق الفردية أهمية بالغة، واعتبرته أمراً مهماً لا يحسن بالمعلم تجاهله أو التقصير فيه. فمثلاً لا ينبغي للمعلم أن يجري تقويماً جماعياً لمكتسبات المتعلمين، حتى لا يعمي بعضهم على بعض، أو يختبئ بعضهم خلف بعض، فالتقويم الفردي يمكن المعلم من تتبع تحصيل كل فرد، ويتيح له التمييز بين المجد منهم، والمعتدل، والضعيف.

هذا إذا لم يطمئن إلى ضبطهم وتحصيلهم، أما إذا اطمأن إلى ذلك فقد أفتى القاضي أبو عثمان سعيد العقباني بالجواز. فضي المعيار أنه سئل عن معلم يعرض الصبيان عشية الأربعاء، هل يعرضهم اثنين أو ثلاثة خشية أن لا يستوعبهم في الجمعة أو أفراداً؟ فأجاب: "إن كان على يقين من حفظهم أرجو أن لا يكون بذلك بأس، وإن لم يكن على يقين من حفظهم... فأرى أن يمنهم من العرض ويأخذهم منفردين"⁽²²⁾.

والمسألة نفسها تقرئياً عرضت على الإمام القاسبي، فقد سئل: هل يجوز اجتماع الصغار والبالغين يقرؤون في سورة واحدة، وهم جماعة على وجه التعليم؟ فلم يجبه هذا المسلك، وعلل ذلك بأن "اجتماعهم على القراءة يخفي عليه القوي الحفظ من الضعيف، ولكن إن كانوا من ذلك لهم خفة، فيخبرهم أنه سيعرض كل واحد منهم في حربه، مما يكون منه من غير تقصير تهديداً يهددهم بذلك"⁽²³⁾.

● **مواكبة المتعلمين وتتبعهم وتصحيح أخطائهم:** فضي نوازل العلمي أن فقيها سئل عن المعلم هل يلزمه أن ينظر في ألواح الصبيان: هل فيها خطأ في الأحرف أم لا؟ فأجاب: "يجب عليه أن ينظر في ألواحهم، وإصلاح ما فيها من الخطأ، وشرطه عدم النظر خطأ لا يجوز"⁽²⁴⁾.

(20) الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عصفان - الجزيرة/ مصر، ط1، 1417هـ/ 1997م (1/ 124).

(21) نفسه (هامش رقم: 3).

(22) المعيار (8/ 239).

(23) نفسه (8/ 249).

(24) نوازل العلمي، (2/ 277).

وهذا شبيه بما يقوم به المعلمون اليوم من النظر في كتب المتعلمين، أو المذكرات التي يدونون فيها دروسهم، أو تتبع الأعمال المنزلية التي تطلب منهم، فهذا يدخل في صميم عمل المعلم، وقد ميز الفقيه عبد القادر القاسي بين الصغار والكبار، بقوله: "إن نظر المعلم في ألواح الصبيان، وإصلاح ما فيه من الخطأ لازم له"⁽²⁵⁾. وقد علل ذلك بأنهم "إذا كبروا وربوا على الخطأ، عسر زواله، وصعب تقويمه"⁽²⁶⁾. أما الطلبة الكبار فلا إشكال عنده في ترك النظر في ألواحهم.

والحد عندي اليوم بين الصغار الذين يجب النظر لهم، والكبار الذين لا يجب لهم شيء، أن تلاميذ مرحلتي الابتدائي والإعدادي هم من الصغار الذين تكثر منهم الأخطاء؛ لذلك فعملهم هاتين المرحلتين مطالبون بتفقد أخطائهم وتصحيحها، أما الكبار فهم - بحسب رأبي - تلاميذ الثانوي وطلبة الجامعات الذين هم في غنى عن من يتفقد مكتوباتهم، أو ينظر فيها بقصد الضبط والتصحيح.

المبحث الثاني: أحوال المتعلم، وبعض حقوقه من خلال فقه النوازل:

وكما اعتنى الفقهاء في أجوبتهم بالمعلم، وبيّنوا صفاته العلمية والخلقية، وكل ما يتصل به، فإنهم كذلك اهتموا بالمتعلم، فذكروا له جملة من الحقوق والأحوال، وكان غرضهم ضمان حقه في تعلم جيد يلائم عقله، ويسهل عليه الفهم والإدراك، فجاءت إسهاماتهم وافرة في هذا الباب.

وسأورد فيما يلي بعضاً من هذه الحقوق والأحوال:

أولاً: حقه في التعلم والتدريس: لقد تضمنت أجوبة الفقهاء إشارات مستفيضة، فيها دعوة إلى رعاية الأبناء وتعليمهم العلم النافع، بل كثيراً ما يتعدى الأمر الآباء إلى من يقوم مقامهم من الأولياء، أو الأوصياء، أو جماعة المسلمين.

ومن النوازل التعليمية في هذا الباب نازلة بعنوان: هل يجبر الأب أو الوصي على تعليم الصبي والصبية؟ ففى المعيار: وسئل⁽²⁷⁾ هل على الرجل أن يجعل ابنه في الكتاب ويجبره القاضي، الذكر والأنثى سواء؟ فإن لم يجبر هل يوعظ؟ وهل الوصي كالأب في الجبر أم لا؟ فإن لم يكن وصي فهل ذلك للإمام أو الوالي أو للمسلمين من ماله إن كان أو على المسلمين إن لم يكن؟ أو على المعلم بغير شيء؟ وهل إن امتنع الأب يسجنه الإمام أو يضربه على ذلك؟ وهل تقوم الجماعة مقام الأب في جبره إن لم يكن أم لا؟ فأجاب بقوله صلى الله عليه وسلم: [خيركم من تعلم القرآن وعلمه]⁽²⁸⁾ يشمل الوالد بتعليمه ولده إياه ولو بأجرة تعليمه العلم⁽²⁹⁾.

ولقد كان الإمام ابن سحنون أكثر وضوحاً في هذه المسألة، إذ ذهب إلى أن تعليم الصبيان هو أفضل أنواع العبادات، بل هو أفضل من الحج والرياء والجهاد. ففى جوابه لأب كان ابنه يطلب العلم، وتولى هو العمل بنفسه؛ لئلا يشغله عن طلب العلم. قال له: "أجرك في ذلك أعظم من الحج والرياء والجهد، وقال: إن ترك الأب تعليم ولده القرآن لشح قبح فعله"⁽³⁰⁾.

(25) نفسه.

(26) نفسه.

(27) هو الإمام القاسي.

(28) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط1، الطبعة: الأولى، 1422هـ، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، حديث رقم: 5027 (6/192).

(29) المعيار (8/249.250).

(30) نفسه.

وهذا ينم عن مستوى النضج العلمي والحضاري لدى الفقهاء، فلقد كانوا على وعي بأن نهضة الأمة وتقدمها منوط بتعليم أطفالها، لأجل ذلك حثوا على تعليم الأبناء والبنات - رجال ونساء المستقبل - الذين سيضيقون غدا درب الأمة في رحلتها الخالدة، ويوجهون بوصلتها في رحلة التمدن والحضارة.

ثانياً: ضبط عدد المتعلمين: من أجل ضمان تلقي تعليم جيد، فقد كان بعض المعلمين يشترطون عدداً معيناً من المتعلمين لا يزيدون عليه، وهذا أدعى للضبط والإتقان؛ لأن الاكتظاظ عائق للمعلم والمتعلم على السواء، وقد حصر البعض العدد في ثلاثين. ذكر البرزلي في نوازله أن أبا العباس السقطي كان لا يزيد عن ثلاثين صبياً؛ لأنه يرى أنه لا يقوى على أكثر منهم⁽³¹⁾.

وقد منع القاضي أبو عثمان سعيد العقباني أن يشترط المعلم على الأبناء أن يقرئ من شاء من الصبيان دون عدد محدد، لما يقضي إليه - في الغالب - من التقصير⁽³²⁾.

ثالثاً: احترام الزمن المدرسي للمتعلم: وهو الزمن المخصص للتعليم، إما بالاتفاق بين المعلمين والأبناء، كما هو الحال اليوم في رياض الأطفال، أو الذي تحدده الدولة في التعليم النظامي، وليس للمعلم أن يهدر منه شيئاً، إذ ما يتقاضاه من الأجر إنما هو نظير ما يؤديه من التعليم، وهو مستأمن عليه لا تبرأ ذمته إلا بأدائه على الصفة المحددة، ولو اطاع على ما يفيد منه التقصير، كان للأب الرجوع عليه بجزء من الثمن مقابل ما حصل منه من تقصير، وقد دأبت الحكومات اليوم على خصم جزء من رواتب المعلمين، إذا تخلضوا عن وظائفهم دون موجب؛ ونتيجة لذلك أفتى بعض الفقهاء بمنع المعلمين من التلبس ببعض الأعمال في وقت التعليم، كالصلاة على الجنائز، وعبادة المرضى، وشهود عقد النكاح والبيوع⁽³³⁾. ومنع بعضهم التدريس بموضوعين مختلفين كبديلين متتابعين؛ لأنه باعث على الغيبة عن واحدة منهما⁽³⁴⁾. واستثنوا من ذلك حالات خاصة أجازوا فيها للمعلم التغيب مع استنابة غيره بأجر أو دونه، فيحل محله، كمن مرض أو خرج في سفر ضروري مدة يوم أو يومين أو نحوهما⁽³⁵⁾. ومن اشتغل بأموره الخاصة لزمه أن يوفي بما غاب، بل واشترط بعضهم التعويض قبل الانشغال بشؤونه، وهو ما يعرف اليوم بالتعويض القبلي.

رابعاً: ضرب المتعلمين وزجرهم: تزخر كتب النوازل بالإشارات الدالة على أن زجر الصبيان وضربهم كان أمراً مألوفاً، وقد تنوعت المسائل في ذلك بين من يسأل عن مشروعية الضرب، وحده، ومقداره، وموضعه، والخطأ فيه، وغيرها، وسأورد فيما يلي بعضاً من العناوين التي وردت في موضع واحد من كتاب المعيار، وهي:

- معلم أراد ضرب صبي، فجازت إلى آخر⁽³⁶⁾.
- هل يضرب ابن خمس سنين من الصبيان، أو أقل، أو أكثر؟⁽³⁷⁾
- صفات المعلم وطريقة ضربه للصبيان⁽³⁸⁾.
- إذا ضرب المعلم الصبي فمقاً عينه، أو كسر ساقه⁽³⁹⁾.

(31) جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام المشهور، أبو القاسم البرزلي، تحقيق وتقديم: الأستاذ محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت/ لبنان، ط1/ن 2002م (3/ 581).

(32) المعيار (8/ 240).

(33) جامع مسائل الأحكام (3/ 580).

(34) النوازل الجديدة الكبرى للوزاني (1/ 448).

(35) جامع مسائل الأحكام (3/ 580).

(36) المعيار (8/ 242).

(37) نفسه (8/ 245).

(38) نفسه (8/ 250).

(39) نفسه.

- هل يضرب المعلم الصبي ثلاثا على خطأ في أحرف القرآن؟⁽⁴⁰⁾
- يضرب من عظم جرمه من الصبيان بالعصا في رجله⁽⁴¹⁾.

هذه المسائل وأمثالها كثيرة جدا في كتب النوازل، وهي تنبئ أن الضرب كان أمرا شائعا، وبالرغم من إقرار كثير من الفقهاء المعلمين على الضرب، واقتانهم بجواز ذلك، إلا أنهم في أجوبتهم لم يتركوا ذلك مطلقا دون قيود، فالمعلم إذا ضرب لا يؤلم، ولا يتعدى إلى التأثير المستبشع أو الموهن المضر، ولا ينيب عنه الصبيان في الضرب لما في ذلك من بث الشحنة بينهم، ولا يضرب على الرأس والوجه، وإذا ضرب ففي الساق؛ لأنه آمن وأحمد للسلامة⁽⁴²⁾.

وإذا تجاوز المعلم ذلك فألحق ضررا بالمتعلم، كأن يسبب له كسرا في يده أو رجله، أو أحدث عاهة في عينه، فإن الفقهاء يلزمونه بالدية⁽⁴³⁾. بل إن الإمام مالكا حكم عليه بالقصاص، وفي ذلك يقول كما في المعيار: "وإن ضربه باللوح أو بالعصا فقتله فعليه القصاص؛ لأنه لم يؤذن له في الضرب بعصا ولا لوح"⁽⁴⁴⁾.

ولقد انتقد علماء كثر أسلوب الزجر والعقاب، ومن هؤلاء ابن خلدون إذ يقول: "وذلك أن إرهاف الحد بالتعليم مضر بالمتعلم، سيما في أصاغر الولد؛ لأنه من سوء الملكة. ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين، أو المماليك، أو الخدم، سطا به القهر، وضيق عن النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاها إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقا، وفسدت معاني الإنسانية التي له"⁽⁴⁵⁾.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا الكريم، والحمد لله رب العالمين

(40) نفسه (8 / 255).

(41) نفسه (8 / 256).

(42) المعيار (8 / 250).

(43) نفسه.

(44) نفسه.

(45) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط/ 1988م (ص: 743).

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. آداب المعلمين، محمد بن سحنون، مراجعة وتعليق محمد العروسي المطوي، مكتبة الفقه الإسلامي تونس، دون طبعة، 1972م.
3. تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: مناهجه وأساليبه، رشدي أحمد طعيمة، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، مصر، ط/1، 1989م.
4. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط/2، 1988م.
5. الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، أبو الحسن علي القاسبي، تحقيق: أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، ط/1، 1986م.
6. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط/1، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
7. فتاوى الإمام الشاطبي، تحقيق محمد أبو الأصفان، مكتبة العبيكان . الرياض . ط/4، 2001م.
8. فقه النوازل في سوس قضايا وأعلام، الحسن العبادي، منشورات كلية الشريعة بأكادير، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط/1، 1999م.
9. القاموس المحيط، أبو طاهر مجد الدين الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ط/8، 1426هـ .
10. لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، مادة (ربا) دار صادر - بيروت، ط/ الثالثة - 1414 هـ.
11. مدخل إلى علم التدريس، محمد الدريج، قصر الكتاب، المغرب ط/1، 2000م.
12. المدخل لابن الحاج، أبو عبد الله محمد (ابن الحاج)، دار التراث . القاهرة . دون طبعة ولا تاريخ.
13. المعيار المعرب والجامع المغرب، أبو العباس أحمد الونشريسي، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، دار الغرب الإسلامي . بيروت / لبنان . دون طبعة، 1981م.
14. الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان . الجيزة/ مصر، ط/1، 1417هـ/ 1997م.
15. نظرات في النوازل الفقهية، محمد حجي، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط/1، 1999م.
16. النوازل، أبو الحسن علي بن عيسى العلمي، تحقيق المجلس العلمي / فاس، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية/ المغرب، 1986م.
17. النوازل الجديدة الكبرى، أبو عيسى سيدي المهدي الوزاني، صححه الأستاذ عمر بن عباد، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب . 1996م.

المشكلات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة المتزوجة

دراسة ميدانية على عينة من العاملات بمستشفى جالو المركزي

إعداد:

حميدة حمد خيرواجد البطران
كلية الآداب والعلوم - الواحات - جامعة بنغازي

القبول: 2023/6/29

الاستلام: 2023/5/13

○

○

المستخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على المشكلات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة المتزوجة بمستشفى جالو المركزي بمنطقة جالو، ومعرفة الصعوبات والعراقيل التي تواجهها، وأهم الدوافع والأسباب التي أدت إلى خروجها لمجال العمل، وأعدمت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، واستخدام العينة القصدية (العمدية)، وتكونت عينة هذه الدراسة من (50) امرأة عاملة، وتوصلت الدراسة الحالية الى النتائج التالية: أن العاملات يعانين من مشكلات اجتماعية وتنظيمية تؤثر على أدائهن في العمل، ولديهن صعوبة في عدم توفير الرعاية اللازمة لأبنائهن خلال فترة الدوام، وأن أغلب المبحوثات لديهن دوافع تعليمية واقتصادية ونفسية دفعتهن للعمل خارج المنزل، وكذلك زيادة حجم الأسرة وتأكيد ذاتهن.

الكلمات المفتاحية: المشكلات الاجتماعية، المرأة العاملة المتزوجة، مستشفى جالو المركزي

Abstract:

Social Problems Facing Married Working Women

A Field study on a sample of female workers at Gallo Central Hospital

This study aimed to identify the social problems facing married working women at Jalu Central Hospital in Jalu area, and to know the difficulties and obstacles they face, and the most important motives and reasons that led to their exit to the field of work, and the study relied on the descriptive analytical approach, and the use of the intentional sample (intentional), and the sample of this study consisted of (50) working women, and the current study come up with the following results: Workers suffer from social and organizational problems that affect their performance at work, and have difficulty in not providing the necessary care for their children during the working period, and that most of the respondents have educational, economic and psychological motives that pushed them to work outside home, as well as increasing the size of the family and asserting themselves.

Keywords: Social problems, Married working women, Jalu Central Hospital

المقدمة:

يعتبر خروج المرأة للعمل بقطاع الصحة والمبيت والتناوب بالفترة الليلية ظاهرة جديدة في المجتمع الليبي، إذ لم يكن من المألوف أن تخرج المرأة لكسب الرزق شأنها شأن الرجل في هذا المجال، فالمرأة تمثل نصف المجتمع، ويقع عليها أسس كثيرة كتربية الأبناء وتنشئتهم ورعايتهم، إذ أنه في الماضي كانت تعاني من مشكلات عديدة لنظرة المجتمع لها، وتمييز الرجل عنها ومنعها من الخروج إلى العمل؛ بحكم اختلاطها بالرجل؛ فكانت نظرة المجتمع تحتم على عدم خروج المرأة للعمل.

"فتعليم المرأة لم يعد مجرد طريقة لتلبية الاحتياجات الاقتصادية ورفع المستوى الاقتصادي، بل أصبح من أولويات حياة المرأة وخاصة بعد استكمال مرحلة التعليم الجامعي، وإن تعليم المرأة ونوع التعليم، وكيفية ومتطلبات الحياة الاجتماعية، هي التي تؤهل المرأة للعمل وتهد لها الطريق للخروج من المنزل، ولكن المرأة تواجه دائما صعوبة في كيفية التوفيق بين عملها وبين المنزل"⁽¹⁾.

فالأم العاملة أصبحت تقوم بدورين بعد خروجها للعمل خارج المنزل، وظيفية فعليه تقوم بها داخل المنزل، وواجبات تتحملها أمام زوجها، ومسؤوليات اجتماعية وتربوية مختلفة تضعها أمام واقع ومهام غالبا ما ينشأ عنها الكثير من المشكلات والمعوقات التي تترك أثارا سلبية على الاستقرار الأسري وتماسك الأسرة وتربية الأبطال.

مشكلة الدراسة:

رغم امتلاك المرأة للمؤهلات العلمية والكفاءة العالية ودخولها في كثير من مجالات العمل إلا أنها مازالت تواجه الكثير من الصعوبات والمشكلات في عملها، وتظهر مشكلة الدراسة في المشكلات التي تواجه المرأة العاملة المتزوجة في التوفيق بين عملها وواجباتها الأسرية.

فمشاركة المرأة اللببية في القوى العاملة والقطاع الإنتاجي يعتبر شيئا جوهريا في حياتها، ولكن نتيجة للتغيرات التي حدثت، أصبح هناك من يشجع خروج المرأة إلى العمل، كما يشجعها على التعليم وعلى حقوقها السياسية والاجتماعية، ولقد كان لهذه التحولات الاقتصادية والاجتماعية تأثيرها الواضح على وضع المرأة اقتصاديا واجتماعيا؛ مما أدى إلى وجود العديد من المشكلات التي تعرضت لها من خلال ذلك العمل وخاصة في مجتمع الواحات، مما يترتب عليها من أثار نفسية واجتماعية واقتصادية نتيجة خروجها من المنزل. وتنطلق الدراسة من التساؤلات التالية:

س1 - ماهي المشكلات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة المتزوجة بمستشفى جالو المركزي؟

س2- ماهي الصعوبات التي تواجه المرأة العاملة المتزوجة بمستشفى جالو المركزي؟

س3- ما هي الأسباب التي أدت الى خروج المرأة المتزوجة للعمل؟

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة الى تحقيق الآتي:

1. التعرف على المشكلات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة المتزوجة بمستشفى جالو المركزي.

2. التعرف على الصعوبات التي تواجه المرأة العاملة المتزوجة بمستشفى جالو المركزي.

(1) حمد إبراهيم، علم الاجتماع العائلي، دار جامعة الأزهر، الطبعة الاولى، 1997، ص 110.

3. التعرف على الأسباب التي أدت إلى خروج المرأة العاملة المتزوجة للعمل.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة في أنها:

1. تلقي الضوء على أهم الصعوبات التي تواجه المرأة العاملة المتزوجة، وتسعى إلى مساعدة المرأة العاملة للتوفيق بين واجباتها المنزلية، ومدى تأكيدها على ذاتها.
2. المساهمة في تغيير المفاهيم السالبة عن عمل المرأة وذلك من خلال دعمها من قبل المجتمع.
3. توعية أفراد المجتمع بأهمية دور المرأة في المشاركة الفعالة المتوافقة بين الرجل والمرأة داخل المجتمع عامة وداخل المنزل خاصة.
4. مساعدة المرأة العاملة المتزوجة في مواجهه جميع الصعوبات التي تعوق عملها داخل المستشفى.

مصطلحات الدراسة:

تعريف المشكلات: هي المواقف التي ينظر إليها المجتمع باعتبارها مصدر يخالف القيم، وتعرف بأنها موقف اجتماعي يقضي تغيير إلى الأفضل.⁽²⁾

التعريف الإجرائي للمشكلات الاجتماعية: هي الظروف التي تحيط بالمرأة العاملة المتزوجة بمستشفى جالو المركزي والتي تجعلها غير قادرة على تادية عملها بأكمل وجه والتكيف معه.

المرأة العاملة المتزوجة: هي التي تعمل خارج نطاق المنزل وتحصل على أجر مقابل مادي، وتقوم في حياتها بدورين أساسيين، دورها ك ربه بيت ودورها كموظفة.

التعريف الإجرائي للمرأة العاملة: هي المرأة التي تخرج من بيتها بإرادتها أو تخرجها حاجة المجتمع من أجل العمل داخل مجتمع الواحات.

حدود الدراسة:

تتمثل في المرأة العاملة المتزوجة داخل مستشفى جالو المركزي بمدينة جالو، سواء من العناصر الطبية أو الطبية المساعدة.

الإطار النظري:

المشكلات التي تواجهها المرأة العاملة:

1. مشكلات داخل نطاق العمل: وهي تتعلق بنوعية المشاكل التي تواجه المرأة العاملة داخل محيط المستشفى، فمعظم النساء العاملات في القطاع الصحي يعانين من مشاكل عديدة تؤثر على أدائها لمهامها، ومن بينها عدم المساواة بين الرجل والمرأة، المضايقات، وغياب التحفيز، والتعامل مع المواطنين، طول فترة الدوام.
2. مشكلة غياب الأم عن الأبناء لفترة طويلة: إن مسؤوليات الأم كثيرة داخل المنزل، منها الاهتمام والرعاية والحماية والسهر عند المرض والتربية والإرشادات، والنصيحة لأبنائها، ناهيك عن دورها اتجاه زوجها، بمعنى أن مسؤولياتها اجتماعية، وتربوية، وصحية وغذائية، لذلك على الأم العاملة أن ترعى أطفالها وتربيهم تربية صحية. لأن غيابها عن المنزل لفترة طويلة يؤثر سلباً على الأبناء.
3. المشكلات الناجمة عن التداخل بين مسؤوليات المرأة: أن عمل المرأة ومساهمتها في

(2) إبراهيم مذكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1975.

التنمية واتساع نشاطها وخروجها عن إطار الواجبات والمهام الأسرية، يؤدي إلى تغيرات نوعية في العلاقات الأسرية وعلاقات الإنتاج في المجتمع، واختيار المرأة لدورها في الحياة، الذي أصبح معتادا إلى حد كبير، وذلك لتعرضها لضغوط عديدة، فهي من ناحية تخضع لضغط التقاليد والطبيعة البيولوجية التي تدفعها إلى الأعمال المنزلية والأمومة، ومن ناحية أخرى تنجذب إلى الفرص التي أصبحت متاحة أمامها في عالم الوظيفة والعمل والأجر، ويواجه اختيار المرأة للعمل مجموعة من العقبات نتيجة لأربعة عوامل هي (الزواج، الأعمال المنزلية، إنجاب الأطفال وتربيتهم، الوظيفة) وعند قيام الزوجة بكل هذه الأدوار يخلق لديها مشكلة وصراعات بينها وبين زوجها.

4. مشاكل على الصعيد الشخصي: إن التحرر الجزئي للمرأة الذي ظهر في انتقالها من مجرد حارسة للبيت إلى أن تصبح منافسا قويا للرجل في ميادين الصناعة، والتجارة وغيرها من المهن، كانت له انعكاسات إيجابية بناءة، وأخرى سلبية هدامة في شخصيتها، فمن الناحية الإيجابية أن العمل يساعدها على القيام بدور في المساهمة بتطوير المجتمع وتطوير شخصيتها سيكولوجيا واجتماعيا.⁽³⁾

دوافع وأسباب خروج المرأة للعمل:

ركزت الباحثة على العوامل الأساسية التي دفعت بالمرأة للخروج إلى ميدان العمل، وتتمثل هذه الدوافع في ما يلي:

1- الدافع الاقتصادي: خروج المرأة للعمل ضرورة استلزمته الحاجات المتزايدة للمجتمع، وأن أعباء المعيشة وغلائها من جهة والتطلع إلى مستوى أفضل للحياة من جهة أخرى دفع بالمرأة إلى الخروج عن إطارها التقليدي، والمتمثل في دور المنجبة والمربية والراعية لشؤون أسرتها.⁽⁴⁾

وهذا ما أكدته تماضر حسون في دراسة لها "حول تأثير عمل المرأة على التماسك الأسري"، توصلت فيها إلى أن الرغبة في زيادة الدخل الأسري وتحسين المستوى المعيشي كان السبب الرئيسي الذي دفع أغلبية السيدات لمزاولة عمل مأجور خارج المنزل، خاصة اللواتي ينتمين إلى طبقات ذات دخل منخفض ومتوسط.⁽⁵⁾

تري الباحثة ان الدافع الاقتصادي يعتبر من أقوى الأسباب التي تؤدي الى خروج المرأة للعمل، فالحاجة الاقتصادية وقوتها الملحة لكسب المال وحاجة الأسرة للاعتماد على دخل المرأة في حالة عدم وجود مصدر آخر هو الذي يدفعها للعمل خارج المنزل.

2- الدافع الاجتماعي: الدوافع الاجتماعية تؤدي دورا مهما في تحفيز المرأة ودفعها نحو العمل، وذلك لإيمان المرأة بأهمية العمل في حياة الإنسان، أو شعورها بوقت فراغ لديها يمكن أن تقصيه بالعمل، كما تنظر بعض الموظفات إلى المساواة مع غيرها في العمل، ويطمح البعض للحصول على مركز اجتماعي أعلى لتحقيق الذات من خلالها، فتشجيع الأزواج لزوجاتهم للعمل خارج المنزل له أهمية في هذا المجال، ويمكن حصر الدوافع الاجتماعية في (ارتقاء مستوى تعليم المرأة، الطلاق أو وفاة الزوج، ارتقاء حجم الأسرة).⁽⁶⁾

(3) محامدية وبوطوطن، المرأة العاملة والعلاقات الأسرية، الملتقى الوطني الثاني حول الاتصال وجود الحياة الأسرية، ابريل، قسم العلوم السلوكية، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، الجزائر، 2013.

(4) كاميليا عبد الفتاح، سيكولوجية المرأة العربية، دار الثقافة العربية للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1972، ص85.

(5) تماضر حسون، تأثير عمل المرأة على التماسك الأسري في المجتمع العربي، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1993، ص50.

(6) آسيا كاظم فرحان، دور المرأة في النشاط الاقتصادي مع التركيز على المرأة الريفية، رسالة ماجستير المستنصرة، بغداد، 1980، ص222.

3- الدافع التعليمي: إن الأسرة قد أولت اهتماماً كبيراً وجهوداً معتبرة بالنسبة لتعليم المرأة وتكوينها، حيث أصبح تعليمها حتمية لا مفر منها لإخراجها من بؤرة الأمية، ولهذا كان لانتشار التعليم على نطاق واسع أثر في قلب المعايير التي كانت سائدة من قبل ففرض عمل المرأة ترتبط بمستواها التعليمي وخاصة في مجال الطب، وتندفع للبحث عن عمل مهني مناسب لشهادتها الدراسية.

4- الدافع النفسي: وتتمثل الدوافع النفسية التي تدفع المرأة للعمل في الآتي:

- أ. وجود وقت فراغ: فأغلب النساء تعاني من وجود وقت فراغ، لاسيما في ظروف عدم الإنجاب وغيرها مما يدفع المرأة الى العمل من أجل سد وقت فراغها.
- ب. عدم وجود معيل للأسرة: قد تضطر المرأة للبحث عن عمل، والخروج في ظروف غير مناسبة، بسبب الأحوال المعيشية الصعبة للأسرة، مثل عدم وجود مصدر دخل في الأسرة لسبب أو لآخر، وعدم وجود معيل لها، بسبب الطلاق أو وفاة الزوج أو مرض يمنعه من العمل، أو عدم رغبة الزوج بالعمل والاعتماد على الزوجة، بعض الدراسات تشير إلى الارتضاع المتزايد للأسر التي تعيلها النساء والأمهات لأسباب تتعلق بموت الزوج أو الطلاق أو الهجرة أو الانفصال أو تعدد حالات الزواج.
- ج. بطالة الزوج أو توقفه عن العمل: فالبطالة المؤقتة أو الدائمة للزوج دور مهم في حياة الأسرة، وينعكس ذلك سلبا على أوضاعهم الاقتصادية والنفسية، فتوقف الزوج عن العمل يشكل ظرفا قاهرا يرغم بعض النساء المتزوجات على العمل.

الصعوبات والمعوقات التي تواجه المرأة العاملة:

1. عدم وجود قطاع خدمات متطور لرعاية أبناء الأم العاملة.
2. ضعف التعاون بين الرجل والمرأة داخل الأسرة.
3. ضعف استيعاب بعض الرجال لدور المرأة في العمل.⁽⁷⁾
4. ربط العمل بالحاجة المادية.
5. ضعف وسائل الإعلام في إبراز أهمية المرأة.
6. التمييز بين الرجل والمرأة في الترشيح والترقيات.
7. عدم وجود الحوافز المادية لبعض المهن.
8. العادات والتقاليد التي تجعل المرأة تابعة للرجل كان أبا أو زوجا أو أخا وخاصة في المناطق الريفية.
9. قلة فرص التطوير والتدريب للمرأة.⁽⁸⁾

الآثار المترتبة على خروج المرأة للعمل:

هناك مجموعة من الآثار ناجمة عن صراع الأدوار التي تعيشها المرأة العاملة خارج البيت وهي:

1- الآثار الإيجابية: فالمرأة تستطيع أن تحقق ذاتها وشخصيتها ووجودها من خلال العمل، فالعمل يعطيها استقلاليتها المادية، ويساهم في تنمية قدراتها الشخصية، فالقيام بالعمل يشعر المرأة بالرضا والسرور والنجاح، وكذلك يساهم في تحسين الصحة النفسية للمرأة.

(7) مليكة عبد العالي، تأثير العوامل الديموغرافية والاقتصادية في عمل المرأة، جامعة حلب، سوريا، 1989، ص43.

(8) لؤلؤة عبدالله خليفة، الأسرة الخليجية معالم النغير وتوجهات المستقبل، مطابع البيان التجارية، الطبعة الاولى، دبي، 1996، ص193-195.

ففي دراسة قامت بها "فريدة صادق زوزو" حول أثر عمل المرأة خارج البيت على استقرار بيت الزوجية بماليزيا، أشارت إلى أن من أهم الآثار الإيجابية لعمل المرأة خارج بيتها هي: (المساهمة في تنمية الوطن- المساهمة في الدخل- المشاركة في الأعباء المالية للزوج).⁽⁹⁾

2- الآثار السلبية: المرأة المعاصرة خرجت للعمل مدفوعة بعدة عوامل (اقتصادية واجتماعية ونفسية) وأصبحت تواجه عددا كبيرا من العوامل المتغيرة المحيطة بها، مما جعل دورها (خروجها للعمل) يعود بالسلب على نفسياتها ويسبب لها الكثير من المتاعب النفسية كالقلق والاكتئاب؛ وتؤدي بها في النهاية إلى حالة الاضطراب إذا كانت أما لأطفال صغار، فهي تدفع ثمن عملها من راحتها وأعصابها.

3- أثار عمل المرأة على نفسها: أن المرأة العاملة بسبب كثرة المسؤوليات الملقاة على عاتقها فإنها تصاب بالإرهاق المؤدي إلى الضغط النفسي.⁽¹⁰⁾

فالعمل الروتيني الممل أو العمل القاسي الصعب وخاصة في المستشفيات، يساهم بشكل سلبي على صحة المرأة النفسية، كما يعمل على تشتيت جهدها، وعدم ضبط النفس، وفقدان لقدرتها على التركيز والقلق المستمر الذي تعيشه معظم العاملات. فقد ظهرت تيارات تنادي بفكرة أن المرأة مملكتها البيت والرجل له المجال الخارجي، إذ ينظر إلى توظيف النساء كخطر يهدد المستويات الأخلاقية والأسس الاقتصادية للأسرة، والاحترام الذاتي للرجال.⁽¹¹⁾

من وجهة نظر الباحثة أن الدعم النفسي من قبل الأسرة وخاصة الزوج له دور كبير في التغلب على الصعاب والضغوطات النفسية التي تتعرض لها المرأة العاملة، وذلك من خلال تقديم المساعدة لها سواء بالاحتياجات داخل المنزل أو خارجه، فمن خلال ذلك الدعم تستطيع المرأة أن تقوم بعملها بأكمله وجهه، والسيطرة على جميع الظروف التي تحيط بها، لأن للمحيط الاجتماعي دور كبير في تقديم المساعدة للمرأة العاملة عن طريق التحفيز والتشجيع والدوافع للاستمرار في العمل، والإمساك بالاستسلام والتوقف عن أدائها لعملها.

4- أثار عمل المرأة على الزوج: جاء الإسلام مؤكدا حقوق الزوج بصورة واضحة وصريحة على وجوب طاعته وعدم إهمال حقه بأي حال من الأحوال من قبل الزوجة، فقد تعرض لها أسباب أو تخدعها مغريات فتهمل حقه، ويعد العمل أحد الأسباب الرئيسية في انشغال المرأة عن أداء واجبها تجاه زوجها، وإعطائه حقه كما أن انشغالها لفترات طويلة في العمل يؤدي إلى شعورها بالتعب ورغبتها في الراحة عندما تعود الى المنزل. فعدم قدرتها على التحدث معه يؤدي إلى التباعد بين الزوجين.⁽¹²⁾

5- أثار عمل المرأة على الأبناء: تواجه المرأة العاملة عدة عوائق، ولكنها لا تحول دون عملها فهي صعوبات تعرقل مسار العمل، ولكن يمكن إيجاد الحلول لها أن كانت عازمة الإرادة على التحدي، ومن أهم هذه العوائق الشعور بالذنب تجاه أطفالها، وبالتالي تحاول تعويضهم لقضاء أوقات أطول معهم، والاهتمام بدراساتهم.⁽¹³⁾

(9) فريدة صادق زوزو ماليزيا، تاريخ الدخول 2022 / 12 / 18، على الموقع www.lahaonline.com

(10) فرانس كيري، دور الافكار في تطور الاسرة الغربية، الاصاله، محاضرات ملتقى الفكر الاسلامي، الجزء الثاني، وزارة، الشؤون الدينية، باتنة 1988، ص 309.

(11) سميرة حرفوش واخرى، تحديات الاحتياجات التدريبية للقوى العاملة النسائية السعودية في الاجهزة الحكومية، المركز العربي للدراسات الامنية، الرياض 1961ص، 30.

(12) عاجب أبو مدين، الآثار الاسرية والاجتماعية المترتبة عن عمل المرأة خارج البيت، جامعة وهران، 2017، ص13.

(13) انور حسن حسين، اثر عمل المرأة في تماسك الاسرة وتنشئة الاطفال، دراسة حالة بوحدة الحاج يوسف، مجلة الدراسات العليا جامعة النيلين(ع37-2)، السودان، 2017، ص14

كما أن المشاكل التي تتعرض لها المرأة العاملة وأطفالها، تعتمد على نوعية المرأة ذاتها، ونوع علاقتها بهم، وكذلك طريقة رعايتها لهم ومدى واستمتاعها بعملها "فقد يدفعها خروجها للعمل حساب الوقت جيدا وتعليم الاطفال الاعتماد على أنفسهم، والنوم والاستيقاظ باكرا وتجهيز أنفسهم للذهاب إلى مدرستهم، وتجعلهم يعتمدون على أنفسهم، في واجباتهم المدرسية.

فعاظفة الأم تجاه أطفالها تدفعها إلى التعويض عن ساعات الغياب الطويلة التي يقون بها لوحدهم فتقابلهم بالحب واللمسة والشوق، وهذا يبني قنوات أفضل للتواصل ويزرع فيهم شعور الحب والطمأنينة والأمان بدلا من شعور الكره والضعف.

الدراسات السابقة:

دراسة سهام بنت خضر الزهراني (1432)⁽¹⁴⁾ بعنوان المعوقات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة في القطاع الصحي" هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على المعوقات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة في القطاع الصحي وهي المعوقات الاقتصادية والثقافية والأسرية والمهنية والذاتية، واستخدمت الباحثة منهج المسح الاجتماعي، واعتمدت في جمع البيانات على أداة الاستبانة كدراسة استطلاعية على مجموعة من الموظفات العاملات في المستشفيات، بلغ حجم عينة الدراسة (400) موظفة وتوصلت الدراسة إلى تأكيد دور المعوقات التي تواجه المرأة العاملة بالقطاع الصحي من خلال النتائج التالية: أن احتياجات أبناء الموظفات تؤثر على أدائهن لعملهن بالمستشفى يمثل ازدواجا في أدوارهن بين المنزل والعمل. وأن من بين الصعوبات للموظفة بالمستشفى تتمثل في الإختلاط، وكذلك صعوبة في ضعف الراتب، وأن طبيعة مهنتهن تختلف عن باقي العاملات في أي جهات حكومية أخرى. ومن الصعوبات أيضا التي تواجه المرأة السعودية الالتحاق بالعمل بالمستشفى والمناوبات الليلية لا يتوافق مع القيم السائدة في المجتمع السعودي وهذا أكثر الأسباب التي تؤدي في ترك الموظفة للعمل بالمستشفى نظام المناوبة الليلية.

دراسة هدى محمد السبيعي (2010)⁽¹⁵⁾ بعنوان المشكلات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة في بيئة العمل المختلطة" تهدف إلى التعرف على المشكلات الاجتماعية التي تواجه المرأة في بيئة العمل المختلطة، وانطلقت من فرضية مفادها أن المشكلات الاجتماعية تؤثر على المرأة العاملة في بيئة العمل المختلطة، وكذلك التمييز من المشكلات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة في بيئة العمل المختلطة، استخدمت الباحثة المنهج التحليلي بطريقة المسح الاجتماعي، قامت باختيار عينة عشوائية منتقاة بنسبة لا تقل عن 15% من النساء العاملات في كل مؤسسة من المؤسسات وتوصلت الدراسة إلى وجود مشكلات تواجه المرأة العاملة وكان أكثرها: التمييز بين النساء والرجال في الترقيات الوظيفية في بيئة العمل المختلطة، كذلك وجود دلالة المتغيرات الشخصية والاجتماعية للمرأة العاملة على أدائها في ماهية المشكلات المتعلقة ببيئة العمل المختلطة، وارتفاع نسبة المبحوثات اللاتي يرون أن مشكلات المرأة العاملة تحدث بسبب المديرين الذكور أو الاناث معا.

دراسة دلال اسعد عمار (2014)⁽¹⁶⁾ بعنوان عمل المرأة وعلاقته بالتوافق الزوجي" هدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين خروج المرأة للعمل وبين توافقها الزوجي لدى عينة

(14) سهام بنت خضر الزهراني(1432) المعوقات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة في القطاع الصحي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، جامعة عبدالعزيز، السعودية.
 (15) هدى محمد السبيعي (2010) المشكلات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة في بيئة العمل المختلطة، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الاجتماع، جامعة محمد بن سعود الإسلامية.
 (16) دلال أسعد عمار (2014) عمل المرأة وعلاقته بالتوافق الزوجي، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الانسانية، المجلد (36) العدد (4).

من النساء المتزوجات في محافظة اللاذقية، من العاملات وغير العاملات في القطاعين الحكومي والخاص، وتكونت عينة الدراسة من (200) امرأة (106) من العاملات و94 من غير العاملات) واستخدمت الباحثة مقياس التوافق الزوجي من إعدادها. وتوصلت الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائية بين متوسط درجات النساء العاملات ومتوسط درجات النساء غير العاملات في توافقهن الزوجي الكلي، ووجود فروق دالة إحصائية بين متوسط النساء العاملات في القطاع الحكومي وبين متوسط النساء العاملات في القطاع الخاص في توافقهن الزوجي ولصالح العاملات في القطاع الحكومي.

دراسة الصادق عثمان (2014)⁽¹⁷⁾ بعنوان "عمل المرأة خارج البيت وصراع الأدوار" هدفها معرفة الدور الذي يساهم في ترقية المرأة اجتماعيا من خلال تأثيرها على أهم العادات والتقاليد، كذلك معرفة العراقيل التي تتعرض لها المرأة على مستوى الأسرة. وتوعية المحيطين بالزوجة (الزوج والأبناء) بالصراعات التي قد تنشأ لديها بين واجباتها المختلفة تجاههم ولذلك يمكن دعمها وتقديم المساعدات لها للتخفيف من حدة صراع الأدوار لديها كما هدفت الكشف عن إمكانية توفيق المرأة بين عملها خارج المنزل والأعباء الأسرية بشكل عام. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وعينة عشوائية بسيطة تكونت من 65 عاملة متزوجة. توصلت الدراسة إلى أن العاملات يجدن تشجيع من أزواجهن وأسرن عن العمل، وأن العاملات يفضلن القيام بأدوارهن لوحدهن داخل البيت بمساعدة أزواجهن.

دراسة خولة بن بوزيد (2015)⁽¹⁸⁾ بعنوان "مشكلات المرأة العاملة وتأثيرها على الأداء الوظيفي"

تهدف إلى الكشف عن مدى أهمية المرأة في مجال العمل، والوقوف على أهم المعوقات أوائل مشكلات التي تؤثر على أداء المرأة العاملة. كما تبحث عن أهم العوامل التي تتولد منها هذه المشكلات. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، حيث بلغت حجم العينة المستخدمة في الدراسة (55) موظفة. توصلت الدراسة إلى أن المشكلات الاجتماعية والمشكلات التنظيمية تؤثر على الأداء الوظيفي. وأن التمييز هو أحد المعوقات التي تؤثر على الأداء الوظيفي وطول ساعات العمل يجعل من المرأة تحمل من مسؤولياتها تجاه أسرتها، وكذلك نظرة المجتمع سلبية لعملها وأدائها الوظيفي، والظروف الفيزيائية السلبية لها تأثير كبير على مردودية العمل.

دراسة إيمان سليمان حامد (2020)⁽¹⁹⁾ بعنوان "الأثار الأسرية الاجتماعية المترتبة على عمل المرأة المتزوجة" هدفت الدراسة للتعرف على الأثار الأسرية والاجتماعية الناجمة عن عمل المرأة المتزوجة، تكونت العينة من (125) امرأة متزوجة ممن لديهن أبناء، استخدمت الباحثة العينة الصدفية، واعتمدت على استمارة الاستبيان في جمع البيانات، وتوصلت الدراسة إلى: أن الأثار الأسرية المترتبة على عمل المرأة تراوحت بين الإيجابية والسلبية، وأن أغلب العينات لا يعانين من وجود مشاكل أسرية نتيجة عملهن، نظرا لتفهم الأزواج لظروف عملهن حتى قبل الزواج، مما جعله متقبلا لحياته معها، كما بينت النتائج أنهن يشكين من الإرهاق وتعدد المسؤوليات داخل البيت وخارجه مما يسبب لهن الضغوطات النفسية.

(17) الصادق عثمان (2014) عمل المرأة خارج البيت وصراع الأدوار، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم العلوم الاجتماعية.

(18) خولة بن بوزيد (2015) مشكلات المرأة العاملة وتأثيرها على الأداء الوظيفي، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع.

(19) إيمان سليمان حامد (2020) الأثار الأسرية الاجتماعية المترتبة على عمل المرأة المتزوجة، مجلة كلية الآداب، جامعة بنغازي، العدد (48).

وأن أغلب أفراد العينة لا يعانون من وجود تقصير مع الجبران، وأنهم لا يعتبرون عليهم إذا غابت عنهم فترة معينة، لتفهمهم لطبيعة عملها وارتباطها بمسؤوليات داخل البيت وخارجه.

التعقيب عن الدراسات السابقة:

لقد كشفت نتائج الدراسات السابقة أن هناك تشابه واختلاف فيما بينها، فمن ناحية الموضوع هناك اتفاق بين دراسة (سهام بنت خضر الزهراني، 1432) ودراسة (هدى محمد السبيعي، 2010) ودراسة خولة بن بوزيد، (2015) مع الدراسة الحالية، واتفقت دراسة (دلال اسعد عمار، 2014) ودراسة (الصادق عثمان، 2014) ودراسة (إيمان سليمان، 2020). ومن حيث الهدف فقد اتفقت دراسة كاميليا عبد الفتاح ودراسة سهام الزهري، ودراسة هدى محمد، ودراسة خولة بن بوزيد، مع الدراسة الحالية في معرفة المشكلات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة، ودوافع وأسباب خروجها للعمل، والمعوقات والنتائج المترتبة على خروجها للعمل. ومعظم الدراسات اعتمدت على استخدام المنهج الوصفي التحليلي كالدراسة الحالية، ودراسة الصادق عثمان، ودراسة خولة بن بوزيد، ودراسة دلال أسعد عمار، ودراسة إيمان سليمان. واختلفت مع دراسة سهام الزهري، ودراسة هدى السبيعي في استخدام منهج المسح الاجتماعي. اتفقت هذه الدراسة مع دراسة سهام الزهراني، ودراسة هدى السبيعي، ودراسة خولة بن بوزيد، ودراسة الصادق عثمان من حيث النتائج. واختلفت دراسة إيمان سليمان، ودراسة دلال أسعد عن باقي النتائج.

إجراءات الدراسة:

نوع الدراسة: تعتبر هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التي تمد الباحث بالمعلومات والبيانات والتي ترسم صورة عامة للظاهرة المدروسة.

منهج الدراسة: اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف الظاهرة وتحليلها وتفسيرها بناءً على البيانات التي تم جمعها.

مجتمع الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة من العاملات المتزوجات بمستشفى جالو المركزي البالغ عددهن (50) عاملة. تم أخذ جميع العاملات المتزوجات فقط بالكامل المترددات على المستشفى بشكل دوري.

عينة الدراسة: تكونت عينة الدراسة من العاملات المتزوجات والتي سبق لهن الزواج من المطلقات والأرامل ومعهن أطفال، واعتمدت الدراسة على العينة القصدية (العمدية)، ولأنها تضمن تمثيل شرائح المجتمع من حيث الخصائص العامة تتمكن من الحصول على بيانات ونتائج أفضل.

جدول رقم (1) يبين توزيع عينة الدراسة

النسبة المئوية	التكرار	الوضع الوظيفي
6%	3	إدارية
20%	10	طبيبة
50%	25	ممرضة
14%	7	مختبرات
10%	5	قابلة
100%	50	المجموع

المصدر: بيانات استمارة الاستبيان

يتضح من الجدول (1) أن أغلب المبحوثات من الممرضات حيث بلغت نسبتهن (50%) أي يمثلن نصف مجتمع الدراسة.

أداة الدراسة:

بعد الاطلاع ومراجعة عدة أدبيات ودراسات سابقة متعلقة بمشكلة الدراسة قامت الباحثة بإعداد استمارة استبيان خاصة بالعاملات اللاتي يواجهن مشكلات اجتماعية. حيث تكونت الاستمارة على (20) فقرة قسمت على عدة محاور الأول: يتعلق بالخصائص الخاصة بعينة الدراسة والثاني يتعلق بالمشكلات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة المتزوجة، والثالث يتعلق بالصعوبات التي تواجه المرأة العاملة المتزوجة، والرابع يتمثل في الدوافع والأسباب التي أدت إلى خروج المرأة للعمل.

يمكن تحليل نتائج الدراسة بالإعتماد على الاستبيان على النحو التالي:

أولاً: البيانات الأولية لخصائص مجتمع الدراسة:

الجدول (2) يوضح توزيع مجتمع الدراسة حسب متغير العمر

النسبة المئوية	التكرار(العدد)	الفئة العمرية
64%	32	الفئة الاولى من 20-40
36%	18	الفئة الثانية من 41-60
100%	50	المجموع

المصدر: بيانات استمارة الاستبيان

يتضح من الجدول (2) أن المبحوثات اللاتي أعمارهن من 20-40 بلغت نسبتهن 64%، أي إن أغلب المبحوثات من فئة متوسطي السن. ونعزي هذه النتيجة إلى أن هذه الفئة لديها القدرة على العمل المتواصل والمستمر نتيجة النشاط والطاقة والأكثر حيوية من الأعمار الأخرى.

الجدول (3) يوضح مجتمع الدراسة حسب متغير الدخل

النسبة المئوية	التكرار(العدد)	الدخل
70%	35	دخل منخفض من 500-900
30%	15	دخل عال من 1000-1500
100%	50	المجموع

المصدر: بيانات استمارة الاستبيان

يتضح من الجدول (3) أن 70% من المبحوثات بلغ الدخل الشهري لهن من 500-900 دينار وهو يعتبر دخل منخفض عند مقارنته بالدخل الثاني. فالعمل في المجالات الطبية يتميز بارتفاع الدخل لحاجة المجتمع الملحة للخدمات التي تقدمها هذه المهنة. وهذا ما يجعل العاملات في مثل هذا القطاع غير راضيات على تدني رواتبهن.

الجدول رقم (4) يوضح مجتمع الدراسة حسب متغير الحالة الاجتماعية

النسبة المئوية	التكرار(العدد)	الحالة الاجتماعية
66%	33	متزوجة
20%	10	مطلقة
14%	7	أرملة
100%	50	المجموع

المصدر: بيانات إستمارة الاستبيان

يلاحظ من الجدول (4) أن نسبة المتزوجات من المبحوثات بلغت %46 وهي تمثل أعلى نسبة مقارنة بالحالات الأخرى. وهذا ما يساعدنا في دراستنا الحالية في التعرف على المشكلات التي تواجه المرأة العاملة المتزوجة، فالمتزوجة دورها مضاعف عن دور المطلقة والأرملة وذلك بوجود الزوج وهذا ما يجعلها تواجه مشكلات ومعوقات تعبر عن طبيعة حالتها ما بين المنزل والعمل.

الجدول رقم (5) يوضح مجتمع الدراسة حسب متغير المستوى التعليمي

النسبة المئوية	التكرار (العدد)	المستوى التعليمي
48%	24	متوسط
52%	26	جامعي فما فوق
100%	50	المجموع

المصدر: بيانات إستمارة الاستبيان

يتبين من الجدول (5) أن أغلب المبحوثات مستوى تعليمهن جامعي فما فوق حيث بلغت نسبتهن %52 وهذا يوضح لنا أن المستوى التعليمي يرتبط بطبيعة العمل الذي يقوم به مجتمع الدراسة، فهذا المجال يحتاج إلى مستويات علمية متقدمة.

الجدول (6) يوضح مجتمع الدراسة حسب توقيت العمل

النسبة المئوية	التكرار (العدد)	توقيت العمل
44%	22	نهارى
26%	13	ليلي
30%	15	ورديات
100%	50	المجموع

المصدر: بيانات إستمارة الاستبيان

يتضح من الجدول (6) أن المبحوثات اللاتي يعملن في فترة النهار مثلت نسبتهن %44، نستنتج مما سبق إن أغلب المبحوثات يفضلن العمل بفترة النهار، وهذا يتيح أكثر حرية لهن ليتفرغن للعمل داخل المنزل، أما العمل الليلي والورديات يترتب عنه تبعات على الزوج والأبناء.

وأكدت دراسة سهام خضر أن من أكثر الأسباب التي تؤدي في ترك الموظفة للعمل بالمستشفى هو نظام المناوبة الليلية لأنه لا يتوافق مع القيم السائدة في المجتمع السعودي.

التساؤل الاول: ما المشكلات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة المتزوجة؟

جدول رقم (7) هل تواجهك مشكلات مع الزوج بسبب العمل؟

احتمالات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	21	42%
لا	29	58%
المجموع	50	100%

المصدر: بيانات إستمارة الاستبيان

يتبين من الجدول (7) أن أكثر من نصف مجتمع الدراسة لا تواجههن مشكلات مع الزوج بسبب العمل وقد بلغت نسبتهن 58%. ونستنتج مما سبق أن قناعات الأزواج قوية بعمل زوجاتهم وذلك نظراً لثقل الأعباء المادية عليهم وصعوبة العيش والمعيشة بأجر واحد، وهذا تطور جديد في عقلية أهل الريف ولم يكن موجوداً في السنوات السابقة.

جدول رقم (8) هل المناوبات الليلية تؤثر على حياتك الأسرية؟

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	37	74%
لا	13	26%
المجموع	50	100%

المصدر: بيانات إستمارة الاستبيان

يوضح الجدول رقم (8) أن أغلب المبحوثات أجبن (بنعم) أن العمل ليلياً يؤثر على الحياة الأسرية وخاصة بالالتزامات المنزلية فيما يتعلق بالزوج والأبناء والاهتمام بشؤونهم عند غيابها لفترات طويلة عن المنزل بسبب عملها بالمناوبات الليلية فنظام الدوام المطبق حالياً على المرأة العاملة غير ملائم لطبيعتها وظروفها ومسؤولياتها ويعتبر نظام عمل طويل يبعدها فترة طويلة عن المنزل وأن طول وقت الدوام الحالي يؤدي إلى انخفاض أداء وإنتاجية المرأة العاملة. وهذه النتيجة تتفق مع نتيجة الجدول رقم (6) عندما أكدن المبحوثات أنهن يفضلن الدوام النهاري أكثر من الليلي.

جدول رقم (9) هل تتلقين أي دعم من الأسرة المحيطة؟

احتمالات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	30	60%
لا	20	40%
المجموع	50	100%

المصدر: بيانات إستمارة الاستبيان

يلاحظ من الجدول (9) أن المبحوثات اللاتي يتلقين دعم من الأسرة المحيطة بلغت نسبتهن 60%، حيث يتلقين تشجيع ومساعدة من الأهل وخاصة في العناية بأبنائهن أثناء فترة دوامهن، مما يسهل عليهن ممارسة أعمالهن خارج المنزل.

وهذا ما أكدته دراسة الصادق عثمان على أن العاملات يجدن تشجيع من أزواجهن وأسرنهن عن العمل، لذا يفضلن القيام بأدوارهن لوحدهن داخل البيت بمساعدة أزواجهن.

جدول رقم (10) هل الزوج يلازم الأبناء عند وجودك بالعمل؟

احتمالات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	34	68%
لا	16	32%
المجموع	50	100%

المصدر: بيانات إستمارة الاستبيان

يلاحظ من الجدول (10) ان 68% من المبحوثات أجبن بـ(نعم) أن أزواجهن يلازمون الأبناء عند وجودهن بالعمل، وهذا مؤشر يدل على روح التعاون والتضاهم بين الزوجين ومدى قناعة الزوج بعمل الزوجة.

جدول رقم (11) هل ترين أن نظره المجتمع لعمل المرأة غير منصفة؟

احتمالات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	36	72%
لا	14	28%
المجموع	50	100%

المصدر: بيانات إستمارة الاستبيان

يبين الجدول (11) أن المبحوثات اللاتي أجبن بـ(نعم) بلغت نسبتهن 72% ممن يرون أن نظرة المجتمع ظالمة وغير منصفة لعمل المرأة والسبب لأن المجتمع تقليدي، وينظر إلى عمل المرأة يعطي لها الحرية ومنافسة الرجل في مناصب عليا. وأن الرجل هو المسؤول الأول، وأن المرأة مكانها المنزل.

التساؤل الثاني: ما الصعوبات التي تواجه المرأة العاملة المتزوجة؟

جدول رقم (12) هل عمك يوفر لك مكان لرعاية الأطفل أثناء الدوام؟

احتمالات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	10	20%
لا	40	80%
المجموع	50	100%

المصدر: بيانات إستمارة الاستبيان

يتبين من الجدول (12) أن 80% من مجتمع الدراسة أجبن بـ(نعم) أن العمل لا يوفر لهن مكان لرعاية أطفالهن أثناء الدوام، فالقطاعات التي لا يتوفر فيها دور حضانة للأطفال على مستوى عال من التنظيم والمسؤولية يجعل المرأة العاملة لا تطمن على طفلها وقت وجودها بالعمل. مما يجعل المرأة العاملة ترك أبنائها إما عند أهل الزوج، أو أهل الزوجة.

جدول رقم (13) هل هناك من يساعدك على العناية بأبنائك أثناء دوامك؟

احتمالات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	32	64%
لا	18	36%
المجموع	50	100%

المصدر: بيانات إستمارة الاستبيان

يتبين من الجدول (13) أن 64% من المبحوثات أجبن بـ(نعم) لديهن من يساعدهن على العناية بأبنائهن أثناء الدوام الرسمي، وقد أكدن المبحوثات أنهن عادةً يتلقين المساعدة من أهل الزوجية (الجددة والخالة) أو من أهل الزوج (الجددة والعممة) خاصة إذا كان مسكن الزوجية قريب من مسكن أهل الزوج، أما في حالة تواجد الزوج بالمنزل فيقوم بملازمة الأبناء، ومنهن من يأخذن أبناءهن للروضة. تستنتج من نتائج الجدول أن النساء اللاتي يعملن هن من العاملات اللاتي يتلقين مساعدة من الآخرين في العناية بأبنائهن أثناء دوامهن، وهذا التعاون هو ما يدفعهن لممارسة عملهن خارج المنزل.

جدول رقم (14) هل تواجهك أي صعوبة في القيام بواجبك الوظيفي؟

احتمالات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	28	56%
لا	22	44%
المجموع	50	100%

المصدر: بيانات إستمارة الاستبيان

يلاحظ من الجدول (14) أن 56% من النساء العاملات يواجهن صعوبة عند القيام بواجبهن الوظيفي

ونعزي تلك النتيجة إلى الأعباء الكبيرة والمسؤوليات التي تتحملها المرأة المتزوجة تجاه أبنائها واتجاه زوجها على عكس المرأة العازبة، ناهيك عن الواجبات المنزلية الأخرى والعلاقات الاجتماعية مع أهل والجيران والأقارب والأصدقاء يلعب دوراً هاماً في عدم القدرة على التوافق في بعض الأحيان.

وهذا ما أكدته دراسة خولة بن بوزيد عندما أشارت إلى أن المشكلات الاجتماعية والتنظيمية تؤثر على الأداء الوظيفي، وكذلك طول ساعات العمل يجعل من المرأة تهمل من مسؤولياتها تجاه أسرتها، ونظرة المجتمع السلبية لعملها، وأدائها الوظيفي، والظروف الفيزيائية السلبية لها تأثير كبير على مردودية العمل.

جدول رقم (15) هل وجودك لساعات طويلة بالعمل يجعلك مقصرة تجاه واجباتك المنزلية؟

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	27	54%
لا	23	46%
المجموع	50	100%

المصدر: بيانات إستمارة الاستبيان

يلاحظ من الجدول (15) أن النساء اللاتي أجبن بـ(نعم) أن بقائهن لساعات طويلة بالعمل خارج المنزل يجعلهن مقصرات تجاه واجباتهن المنزلية بلغت نسبتتهن 54%، فبعض

الأعمال تجعل المرأة مرهقة ومجهددة وغير قادرة على أداء واجباتها المنزلية مما تستعين بأبنائها للقيام ببعض الأعمال وهذا يؤثر بالسلب على الأبناء وعلى تحصيلهم الدراسي وعلى العناية بصحتهم وهذا ما يجعلها غير متوافقة بين عملها داخل المنزل وعملها خارج المنزل.

وهذا ما أشارت إليه دراسة سها م بنت خضر أن من أهم الصعوبات التي تواجه المرأة العاملة المتزوجة هو احتياجات أبناء الموظفين التي تؤثر على أداؤهن لعمَلهن ويمثل ازدواجا في أدوارهن بين المنزل والعمل.

جدول رقم (16) هل يوفر لك العمل مواصلات من المنزل إلى مكان العمل؟

احتمالات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	10	20%
لا	40	80%
المجموع	50	100%

المصدر: بيانات إستمارة الاستبيان

يلاحظ من الجدول رقم (16) أن 80% من المبحوثات أجبن بـ(لا) أن العمل لا يوفر لهن مواصلات للذهاب إلى العمل، وحتى إن وفر لهن العمل وسائل مواصلات فالبعض منهن لا يذهبن في هذه المواصلات، لأن الوقت الطويل الذي تقضيه المرأة المتزوجة داخل وسيلة المواصلات تكون قد أنجزت فيه عدة أعمال داخل نطاق المنزل. لذا لا يفضلن الذهاب بالمواصلات العامة.

جدول (17) هل الإختلاط بين الجنسين يؤثر على أداؤك لعملك؟

احتمالات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	38	76%
لا	12	24%
المجموع	50	100%

المصدر: بيانات إستمارة الاستبيان

يتبين من الجدول (17) أن 76% من مجتمع الدراسة أجبن بـ(نعم) بأن الإختلاط بين الجنسين يؤثر على أداؤهن لعمَلهن، وتعزي تلك النتيجة إلى التمييز الواضح بين الذكور والإناث وخاصة نظرة المجتمع للمرأة على أنها أقل نشاط وقدره وجهد على أداء بعض الأعمال داخل قطاع الصحة وربما يعود السبب إلى خبرة الرجل وأقدميته في العمل(المستشفى).

وأكدت دراسة هدى محمد السبيعي أن أكثر المشكلات التي تواجه المرأة العاملة المتزوجة هي التمييز بين النساء والرجال في الترقيات الوظيفية في بيئة العمل المختلفة.

التساؤل الثالث: ما الأسباب التي دفعت المرأة للخروج للعمل؟

جدول رقم (18) هل حصولك على مؤهل عالٍ هو ما دفعك للالتحاق بالعمل؟

احتمالات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	44	88%
لا	6	12%
المجموع	50	100%

المصدر: بيانات إستمارة الاستبيان

نلاحظ من الجدول (18) أن أغلب النساء العاملات حصلوهن على مؤهل عالٍ هو ما دفعهن للخروج للعمل حيث مثلت نسبتهن 88%، ونلاحظ أن تعليم المرأة قد ساهم بقدر كبير في تغيير نظرة النساء نحو العمل، فالتعليم والحصول على شهادة علمية عالية تزيد فرص المرأة في الحصول على عمل وفرصة أكبر في تحسين مستوى معيشتها ودخلها. وشكل مصدر رزق جيد تستطيع من خلاله سد احتياجاتها وحاجات أسرتها وتساعد زوجها في تحمل أعباء الحياة.

جدول رقم (19) هل الرغبة في تحسين الوضع المالي نتيجة الظروف المعيشية سبباً لخروجك للعمل؟

احتمالات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	32%	64%
لا	18%	36%
المجموع	50	100%

المصدر: بيانات إستمارة الاستبيان

يتبين من الجدول (19) أن المبحوثات اللاتي أجبن بـ(نعم) بلغت نسبتهن 64%، حيث أكدن أن لديهن رغبة في تحسين الوضع المادي وذلك نظراً للظروف المعيشية الراهنة، وهذا ما دفع المرأة للالتحاق بسوق العمل. وهذا ما أكدته دراسة كاميليا عبد الفتاح التي وجدت أن المرأة العاملة تخرج إلى ميادين العمل المختلفة مدفوعة من أجل تحقيق امكانياتها وتحسين وضعها المادي.

جدول (20) هل زيادة حجم الأسرة تجعل المرأة من الضروري بأن تلتحق بعملها؟

احتمالات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	33	66%
لا	17	34%
المجموع	50	100%

المصدر: بيانات إستمارة الاستبيان

يتبين من الجدول (20) أن 66% من النساء أجبن بـ(نعم) أن زيادة حجم الأسرة يجعل المرأة تلتحق بالعمل، وهذا ما يدفع المرأة للخروج للعمل خارج المنزل لتقليل الأعباء الواقعة على الأب، فالأطفال بحاجة لمن يلبي لهم العديد من الحاجات الأولية والثانوية. ويزداد الضغط على الأم في حالة عدم وجود الأب أو انشغاله عن الأبناء وبالتالي تسعى المرأة العاملة إلى الاكتفاء بإنجاب إثنين أو ثلاثة أطفال لتقل المسؤولية عن عاتقها.

جدول (21) هل استطعت إثبات ذاتك كإمرأة عاملة في المجتمع؟

احتمالات	التكرار	النسبة المئوية
نعم	46	92%
لا	4	8%
المجموع	50	100%

المصدر: بيانات استمارة الاستبيان

نلاحظ من الجدول (21) أن (92%) من المبحوثات اللاتي أجبن بـ(نعم) أنهن استطعن إثبات أنفسهن في مجتمع يرفض فيه عمل المرأة المتزوجة، فمسألة إثبات المرأة العاملة لنفسها راجع إلى شخصية المرأة من جهة، وإلى طبيعة المجتمع وبالأخص ثقافة الأسرة من جهة. من خلال هذه النتيجة نرى أن مجتمع الدراسة يعتبر عمل المرأة ضروري لتحقيق حاجاتها النفسية والمعنوية ومكانتها الاجتماعية واحترام التقدير والذات، فالمرأة تحاول دائما إثبات ذاتها وتحقيق نجاحاتها في المجتمع.

قائمة المراجع

1. أبو مدين، عاجب (2017) الآثار الأسرية الاجتماعية المترتبة عن عمل المرأة خارج البيت، جامعة وهران.
2. إبراهيم، حمد (1997) علم الاجتماع العائلي، دار جامعة الازهر، الطبعة الاولى.
3. أسعد عمار، دلال (2014) عمل المرأة وعلاقته بالتوافق الزوجي، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الانسانية، المجلد (36) العدد (4).
4. بن بوزيد، خولة (2015) بعنوان مشكلات المرأة العاملة وتأثيرها على الأداء الوظيفي، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع.
5. بنت خضر الزهراني، سهام (1432) المعوقات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة في القطاع الصحي، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، جامعة الملك عبدالعزيز.
6. حرفوش واخريات، سميرة (1961) تحديد الاحتياجات التدريبية للقوى العاملة النسائية السعودية في الأجهزة الحكومية، الإدارة العامة للمكتبات، الرياض.
7. حسون، تماضر (1993) "تأثير عمل المرأة على التماسك الأسري في المجتمع العربي، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض.
8. حسين، أنور حسن (1998) أثر عمل المرأة في تماسك الأسرة وتنشئة الأطفال، دراسة حالة بوحدرة الحاج يوسف شرق التعليمية" محلية شرق النيل، مجلة كلية الدراسات العليا، قسم علم الاجتماع، جامعة النيلين (ع 2-37)، السودان.
9. سليمان حامد، إيمان (2020) الآثار الأسرية والاجتماعية المترتبة على عمل المرأة المتزوجة، مجلة كلية الآداب جامعة بنغازي، العدد48.
10. صادق زوزو، فريدة، أثر عمل المرأة خارج البيت على استقرار بيت الزوجية، ماليزيا، تاريخ الدخول 2022/12/18 على الموقع (com.lahaonline.www).
11. عبد الله خليفة، لؤلؤة (1996) الأسرة الخليجية معالم التغير وتوجهات المستقبل، مطابع البيان التجارية، الطبعة 1، دبي.
12. عبد العالي، مليكة (1989) تأثير العوامل الديموغرافية والاقتصادية في عمل المرأة، جامعة حلب، سوريا.
13. عبد الفتاح، كاميليا (1972) سيكولوجية المرأة العربية، دار الثقافة العربية للطباعة، القاهرة، ط1.
14. عثمان، الصادق (2014) عمل المرأة خارج البيت وصراع الازواج رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية.
15. كاظم فرحان، آسيا (1980) دور المرأة في النشاط الاقتصادي مع التركيز على المرأة الريفية، رسالة ماجستير جامعة المستنصرية، بغداد.
16. كيري، فرانس (1988) دور الأفكار في تطور الأسرة الغربية، الأصالة، محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي، الجزء الثاني، وزارة الشؤون الدينية، باتنة.
17. محامدية، وبوطوطن (2013) المرأة العاملة والعلاقات الاسرية، الملتقى الوطني الثاني حول الاتصال وجودة الحياة الأسرية، ابريل، قسم العلوم الانسانية، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، الجزائر.
18. مذكور، ابراهيم (1975) معجم العلوم الاجتماعية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
19. محمد السبيعي، هدى (2010) المشكلات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة في بيئة العمل المختلطة، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية.

إشراك المجتمع المحلي في حماية الموروث والآثار في قورينا (كيريبي)

Involving the Local Community in the Protection of the Heritage and Archaeology of Cyrene

الكاتب: د. أحمد عيسى فرج عبدالكريم.

ترجمة: د. محمد عمر محمد عبدربه

أستاذ مساعد بقسم الآثار/ جامعة عمر المختار

القبول: 2023/6/20

الاستلام: 2023/6/5

○

○

المستخلص:

هذه المقالة هي ترجمة إلى اللغة العربية، لمقالة باللغة الإنجليزية، كاتبها (د. أحمد عيسى فرج عبدالكريم/ أستاذ مشارك بقسم الآثار/ جامعة عمر المختار). وقد نُشرت المقالة الأصل بمجلة الدراسات الليبية بلندن في عددها رقم 44 للعام 2013 في الصفحات من 106-103.

تطرح هذه المقالة مشروعاً مهماً نُفذ في مدينة شحات، أو ما تُعرف قديماً باسم (قورينا/ كيريبي)، يهدف إلى إشراك المجتمع المحلي في حماية التراث الأثري. ويناقش الكاتب في هذه المقالة الدور المهم الذي يمكن للمجتمعات المحلية أن تلعبه في حماية المواقع الأثرية والموروث الثقافي بشكل عام، لكون المجتمع المحلي شريكاً أساسياً في هذا الموضوع، وذلك لا يتأتى إلا في حالة عرف المجتمع المحلي القيمة الكبيرة والمهمة لهذا الموروث الثقافي وقدرها.

ومن هنا يرى الكاتب أن تثقيف المجتمع وإعلامه — وبخاصة الأجيال القادمة — هي من الوسائل المهمة والناجعة لضمان حماية فعّالة للتراث الأثري، ليس في شحات فقط، بل في عموم البلاد، وأنه لتثقيف هذه الأجيال لا بد - حسب مبادرة الكاتب - من البدء والاستمرار في خطوات عدة، منها- على سبيل المثال لا الحصر- إلقاء سلسلة من المحاضرات في المدارس، وتنظيم زيارات ميدانية للمواقع الأثرية، وإدراج التوعية المجتمعية في هذا الصدد في المناهج الدراسية.

Abstract:

This article is an Arabic translation of an English article by Dr. Ahmad Issa Faraj AbdulKareim (Associate Professor in the department of Archaeology/ Omar Al-Mukhtar University). The article was published in 2013 in the Journal of Libyan Studies/ London, volume 44, pages 103106-.

This article presents an important project that was implemented in the city of Shahaat (ancient Cyrene), aiming to involve the local community in protecting the archaeological heritage. In this article, the author discusses the important role that local communities can play in protecting archaeological sites and cultural heritage in general, considering the local community as an essential partner in this matter, and this can only be achieved if the local community knows and appreciates the great and important value of this cultural heritage.

The writer believes that educating and informing the community - and future generations in particular - is one of the very important means to ensure effective protection of the archaeological heritage - not only in Cyrene, but throughout the country. Also, according to the writer's initiative, that to educate these generations, it is necessary - to start and continue in several steps, including delivering a series of lectures in schools, organizing field visits to archaeological sites, and inserting community awareness into the school curriculum.

مقدمة:

مدينة شحات القديمة أو (قورينا/ كيريني) هي واحدة من أهم المواقع الأثرية في العالم، وهي مسجلة في قائمة مواقع التراث العالمي منذ عام 1982، وهي واحدة من خمسة مواقع في ليبيا، مدرجة الآن على قائمة التراث العالمي.

إلا أنه- ومع الأسف- فإن هذا الموقع أصبح تحت التهديد لأسباب عدة، وقد لاحظت لجنة التراث العالمي العديد من هذه التهديدات ودونتها؛ ولذلك فقد طلب من مصلحة الآثار الليبية -وفي أكثر من مناسبة- طرح حلولها في هذا الصدد⁽¹⁾.

لقد سبق أن حاول بعض علماء الآثار- ممن خبروا ليبيا وعملوا بها- لفت الانتباه إلى المخاطر والتهديدات التي تؤثر سلباً في الممتلكات الثقافية والأثار بشكل عام، وبناء عليه، فقد بدأت مصلحة الآثار في العمل على الحد من تلك التهديدات والمخاطر وحماية الموروث في جميع أنحاء ليبيا، وفي قورينا خاصة⁽²⁾.

التراث تحت التهديد:

موقع قورينا الأثري واقع تحت التهديد نتيجة العديد من العوامل التي يمكن تقسيمها بشكل عام إلى عوامل طبيعية وأخرى بشرية⁽³⁾.

في الوقت الذي تتمثل العوامل الطبيعية في التهديدات الناتجة عن المناخ والغطاء النباتي، نجد أن العوامل البشرية متعددة وتشمل رعي الحيوانات في المواقع الأثرية المكشوفة داخل حدود المدينة القديمة، والحضر الناجم عن مسح أجزاء من ضواحي المدينة ومقابرها الأثرية لغرض الأنشطة الزراعية، بالإضافة إلى إنشاء طرق جديدة، وبناء عدد كبير من المنازل الحديثة داخل حدود موقع المدينة القديمة وفي ضواحيها، وبخاصة في المناطق المحتوية على مقابر أثرية.

هناك أيضاً ازدياد في عمليات التنقيب السرية لغرض سرقة الآثار، وخاصة في منطقة المقابر الشاسعة وفي عدد من المواقع بضواحي المدينة، ناهيك عن المشاكل المتزايدة، الناجمة عن السياحة، لا سيما التلوث الناتج من رمي القمامة، والكتابة والرسم على الجدران، والحرائق المدمرة التي قد تشب نتيجة لإيقاد النيران من قبل السياح في أثناء

(1) UNESCO WHC 1982. <http://whc.unesco.org/en/list/190/>

(2) Bennett, P. and Barker, G. 2011. Protecting Libya's Archaeological Heritage. African Archaeological Review 25.5: 5—25; Cuttler et al. 2009. Changing perspectives on the city of Cyrene, Libya: Remote sensing and the management of the buried archaeological resource. Archéo Sciences 33 (suppl.): 65—67.

(3) Abdulkariem, A. 2011. Factors of Deterioration at the Archaeological Site in Cyrene. In Ensolli, S. (ed.), For the Preservation of the Cultural Heritage in Libya, a dialogue among institutions. Proceedings of Conference 1—2 July 2011. Fabrizio Serra editore, Pisa/ Roma: 109.

نزهاتهم.

والسؤال المهم هنا هو: ما دوافع الناس لإتلاف تراثهم في مدينة قورينا؟ والجواب حتماً معقد ومركب، بما أن هناك العديد من العوامل المؤثرة في تدهور الموقع. وعلى أية حال، فإن السبب الأساسي في التهديد البشري الذي تتعرض له قورينا هو قلة المعرفة والوعي بالقيمة التراثية للموقع.

الأسباب الأخرى تشمل المكاسب الشخصية، كبناء منزل للسكن، أو حظيرة للحيوانات، أو الزراعة في الموقع الأثري، وغالباً ما تُرتكب هذه التجاوزات حتى مع علم مُرتكبيها بأنها تتعارض مع الأعراف والقوانين السائدة.

نحو إشراك سُكَّان قورينا في الحفاظ على تراثهم وحمايته:

لم تحاول مصلحة الآثار—حتى مؤخراً—إشراك عامة الناس في حماية موروث ليبيا والمحافظة عليه، بل عملت بشكل منعزل من دون إشراك المجتمع المحلي. ولم تحاول مصلحة الآثار أيضاً توعية الناس وتثقيفهم حول تراثهم وأثارهم، سواء بشكل مستقل أو عن طريق التعاون مع الآخرين، (مثل: المنظمات، أو المؤسسات التعليمية، أو منظمات المجتمع المدني).

إن نقص هذا التواصل لم يؤد إلى جهل المجتمع بالآثار والتراث فحسب، بل أيضاً إلى عدم فهم قيمة هذا التراث بالنسبة للمجتمع. هناك عامل آخر ربما ساهم أيضاً في هذا الوضع، وهو الموقف الذي اتخذته (نظام القذافي)، وذلك لرؤيته للمواقع الأثرية والتراثية في ليبيا على أنها من بقايا الاستعمار، ولا علاقة لها بالشعب الليبي⁽⁴⁾.

إن إشراك المجتمع المحلي في حماية التراث، بالإضافة إلى خطط التنمية يمكنها أن تساعد في ضمان تحقيق الأهداف المرجوة، فبعد ثورة 17 فبراير 2011، أنجزت العديد من الأنشطة والمبادرات المدنية، وهذا راجع إلى أن المناقشة وصنع القرار أصبحنا مفتوحين ومتاحين أمام السكان المحليين.

ومن الواضح أن خلق الوعي بالآثار والتراث سيكون له نتائج مفيدة وفورية. فهو سيزيد من الشعور بالفخر والاعتزاز المحلي بالآثار والتراث، وهذا بدوره سيساعد في الحماية.

لا شك في أن الاستثمار في التواصل مع المجتمع، وبخاصة طلبة المدارس، سيؤدي إلى تغيير جوهري في رؤية السكان المحليين للموقع الأثري، وهذا بدوره سيعزز العلاقات بين المجتمع والفرق الأثرية والمواقع الأثرية، ويولد تكافلاً شعبياً واسعاً لحماية المواقع الأثرية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن هذا الاستثمار سيشجع على نقل المعلومات الأثرية إلى جمهور أوسع، وأيضاً يشجع على استخدام الإيرادات المادية المحتملة من الموروث في توظيف السكان المحليين⁽⁵⁾.

إن هذه المبادرة الموصوفة أدناه، هي مستمدة - في الأساس - من مشروع أطروحة

(4) Kenrick, P. 2011. Conservation and Presentation of Cultural Heritage: the Importance of Education. In Ensoli, S. (ed.), For the Preservation of the Cultural Heritage in Libya, a dialogue among institutions. Proceedings of Conference 1—2 July 2011. Fabrizio Serra editore, Pisa/ Roma: 145.

(5) Moser, D. G. (2002). Transforming Archaeology through Practice: Strategies for Collaborative Archaeology and the Community Archaeology Project at Qu-seir, Egypt. World Archaeology, Vol. 34, No. 2, Community Archaeology, 223.

الدكتوراه لكاتب هذه المقالة، التي تهدف أيضاً إلى المساهمة في ثورة 17 فبراير⁽⁶⁾ 2011. برنامج لتعريف طلبة وطالبات المدارس المحلية الدارسين بالمرحلة الثانوية بالموقع الأثري لمدينة (قورينا) (شحات):

قدّم مقترحٌ إلى مكتب النشاط بإدارة التعليم في شحات يهدف إلى نشر وعي عام وأكبر بأهمية المواقع الأثرية بمدينة قورينا. وتضمن الاقتراح الذي قبله مكتب النشاط ما يلي:

1. المحاضرات:

تُظمت لمدارس المرحلة الثانوية بمدينة شحات عروضٌ من قبَل (فريق التعريف بالأثار والتراث بمراقبة آثار شحات). وقد ركّز في هذه العروض على قضايا رئيسية، مثل: التعريف بالأثار اللببية وأهميتها، والقيمة الاقتصادية المحتملة على المدى الطويل للممتلكات التراثية، بالإضافة إلى التهديدات التي يتعرض لها الموروث الليبي اليوم. من خلال هذه العروض نُبه الطلاب إلى أن حماية المواقع والمباني الأثرية مسؤولية جميع الليبيين، لاسيما وأنهم يشكلون جزءاً من تراث مشترك، وأن حماية تراثنا واجب وطني.

2. الوسائل التعليمية:

وتشمل الخرائط والصور والرسومات، المُصممة لعرضها في مداخل المدارس لفترة من الزمن. وقد تضمنت الصور نماذج قديمة أخذت من أرشيف الموقع لإحدى مناطق قورينا أو لمعلم أثري معين، بالإضافة إلى صور فوتوغرافية حديثة للمنطقة نفسها أو للمعلم الأثري نفسه؛ لغرض توضيح وتفسير مدى التغييرات التي حدثت على الموقع. وقد استُخدمت هذه الصور للمقارنة، وللشرح، ولتحليل الظواهر السلبية التي تؤدي إلى تدهور المعالم والمواقع الأثرية بشكل عام.

3. الدعوات:

كما وُجّهت الدعوة للمدارس لزيارة الموقع الأثري، وقُدّمت معلومات وشروح عن تاريخ وأثار الموقع للتلاميذ، وتضمن هذا التقديم إقامة العديد من الأنشطة، لجعل تجربة التعلم لدى الطلاب والطالبات ممتعة ومسلية ولا تنسى.

التحديات والنتائج:

لقد أظهر البرنامج تحديات حقيقية، ليس أقلها، أن القليل منهم كانوا على استعداد لتبنيه عندما قدّم. فحتى الآن، لم يُنفذ إلا عدد قليل من المحاضرات والزيارات الميدانية (الصورتان 1 و 2)، وأيضاً فإنه - ولأسباب مالية - لم تنتج حتى الآن أي من الوسائل التعليمية.

تجدر الإشارة هنا إلى أنه في البداية كان الغالبية العظمى ينتابهم الشك في أن مثل هذه البرامج ستحقق أية نتائج إيجابية، ولكن مع بدء العملية، فقد صار العديد من الزملاء مقتنعين بأهمية المبادرة. وكان دور مكتب التعليم في مدينة شحات مفيداً ومشجعاً للغاية منذ البداية، وكان ردهم الإيجابي الكبير على الاقتراح الأصلي دافعاً كبيراً ومهماً للمضي قدماً في المبادرة.

(6) Al-Qataani, A. 2012. (November 22). Experience is the best teacher. Correspondents.org/ ly. Retrieved 04 January 2013 from Correspondents.org: <http://www.correspondents.org/node/1281>.

ومما لا شك فيه أن مثل هذه المبادرات الرائدة تواجه العديد من الصعوبات والتحديات، وليس أقلها القيود المالية. فيمكن القيام بالمزيد من خلال التمويل المالي للوسائل التعليمية، بما في ذلك توفير معدات العرض والكراسي الكافية للمشاركين وإنتاج الكتيبات أو النشرات.

كان الوقت أيضاً عاملاً مقيداً، حيث كانت العروض والجولات الميدانية خارج إطار المنهج الدراسي. ولذلك نأمل في المستقبل أن تُطوّر المبادرة لتضمينها في المناهج الدراسية، وأن تُطوّر وتوسع؛ لتعمم في كل أنحاء البلاد، ولا سيما كل المدارس في ليبيا.
صورة 1. زيارات ميدانية للموقع مع المرشد.



صورة 2. عرض في قاعة الدراسة.



كان الوقت أيضاً عاملاً مقيداً، حيث كانت العروض والجولات الميدانية خارج إطار المنهج الدراسي. ولذلك نأمل في المستقبل أن تُطوّر المبادرة لتضمينها في المناهج الدراسية، وأن

الخاتمة:

لقد أكدت نتائج هذه المبادرة أن الطريقة الصحيحة لتحقيق حماية ناجعة للموروث في ليبيا تكمن في نشر أهميته للأجيال القادمة، وربط العلاقة بين التراث والمجتمع من حيث الهوية الوطنية والثقافية والقيمة الاقتصادية، وبالتالي يمكننا تحقيق الحماية للموروث في الوقت الحالي وفي المستقبل على حد سواء.

لقد دُوِّنت أيضاً ملاحظات عدة، في نقاط رئيسة من خلال هذا العمل، وسيكون من المفيد البناء على هذه المعرفة في المستقبل.

كان الطلاب والمعلمون مهتمين جداً بالمعلومات المقدمة حول المدينة القديمة، وصلتها بأجيال اليوم والمستقبل. ولعله من المفاجئ أن بعضهم قد أشار إلى أنه لم يسبق لهم زيارة موقع قورينا الأثري، على الرغم من إقامتهم في شحات أو في المدن والمناطق المجاورة لها أو القريبة منها.

إلا أنه لم يكن مفاجئاً في الوقت نفسه- أن معظمهم اعترف بمعرفة القليل جداً عن الموقع الأثري للمدينة، وهذا مرده إلى أن المعلومات المتوافرة حول قورينا باللغة العربية كانت قليلة العرض، إضافة إلى ندرة البرامج الشعبية — المرئية والمسموعة على حد سواء- التي تتناول هذه المواضيع.

وعليه فإن هناك حاجة ملحة إلى ترجمة الأعمال المنشورة حول موقع قورينا الأثري من اللغتين الإنجليزية والإيطالية إلى العربية، لتكون متاحة للأجيال القادمة من الطلاب الليبيين، كما أن الكتيبات والكتب المصورة الجديدة مطلوبة للجميع، وللأطفال على وجه الخصوص، ويوصى باتباع هذا النوع من المبادرات في جميع أنحاء البلاد، وبدعم من مصلحة الآثار والمؤسسات الرسمية في الدولة.

إن وزارة التربية والتعليم هي شريك رسمي في مشروع موقع قورينا الأثري، ويحدونا الأمل في أن يصبح -الموروث والآثار في ليبيا، والقضايا التي تهدد المواقع التاريخية في كل أنحاء البلاد- مكوناً مهماً في المنهج الدراسي المحلي في المستقبل.

كما نأمل في ازدياد عدد الزيارات المدرسية للمواقع الأثرية والمتاحف في جميع أنحاء البلاد، نتيجة لهذه المبادرة (التوعوية) البسيطة والضرورية، وكلنا أمل أيضاً في أن المعرفة بالموارد ستولد الرغبة الوطنية لحماية تراثنا لصالح الأجيال القادمة.

شكر وتقدير:

أنا مدين للغاية للدكتور روبرت موركوت (المشرف على بحثي لأطروحة الدكتوراه بقسم الآثار في جامعة إكستر بالمملكة المتحدة)، الذي شجني على كتابة هذه المقالة وتقديمها.

والشكر أيضاً للأستاذ فرج عبد العاطي حامد، الذي كان مراقباً لآثار شحات عندما قدمت اقتراحي الأصلي. وأود أن أعرب عن خالص امتناني للدكتور صالح العقاب رئيس مصلحة الآثار، كما أتوجه بخالص الشكر لمكتب التربية والتعليم في شحات، وخاصة إلى رمضان الإخواني بمكتب النشاط.

الشكر موصول أيضاً إلى مراقبة آثار شحات والمركز الثقافي، وراдио قورينا. وختاماً أود أن أعرب عن خالص تقديري للسيد أحمد الصابر سعدون (المدير السابق لمراقبة آثار شحات)، الذي أيد اقتراحي منذ عام 2010 قبل ثورة فبراير، على الرغم من أننا — ومع الأسف - لم نتمكن من تنفيذه في ذلك الوقت.

إن نجاح هذا العمل يرجع إلى القدرات المتميزة للفريق الذي قام بتنفيذه، هذا الفريق

الذي ينبغي علي شكره، وهم: عبد الرحيم صالح شريف، ورزق عبد الكريم عبد الله، وعلي عبد الحميد عبد السيد. وسيكون الفريق الجديد لموسم 2012-2013 من كل من: فتحية عبد النبي، وسعيد امحمد العنابي، وفضل عبدالعزيز المبروك.

قائمة المراجع

1. Abdulkariem, A. 2011. Factors of Deterioration at the Archaeological Site in Cyrene. In Ensoli, S. (ed.), For the Preservation of the Cultural Heritage in Libya, a dialogue among institutions. Proceedings of Conference 1-2 July 2011. Fabrizio Serra editore, Pisa/ Roma: 109-110.
2. Al-Qataani, A. 2012. (November 22). Experience is the best teacher. Correspondents.org/ Iy. Retrieved 04 January 2013 from Correspondents.org: <http://www.correspondents.org/node/1281>.
3. Bennett, P. and Barker, G. 2011. Protecting Libya's Archaeological Heritage. African Archaeological Review 25.5: 5-25.
4. Cuttler, R., Gaffney, C., Gaffney, V., Goodchild, H., Howard, A. and Sears, G. 2009. Changing perspectives on the city of Cyrene, Libya: Remote sensing and the management of the buried archaeological resource. Archéo Sciences 33 (suppl.): 65-67.
5. Kenrick, P. 2011. Conservation and Presentation of Cultural Heritage: the Importance of Education. In Ensoli, S. (ed.), For the Preservation of the Cultural Heritage in Libya, a dialogue among institutions. Proceedings of Conference 1-2 July 2011. Fabrizio Serra editore, Pisa/ Roma: 145-146.
6. Moser, D. G. (2002). Transforming Archaeology through Practice: Strategies for Collaborative Archaeology and the Community Archaeology Project at Quseir, Egypt. World Archaeology, Vol. 34, No. 2, Community Archaeology, 220-248.
7. UNESCO WHC 1982. <http://whc.unesco.org/en/list/190/>